

بسم الله الرحمن الرحيم

الثقافة التقليدية
في المملكة العربية السعودية

9

الحياة الفطرية
(الحيوان)

دار الدائرة للنشر والتوثيق
THE CIRCLE FOR PUBLISHING & DOCUMENTATION



الثقافة التقليدية
في المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية
ط١.- الرياض.
٤٧٣ ص ١٨ × ٢٥سم
ردمك: ٤-٢٧-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجموعة)
٣-٣٦-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجلد ٩)
١- السعودية - الثقافة
ديوي ٣٠١,٢٩٥٣١ ٣٧٢٥/ ٢٠

رقم الإيداع: ٣٧٢٥/ ٢٠
ردمك: ٤-٢٧-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجموعة)
٣-٣٦-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجلد ٩)

الناشر: دار الدائرة للنشر والتوثيق
ص. ب ٨٦٧١٣، الرياض ١١٦٣٢
المملكة العربية السعودية
فاكس ٤٥٠٤٩٧٥

Traditional Culture of Saudi Arabia

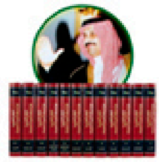
Published by The Circle for Publishing & Documentation
P. O. Box 86713, Riyadh 11632
Kingdom of Saudi Arabia
Fax. 4504975

تم إنجاز هـذا الـعـمـل وطــبـاعــتـه ونـشـره

بـتـــوجـيـه ورعـــايـة مـن صـــاحـب الـســمـو المـلــكـي

الأمير خالد بن سلطان بن عبدالعزيز آل سعود





الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية

المشرف العلمي ورئيس هيئة التحرير

د. سعد العبدالله الصويان

المستشار العام

سلطان بن خالد بن أحمد السديري

المشاركون في التأليف

د. أحمد بن حمد الفرحان	(الحيوان، النبات)
د. أحمد بن عمر الزيلعي	(الآثار، الحرف والصناعات، المواقع الأثرية)
د. أسامة بن محمد نور الجوهري	(العمارة)
د. جابر بن سالم موسى	(الطب والعطارة)
د. حميد بن إبراهيم المزروع	(الآثار، المواقع الأثرية)
د. خليل بن إبراهيم المعيقل	(المواقع الأثرية)
د. سالم بن أحمد طيران	(الآثار)
د. سعد بن عبدالعزيز الراشد	(الآثار، المواقع الأثرية)
د. سعد بن عبدالعزيز السعران	(الألعاب)
د. سعد العبدالله الصويان	(الإبل، القنص والصيد)
د. سعود بن سليمان ذياب	(الآثار، المواقع الأثرية)
سلطان بن خالد بن أحمد السديري	(الإبل، الحيوان، القنص والصيد، المعارف الجغرافية، النبات)
د. سليمان بن محمد الذييب	(الآثار، المواقع الأثرية)
د. صالح العلي الهذلول	(العمارة)
عبدالرحمن بن زيد السويداء	(الإبل، القنص والصيد)
د. عبدالرحمن بن سعود الهواوي	(الإبل، القنص والصيد)
د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري	(الآثار، المواقع الأثرية)
عبدالرحمن بن عبدالعزيز المانع	(الإبل، الطب والعطارة، العمارة)
د. عبدالرحمن بن محمد العسيري	(الألعاب)
د. عبدالرحمن بن محمد عقيل	(الطب والعطارة)
د. عبدالعزيز بن سعود الغزي	(الآثار، المواقع الأثرية)
د. عبدالكريم بن عبدالله الغامدي	(الآثار، المواقع الأثرية)
د. عبدالله بن إبراهيم العمير	(الآثار، الحرف والصناعات، المواقع الأثرية)
عبدالله بن أحمد السيف	(الإبل، المعارف الجغرافية)
د. عبدالله بن آدم نصيف	(الآثار، المواقع الأثرية)

د. عبدالله بن حسين الخليفة (الألعاب)

د. عبدالله بن حمد الخلف (الفلاحة)

د. عبدالله بن عبدالرحمن الدوسري (الآثار، المواقع الأثرية)

د. عبدالله بن سالم الزهراني (الفلاحة)

د. عبدالله بن محمد الشيخ الأنصاري (الحيوان، النبات)

د. عبدالله بن ناصر الوليعي (المعارف الجغرافية)

د. عبدالله بن يوسف الغنيم (المعارف الجغرافية)

د. عساف بن علي الحواس (المعارف الجغرافية)

د. علي بن إبراهيم حامد غبان (الآثار، الثقافة البحرية، الحرف والصناعات)

م. علي بن محمد الشعيبي (العمارة)

د. عوض بن متيريك الجهني (الحيوان، النبات)

د. فوزان بن عبدالرحمن الفوزان (الفلاحة)

د. محمد بن حسن صالح البراهيم (العمارة)

د. محمد بن خالد السعدون (الحيوان، النبات)

محمد بن سعود الحمود (المواقع الأثرية)

د. محمد بن عبدالعزيز اليحيى (الطب والعطارة)

محمد بن عبدالله الشواطي (المواقع الأثرية)

د. محمد بن عبدالله الصالح (العمارة)

د. معراج بن نواب مرزا (المعارف الجغرافية)

د. منصور بن سليمان السعيد (الطب والعطارة)

المراجعون

إبراهيم بن عبدالله الخميس
أحمد بن حامد الغامدي
د. حسن بن عايل أحمد يحيى
د. خليل بن إبراهيم المعيقل
راشد بن محمد الحمدان
سعد بن عبدالله البراك
د. سعيد بن فالح الغامدي
سلطان بن خالد بن أحمد السديري
سلمان الأفنس ملفي الشراري
سلمان بن سلامة محمد الهلالي
صالح بن عبدالله العبودي
صالح بن محمد الخليفة
عبدالحميد بن مهدي أبو السعود
عبدالرحمن بن زيد السويداء
د. عبدالرحمن بن فريح العفنان
عبدالرحمن بن عبدالعزيز المانع
عبدالرحيم بن مطلق الأحمدي
عبدالعزيز بن جار الله الجار الله
د. عبدالله بن أحمد سعد الطاهر
د. عبدالله بن محمد البداح
عبدالله بن محمد المنيف
علي بن صالح السلوك الزهراني
علي بن محمد الحبردي
د. لويزا بولبرس
محمد بن إبراهيم الميمان
محمد حسين بنونة
د. محمد الصالح الربدي
د. محمد الصالح الشنيفي
محمد بن صالح البليهشي
د. محمد بن عبدالله النويصر
محمد بن عبدالله الحمدان
محمد بن علي حسن آل ناصر
د. مشلح بن كميخ المريخي المطيري
هزاع بن عيد الشمري
د. يوسف بن محمد فادن

استشارات علمية وفنية

د. إياد عبدالوهاب نادر
د. سعيد زغلول البسيوني
د. شوكت علي شودري
صالح بن عبدالله العزاز
عثمان لولن
د. مصطفى عبدالله شيحة

الرسامون والمصورون

بسام مصطفى أحمد
حمزة عبدالله النميري
روبرتو ميدينا
رولاند ميدينا
صلاح الدين الأمين
عبدالرؤوف محمد جمعة
غالب خاطر
محمد بن حسين بنونة

مصادر الصور

- **دار الـدائرة لـلنـشـر والتـوثيـق**
- **المشاركـون فـي الـتـألـيـــف**
- **الـهـيـئـات:**

شركة أرامكو السعودية
مكتبة الملك فهد الوطنية
الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض
الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها

- **المطبوعـات:**

أطلس المياه، وزارة الزراعة والمياه
الغطاء النباتي للمملكة العربية السعودية، وزارة الزراعة والمياه.
الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان عمارة وتاريخاً، مجموعة بن لادن السعودية.

- **الأفـــراد:**

بسام مصطفى أحمد
سلطان بن خالد بن أحمد السديري
صالح بن عبدالله العزاز
عبدالعزيز بن جار الله الجار الله
عبدالله بن محمد المنيف
عثمان لولن
د. محمد بن عبدالله الصالح
محمد بن حسين بنونة
د. يوسف بن محمد فادن

تنبيه

هذه هي الطبعة الأولى من مشروع الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية. لقد بذلت دار الدائرة للنشر والتوثيق كل ما في وسعها لتخرج مجلدات المشروع على الشكل الذي يرضى عنه القارئ. إلا أن الثقافة ميدان فسيح من ميادين المعرفة وموضوع متداخل متشعب يصعب الإلمام به وحصره بين دَفّتَي مجلد أو عدد من المجلدات. إن مشروعاً بهذه الشمولية وهذا الطموح وهذا التعقيد يحتاج إنجازه بالشكل الصحيح إلى عقود عديدة وأجيال متعاقبة وطبعات متوالية لسد النقص وردم الثغرات وتصحيح الخطأ وتطوير المنهج وتلافي مختلف أوجه القصور. وأياً كان الأمر، يبقى عمل الإنسان ناقصاً مهما بذل من جهد لإتمامه، فالبدايات دائماً صعبة وشاقة. لذا فنحن بقدر ما نستدر عطف القراء ونأمل منهم الصفح عن الهفوات والأخطاء، فإننا، في عمل ضخم كهذا، بأمس الحاجة إلى آرائهم ونرحب بكافة ملاحظاتهم وتصويباتهم حتى يمكن الاستفادة منها في طبعات لاحقة.

كما نلفت الانتباه إلى أننا أوردنا في نهاية كل مجلد قائمة بالمصادر ذات الصلة بموضوع المجلد والتي تم الاعتماد عليها والتي يمكن للقارئ الرجوع إليها للاستزادة.

لكننا، جرياً على العادة المتبعة في تأليف الموسوعات، حاولنا التخفيف قدر الإمكان من الإحالات إلى المراجع داخل النص واقتصرنا في ذلك على الحد الأدنى والضروري.

أما تلك المصادر التي ترتب مادتها هجائياً مثل كتب الأمثال ومعاجم البلدان والقواميس فإننا أغفلنا الإحالة إليها داخل النص لعدة أسباب أهمها تعدد طبعاتها واختلاف الناشرين وسنوات النشر لكل طبعة ولأن مادة هذه المصادر مرتبة ترتيباً هجائياً يجعل من السهل على القارئ تتبع موادها والعثور على بغيته فيها دون أن نشير له إلى رقم الصفحة.

المحتويات

تمهيد

وجد الإنسان منذ كان على هذه الأرض محوطا بعوالم من نباتات وحيوانات شتى، وأدرك أن النبات والحيوان هما عنصرا منظومة الحياة على الأرض، بهما تكون عمارتها على نحو تكاملي عجيب قوامه النظام والتناسق، وأدرك أن لكلٍ منهما من أسباب الحياة وعوامل النجاة ما يحفظ عليه نوعه، على نحو متوازن لا يجور بعضه على بعض إلا أن تتغير من حولهما من الظروف ما يعصف بأشكال الحياة فتذهب بما تذهب وتدع ما تدع.

والحيوان عوالم لا ينتهي منها العجب، وإنها لتلتقي في ظواهرها الكبرى التقاءَ توحد أسباب الحياة فيها. وإنّها لتختلف فيِ الصفات والطبائع وطرائق العيش اختلافات كثيرة وما تزال تختلف حتى تنوعت أشكالها وأحجامها وألوانها وأصواتها. وهو تنوع يلائم أغراض الحياة، ويوافق مطالب النجاة.

إن من خصائص الحيوان الكبرى التكاثر الهادف إلى حفظ النوع، وما يقتضيه ذلك من الدفاع عن النفس. والسعي في طلب الغذاء الذي به تستقيم الحياة.

وعلى الرغم من اشتراكها في خصائصها الكبرى اختلفت هذه الحيوانات اختلافات كثيرة بسبب تكيفها للبيئة التي تعيش فيها. إذ منها ما دب على الأرض ومنها ما طار في كبد السماء ومنها ما سبح في لجج البحر. واختلفت في طرائق تغذيها فمنها ما قضم النبات ومنها ما نهش اللحم ومنها ما جمع بينهما.

واختلفت في وسائلها اختلافا عجيباً فمن ألوانها ما يتخذ للترغيب

ومنها ما يتخذ للترهيب ومنها ما يتخذ للتخفي طلباً للنجاة، وتتخذ من الروائح وسيلة ترغيب عند التكاثر أو وسيلة دفاع عند الخوف أو وسيلة هجوم. وبالجملة فإن الحيوان مكيف لحفظ نوعه تكاثراً وتغذياً ودفاعاً عن حياته. وإن من هذه الحيوانات ما تكون قوته في جسده ومنها ما تكون قوته في عدده. وبين هذه الحيوانات من العلاقات المتداخلة المتشابكة ما يثير العجب فمنها ما هي علاقة تكافل وتكامل ومنها ما هي علاقة تطفل واهتبال للفرصة.

لم يقف الإنسان من ذلك كله موقف الدهشة ولا رجع بصره عنه حسيراً بل تأمل ذلك كله بنظر ثاقب وعقل محلل فأدرك ما فيه من التنوع المسرف في اختلافه، ولكنه أدرك ما فيه من التجانس، وتراكمت له من الخبرات والمعارف ما قام على أساسه درس من دروسه المهمة وهو علم الحيوان.

وليس من همنا هنا أن نعرض للحيوان على نحو ما يعرضه علم الحيوان بل أن نقدم ما في ثقافتنا التقليدية من معرفة بطبائع الحيوان. ولما كانت هذه الثقافة ضاربة في جذورها في التراث العربي على مر العصور فإنا سنجمع إلى المعرفة التقليدية الحاضرة تلك المعرفة التراثية، ينتظم ذلك كله في إطار علمي مستفاد من منجزات علم الحيوان فتتضافر آخر الأمر معارف شتى، مبناها وشيء من مضمونها مكتسب من علم الحيوان، ويصب في ذلك ما ثقفناه من علوم الأوائل عن طبائع الحيوان وما أطلقوه من أسماء عليها، وهي ثقافة متصلة بحاضرنا، يكشف عن ذلك ما تزخر به أمثالنا مما يعكس صورة ظاهرة لعلاقة الإنسان بما يحيط به من أحياء ويكشف عن خبرته ومعرفته العميقة بطبائع خبرها وأدركها، وفي أشعاره جانب آخر كاشف عن تلك الخبرات والمعارف، وهي خبرات تتسع وتضيق حسب قرب الحيوان أو بعده من حياة الإنسان نفسه.

ولما كان همنا تقديم الثقافة التقليدية كان التركيز على ما يعيش على هذه الأرض وما يفد إليها من أنواع الحيوانات الفطرية. وقد انصب الاهتمام على الحيوانات الفطرية تاركين ما استأنسه الإنسان منها إلى مظان أخرى أولى بها.

وكان لا بد ونحن نعرض لموروثنا وثقافتنا التقليدية من الاستعانة بعلم

الحيوان الحديث وذلك لهدفين؛ أحدهما تصنيف الحيوان تصنيفاً صحيحاً موافقا لما وصل إليه العلم، والهدف الآخر التنبيه إلى بعض ما علق في الأذهان من أوهام لا سند لها.

وانطلاقا من ذلك قدمنا بحديث عن الحياة الفطرية في شبه الجزيرة العربية وهي مقدمة تفسر أسباب التنوع في حياة الحيوان على هذه الأرض، وتبين أنها مرت بعصور مختلفة أثرت في أشكال الحياة فيها وهي وإن غلب عليها التصحر الآن فإنها كانت تعج بألوان الحياة وما زالت مهيأة لذلك ما حفظت عليها عواملها. ثم يبدأ تفصيل القول في الحيوانات بأبرز أنواعها وهي الثدييات من آكلات اللحوم والأعشاب وهي طائفة كبيرة من العائلات. ويلي ذلك تفصيل عن الطيور الأوابد والقواطع، وتلاه القول في الزواحف والبرمائيات، وبعده فصّل القول في مفصليات الأرجل من الهوام والحشرات. والملاحظ أن الحيوانات تصنف في كيانات كبرى اعتماداً على أظهر صفاتها وأبرزها، ثم تصنف داخلياً اعتماداً على صفات أخرى حتى تتفرع الحيوانات تفرعاً شجرياً.

وإنا لنأمل أن نكون قد أبرزنا أهم الحيوانات الفطرية التي تعيش على هذه الأرض وبينا ما يحوطها من أخطار بعضها على بعض، على أن أبرز أعداء هذه الحياة الفطرية الإنسان الذي ما فتئ يجور على أشكال الحياة فيها جوراً ذهب بكثير من أنواعها وأخل بكثير من توازنها، غير غافلين عن عوامل أخرى لها نصيبها من الجور على البيئة من أحوال مناخية وتغيرات طبيعية، ولعل في إبراز هذه المخاطر ما يدعو الإنسان إلى مراجعة النفس ومعاودة الحفاظ على ما تبقى منها أملاً في استعادة التوازن إلى أنواعها.

وقد استعنا على هذا العمل بمراجع كثيرة أشرنا إلى ما رأينا ضرورة الإشارة إليه، وألمحنا إلى ما يمكن الوصول إليه بأيسر سبيل مما لا تدعو الحاجة إلى أن نثقل به على القارئ.

وبعد فإن الإحاطة بمفردات عالم الحيوان مما يتعذر في مثل هذه الإصدارة الأولى، إذ سيجد القارئ أن طائفة من الحيوانات لم نتمكن لأسباب فنية وعلمية من ذكرها، فمن الطيور مثلاً الدرجلان والمسلق والمرع والرقعي، وقد تكون ذكرت تحت أسماء أخرى

لا يعهدهـا في بيئته، ومن الحـشرات الذبّـة أو الشـاعور والـقبّـاس والبـق والسـوس والدفـاع وحصـان إبليـس وحصان القـايلة وأم سالم والبغـروث والصارور والخـاروق والشذاة والنعرة والقمـل، ومن الديدان مثـل العنقـرة وسرو الربيع وام اربع واربعين. وأملنا قوي أن يرجع علـينا القارئ بما يثري هذا العمل كـمّا ونوعاً يظهر أثره فـي إظهارة أخرى إن شاء الله.

الحيوانات الفطرية في الجزيرة العربية

ماهية الحيوان

الحيوان كائن حيّ يـتغذى -غالباً- بموادّ عضوية، فينمو ويخرج فضلاته إلى الوسط المحيط، ويتنفس ويتحرك متنقلاً من مكان إلى آخر حرّا طليقا، ويتناسل لينتج أفرادًا، ويتفاعل مع الوسط المحيط ويتكيف معه. ويمـيزه ذلك عن النبات الذي يشاركه جميع الصفات السابقة ما عدا الغذاء والحركة؛ إذ تُصنِّع النـباتات غذاءَها بنفسها من مركبات غير عضوية بسيطة الـتركيب، تشمل ثاني أوكسـيد الكـربون والمـاء وعدداً مـن العنـاصر الكيمـاوية التي في التربـة، مستخدمة لذلك الطاقة الضوئية من الشمس، وهي ليست حـرة الحركة وإنما هي ثابـتة في مكانها. وهي أيضاً تتنفس وتنمو وتخرج فضـلاتها إلـى الوسط المحـيط بطـرق تـختـلف عـن طرق إخـراج الحيـوان لفضلاته، وتتناسل لتنتج أفراداً مشابهة لها، وتـتفاعل مع الوسـط المحيط بها وتتكيف معه أيضاً.

تعيـش الحيوانات والـنباتات عـلى كوكب الأرض في اتـساق تام، يكمل بعضها بعضا فلا يمكن أن تستقيم الحياة على الأرض بعدم أحدهما أو توقفه عن أداء وظائفه.

وتتوزع أنواع النبات والحيـوان على المواطن البيئية المختلفة كلٌّ فـيما يناسب حياته وعـمله فيها، لأن نجاح أي نـوع من هذه الأنواع في ممارسة الحياة يتوقف على تـوافر العوامل والـظروف البيـئية المناسبة لحـياته في الوسط الذي يعـيش فيه. وهذه العـوامل البيئية منهـا ما هو حي ومنها ما ليس حياً.

أما العوامـل البيئية غير الحـية فهي العوامل الفيزيائية، مثل: طبيعة القشرة الأرضيـة من جـبال وسـهول ووديـان وصحـارى، وخصائص الـتربة فيـها،

والعوامل المناخية من حرارة ورطوبة جوية ومياه وضوء شمس وضغط جوي، وغيرها من العوامل. أما العوامل البيئية الحية فهي النباتات والحيوانات والكائنات الدقيقة التي تعيش في الوسط البيئي نفسه والعلاقات المتبادلة بينها.

وتتفاعل كل هذه المكونات، الحية وغير الحية، بعضها مع بعض، مكونة الوحدات الإنتاجية العاملة على كوكب الأرض، وهي التي يُطلق عليها علماء البيئة مسمى النظم البيئية. وهي نظم حركية مستقرة غير ساكنة، تعمل وفق أنظمة محكمة، وتقوم تلقائياً بإصلاح ما قد يعتورها من خلل مؤقت ما دام ذلك الخلل لم يخرج بها عن حدود قدراتها، وتتحرك داخلها العناصر الغذائية والمواد في دورات تبدأ من التربة حيث يمتصها النبات الذي تقتات به طوائف مختلفة من الحيوانات لتقتات بها طوائف أخرى، وهي جميعها تخرج فضلات تعود إلى التربة ومنها ما ينفق فيتحلل ليعود عناصر غذائية، وتعود مرة أخرى إلى التربة. أما الطاقة، التي تأتي أصلاً من الأشعة الشمسية، فإنها تنساب خلال مكونات النظام البيئي في اتجاه واحد فقط.

وتترتب الكائنات الحية، نباتية وحيوانية، داخل النظم البيئية في عدد من المستويات الغذائية المتعاقبة، هي مستويات المُنتِجات والمُسْتهلِكات والمفُتِّتات أو المحلِّلات، حيث تُشكِّل النباتات مستوى الأساس، وهو المستوى الإنتاجي في النظام البيئي. فتقوم بتحويل عنصر الكربون (في غاز ثاني أوكسيد الكربون) إلى كربوهيدرات باستخدام جزيئات الماء التي تمتصها من التربة، والطاقة الضوئية التي تمتصها من الأشعة الشمسية بالصبغ الأخضر الذي تحتويه أوراقها (اليخضور). ويتم ذلك بعملية من أدق العمليات الكيميائية التي تجري على سطح الأرض، وهي عملية البناء الضوئي، التي ينتج عنها غاز الأوكسجين، إذ تحلّل النباتات جزيئات الماء فتستخدم هيدروجين الماء لتكوين الكربوهيدرات وتطلق الأوكسجين إلى الجو، وهو الغاز اللازم لتنفس جميع أشكال الكائنات الحية نباتية وحيوانية وميكروبية، ومن دونه لا تستمر الحياة. أي أن النباتات هي المنتجات في النظام البيئي.

وتستهلك النباتات جزءاً من الكربوهيدرات، التي أنتجتها في عملية البناء الضوئي، في نشاطها الحيوي حيث تقوم بتكسيره في عمليات التنفس والأيض إلى جزيئات عضوية بسيطة التركيب تستخدمها في بناء المركبات

الغذائية الأخرى التي تحتاج إليها للنمو والتكاثر، من بروتينات ودهون وفيتامينات وغيرها. وتختزن الباقي في أجزائها المختلفة، من بذور وثمار وسوق وجذور، فتتغذى بها أنواع الحيوانات، بشكل مباشر أو غير مباشر. وتعدّ الحيوانات والأوليات والميكروبات هي المستهلكات في النظام البيئي، فهي تستهلك الغذاء الناتج الذي تختزنه النباتات.

وتنتظم أنواع الحيوانات في عدد من المستويات الغذائية، فهناك مستهلكات أُوَل تتغذى مباشرة بأجزاء النبات، وهي الحيوانات العاشبة من إبل وبقر وجواميس وأغنام وظباء ونعام وزراف ووحيد القرن وفرس النهر وخيل وحمير وجرذان وفئران وأنواع من الطيور والزواحف والأسماك والحشرات وغيرها. ومن هذه الأنواع العاشبة ما يسمى البهائم في لغة العرب وهي ذوات الأربع من دواب البر والبحر، ثم تليها أنواع الحيوانات اللاحمة التي تتغذى بالحيوانات العاشبة، وتضم أنواعاً من السباع وجوارح الطير والثعابين والأفاعي والفقمة والأسماك المفترسة والحشرات والطفيليات وغيرها، وهي المُستهِلكات الثواني. ويلي ذلك أنواع أخرى من الحيوانات اللاحمة التي تفترس اللاحمات من المُستهِلكات الثواني، وتضم أيضاً أنواعاً من السباع وجوارح الطير والزواحف والأسماك المفترسة والحشرات والطفيليات وغيرها.

وترتبط الأنواع الفردية في المستويات الغذائية المتعاقبة بعضها ببعض مؤلفة ما يسمى بالسلسلة الغذائية. وتترابط السلاسل الغذائية بعضها ببعض وتتشابك وتتقاطع مكونة ما يسمى بالشبكة الغذائية المعقدة للحياة في النظام البيئي.

للإنسان وبعض أنواع الحيوانات أكثر من مستوى غذائي واحد، فهي تتغذى مباشرة بالنبات، وبذلك تصنف بين كائنات المستوى الاستهلاكي الأول، وهي في الوقت نفسه لاحمة، إذ تتغذى بالحيوانات العاشبة أي تصبح من بين كائنات المستوى الاستهلاكي الثاني. وتسمى هذه الأنواع كائنات خليطة التغذية النباتية والحيوانية.

وقد فطن العلماء العرب إلى هذه العلاقة التي تربط الكائنات بعضها ببعض في الحياة. أورد الدميري قول الجاحظ «ومن العجب في قسمة الأرزاق أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله، والثعلب يصيد القنفذ فيأكله، والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها، والأفعى تصيد العصفور فتأكله، والعصفور يصيد الجراد فيأكله، والجراد

يلتمس فراخ الزنابير فيأكلها، والزنبور يصيد النحلة فيأكلها، والنحلة تصيد الذبابة فتأكلها، والذبابة تصيد البعوضة فتأكلها». وهذا مثل جيد لسلسلة غذائية غير مكتملة. وقد جانب الجاحظ الصواب قرب نهايتها، لأن النحلة لا تأكل الذبابة، والذبابة لا تأكل البعوضة، بل تأكلها حشرة أخرى أو طير من الطيور. ولكي تكتمل السلسلة الغذائية فإن البعوضة تتغذى بعصارة النباتات. وهناك أنواع من البعوض، مثل البعوضة المسببة لمرض الملاريا وتدعى بعوضة الأنفليس، تتغذى إناثها بامتصاص دم الإنسان أو الحيوان الذي يتغذى أيضاً بالنبات. والحيوان على اختلاف أنواعه يموت أو ينفق فتتحلل أجزاؤه ومنها ما يمكث في التراب ليكون للنبات غذاء.

تصنيف الحيوانات وأنواعها

هناك أنواع كثيرة جداً من الحيوانات، يختلف كل نوع منها عن الآخر اختلافاً بيِّناً في الشكل والحجم واللون والصفات العامة والسلوك وطريقة الحياة. فكل نوع منها قد تكيَّف كل التكيف مع ظروف البيئة التي يعيش فيها، والغذاء الذي يتناوله، والوظيفة التي يؤديها في النظام البيئي. ومع ذلك تشابه أنواع الحيوانات بعضها بعضًا في كثير من الصفات، وذلك أن هناك أنواعاً تقارب في خصائصها أنواعاً أخرى وتتباعد عن أنواع أخرى، وهو مما يوضح مدى قرب العلاقة التركيبية بينها أو بعدها، أي درجة قرابتها الوراثية بعضها من بعض.

وحتى يتمكن الإنسان من الإلمام بأنواع الحيوانات المختلفة والعلاقات التي تربط بينها، قام بدراسة أمثلة وافية منها دراسة متفحصة دقيقة ليتبين أوجه التماثل والتباين بينها، ويحدد علاقاتها بعضها ببعض، وبالبيئة التي تعيش فيها، والوظائف الحيوية التي تقوم بها. والاختلافات بين أنواع الحيوانات لا يمكن حصرها من الوجهة العملية بل يمكن القول باطمئنان أنه لا فردين من الكائنات الحية، مهما كانت درجة قرابتهما الوراثية، تتطابق صفاتهما باستثناء التوائم المتطابقة أو ما يكون من التشابه الخَلْقي الشديد بين أُنثى الحيوان ووليدها الناجم عن عمليات ما يسمى بالاستنساخ. ومع ذلك يظل هناك اختلاف بينها في عدد قليل من الصفات.

ومنذ بدأ الإنسان رحلته الطويلة على كوكب الأرض، أخذ يتعرف على أنواع الحيوانات والنباتات الموجودة في البيئة التي يعيش فيها، واعتمد عليها في غذائه

وكسائه ودوائه ومأواه، وقام بتصنيف هذه الحيوانات على أساس استخداماته لها، وعلاقته بها. فهذه حيوانات يأكلها، وهذه حيوانات يشرب لبنها، وهذه حيوانات يصنع كساءه ومأواه من جلودها وفرائها، وهذه حيوانات مفترسة يتجنبها ويبتعد عن مسارها أو يحاربها ويفتك بها. كما ميَّز الإنسان بين الحيوانات، من حيث مواطنها التي تعيش فيها وطريقة تحركها، فمنها حيوانات تركض، وحيوانات تقفز، وحيوانات تزحف (وكلها تدب على الأرض) وحيوانات تطير في الهواء، وأخرى تعيش في الماء. ثم بدأ يستأنس الأنواع التي قدر على استئناسها. ومن ثم صنَّف أنواع الحيوانات إلى مجموعتين مستأنسة أليفة، وبرية وحشية.

وفي عصور ما بعد التاريخ كان قدماء المصريين والإغريق هم أول من قام بدراسة منظمة لتصنيف الكائنات الحية بهدف استخدامها في التطبب. وقد وصف ما يزيد على ألف نوع من أنواع النبات والحيوان. ثم جاء العلماء العرب وأدلوا بدلوهم في تصنيف الحيوانات. وقد صنف القزويني الحيوانات البرية في خمس مجموعات هي: الدواب والنعم والسباع والطيور والحشرات. ونقل الدميري قول الجاحظ «إن الحيوان على أربعة أقسام: شيء يمشي، وشيء يطير، وشيء يسبح، وشيء ينساح (أي يمشي على بطنه). إلا أن كل طائر يمشي، وليس كل الذي يمشي ولا يطير يسمى طائراً. على أن الحشرات راجعة في المعنى إلى مشاكلة طبائع البهائم والسباع. وجاء في حياة الحيوان الكبرى للدميري أنّ الدابة هي ما دب على الأرض من الحيوان كله ثم قصرها العرف على ذوات الأربع. أما البهيمة فهي في قول ابن سيده كل ذات أربع من دواب البر والبحر والجمع بهائم. قال النبي ﷺ «إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش». سميت بهيمة لإبهامها من جهة نقص نطقها وفهمها، وعدم تمييزها وعقلها. قال الله تعالى: ﴿وأحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ (الأنعام: ١). فأضاف الجنس إلى ما هو أخص منه، ذلك أن الأنعام هي ثمانية الأزواج، وما أضيف إليها من سائر الحيوان يقال له أنعام، مجموعة معها. وكأن المفترس كالأسد وكل ذي ناب خارج عن حد الأنعام، فبهيمة الأنعام هي كل ما يرعى من ذوات الأربع. والسباع هي الحيوانات المفترسة أي كل ذي ظفر وناب. أما الحشرات فقد قصد بها العرب صغار دواب الأرض وهوامّها،

الواحدة حشرة بالتحريك، وهي قرينة الأفاعي والحيات والجرذان الأهلية والبرية واليربوع والضب والحرذون والقنفذ والعقرب والخنفساء والوزغ والنمل والحَلَم وأنواع أخرى.

ومع تقدم العلوم وتخصصها ظهر علم التصنيف الذي يعنى باكتشاف العلاقة بين المجموعات المختلفة للكائنات الحية، ووضعت له الأسس والمفاهيم. وبدأ تجميع أنواع الكائنات الحية في مجموعات وفقاً لتشابهها أولاً في الصفات الجسمية ثم أُضيفت إليها الصفات الجنسية نظراً لثباتها وعدم تأثرها باختلاف الظروف البيئية، خلافاً للصفات الجسمية التي تتأثر كثيراً باختلاف البيئة والموطن.

وتتلخص خطوات تصنيف الكائن الحي في التعرف عليه وتمييزه بصفاته وشكله وتركيبه، ثم تسميته باسم يميِزه من غيره من الكائنات الأخرى، وأخيراً وضعه في مكانه المناسب من النظام التصنيفي. وقد اتفق العلماء على نمط معين من تسمية الكائنات الحية حتى لا يختلط الأمر على الناس، وذلك ما يسمى التسمية المزدوجة. لذلك يتكون الاسم العلمي للكائن الحي من كلمتين؛ الأولى تدل على جنسه، والآخرة تدل على نوعه داخل هذا الجنس. وجعلت التسمية العلمية باللغة اللاتينية توحيداً لها في العالم كله، إذ تختلف الأسماء المحلية من مكان إلى آخر وتتعدد تعدداً كبيراً يجعل من المحال التعرف على الكائن المقصود بها.

واتفق العلماء على أن تكون الوحدة التصنيفية الأساسية هي (النوع) الذي يمكن تعريفه بأنه مجموعة من الأفراد المتشابهة في الشكل والتركيب الداخلي والتركيب الوراثي والخصائص الفسيولوجية ونمط الحياة، ويمكنها التناسل بعضها من بعض منتجة أفراداً خصبة أي غير عقيمة، لها الصفات العامة نفسها التي للآباء.

والمقصود (بالتشابه) التماثل بشكل عام لا التطابق، إذ لا شك أن هناك اختلافات بين أفراد أي نوع من الأنواع إلا أنها اختلافات فرعية لا رئيسية. فإن كانت هذه الاختلافات واضحة فإنه يصنف النوع الواحد إلى نويعات أو تحت أنواع، ثم إلى أصناف وأخيراً إلى سلالات ولكنها جميعاً قادرة على التناسل بعضها من بعض، وتنتج أفرادا خصبة مما يجعلها تابعة كلها إلى نوع واحد.

ثم تجمع الأنواع، المتشابهة في عدد من الصفات، في وحدة تصنيفية أعلى هي الجنس الذي يضم عدداً من الأنواع. وكذلك تجمع الأجناس المتقاربة في عدد من الصفات في وحدة تصنيفية أعلى هي العائلة أو الفصيلة. وتجمع العوائل المتقاربة في رتبة والرتب المتقاربة في صف أو طائفة والصفوف أو الطوائف المتقاربة في شعبة، وتجتمع الشعب جميعها أخيراً في المملكة.

ولتوضيح هذه المفاهيم نجد أن في مجموعة السباع، مثلاً هناك السنانير التي تشترك جميعها في صفات عامة لتركيبها العضوي، مثل عدد وشكل عظامها وأسنانها وكون مخالبها تنكمش وتركيب أعضائها الداخلية. وبعبارة أخرى، فإن هذه الحيوانات، رغم التباين الواضح في أحجامها وأشكالها وطبيعة عملها، هي كلها بوجه عام سنانير أو قطط. ونعبر عن هذه الحقيقة بلغة أهل علم التصنيف بأنها جميعاً تمثل أنواعاً تتبع جنساً واحداً هو جنس السنور أو القط، مثل نوع القط البري ونوع القط الرملي ونوع القط الأليف ونوع الأسد ونوع النمر وهكذا. ونجد أن الفهد، وإن كان يشبه السنانير أو القطط بوجه عام إلا أن هناك اختلافات بينه وبينها أكبر من تلك التي بين السنانير. من ذلك أن مخالبه لا تنكمش، لذلك فإنه يُصنَّف بأن يجعل «نوعاً» تابعاً لجنس آخر غير جنس السنانير أو القطط لكنه يتبع للفصيلة أو العائلة السنورية نفسها.

وبهذه الطريقة تجمع الأنواع في أجناس، والأجناس في عوائل، والعوائل في رتب، والرتب في طوائف أو صفوف، والصفوف في شعب، والشعب في المملكة. ويوضح المثال التالي تصنيف القط الأليف:

مملكة الحيوان	Kingdom: Animalia
شعبة الحبليا	Phylum: Chordata
طائفة الثدييَّات	Class: Mammalia
رتبة اللاحمات (آكلات اللحوم)	Order: Carnivora
عائلة السنانير (القطط)	Family: Felidae
جنس السنور (القط)	Genus: Felis
نوع القط الأليف	Species: Felis domesticus

أمكن تصنيف الأنواع التي عرّفت من الحيوانات حتى اليوم، وعددها يزيد على مليون نوع محدد الصفات، في ثلاث وعشرين شعبة، أهمها تسع شعب مرتبة ترتيباً تصاعدياً من حيث مستوى الرقي التركيبي لأجسامها ودرجة تعضيِّها.

شعبة الإسفنجيات أو المساميات. هي حيوانات بدائية التركيب ثابتة في مكانها، لا تتحرك حركة حرة، كما يخلو جسمها من الخلايا الحسية والعضلية. لذلك كان من المعتقد قديماً أنها تنتمي إلى مملكة النبات. وتعيش الإسفنجيات في البحار، ملتصقة بالأحجار أو الصخور المرجانية والأصداف. ومنها عائلة واحدة فقط ينتمي إليها عدد قليل من الأنواع تعيش في المياه العذبة، أي أنها أساساً بحرية المعيشة. ولبعض أنواع الإسفنج قيمة تجارية، ومنها إسفنج الحمام المعروف.

جسم حيوان الإسفنج متعدد الخلايا، ذو طبقتين؛ طبقة خارجية واقية، وطبقة داخلية هضمية، ويتخلله ثقوب أو مسام عديدة تؤدي إلى تجويف مركزي يشبه المعدة في الحيوانات الراقية. ويدخل الماء المذاب فيه الأوكسجين، وتدخل معه الطافيات الغذائية، من هذه الثقوب أو المسام المتعددة التي تسمى الفتحات الشهيقية. وبعد هضم الطافيات الغذائية تخرج الفضلات مع الماء من فويهة واحدة كبيرة تسمى الفويهة الزفيرية، أو عدة فويهات زفيرية.

والجسم يدعمه هيكل داخلي مكون من مواد كلسية أو سيليكونية أو قرنية، تدعمه أشواك أو شويكات. وتعيش الحيوانات الإسفنجية مترابط بعضها ببعض في مستعمرة.

والأصل أن يتكاثر الإسفنج تكاثراً برعميّا أي غير جنسي، وذلك بانقسام الخلايا وتكوين براعم لا تلبث أن تنفصل وتثبت نفسها في الصخور، ثم تنمو مكونة مستعمرات جديدة. ولذلك تمتاز الإسفنجيات بقدرتها العالية على تجديد النمو أو ما يسمى بالإخلاف. فإذا انفصل من المستعمرة جزء، فإنه لا يلبث أن ينمو مكوناً مستعمرة كاملة جديدة. ويمكن إكثار الإسفنج صناعياً بتجزئة الجسم. كما يمكن أن يتكاثر الإسفنج أيضاً تكاثراً جنسياً إذ يحتوي على خلايا جنسية ذكرية وأنثوية، ينتج عن اتحادها تكوين لاقحة تنمو فتصير فرداً جديداً. ويمكن تمييز عدة طرز من الإسفنج طبقاً لنظام بناء الجسم فيها.

شعبة ذوات الجوف المعوي. هي حيوانات بدائية التركيب أيضاً، ولكنها أرقى من سابقتها حيث يظهر ازدياد في تنوع الخلايا وبعض التخصص في عمل هذه الخلايا. ومعظمها بحري المعيشة، وقد توجد منفردة أو في مستعمرات ساكنة، أو تسبح حرة طليقة. يتكون الجسم أيضاً من طبقتين؛ خارجية وقائية، وداخلية هاضمة، تتوسطهما طبقة غير

خلويـة. ويحيط جدار الجسم تجويف مركزي واحد يسـمى التجويف المعدي الوعائي، تصله بالخارج فتحة واحدة هي فم ومخرج في الوقت نفسه، إذ يدخل منها الغذاء إلـى جوف الحيوان وتخرج منها الفضلات إلى الخارج.

ويحـتوي الجسم عـلى شبـكة من الخلايا الحسية العصبية، وعلى مجسات أو لوامس للإحساس بالبيئـة الخارجية، وعلى حويصلات أو أكياس هي خلايا لاسعة يستخدمها الحيوان في الهجوم أو الدفاع عن نفسه أو لشلِّ الفريسة.

وتكاثر هذه الحيوانات جنسي أو غير جنسي. وتـضم الشعبة ثـلاث طوائف هي: طائفة الهدريات التي منها الهيدرا وقناديل البحر الصغيرة، ومنها حيوانات تعيش في المياه العذبة، وطائفة الفنجانيات التي منها قناديل البحر الكبيرة، وطائفة الشعاعيات أو الزهريات التي منها شقائق البحر ومعظم مراجـين البحر التي تبني الشعاب المـرجانية ذات الأنواع الفريـدة الموجودة بكثرة في البحر الأحمر والخليج العربي.

شعبة الديدان المفلطحة. هي حيوانات أرقى من سابقتها تركيباً، فجسمها ثلاث طبـقات؛ طـبقـة خارجـية أو الجُلَـيْد الخارجـي، وطبقـة داخلـية أو الجُلَـيْد الداخلـي، وطبقة مـتوسطة أو الجُـلَيْد الوسطي.

والجسم مفـلطح ذو تماثل جانبـي، يقسمه خط طولي قسمين متماثلين، وهو غير مقسم إلى عُقَل، وليس له تجويف حقيقي، ويمتلئ الفراغ الداخلي فيه حول الأحشاء بنسيج من خلايا رقيقة الجدر. والقناة الهضـمية البدائية -إن وجدت- فهي ذات فتحة واحدة تعمل عمل الفم والمخرج معاً. وللحـيوان جهاز عصبي بدائي، وجهـاز إخراجي يحتوي عـلى خلايا أنبوبية أو لهبية. ولـيس له جهاز تنفسي أو جهاز لدوران الدم. والحيوانات خناث ذات جهاز تناسلي مزدوج معقد التركيب.

وهذه الشعبة ثلاث طوائف هي طائفة المهـتزّات أو الـدوّاميات، مـثل ديـدان البلاناريا التي تعيش حرة المعيشة، وطائفة التريمـاتودا وكلها ديدان طـفيلية ورقـية الشكل تـتصل بجسم عائلهـا بممصات ومنها طفيـليات خارجية أحادية العائل وطفيليات داخلية ثنائية العائل، أي تقضي دورة حياتها بين عائلين مختلفين، ومن أمثلتها دودة كبد الغنم وديدان البلهارسيا. وطائفة الديدان الشريطية، وكلها طفيليات داخلية ليس لها قناة هضمية وهي ذات قدرة كبيرة عـلى التكاثر الجنسـي وغير

الجنسي، مثل دودة البقر الشريطية ودودة الخنزير الشريطية وكلاهما يصيب الإنسان.

شعبة الديدان الخيطية أو الأسطوانية. حيوانات ثلاثية الطبقة، ذات تماثل جانبي، وتجاويف جسمها غير حقيقية والجسم مغطى بجُليد أملس لا يحتوي على مادة الكيتين، وهو غير مقسم إلى عُقَلٍ. وقناتها الهضمية بسيطة خالية من العضلات أو الغدد، ولها فتحتان؛ فم ومخرج. وليس لها جهاز تنفسي أو جهاز دوران. وجهازها الإخراجي بدائي له ثقب إخراجي واحد. وجهازها العصبي كتلة من نسيج عصبي في مقدمة الجسم، ويمتد منها حبلان عصبيان طوليان أو أكثر. ومنها ذكر وأنثى، وأمّا مناسلها فأنبوبية. وتضم هذه الشعبة عدداً كبيراً من الأنواع والأفراد، فهي من الشعب الحيوانية الكبيرة. تعيش الأفراد حرة في المياه العذبة أو في التربة أو على بقايا المواد العضوية المتحللة، وبعضها طفيلي المعيشة. وتضم الشعبة خمس طوائف، أهمها طائفتان، طائفة العجليات، وطائفة الديدان الخيطية، وأما طائفة العجَلَيات فيميزها إكليل من الأهداب في منطقة الرأس يساعد على السباحة وعلى جذب المواد الغذائية تجاه الفم، وتظهر حركة هذه الأهداب متناسقة كأنها عجلة تدور ومن هنا جاء اسم الطائفة. وأمّا طائفة الديدان الخيطية فهي أكثر الطوائف عدداً ولذلك يفصلها بعض العلماء في شعبة قائمة بذاتها، وتعيش هذه الحيوانات حرة في المياه العذبة أو المِلْحة أو في التربة، وبعضها طفيلي على النباتات أو الحيوانات، وجسمها خيطي أو أسطواني ذو نهايتين مدببتين، يتراوح طوله بين نصف مليمتر وأطول من متر، ومنها ديدان الإسكارس أو ثعبان البطن وديدان الإنكلستوما الطفيلية على الإنسان.

شعبة الديدان الحلقية. وهي حيوانات ذات أجسام ثلاثية الطبقات، ولجسمها تجويف حقيقي يحيط بالأحشاء مركب من حلقات متكررة، ويغطيه جُليد رقيق غير كيتيني، وجدار الجسم عضلي وليس لها هيكل خارجي، ولكن بها زوائد شبه شوكية. وتمتد القناة الهضمية عبر الجسم المُعَقَّل، ولها فتحتان؛ فم ومخرج. وتتنفس خلال جدار الجسم. ويتكون الجهاز الإخراجي من زوج من النفريدات في كل حلقة من حلقات الجسم. والجهاز العصبي حلقة عصبية مخية، وحبل عصبي بطني مزدوج يحمل عقدة عصبية مزدوجة في كل عقلة من عقل الجسم، وأمام الفم حلقة منفردة تسمى

البروستوميوم. وتعيش الديدان الحلقية في المياه الملحة والعذبة وفي التربة ومنها أنواع متطفلة خارجياً.

وتضم هذه الشعبة أربع طوائف، أهمها طائفة عديدات الأشواك أو الديدان الشوكية التي تكون غالباً بحرية المعيشة، وطائفة قليلات الأشواك، مثل ديدان الأرض المعروفة التي تعيش في التربة الرطبة وتكثر في الحدائق والحقول، وطائفة العلقيات التي تخلو معظم أنواعها من الأشواك، وهي طفيلية المعيشة لها ممصان أحدهما أمامي والآخر خلفي، مثل ديدان العلق المعروفة التي تعيش في مياه البرك والمستنقعات، وتتطفل على الحيوانات الفقارية التي ترد هذا الماء فتمتص دماءها. وقد استغل الإنسان هذه الصفة فاستخدم ديدان العلق لامتصاص الدم الفاسد بديلاً للحجامة ولذلك يطلق على هذه الديدان العلق الطبي.

شعبة مفصليات الأرجل. هي أكبر شعب المملكة الحيوانية قاطبة إذ تضم بمفردها ما يقرب من مليون نوع. جسمها مُعقَّل مثل الديدان الحلقية، إلا أنه يزيد عنها في كون العقل متميزة في ثلاث مناطق هي الرأس والصدر والبطن، وفي أن لها زوائد ذات مفاصل، ومن هنا اكتسبت الشعبة اسمها. ويتصل زوج من هذه الزوائد بكل عقلة من عقل الجسم في معظم الحالات، ويقوم زوج واحد منها على الأقل بوظيفة الفكين. وللجسم هيكل خارجي صلب من مادة الكيتين، مرن في مناطق المفاصل ليسهل لها الحركة. ولها أعضاء إحساس قوية، تضم عيوناً مركبة وعيوناً بسيطة للإبصار، وشعيرات حسّية أو لوامس تؤدي وظيفتي اللمس والشم ولها شعيرات سمعية وأجزاء فم معقدة التركيب تقوم بوظيفة الذوق. وهي متكيفة لأن تكون قارضة ماضغة أو قارضة لاعقة أو ثاقبة ماصَّة. والمفصليات منها برية المعيشة تتنفس بقصيبات متفرعة أو رئات كتابية ذات وريقات كالكتاب، ومنها مائية المعيشة تتنفس من الجلد أو الخياشيم. وجهازها الدوري مفتوح حيث يمثل باطن الجسم



السرطان، من شعبة الفكيات من مفصليات الأرجل

الرئيسي تجويفاً دموياً يمتلئ بنوع من الدم يغمر الأعضاء الداخلية. أما تجويف الجسم الحقيقي فهو ضئيل يقتصر على المناسل وأعضاء الإخراج. ويشبه الجهاز العصبي نظيره في شعبة الديدان الحلقية. والقناة الهضمية متميزة إلى ثلاث مناطق تبدأ بفتحة الفم، ثم المريء والمعدة ومعى متوسط، وتنتهي بفتحة الشرج أو الاست. والجنسان منفصلان، ويتكون الجهاز التناسلي الذكري من خصيتين ووعاء ناقل وحويصلة منوية تنتهي بفتحة تناسلية ذكرية. أما الأنثى فلها مبيضان وقناتا مبيض.

وتعد مفصليات الأرجل من أكثر الحيوانات قدرة على غزو جميع البيئات والمواطن على سطح الأرض، والعيش فيها بنجاح. وتضم الشعبة أربع شعيبات، أهمها شعيبة الفكيات وشعيبة أحاديات اللوامس وشعيبة الكلاَّبيات،



خنفساء ذات الاثنى عشر نقطة



خنفس منزلي

وتضم شعيبة الفكيات ست طوائف أهمها طائفة القشريات وهي مفصليات مائية يمثلها الربيان (الجمبري) والاستاكوزا وسرطان البحر، وتضم شعيبة أحاديات اللوامس ثلاث طوائف أهمها طائفة الحشرات التي تشمل جميع أنواع الحشرات المعروفة وطائفة عديدات الأرجل. أما شعيبة الكلابيات فتشمل خمس طوائف أهمها طائفة العنكبيات التي منها العناكب والعقارب والقراد والحَلَم.

شعبة الرخويات (النواعم). حيوانات ذات جسم غير مُعقَّل ما عدا رتبة واحدة منها. وهي رخوة ذات تماثل جانبي، لجسمها تجويف حقيقي مختزل. ويتكون من ثلاث مناطق هي الرأس، والقدم بطن، والحدبة الحشوية الظهرية. ويحيط بالجسم ثنية ظهرية أو جانبية تسمى البُرْنُس أو الجُبَّة، تترك بينها وبين الجسم فراغاً

يسمى فجوة البرنس أو فجوة الجبة. ومعظم أنواعها تفرز صدفة كلسية حول جسمها. وقد تكون خناثا أو منفصلة الجنسين. وهي من أقدر شعب مملكة الحيوان على التكيف والبقاء، وتأتي من حيث العدد بعد شعبة مفصليات الأرجل. ومعظم الأنواع مائية المعيشة، في البحار أو في المياه العذبة، وبعضها برية.

وتضم الشعبة خمس طوائف أهمها طائفة بطنية القدم، التي هي أكبر طوائف الرخويات، ويتبعها القواقع البحرية وقواقع المياه العذبة والقواقع البرية. ولها رأس واضح وعيون ولوامس، وكثيراً ما تلتف الحدبة الحشوية فيها على هيئة حلزون، والصدفة غالباً ذات مصراع واحد أي قطعة واحدة. أما طائفة إسفينية القدم فواسعة الانتشار في مياه البحار والمياه العذبة، وبعضها ثابت لا يتحرك، وهي طائفة المحار. ويغلف الجسم فيها تغليفا تاماً برنس ذو فصين متماثلين، يفرزان صدفة كلسية ذات مصراعين يتصلان برباط وينفصلان في الناحية الظهرية. ورأسها مختزل، وليس لها عيون أو لوامس. وطائفة رأسية القدم، وهي طائفة الأخطبوط وكلها رخويات جيدة التكوين سريعة الحركة، من آكلات اللحوم، ورأسها متميز واضح يحمل عينين كبيرتين، ويحيط بالجزء الأمامي من القدم الذي يتفرع إلى عدد من الأذرع واللوامس التي تحمل ممصات قوية. وبعضها غريب الخلقة جبَّار. ومنها الأخطبوطيات التي تعيش بين الصخور المظلمة وفي الشعاب المرجانية وعلى أعماق كبيرة في البحر، ومنها الحبَّارات الشائعة الانتشار، ذات القدرة الهائلة على تغيير لونها، وأنها عندما تتعرض لأي هجوم سرعان ما تتقهقر وتفرز سحابة كثيفة من الحبر الأسود تخفيها عن الأنظار.

شعبة شوكيات الجلد. هي حيوانات جسمها غير متميز إلى عُقَل، يرقاته ذات تماثل جانبي، والبالغ منها ذو تماثل شعاعي. وهي خماسية الأشعة غالباً وقد تزيد عن ذلك، ولجسمها تجويف حقيقي منقسم عدة أقسام متخصصة، ولها هيكل داخلي يتكون من صفائح كلسية تُكوِّن أشواكاً قصيرة أو طويلة. ويتكون الجهاز العصبي من حلقة عصبية تحيط بمنطقة الفم وعدد من الأعصاب الشعاعية المرتبطة بالبشرة، وليس لها رأس أو مخ، وجنساه منفصلان. وتضم الشعبة شعيبتين هما شعيبة الشوكيات الطليقة وشعيبة الشوكيات الثابتة.

تضم شعيبة الشوكيات الطليقة أربع طوائف هي الطائفة النجمانية التي تضم نجوم البحر المعروفة وجسمها نجمي الشكل. والطائفة الثعبانية التي تضم النجوم الهشة ذات الأذرع الثعبانية، وهي أسرع شوكيات الجلد حركة. والطائفة القنفذانية ذات الجسم الكروي الخالي من الأذرع، وقد يكون الجسم قرصياً أو بيضياً، ولها هيكل داخلي من صفائح كلسية ذات أشواك متحركة، ويتبعها قنافذ البحر. والطائفة الخيارية ذات الجسم الذي يشبه ثمرة الخيار ويخلو من الأذرع ويحيط بالفم هالة من اللوامس، وجدار جسمها عضلي ليس به أشواك، ومنها خيار البحر.

أما شعيبة الشوكيات الثابتة فهي طائفة واحدة فقط هي الطائفة الزنبقانية، وهي حيوانات غير شوكية، بحرية ثابتة، بشكل دائم أو مؤقت، بسويقة طويلة مثل زنابق البحر، أو بخصلة من الزوائد.

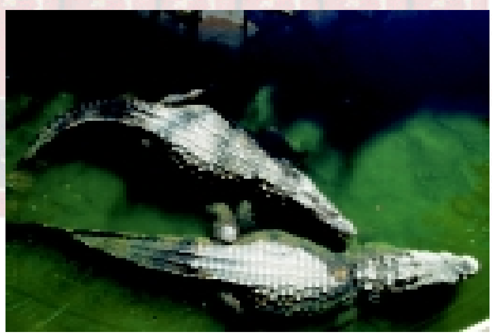
شعبة الحبليات. وهي من شعب الحيوان الكثيرة العدد وتضم أرقى أنواع الحيوان تركيباً وتعضيّاً. وجسمها ثلاثي الطبقات ذو تجويف حقيقي متماثل جانباً. ورأسها كامل التكوين. يميز أنواع هذه الشعبة حبل ظهري محوري يدعم الجسم، وشقوق خيشومية في منطقة البلعوم تفتح إلى الخارج، بها جهاز عصبي أنبوبي مركزي يمتد ظهرياً في الجسم فوق الحبل الظهري. وقد يختفي الحبل الظهري في الأطوار البالغة كما في شعيبة (الذيل حبليات). وقد يتحول الحبل الظهري إلى سلسلة فقارية أو عمود فقري كما في شعيبة الفقاريات. وتتميز الحبليات بقلب نابض في الجهة البطنية من الجسم، وبذيل.

وتضم الشعبة ثلاث شعيبات، أهمها شعيبة الفقاريات أو الجمجميات التي تتميز بجمجمة تحيط بالمخ وتحميه. وتضم هذه الشعيبة معظم الأنواع التابعة لشعبة الحبليات.

وتتميز الفقريات بجهاز عصبي مركزي جيد التكوين، كبرت فيه المنطقة الأمامية لتُكوّن المخ الذي يتصل به ثلاثة أزواج من أعضاء الحس، الشم والبصر والسمع. ويحيط بالمخ صندوق هيكلي على شكل جمجمة يحميه من المؤثرات الخارجية. كما تحول فيها الحبل الظهري إلى عمود فقري فيه عدد معين من الفقرات، ومنه أخذ اسم الشعيبة. ولها جهاز دوري يتكون من قلب يقع في المنطقة البطنية، وهو ذو ثلاث حجرات على الأقل. وتحتوي كريات الدم الحمر على صبغ الهيموجلوبين الذي يمتص

الأوكسجين اللازم للتنفس. ويتكون الجهاز الإخراجي من كليتين وحالبين ومثانة وفتحة بولية، والجنسان منفصلان، ويحتوي الجهاز التناسلي للذكر والأنثى على زوج واحد من المناسل؛ خصيتين ومبيضين.

وتضم شعيبة الفقاريات ثماني طوائف، منها ثلاث طوائف تضم أنواع الأسماك العديمة الفكوك والأسماك الغضروفية كسمك القرش، والأسماك العظمية التي تضم الأسماك المعروفة. وطائفة البرمائيات التي تعدّ أقدم الفقريات الأرضية، ولو أنها ظلت مرتبطة -في مرحلة من حياتها- بالماء، وتشمل الضفادع والعلاجيم والسلمندرات، وطائفة الزواحف التي تضم مجموعة كبيرة متنوعة من الأنواع تشمل السلاحف والسحالي والتماسيح والثعابين. وهي أرضية المعيشة وبعضها مائي لكنه يعود



التمساح من طائفة الزواحف من شعبة الحبليات



سلحفاة بحرية

إلى الأرض لوضع بيضه. ولها هيكل داخلي جيد التكوين. وينقسم العمود الفقري إلى فقرات عنقية وصدرية وعجزية وذيلية. ولها زوجان من الأطراف وبعض الأنواع بلا أطراف كالثعابين. ويتصل بالجهاز الهضمي الجيد التكوين غدد لعابية قد تكون سامة في بعض الأنواع. والزواحف بيوضة والإخصاب فيها داخلي ويفقس البيض الذي تدفنه الإناث في التربة أو في مخلفات عضوية بتأثير الحرارة. وفي بعض الأنواع تحتفظ الأنثى بالبيض حتى يفقس داخلها وتخرج الصغار فتظهر كأنها ولودة كما في بعض أنواع السحالي. ويتكون القلب من أُذينين وبطينين منفصلين كُلِّياً أو جزئياً. والزواحف كائنات متغيرة الحرارة أي تكتسب درجة حرارة أجسامها من البيئة المحيطة، لذلك

تتغير درجة حرارتها بتغيـر درجة حرارة البيئة، وقد كان يطلق عليها ذوات الدم البارد. وتشمل الزواحف أكبر الحيوانات الأرضية التي عاشت في عصور ما قبل التاريخ وانقـرضت، ربما بسبب ظاهرة كونية، وهي الديناصورات، وكان بعضها من آكلات الأعشاب وسادت على سطح الأرض منذ حوالي ١٥٥ مليون سنة.

وهناك طائفة الطيور التي تضم الأنواع ذات الريش الـقادرة على الـطيران في الهواء، وإن كـان بعضها قـد فقد هذه القدرة مثل النعام. وتشتـرك الطيور مع الزواحف في كثير من صفاتها التركيبية. ولـلـطيور زوج واحـد من الأقـدام لأن الزوج الآخـر قد تحـور إلى جـناحـين للطيران. وهي من الحيوانات ذوات درجة حرارة الجسم الثابـتة أي لا تتغير درجة حرارة أجسامها بتغير درجة حرارة الوسط الذي تعيش فيه، وكان يطلق عليها ذوات الدم الحار. ولهـا مناقير قرنية مـختلفة الأشكال والأحجـام تبعاً لنوع الغـذاء، ولها ذيل قصير، وللأنثى مبيض واحد وقناة بـيض واحدة فقط. ومـنها أنواع الطيور المعروفة من نـسور وعقبان وبوم وغربـان وطواويس وحمـام وعصافـير وببـغاوات ونـعام وبـطاريـق ونوارس وغيرها.



القمرية



حمامة



عقاب السمك

والطائفة الأخيرة من طوائف شعيبة الفقاريات هي طائفة الثدييات أو اللبونات التي تضم أرقى أنواع المملكة الحيوانية تركيباً. وهي مجموعة متجانسة من ذوات درجة الحرارة الثابتة. وتتميز بشعر على الجلد، وبغدد ثديية تفرز اللبن لتغذية الصغار أول حياتها. وجسمها محمول على أربع قوائم يتحرك عليها بسرعة. ومنها أنواع ذات جسم قائم تتحرك على قدمين فقط، وأنواع ليس فيها الزوج الخلفي من الأطراف مثل الحوت وبقر البحر، ويفصل بين الرأس والجسم عنق. ولمعظم أنواعها ذيل. وجميعها، باستثناء الثدييات البدائية، حيوانات ولودة تتكون الأجنة داخل أجسامها وتولد كاملة التركيب. أما الثدييات البدائية فإنها تضع بيضاً مثل باقي طوائف الفقاريات، يفقس خارج الجسم بعد مدة من الزمن.

وللثدييات أجهزة عصبية وهضمية وتنفسية ودورية وإخراجية وتناسلية كاملة التكوين، ولها حواس جيدة قوية، والمخ فيها كبير يتركب من فصين جانبيين وفص متوسط. والقلب مكون من أربع غرف، أذينين وبطينين. ويخرج من البطين الأيسر قوس أبهري واحد ينحني إلى الجهة اليسرى من الجسم. وهناك حاجز عضلي يسمى الحجاب الحاجز يفصل التجويف الصدري الذي يحتوي على القلب والرئتين عن التجويف البطني الذي يحتوي على بقية الأحشاء. وفي فكوك الثدييات عادة أربعة أنواع من الأسنان، هي القواطع والأنياب والضروس الأمامية والضروس الخلفية. وقد يكون الفك العلوي بلا قواطع أو أنياب تبعاً لنوع الغذاء الذي يتناوله الحيوان. وتحتوي المنطقة العنقية من عمودها الفقري على سبع فقرات. ومعظمها لأذنه صيوان خارجي.

أصول حيوانات الجزيرة العربية

كانت أرض الجزيرة العربية متصلة بالقارة الأفريقية إلى ما قبل فترة عصر الميوسين، أي قبل حوالي ٢٥ مليون سنة. وخلال تلك الفترة كان بحر تيش، الذي كان يصل بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط عبر الجزء الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية، يمثل حاجزاً

طبيعياً بين أرض الجزيرة العربية وأفريقيا في الجنوب، وبين العالم القديم أوروبا وآسيا في الشمال. ولم يلبث هذا البحر طويلاً إذ انحسرت مياهه، وتكّون مكانه جسر أرضي حقق الاتصال بين العالم القديم (أوروبا وآسيا) في الشمال، وقارة أفريقيا وجنوب الجزيرة العربية في الجنوب. وقد أدى ظهور هذا الجسر الأرضي إلى عبور كثير من أنواع حيوانات العالم القديم جنوباً إلى الجزيرة العربية وأفريقيا.

ثم حدث أن تشكل الأخدود الأفريقي ممتداً من حوض وادي الأردن إلى وسط أفريقيا، ممثلاً بحيرة داخلية أولاً، ثم اتسع عند القرن الأفريقي وأصبح واسعاً عميقاً ليتصل بالبحر العربي والمحيط الهندي، وصار ما يعرف بالبحر الأحمر الحالي الذي بات حاجزاً طبيعياً فصل بين شرق أفريقيا وغرب الجزيرة العربية. وبسبب هذا الانفصال مالت كتلة الجزيرة العربية نحو الشمال الشرقي. وقد أدى هذا التحرك أيضاً إلى ظهور الجبال في إيران وتركيا والأجزاء الجنوبية من أفغانستان وتَشكُّل حوض الخليج العربي مقابل جبال زاغروس.

وخلال عصر البلايستوسين، أي قبل حوالي مليوني سنة، تعاقب على شمال الكرة الأرضية عدة عصور جليدية تراوح عددها بين ١٢ و ١٤ عصراً جليدياً تخللتها فترات دافئة. وأثناء تحرك الجليد نحو الجنوب خلال هذه العصور الجليدية تحركت معه أنواع كثيرة من حيوانات المنطقة القطبية، لكنها لم تلبث أن تراجعت شمالاً مع انحسار الجليد نحو شمال الكرة الأرضية.

كان العصر الجليدي الأخير، وهو العصر الذي انتهى قبل نحو ١٠ آلاف سنة، قد سبب انخفاض مستوى سطح البحر بحوالي ٨٠ إلى ١٢٠ متراً من جراء تجمع المياه على هيئة جليد. وقد أدى هذا إلى أن تحول الخليج العربي، الذي كان يشكل حاجزاً طبيعياً يفصل بين الجزيرة العربية والإقليم الحياتي الشرقي، إلى وادٍ عريض مليء بالنباتات المائية، تجري فيه مياه نهري دجلة والفرات وتصب في خليج عمان. ولذلك اتصلت أراضي الجزيرة العربية والإقليم الحياتي الشرقي، فمكن ذلك كثيراً من حيوانات ذلك الإقليم من الوصول إلى الجزيرة العربية. وعلى الجانب الآخر مكّن الاتصال الأرضي بين الجزيرة العربية والقارة الأفريقية قبل تكوّن البحر الأحمر كثيراً من الأنواع الحيوانية الأفريقية أن تصل إلى أرض الجزيرة العربية.

وقد أدت هـذه التغيـرات الأرضية والمناخـية إلى تجمع أنواع مـختلفة من الحيوانات والنباتات الفطرية في الجزيرة العـربية مـن الأقاليم الحـياتيـة الثلاثـة المجاورة. وبذلك أصبحت أرض الجزيرة العربية المنطقة الوحيدة التي تحوي أنواعاً حيوانية ممثلة لثلاثة أقاليم حياتية جغرافية رئيسـة في العالم هي الإقـليم القطبـي القـديم، الذي يشـمل آسيـا وأوروبا، والإقليم الأثيوبي، الذي يشمل أفريـقيا وجـزيـرة مـدغشـقـر (جـمـهـوريـة مالاجاشي)، والإقلـيم الشرقي، الذي يشمل شبه القارة الهندية وجزر الملايو.

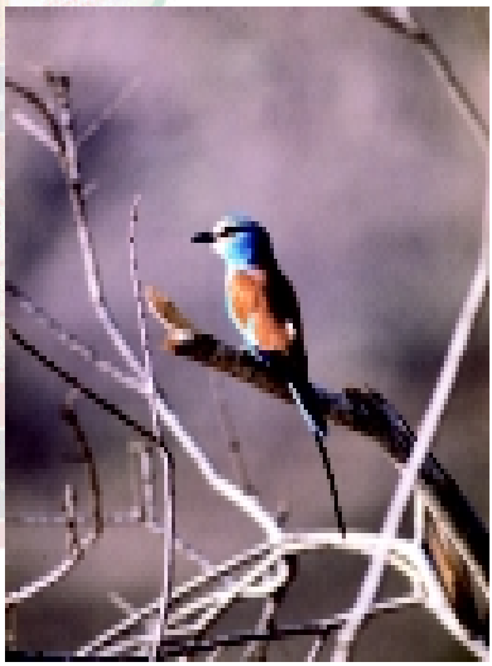
ومع امتداد الجليد من المناطق الشمالية للكرة الأرضية إلى الجزيرة العربية وصل إليها عدد من أنواع حيوانات العالم القطبي القديم مـثل الوعل أو البـدن، وكذلك الذئـب العربـي، والثـعلب الأحـمر، وحيوان الزغبة، وهو حيوان صغير يشبه السـنجاب. ومن أفـريقيا، أو الإقـليم الإثيوبي، وصل إلى الجزيرة العربية المها العـربي، والـوبر، والـنمس الأبـيض الذنب، وكذلك البابون أو الربَّاح. ومن حيوانات الإقليم الـشرقي الفهد العربي في جبال عمان، والنمس الهندي.

وقد أدت فترات الجفاف الشديد التي سادت هذه المنطقة، بعد انحسار العصر الجليدي الأخير، إلى انقراض عدد من الأنواع الحيوانية من الجزيرة العربية. فقد انقرضـت الخنازير الـبرية الأفريـقية، ووحيد القرن، ثم انقرضت الخيول البرية والضباع المبقعة. وأخيراً اندثرت الإبل البريـة والأفيال وأفراس الـنهر. وفي أواخر القـرن الميلادي الماضـي وأوائل القرن الحالي انقرض الأسد ثم النعام. أما الـفهـد فقـد انقـرض في أواخـر السبعيـنيات من هذا القرن. وقد كان لممارسات الإنسان أثر كبير في انقراض هذه المجموعة الأخيرة من الحيوانات، إذ لم يكـن الجفاف والظروف الـبيئية القاسية سوى أسباب مساعدة وراء هذا الانقراض.

وبعـض الحيوانات لـم تتعرض لمـا تعـرض له الأسد والنـعام والفهـد من عوامل أدت إلى انقراضها، فبقيت أعداد منها في مناطق وعـرة منعزلة تشبه إلى حد ما بيئتها الأصلية، مثل المناطق الجبلية العالية في غرب الجزيرة العربية والمناطق الشمالية من الجزيرة العربية. وتضم هذه الأنواع غير قليل من الـثدييات، تعيش في واحد أو أكثـر من الأقاليم الحياتـية الجغرافـية الثلاثة، مـنها النمـر العربي والضبع المخطط وابن آوى والظربان وقط الرمال والقـط البري والقنافذ والأرنـب

وأنواع من الفئـران واليرابيع (الجرابيع) وغيرها.

ويسـتوطن عـدد كبير مـن أنواع الطيور الفطرية في الجزيرة العربية لأنها كانت مـعبراً مهمًا لأعـداد هائلة من الطيور المهاجرة من شمال الكرة الأرضية إلى جنوبها. فهناك أكثر من ١٥ مليون طائر يمر عبـر الجزيرة العربية سنوياً، خلال هجرتها الموسمية من الشمال إلى الجنوب. ويمثل هذا العدد ما بين ٤٥٠ إلى ٥٠٠ نوع من الطيور التي سجلت أثناء هذه الهجرة. من هذه الأنواع ١٨٥ نوعاً تتخـذ من الجزيرة العربية مكـاناً



الشقراق الحبشي

للاستراحة والتزاوج، منها حوالي ١١٠ أنواع ترجع فـي أصولها إلى الإقليـم القطبي القديم، وحوالي ٤٥ نوعاً تعود إلى أصول أفريقية، و ٣٠ نوعاً تنتمي إلى أصول شرقية هندية.

وبالمملكة من الطيور الفطرية حوالي عشرة أنواع متوطنة، منها طائر أبو معول الذي يعيش في المنطقة الجنوبية الغربية، وهو من أصول أفريقية استوائية. وكذلك طائر الشقـراق الحبشي الذي ينتشر في سهول تهامة وأطراف الجبال، كما يعيش في شرقي أفريـقيا. أما البلبل الأبـيض الخد فهو في الجانب الشرقي من الجزيرة العربـية، ويعود في أصلـه إلى جنوب العراق ومناطق إيران وشمال غرب الهند.

أما طائر الشمـس أو التمير الفلسطيـني فيـمكن عده مـن الطيور المـتوطنة فـي المملكة، فـي الجزء الغربي منها، ومن الطـيور ذات الأصول القـطبية الـقديمة الحجل الجبلي أو حجل فيلبي، والحجل العربي، ودرسة اليمن، والأبلق.

وهناك كـثير من الأنـواع الحيوانيـة الأخرى التي تؤكد ارتباط الجزيرة العربية بالأقاليم الحياتية الثلاثة المجاورة، وهي تضـم أنواعاً مـختـلفة مـن الزواحف والبـرمائيات والحـشرات والمفـصليـات الأخرى.

وقد أدى امتداد الجليد نحو الجنوب إلى إحداث تغيرات مناخية وجغرافية كبيرة في أرض الجزيرة العربية، حيث كان الربع الخالي وصحراء النفود، مثلاً، يحتويان على كثير من البحيرات والأنهار التي تجري نحو شرق الجزيرة، وآثارها ما تزال باقية حتى اليوم على هيئة وديان كبيرة، مثل: وادي الرمة ووادي الدواسر ووادي السهباء.

وكانت المنطقة عامة تشبه بيئات الأراضي العشبية المدارية (السفانا أو الحشائش المرتفعة)، مثل تلك الموجودة اليوم في وسط أفريقيا، وتضم كثيراً من أنواع الحيوانات والنباتات الفطرية.

ومع بداية تغير المناخ في هذه المنطقة من العالم نحو الجفاف بدأ هذا التنوع الضخم من الكائنات الحية بالتراجع والنقصان. ويدل كثير من الشواهد على أن درجات الحرارة والجفاف قد بدأتا في الزيادة منذ ٦٠٠٠ سنة تقريباً، مما أدى إلى انحسار الجليد عن هذه المنطقة نحو الشمال، وتكوين حزام جاف في شمال أفريقيا يمتد عبر الجزيرة العربية ليشمل إيران وباكستان وما جاورهما، وأثره ما يزال باقياً حتى الوقت الحاضر.

لم تكن التغيرات المناخية التي صاحبت الانحسار التدريجي للعصر الجليدي فجائية، إذ إنها استمرت لفترة زمنية طويلة. وقد بقي كثير من الشواهد والدلائل على ذلك، حتى عصور متأخرة، مما يثبت غنى المنطقة بالتنوع الأحيائي، واحتواءها على كثير من أنواع النباتات والحيوانات الفطرية.

وقد رسم الشاعر مالك بن عويمر، المعروف بالمتنخل الهذلي، صورة شعرية فائقة الجمال للتنوع الحيواني في بيئة تكثر فيها السباع والحيَّات والطيور والحشرات، يقول:

وماء قد وردت، أميم، طام
على أرجائه زجل القطاط

قليل ورده إلا سباعاً
تخطى المشي كالنبل المراط

فبت أنهنه السرحان عنه
كلانا وارد حران قاطي

كأن وغى الخموش بجانبيه
وغى ركب، أميم، أولي زياط

كأن مزاحف الحيات فيه
قبيل الصبح آثار السياط

شربت بجمه وصدرت عنه
وأبيض صارم ذكر أباطي

لعل جزيرة العرب كانت في تلك الأزمان مروجاً وأنهاراً وجنات وارفة الظلال تموج بأنواع الحياة الفطرية في جبالها وسهولها ووديانها. وقد دعمت

دراسات قام بها كثير من العلماء للأودية والبحيرات وبقايا الحيوانات والنباتات في عدة مناطق من الجزيرة العربية فرضية أنها كانت تحت تأثير فترات مطيرة متتابعة كان آخرها قبل حوالي ٨٥٠٠ إلى ٥٢٠٠ سنة. وكانت أودية الجزيرة العربية خلال تلك الفترة دائمة الجريان، تكوَّن فيها عدد من البحيرات التي نمت حولها أنواع مختلفة من النباتات، تجول بينها أنواع مختلفة من الظباء والحمر الوحشية والخيول البرية والإبل البرية والأفيال وأفراس النهر وغيرها.

تكيف حيوانات الصحراء

بيئة الصحارى من أشد البيئات قسوة على سطح الكرة الأرضية. ومع ذلك نجد أنواعاً شتى من الحيوانات الفطرية تعيش فيها وتتكاثر تكاثراً طبيعياً. والسبب في ذلك أنها قد تكيفت تكيفاً يؤهلها للتغلب على الظروف الطبيعية لهذه المناطق الحارة الجافة. ولا مجال للعيش في هذه البيئات الصعبة إلا لتلك الأنواع التي تستطيع أن تتكيف مع ظروفها. ومن أهم المشكلات التي تواجه حيوانات الصحارى مشكلة قلة الماء، والمحافظة عليه في أجسامها، وتجنب درجات الحرارة العالية، وطلب الغذاء في بعض المناطق الشحيحة، واتقاء شر المفترسات.

التكيف لقلة الماء. تسد معظم الحيوانات الصحراوية حاجتها من الماء بما في أنسجة النباتات والحيوانات التي تتغذى بها من ماء، أو بالماء الناتج من التفاعلات خلال عمليات الأيض للمواد الغذائية الجافة في خلايا أجسامها، ومع ذلك فبعض أنواع هذه الحيوانات لا يستغني عن شرب الماء، وبعضها يأخذ ما يحتاج إليه من الماء عندما يتوافر له. وتحصل حيوانات الصحارى على الماء بعدة طرق؛ فالأنواع الصغيرة وهي معظم هذه الحيوانات مثل الحشرات والزواحف وبعض الطيور والقوارض، لا تستطيع الانتقال لمسافات بعيدة للحصول على ما تحتاج إليه من الماء، لذا تحصل عليه من الغذاء. وأكثر ما تعتمد عليه بعض أنواع القوارض الصحراوية في الجزيرة العربية كاليرابيع وبعض أنواع العضل والجرذ السميك الذنب في غذائها الحبوب الجافة وأوراق بعض النباتات الصحراوية. وتحصل بعض أنواع الظباء على حاجتها من الماء من النباتات التي تتغذى بها ومن الندى الذي يتجمع

عليها خلال الليل. وبإمكان اليربوع الشرقي أن يعيش على حبوب الحنطة والشعير الجافة لمدة ثلاث سنوات. أما الجرذ الاعتيادي فلا يتمكن من العيش على هذا النوع من الغذاء لمدة تزيد على ثلاثة أيام. والماء يشكل حوالي نصف محتوى الحبوب والجذور والأوراق البالية، ونسبة أكبر في الثمار والأغصان الغضة وأنسجة النباتات العصارية. كما أنه يشكل من حوالي ثلثي إلى ثلاثة أرباع كتلة جسم الحيوان، وبذلك فهي توفر كمية صالحة من الماء للمفترسات التي تتغذى بها. وعلى الرغم من أن معظم حيوانات الصحراء لا تحتاج إلى شرب الماء فإنها تشربه عندما يتوافر في بيئاتها. ولذا نجد تنوعاً كبيراً في أشكال الحياة حول مصادر المياه، مما يدل على أن هذه الحيوانات تنمو نمواً جيداً عند توافر الماء لها مع أنه ليس ضروريا لبقائها. ويلاحظ أن مصادر المياه هي أهم مراكز نشاط حيوانات الصحراء من حشرات وطيور وزواحف وثدييات. وهذا ما جعل المفترسات تستفيد من هذا السلوك، وتبقى قريباً من هذه المراكز لأخذ فرائسها. وكثير من الحيوانات لا ترد هذه المياه إلا ليلاً لاتقاء شر المفترسات النهارية، مثل الصقور والعقبان وأشباهها.

وكثير من حيوانات الصحراء تكيفت للاقتصاد الأقصى في استخدام الماء، فأصبحت تستفيد من نواتج أيضها من الماء، وهي بذلك تحافظ على ما لديها من ماء بإبقائه داخل أجسامها، وإعادة الاستفادة منه مرات ومرات، عوضاً عن طرحه مع الفضلات خارج الجسم كما تفعل حيوانات المناطق الأخرى الغنية بمصادر المياه. لذا يكون بولها مركزاً وبرازها صلباً. وهذه الظاهرة تبدو جلية في الجمل. إذ إن الشحم المخزون في سنام الجمل قد يزن من ٢٠ إلى ٣٠ رطلاً، وحرق كل رطل من الشحم يحرر رطلا من الماء تقريبًا، نتيجة لاتحاد الهيدروجين المتحرر من أيض الدهون مع الأكسجين الذي يحصل عليه الحيوان لعملية التنفس. وبذا يتحمل الجمل فترة طويلة من الحرمان من شرب الماء. وهو يستطيع تحمل ارتفاع درجة الحرارة بمقدار تسع درجات مئوية زيادة عن المعدل، ويستطيع أن يشرب حتى مئة لتر من الماء في المرة الواحدة إذا توافر له ذلك. ومن الأمثلة الأخرى الظباء واليرابيع وبعض الأنواع الأخرى من القوارض الصحراوية وبعض الزواحف.

ويحتاج بعض أنواع الطيور إلى شرب الماء كل يوم. من هذه الأنواع الحمام، الذي يمكن أن يطير لمسافة ٥٠ إلى ٧٥ كم يومياً للوصول إلى مصادر الماء. ويغذي الحمام عادةً صغاره بإفراز يسمى حليب الحمام، يتكّون في القانصة. وعندما يدخل الصغير رأسه داخل فم الأب أو الأم، يخرج حليب الحمام من القانصة، موفراً للصغير كمية مهمة من الغذاء والماء. ويقل إنتاج الأبوين من حليب الحمام بتقدم عمر الصغار، التي تبدأ في الاعتماد على الحبوب في غذائها. ولكن استمرار حاجة الصغار إلى الماء يحتم على الأبوين إخراج الماء من القانصة بدلاً من الحليب. أما الحجل الأفريقي والحجل الآسيوي، فإن لهما طريقة غريبة في نقل الماء من مصادره البعيدة إلى صغارهما؛ فعندما تصل الطيور البالغة إلى الماء تغمر ريش الصدر فيه فيتشربه مثل تشرب الإسفنج، وتعود الطيور إلى أفراخها في العش حاملة معها هذا الماء، حيث تدخل الصغار مناقيرها لاستخراج الماء من الريش المبتل.

التكيف للحرارة. درجة حرارة الجو بالمناطق الصحراوية مرتفعة جدًا، لذا كان لا بد لحيوانات الصحارى من أن تجد وسيلة فعالة لتجنب زيادة درجة حرارة أجسامها زيادة فوق طاقتها، وأن تتخلص من تلك الزيادة. ومن أهم الطرق التي تتبعها حيوانات الصحراء، لتجنب التعرض لأثر ارتفاع درجة حرارة أجسامها، اختيار الوقت المناسب لمزاولة نشاطاتها اليومية. فكثير من حيوانات الصحراء تكيفت للمعيشة الليلية وبخاصة تلك التي تعيش في مناطق مكشوفة لا تتهيأ بها الحماية من الشمس خلال النهار، وكذلك الحيوانات التي ليس لها تراكيب جسمية خاصة تكفل لها الحماية الكافية من أشعة الشمس. ومن أمثلة هذه الحيوانات اليربوع وجرذ الكنغر الذي يعيش في جنوب أمريكا الشمالية. فبالإضافة إلى نشاطها الليلي، فإنها تغلق فتحات جحورها بالتربة أثناء النهار، وبذا تقلل من تبخر الماء، فضلاً عن كونها ترفع من الرطوبة النسبية للهواء داخل المغاور حيث تتراوح من ٣٠ إلى ٥٠٪، وهي نسبة أعلى كثيراً مما هي عليه في الجو.

أما الحيوانات النهارية التي تمارس نشاطها خلال النهار، مثل الطيور، وبعض الزواحف، والحشرات فإنها تختار لنشاطها الفترات الباردة من اليوم، أول

النهار وقبيل الغروب، حين تكون حرارة الجو في أدنى مستوياتها. وقد وجد أن بعض طيور المناطق المعتدلة تبدأ نشاطها قبل طلوع الشمس بحوالي نصف ساعة، وتستمر فيه لمدة تتراوح بين ساعتين إلى ثلاث ساعات بعد شروقها. أما تلك التي تعيش في المناطق المدارية أو الصحراوية، مثل القبرة المتوجة، فإنها تنشط قبل طلوع الشمس بساعة كاملة، وتختفي بعد ظهور قرص الشمس مباشرة.

وتنتهج بعض أنواع الحيوانات تدابير خاصة تمكنها من التغلب على ارتفاع درجة حرارة البيئة التي تعيش فيها. مثل طائر آكل القمح الذي يثابر على العمل لعدة أيام يجمع حصى صغيرة، وزن كل حصاة منها يساوي نصف وزن الطائر تقريباً، ويبنيه بعضه فوق بعض على هيئة هرم يصل ارتفاعه إلى حوالي ١٥سم، ثم يبني الطائر عشه فوق قمة هذا الهرم ويضع به البيض. وبذلك يرفع العش بعيداً عن سطح التربة المرتفع الحرارة، وفي الوقت نفسه يتيح للعش المرتفع أن يتعرض إلى تيار من الهواء يساعد على حفظ حرارته عند درجة مناسبة. والارتفاع عن سطح الأرض الحار، حتى لبضع مليمترات، يمكن أن يساعد الحيوانات الصحراوية على تجنب حرارة سطح الأرض الملتهبة. وهناك أنواع من الحراذين والنمل تمد أرجلها باستقامة ما أمكن لإبعاد أجسامها عن سطح الأرض الساخن. بل إن بعض الحشرات ترفع أجسامها لتأخذ وضعاً عمودياً على سطح الأرض بدلاً من الوضع الأفقي، لترتفع أجسامها عن سطح الأرض بعض الارتفاع، وهذا مما يؤدي إلى خفض درجة حرارة أجسامها درجة أو درجتين.

وتختلف الحيوانات في أسلوبها سلوكها لاتقاء خطر ارتفاع درجة حرارة أجسامها حسب طريقة إنتاجها للطاقة أو حصولها عليها. فهناك مجموعتان من الحيوانات يمكن تمييزهما، إحداهما ذوات دم ثابت الحرارة والأخرى ذوات دم متغير الحرارة، أما الأولى فهي مجموعة الطيور والثدييات، ويطلق عليها ذوات الدم الثابت الحرارة. وهي تعتمد على الأيض لإنتاج طاقة حرارية عالية لتحافظ على درجة حرارة أجسامها ثابتة، بغض النظر عن درجة حرارة البيئة المحيطة بها. وقد وجد أن معدل درجة حرارة أجسام الثدييات حوالي ٣٧ درجة مئوية تقريباً. وتعرض أجسام الطيور والثدييات للبرودة يضطرها لأن تستهلك كميات إضافية من

الطعام لزيادة معدل تمثيلها الغذائي من أجل إنتاج الطاقة الحرارية اللازمة لرفع درجة حرارة أجسامها بصورة سريعة. ولكن عندما تكون درجة الحرارة عالية في الجو المحيط بها، كما هو الحال في المناطق الصحراوية، فإن هذه الحيوانات تجابه بمشكلة معاكسة. فعلى الرغم من أنها تستطيع خفض معدل تمثيلها الغذائي إلى درجة ما، فإن درجة حرارة أجسامها المرتفعة تحتاج إلى أن تنخفض إذا ما أرادت أن تبقى تحت مستوى الخطر. وتمر بعض الثدييات الصحراوية بفترة سبات صيفي عندما ترتفع درجة الحرارة إلى مستوى عال جداً. وبذا تتخلص من احتمال فقدانً أجسامها كمية كبيرة من الماء لا يكون باستطاعتها تعويضها.

وقد تكيفت الثدييات التي تعيش في المناطق الصحراوية تكيفاً فعالاً للتخلص من الحرارة الزائدة بالإشعاع، فأجسامها أسطوانية، مثل الظباء، وأعناقها وأطرافها طويلة، مثل النعام، كذلك الآذان الطويلة الكبيرة، كما في الأرانب البرية والثعالب واليرابيع، وهي تؤدي إلى كبر مساحة سطح الجسم المعرض للجو مقارنة بكتلة الحيوان. وهذه الخاصية تمكن الحيوان من التخلص من كمية كبيرة من الحرارة بالإشعاع تخلصاً فعالاً، فآذان ثعلب الفنك مثلاً، وهو أصغر أنواع الثعالب، كبيرة الحجم إذ إن مساحة سطح الأذن الواحدة منها أكبر من مساحة وجه الحيوان كله. ومن الأمثلة الأخرى على هذه الخاصية شكل الجسم في كل من ظبي الريم والمها العربي والجمل، فهذه الحيوانات تمتاز برقبة طويلة وأطراف ممتدة ومساحة سطح كبيرة لجوانب الجسم والبطن. وكذلك طيور النعام، فهي بعنقها وأرجلها الطويلة الخالية من الريش، تعمل بشكل فعال على إشعاع الحرارة إلى خارج الجسم. كما تمتاز هذه الحيوانات بطول أطرافها ودقتها بحيث تبعد أجسامها كثيراً عن حرارة التربة العالية.

ويرتبط بقدرة حيوانات الصحارى على التخلص من الحرارة الزائدة بالإشعاع من أجسامها خاصية تخزينها للدهن في أماكن خاصة في أجسامها، خلافاً لتخزينه في طبقة دهنية تمتد تحت الجلد على الجسم كله، كما في حيوانات المناطق الأخرى. ولمّا كان الغذاء في هذه البيئات الصحراوية غير متوافر بشكل دائم، كان لا بُدَّ لهذه الحيوانات من تخزين الطعام في أجسامها عندما يتوافر لها الغذاء في مواسم الأمطار للاستفادة منه وقت الحاجة، تماماً كما تخزن النباتات

الماء في أنسجتها بعد سقوط الأمطار. وتكمن المشكلة في أن الحيوانات عادة تخزن الدهون في طبقة دهنية تمتد على الجسم تحت الجلد، والدهون عازل جيد للحرارة فيكون هذا عائقاً أمام عملية التخلص من الحرارة الداخلية الزائدة لدى حيوانات الصحراء. والحل الأمثل لهذه المشكلة كان هو الاستعداد الفطري لتخزين الدهون في أجزاء محددة فقط من الجسم، مثل سنام الجمل أو إلية الخروف أو ذيل برص الصحراء، للاستفادة منها في وقت الحاجة دون إعاقة التخلص من حرارة الجسم الزائدة.

أما المجموعة الثانية فهي ذوات دم متغير درجة الحرارة وتشمل بعض الزواحف، مثل السحالي والثعابين، وكذلك الحيوانات اللافقارية كالحشرات والعناكب، وتتميز بأنها تنتج طاقة قليلة في أجسامها خلال عمليات تمثيلها الغذائي. ولقلة تحكم هذه الحيوانات بحرارة أجسامها كانت حرارة أجسامها تتأثر كثيراً بدرجة حرارة البيئة، ولذلك يطلق عليها «الحيوانات ذوات الدم البارد». وتعتمد هذه الحيوانات لرفع درجة حرارة أجسامها على امتصاص الحرارة من أشعة الشمس أو من الجو المحيط بها، إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة بإلصاق أجسامها على الأسطح الدافئة. والقليل منها ينتج الحرارة برفع معدل تمثيلها الغذائي بالحركة السريعة وبذل الجهد والنشاط. وهذه الحيوانات معرضة لخطر ارتفاع درجة حرارة أجسامها فوق الحد الأعلى المحتمل عندما تتعرض لأشعة الشمس خلال الفصل الحار، لذلك فهي تعمد، مثل المجموعة السابقة، إلى البقاء في الظل أو في الجحور أو تحت الأرض. ومعظمها ينشط خلال الليل، إضافة إلى أنها بشكل عام أكثر من المجموعة الأولى تحملا لدرجات حرارة عليا.

ومن المعروف علمياً أن درجة الحرارة تصل أعلى مستوياتها عند سطح التربة، وأنها تنخفض انخفاضاً ملحوظاً ضمن عدة سنتيمترات فوق سطح التربة أو تحتها. ثم يحدث انخفاض تدريجي كلما زاد الارتفاع أو العمق. والحيوانات الصحارى حساسية عالية لتغير درجة الحرارة، فالسحلية أو الثعبان الذي يتسلق فرع شجرة لمسافة متر واحد فقط أو يدخل في جحر تحت الأرض على عمق ٣٠ سم يهيّئ لنفسه بيئة تقل درجة حرارتها من ١٠ إلى ٤٠ درجة مئوية عن درجة حرارة سطح التربة. ولذا نجد كثيراً من حيوانات الصحارى، خاصة تلك التي

تروم المناطق السهلية والرملية، تتميز بأطراف طويلة نحيلة تبعد الجسم ما أمكن عن سطح التربة الساخن. فأرجل الجمل العربي مثلاً، ترفع جسمه إلى مستوى تقل فيه درجة الحرارة بحوالي ٢٥ درجة مئوية عن درجة حرارة سطح التربة التي يقف عليها. وكذلك حال الظباء والمها. وأغلب حيوانات الصحارى تتّقي درجات الحرارة العالية بالاختباء في مغاور أو جحور تحفرها لنفسها، أو تقضي معظم نهارها فيها.

التكيف لنقص الغذاء. تضطر الحيوانات إلى التكيف مع نقص الغذاء في بيئاتها، لتزيد من قدرتها على البقاء، ويتخذ هذا التكيف سبلاً شتى، منها: الصبر على الجوع، مثلما تصبر الأسود والذئاب، والاكتفاء بالطعام القليل كما تفعل المها التي تستطيع الغذاء بما يعادل ١٪ من وزنها مقارنة بالحيوانات الأخرى التي تتغذى بما يقارب ٥, ٢٪ من وزنها.

وتتحول بعض الحيوانات عن غذائها إلى نوع أقل منه، كما تتحول الأسود عن الفرائس الحية إلى الجيف، وكذلك تتحول الذئاب إلى جثث الحيوانات المقتولة على الطرق، أو تأكل صغار الحيوانات من الجرذان ونحوها. وربما تحول إلى أكل نوع آخر من الغذاء كما يأكل الذئب اللافقاريات والخضراوات والفاكهة. أو يضطر الحيوان إلى مهاجمة الإنسان مما يعرضه إلى مواجهة تؤدي إلى انقراضه كما عند النمور والذئاب.

ولبعض الحيوانات قدرة على أكل نباتات لا تستسيغها حيوانات أخرى مثل الريم التي تأكل نبات اللبان، ولبعض الحيوانات القدرة على أكل النباتات السامة مثل الوبر.

ومن وسائل التكيف لمواجهة نقص الغذاء تخزين الطعام، إما في جسم الحيوان في هيئة شحوم كما عند الإبل، أو تخزين الطعام نفسه إلى وقت الحاجة كما تفعل النمل. أو اللجوء إلى البيات الشتوي للاقتصاد في استهلاك الطاقة والطعام، مثلما يفعل الضب. وتلجأ بعض الطيور عند الجدب إلى الهجرة إلى مكان آخر وعند الربيع والأمطار تعود إلى مواطنها كما تفعل الحبارى.

التكيف لتفادي المفترسات. تعتمد حيوانات الصحراء غالباً على الهرب والتخفي لاتقاء الأعداء. وقد اكتسبت معظم هذه الحيوانات قوة كبيرة متميزة لتسهيل هروبها من المفترسات، خاصة تلك التي تعيش في الصحارى السهلية المفتوحة القليلة النباتات. ومن أمثلة ذلك بعض أنواع السحالي والثدييات التي

يمكنها السير بسرعة عالية على رجليها الخلفيتين فقط. وفي هذا المقام لا بُدَّ من ذكر مثال رائع لهذه الخاصية في واحد من حيوانات صحارى الجزيرة العربية، وهو اليربوع، فقفزاته الرائعة وروغانه السريع يجعله واحداً من الحيوانات التي يصعب صيدها حتى على أمهر المفترسات كالثعالب والقطط البرية. وفي سرعة اليربوع يقول المثل الشعبي على لسانه: «لو يديِّه طول رجليِّه ما لحقتني أُمّ عبيِّه» وأُمّ عبيِّه اسم لفرس أصيلة.

وهناك كثير من حيوانات الصحارى التي تعتمد على الجري السريع لاتقاء أعدائها والخلاص منهم، مثل الظباء بأنواعها، وكذلك المها العربي والأرانب البرية.

وتمتاز الثدييات الصحراوية بكبر صيوان الأذن فيها. فهو، بالإضافة إلى مساعدتها للتخلص من درجة حرارة الجسم المرتفعة، يساعدها على التقاط الأصوات البعيدة إذ يرفع كفاءة حاسة السمع عندها مما يعينها على الهروب من المفترسات قبل اقتراب الخطر.

وليس العدو السريع هو الوسيلة الوحيدة التي تمكّن الحيوانات الصحراوية من الهروب من الأعداء، ذلك أن المفترسات التي تطاردها ربما تكون مثلها سرعة، كالفهد الذي يعدّ من أسرع الحيوانات الأرضية. ولذلك فإن هناك وسائل تكيف أخرى لا بُدَّ أن تتهيأ لهذه الحيوانات لتقلل خطر الافتراس في هذه البيئة المكشوفة التي لا توفر للحيوانات الغطاء اللازم لاختفائها. فنلاحظ أنّ ألوان كثير من هذه الحيوانات باهتة، سواء أكان ذلك لون الفراء أم لون الريش. وهذا اللون الباهت يمتزج بالبيئة الرملية فلا يسهل تمييز هذه الحيوانات منها، خاصة في البيئة المشمسة التي توفر لها فرصة الاختفاء من أعدائها نتيجة لتماثل ألوانها مع لون بيئتها. إضافة إلى ذلك فإن هذا التشابه اللوني مع المحيط الذي تعيش فيه هذه الحيوانات يصاحبه قدرتها على البقاء في سكون تام فيتمكن الحيوان من اتقاء حدة بصر الصقر أو الثعلب أو الفهد.

وقد تكيفت الحيوانات التي تعيش في المناطق الجبلية لظروف المعيشة فيها أيضاً، فهي تمتاز بقوتها الجسدية العالية ومقدرتها الفائقة على التسلق والركض لمسافات طويلة دون تعب أو كلل، يساعدها على ذلك صغر أجسامها مقارنة بأجسام مثيلاتها في المناطق الأخرى. إضافة إلى قدرتها على التعرف بشكل فعال على التغيرات التي تحدث حولها،

مثل الحركة والرائحة وغيرها، والاستجابة السريعة لهذه التغيرات لإنها قوية الإبصار والشم. كما أنها تمتاز أيضاً بألوان تتناسب مع البيئة الـتي تعيش فيها وتحميـها من المفترسات حولها. وقد وفرت لها وعورة البيـئة وصعوبـتها الحمايـة اللازمة من أعدائها الطبيعـيين، ولذا فإن الحيوانات التي تحتـمي بالجبال أقل تـعرضاً لخطر الانقـراض من تلـك التي تـعيش فـي السهول والوديان والمناطق المكشوفة.

الثدييـات

ماهية الثدييات وتركيبها العضوي

هي إحدى طوائف الفقـاريات مثل السباع وغير السباع مما له أثداء ويرضـع صغاره اللـبن ويطلق عليها الـلبونات. وهناك حوالي ٤٥٠٠ نوع من الثدييات معروفة في العالم، وكـثير منها مألوف لدى الـناس، مثل: الـقطط والكـلاب الأليفة، وكـذلك الماشية من إبـل وبقر وغنم وماعز. وتشمل الثدييات أيضاً تلك الحيوانات العجيبة مثل آكل النمل، وأنواع القرود والغوريلاّ والشمبانزي، والزراف، وفرس الـنهر، والـكنغـر، والأرانب، والجرذان، والـفيلـة، ووحيـد القرن، والحيتان، وعرائس البحر، والدلافين. وتعيـش الثدييـات في معظـم البيئـات الطبيعية على كوكب الأرض. فمنها ما يعـيش في المـناطق الاسـتوائيـة وشبه الاستوائية، ومنها ما يعيش في الصحارى الحارة الجافة، ومنـها ما يعيش بالقرب من القطب الشمالي. ومعظم الأنواع برية تعيش على سطح اليابسة، ومنها أنـواع بحرية، مثل الحيتان والدلافين، وأنواع تطـير في الجـو وليست طـيوراً، مثـل الخفافيش.

ومنـذ أقدم عـصور الـتاريـخ كان الإنسان الأول يـصيد الـثدييات ليـأكل لحومهـا، ويستعـمل جلودهـا وفراءها لكـسائه، ويـصنع مـن قرونهـا أدواته البسيـطة. ومنذ نحو عشـرة آلاف سنة تعلم الإنسان كيف يستأنس أنواع الثدييات التي يحتاج إليها. وكان الكلب من أول الأنواع التي استأنسـها الإنسان ليستفيد منه فـي صيد الحيـوانات الأخرى. ثم استـأنس الإنـسان حـيوانـات الماشـية المختلـفة، من البـقر والماعز والضـأن، ليتغذى بلحومها وألبانها، ويتخذ جلودها وفراءهـا كساءً ومأوى. كـما استخـدم الثيران للجر والحمل، واستأنس الدواب

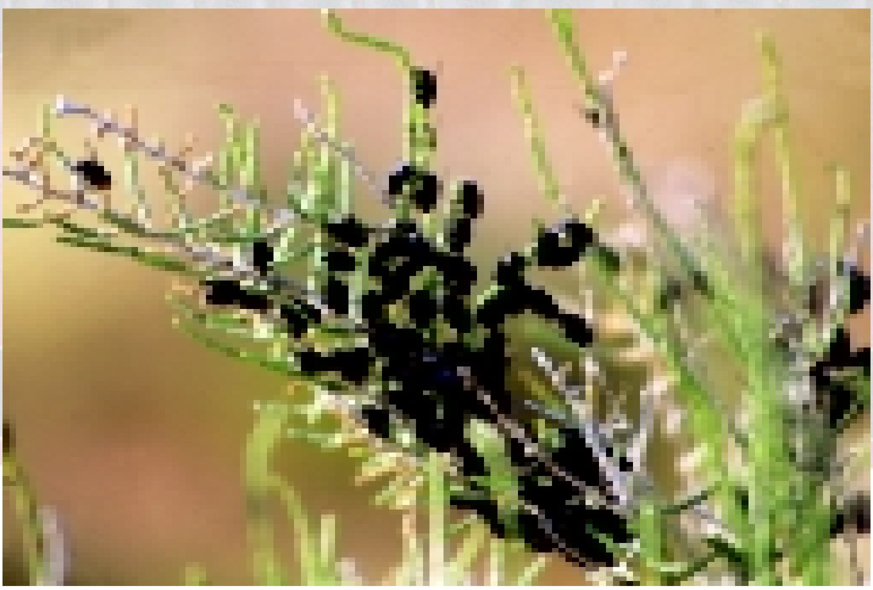
من الخيل والحمير واستخدمها مع الثيران للحمل والجر والترحال، وكذلك أنواع أخرى استخدمها للغرض نفسه منها الإبل والفيلة واللاما والكلاب.

وعلى الرغم من استئناس الإنسان لكل هذه الأنواع من الثدييات، فإنه لم ينقطع عن الصيد. فاصطاد الظباء وبقر الوحش والأرانب البرية والسناجيب ليأكل لحوم بعضها، ويستغل فراء وجلود بعضها. واصطاد الحيتان من أجل لحومها وزيوتها، والفقمة من أجل جلودها ذات القيمة المرتفعة، والثعالب وفئران المسك وحيوان المنك وغيرها من أجل جلودها السميكة وفرائها الثمينة، والفيلة وأفراس النهر والفظ (حيوان مائي يشبه الفقمة) من أجل أسنانها العاجية. كما يستمتع الإنسان برؤية أنواع الثدييات الكبيرة في الطبيعة، لذلك كثيراً ما يزور حدائق الحيوان والمتنزهات ليستمتع بمرآها ويتعرف على طباعها وسلوكياتها.

كما أن للثدييات أثر مهم في المحافظة على توازن البيئة، واستكمال دورة المواد في الطبيعة، إلى جانب فوائدها الاقتصادية للإنسان. فكثير من أنواعها العاشبة يساعد النبات على إكمال دورة حياته، حيث تتغذى بالنباتات وتمر بذورها في قناتها الهضمية دون أن تهضم، ولكن تحدث بها تغيرات فسيولوجية تهيئها للإنبات، فتنقلها هذه الحيوانات أثناء تجوالها من مكان إلى مكان، وتخرجها مع البراز فتنبت في أمكنة مختلفة، ويتسع مدى انتشار النبات. كما تحفر الثدييات الصغيرة، من القوارض وغيرها، جحورها وأوجارها في التربة مما يؤدي إلى تفككها وتهويتها وإكسابها خصوبة وزيادة صلاحية لنمو النبات. وتحافظ الثدييات من آكلة اللحوم (السباع) بافتراسها العاشبات على التوازن الطبيعي بين العاشبات وما تأكله من نباتات. ولولا ذلك لازداد عدد العاشبات إلى القدر الذي قد يضر بالنباتات التي تتغذى بها ويعرضها للانقراض. أما الثدييات آكلة الحشرات فتحفظ التوازن بين أعداد هذه الحشرات ومصادر غذائها. وكذلك الثدييات الكانسة التي تأكل الجيف وتخلص البيئة من آثارها الضارة، وتمنع تراكمها وإضرارها بالبيئة. وأخيراً فإن الفضلات التي تخرجها هذه الثدييات إلى البيئة، وكذلك بقايا أجسادها بعد الموت تقدم زاداً للمفتتات والمحللات التي تقوم بتحليلها في التربة لتستفيد منها النباتات مرة أخرى لاستكمال دورة المواد في الطبيعة والمحافظة على إنتاجية النظم البيئية الفعالة.

وتتميزالثدييات عن جميع الحيوانات الأخرى بصفات ليست في غيرها هي أنها، باستثناء الثدييات وحيدة المسلك، تلد أجنة كاملة التكوين ترضعها الأم من أثدائها في أول حياتها، وأنها تعتني بصغارها وتحميها في أول حياتها أكثر من غيرها من أنواع الحيوانات الأخرى. وعلى أجسامها شعر، على الأقل خلال جزء من حياتها، فبعض الحيتان يكون الشعر موجوداً على جسمها فقط قبل ولادتها، وأنها من ذوات الدم الثابت الحرارة أي ذوات الدم الحار بغض النظر عن درجة حرارة الوسط المحيط بها، ولا يشاركها في هذه الصفة غير طائفة الطيور. وأن لها حجاباً حاجزاً عضلياً يفصل التجويف الصدري عن التجويف البطني، وأن نصفي الكرة المخية أكبر كثيراً مما هما عليه في الحيوانات الأخرى، وأكثرُ رقياً في التركيب. وبعض أنواع الثدييات مثل الشمبانزي والدلافين تتمتع بذكاء شديد.

وأكبر الثدييات المعروفة حجماً منذ بدء الخليقة هو الحوت الأزرق الذي يصل طوله إلى ٣٠ متراً ويزيد وزن جسمه على ٩١ طناً مترياً، أما أصغرها حجماً فهو الزبَّابة –من آكلات الحشرات– التي يقل طول جسمها عن ٧ ستيمترات ويزن حوالي ثلاثة جرامات فقط. ويختلف طول عمر الثدييات اختلافاً كبيراً فبعضها مُعمَّر مثل الفيلة التي قد تعيش ٧٠ عاماً،



الزّبابة، أصغر الثدييات المعروفة حجماً

وبعضها قد لا يكمل العام، مثل الذَبَّابة وبعض أنواع الفئران.

ولأنواع الثدييات طرق حياة مختلفة، ولكل نوع منها تركيبه العضوي المناسب لطريقة حياته في الطبيعة، ومع ذلك فجميع أنواع الثدييات تشترك في سمات تركيبية أساسية تتصف بها جميعاً وتميزها عن غيرها من الحيوان. وتتضمن هذه السمات التركيبية خصائص معينة في جلودها وشعرها، وهيكلها الداخلي، وتركيبها العضوي الداخلي.

الجلد والشعر. يكسو جسم الحيوان جلد عليه شعر. وللجلد طبقتان أدمة وبشرة، أما طبقة الأدمة الداخلية فتحتوي على الأوعية الدموية التي تنقل الدم إلى الجلد والشعر لتغذيته وتزويده بالأوكسجين اللازم لتنفس الخلايا الحية، وأما البشرة الخارجية فهي خالية من الأوعية الدموية، تحمي الأدمة الداخلية، وتحمل الزوائد المميزة للجلد من شعر وقرون ومخالب وحوافر وأظلاف وأظافر.

وجلد الثدييات بوجه عام غني بالغدد، فهناك الغدد الثديية، وهي تفرز اللبن الذي ترضعه الأم صغارها بعد ولادتها، والغدد الدهنية التي تفرز المواد الدهنية والزيتية اللازمة لتطرية الجلد وما عليه من شعر، والغدد العرقية التي تخرج منها بعض الفضلات السائلة الذائبة في العرق، ولكن وظيفتها الأساسية هي المساعدة في المحافظة على درجة حرارة جسم الحيوان، بتبريد جسمه عند ارتفاع درجة حرارة الوسط المحيط به ارتفاعاً قد يضر بالحيوان وبقدرته على أداء وظائفه الحيوية. وفي جلد كثير من أنواع الثدييات، مثل الكلب والظربان وغيرها غدد مفرزة للرائحة تستخدمها هذه الحيوانات لاتصال بعضها ببعض، أو وسيلة من وسائل الدفاع عن النفس ضد الأعداء مثل الرائحة المنتنة القوية التي يفرزها الظربان.

ينشأ الشعر مجموعة من الخلايا من طبقة البشرة، تنمو إلى الداخل باتجاه الأدمة حيث يتكوّن في نهايتها بصيلة الشعرة التي تحيط بحلمة الشعرة المزودة بالأوعية الدموية الضرورية لتغذيتها. وتتكون الشعرة، بالإضافة إلى البصيلة والحلمة، من جذر يمتد داخل الأدمة، وساق يبرز خارج البشرة. ويحيط بالجذر غلاف من طبقات متعددة من الخلايا الناشئة من البشرة والأدمة. وتتصل بالغلاف عضلات لا إرادية عادة، وقد تكون إرادية في بعض الحالات، تعمل على انتصاب الشعرة. كذلك تفتح في

غلاف الشعرة غدة دهنية أو أكثر تعمل على ترطيبها والمحافظة على ليونتها.

ولكثير من أنواع الثدييات طبقتان من الشعر على جلودها؛ طبقة داخلية سفلى ناعمة زغبية تُشكِّل كساءً كثيفاً مدفئاً للجلد، وطبقة خارجية من الشعر الواقي الطويل السميك المتصلب، يكسب الحيوان شكله الخاص ويحمي الجلد الداخلي. ولكثير من أنواع الثدييات شعرات متصلبة طويلة تنبت حول الفم أو بعض الأجزاء الأخرى في الرأس. وهي شعرات لمسية تعمل كأعضاء لمس شديدة الحساسية مثل شوارب القطط والفئران. ومن الشعر ما يبقى طوال حياة الحيوان من دون تجديد كعُرْف الحصان وذيله، ولبدة الأسد، ويسقط الباقي تدريجياً ويتجدد كل عام.

وللكثير من الثدييات فرو يكسوها شتاءً، ويتساقط معظمه صيفاً. كما أن فرو بعض الحيوانات التي تقطن المناطق الشمالية، يتغير لونه بتغير فصول السنة. فيكون أبيضَ في الشتاء، ورماديّا في الصيف كما في الثعلب القطبي. ويحتوي الشعر على حبيبات صبغية تعطي الظلال البنية أو السوداء للشعر. ويفسر بياض شعر الإنسان (الشيب) باختفاء هذه الصبغات.

وهناك عدد من الوظائف المهمة لشعر الثدييات؛ فلون الشعر في كثير من الأنواع يلائم لون البيئة المحيطة مما يتيح للحيوان الاختفاء من المفترسات. كما أن الشعر المتحور إلى أشواك، كما في القنافذ والنيص، يكفل حمايتها من أعدائها ومفترساتها مع إكساب جسم الحيوان الدفء المطلوب في الجو البارد. أما الأنواع العارية من الشعر، مثل الدلافين والحيتان، فتدفئها طبقة دهنية سميكة تمتد تحت الجلد. ويلاحظ أن الحيوانات ذات الشعر القصير تعيش عادة في الأجواء الحارة مثل الفيلة ووحيد القرن.

الهيكل الداخلي. يحفظ الهيكل الداخلي شكل الجسم ويحمي الأعضاء الداخلية، كما يوفر منطقة ارتكاز للعضلات التي تمكن الحيوان من الحركة. ويتشابه تركيب الهيكل الداخلي في الثدييات من أكبرها حجماً، مثل الحيتان، إلى أصغرها حجماً، مثل الزبَّابة. فهو يتكون من حوالي ٢٠٠ عظمة، يتصل بعضها ببعض مكوناً تركيباً واحداً. ويتركب الهيكل الداخلي من جزءين رئيسيين هما الهيكل المحوري وهيكل الأطراف. ويتكون الهيكل المحوري من ثلاث مناطق: الجمجمة، والعمود الفقري، والقفص الصدري. والجمجمة

صندوق عظمي يحوي داخله المخ، والفكين والأسنان ومناطق السمع والبصر والشم. وفي بعض الأنواع تخرج من الجمجمة أيضاً بروزات عظمية مكوَّنةً القرون كما في الظباء. ويتكون العمود الفقري من خمسة أنواع من الفقرات هي: الفقرات العنقية، والفقرات الصدرية والفقرات القَطَنِية والفقرات العَجُزِية والفقرات الذيلية.

وجميع أنواع الثدييات، سوى بقر البحر الأمريكي ونوعين من الكسلان الأمريكي، لها سبع فقرات عنقية متساوية في أغلب الأحيان، ما عدا الأولى والثانية. ويختلف عدد الفقرات المكونة للمناطق الأخرى من العمود الفقري باختلاف نوع الثدييات. ويتكون القفص الصدري من الضلوع التي ترتبط من الخلف بالعمود الفقري حيث الفقرات الصدرية، ويرتبط معظمها من الأمام بعظمة القص. ويحمي القفص الصدري القلب والرئتين وغيرها من الأعضاء الداخلية الحساسة.

ويتكون الهيكل الطرفي من الأطراف ودعائمها، ويتصل الطرفان الأماميان أو الذراعان بالعمود الفقري بالحزام الكتفي، الذي يتكون من لوح الكتف العظمي العريض ومن عظمة الترقوة الرفيعة في معظم الأنواع. أما الطرفان الخلفيان أو الرجلان فيتصلان بالفقرات العجزية من العمود الفقري بالحزام الحوضي، الذي يتكون من ثلاثة أعظم تندمج معاً ومع الفقرات العجزية، في كثير من أنواع الثدييات، مكونة عظمة واحدة.

ويتركب الجزء العلوي من كل طرف من الأطراف الأمامية والخلفية من عظمة واحدة في معظم أنواع الثدييات، أما الجزء الأسفل فمكون من عظمتين تندمجان معاً في بعض الأنواع. ويتكون كل من الرسغ والكف والعقب والقدم من عدد من العظام الصغيرة حسب عدد أصابع الأطراف الأمامية والخليفة في كل نوع من أنواع الثدييات. ويختلف شكل هذه العظيمات وحجمها باختلاف الوظيفة التي خلقت من أجلها هذه الأطراف، سواء كانت المشي أو العوم أو الطيران.

أجهزة الجسم. تتكون أجهزة الأحشاء الداخلية من مجموعات من الأعضاء التي تؤدي وظائف معينة. وأجهزة الجسم الرئيسية الموجودة في الثدييات أربعة، هي الجهاز الدوري، والجهاز الهضمي، والجهاز العصبي، والجهاز التنفسي. أمّا الجهاز الدوري فقلب وشبكة من الأوعية الدموية وشرايين وأوردة وشعيرات

دموية. والقلب في الثدييات عضو عالي الكفاءة، يتكون من أربع غرف، أُذَينين وبُطَيْنين، يضخ الدم إلى جميع أجزاء الجسم. ويحمل الدم الغذاء المتمثل والأوكسجين إلى جميع أنسجة الجسم وخلاياه لإنتاج الطاقة اللازمة لقيام الجسم بوظائفه الحيوية، وكذلك إنتاج المواد الأيضية اللازمة لبناء الخلايا ونمو الحيوان وتكاثره. ويمكن لخلايا الدم الحمر وهي غير ذات نواة أن تحمل كمية من الأوكسجين أكبر مما تحمله في جميع طوائف الحيوان الأخرى سوى الطيور. والثدييات ذات جهاز دوران عالي الكفاءة لأنها من ذوات الحرارة الثابتة التي يمكنها دوران الدم من حرق كمية من الغذاء تكفي لحفظ درجة حرارة الجسم ثابتة.

أمّا الجهاز الهضمي فيهضم الطعام ليستخلص الغذاء الصالح منه ويخرج ما سواه. وشكل الأسنان وتركيبها من أهم ميزات الجهاز الهضمي في الثدييات. وتظهر الأسنان في جميع الثدييات سوى الدور اليافع من بعض الأنواع. وهي تظهر مرتين، في الأولى منهما تمكث فترة قصيرة ثم تسقط، وتدعى «الأسنان اللبنية»، أما في الثانية فتظهر بعد ذلك لتثبت، وتدعى «الأسنان الدائمة». وللحيوان الثدييِّ النموذجي ٤٤ سناً موزعة على كل جانب من الفكين العلوي والسفلي؛ ثلاثة قواطع، وناب واحد وسبعة أضراس. والأضراس أمامية (ضواحك) وخلفية (طواحن)، والأمامية بسيطة التركيب مخروطية الشكل، أما الخلفية فمعقدة التركيب. وبعض الثدييات قد تتحور أو تختفي بعض أسنانها، فما يسمى أنياب الفيل هي قواطع لا أنياب كما قد يتبادر إلى الذهن. وشفعية الأظلاف لا قواطع لفكها العلوي. ولا أنياب للقوارض.

والجهاز الهضمي قناة هضمية طويلة، منها الفم، والمريء والمعدة والأمعاء، التي تنقسم غالباً إلى ثلاثة أقسام هي: الاثنى عشري والأمعاء الدقيقة والأمعاء الغليظة. ويساعدها عدد من الغدد، هي الكبد والبنكرياس والغدد الهاضمة في جدار القناة الهضمية. ويختلف شكل القناة الهضمية في أنواع الثدييات باختلاف الطعام الذي يتناوله الحيوان. فأنواع الثدييات التي تأكل اللحوم السهلة الهضم، لها معدة بسيطة التركيب وأمعاء قصيرة. أما الثدييات التي تأكل الأعشاب فمعدتها معقدة التركيب وأمعاؤها طويلة. فالحيوانات المجترة، كالبقر والغنم، معدتها ذات أربع غرف.

لكل منهـا دوره في تكسير الأعشاب والمواد النباتية التي يتناولها الحيوان، ومن ثم هضمها بمساعدة أنواع من البكتيريا التي تتعايـش معه في أمعائه وتهضم سليولوز الأليـاف النباتية لتحوله إلى مكوناته الأولـى من السكريات حتى يمكن امتصاصه والاستفادة منه.

وينظم الجهاز العصبي جميع أنشطة الجسم ووظـائفه الحيوية الـتي يؤديها، ويتكون من المخ والحبل الشوكي (الجهاز العصبي المركزي) ومجموعة الأعصاب المتصلة بهما (الجهاز العصبي الطرفي). والمخ في معظم أنواع الثدييات أكبر منه فـي طـوائف الحـيـوان الأخـرى ذات الأحجـام المماثلـة. كما أن المـخ في الثدييـات راقي التركيب، ويتـكون من القشرة المخية الـتي تُشكل مركز القدرة على التعلم، وتُكسِب الحيوان ذكاءه الذي يتفوق به على جميع الأنواع الأخرى، ويتكون المـخ من نصفي الكرة المخيـة، والمخيخ، والنخاع المستطيل.

ويُمكِّن الجهاز التنفسي الحيوان من التنـفس، وتبادل الغازات مـع الوسط المحيط به بكفاءة عالية حتى يمكنه تزويد الدم بالأوكسجين اللازم له. وهو يتكون من رئتين، وقصبة هـوائية، وقصيبات تصل بين الرئتين وبين فتحتي الأنف.

وفي الثدييات وحدها حـاجز عضلي، يفصل بين الصدر والبطن، هو الحجاب الحاجز الذي يسـاعد على إتمام عمليـة التنفس وتـبادل الغازات. وتقع فتحـتا الأنف في معظم أنواع الثدييات في طرف الأنف أو الخـطم، باسـتثـناء الحيـتان والدلافين فهي في قمة الرأس، وتسمى ثقب النفخ نـظراً لطبيعة العيشـة المائية لهذه الثدييـات. وفي الدلافين وبعض الحيتان فتحة واحدة وفي بعض الحيتان فتحتان.

أما أجهزة الجسم العضوية الأخرى في الثدييات فهي: جهاز الغدد الصم أو الجهاز التنظيمي، والجهاز الإخراجي أو البولي، والجهاز التناسلي. وجهاز الغدد الصم مـجموعة مـن الغدد التـي تفرز منظمات لأنشـطة جسم الحيوان تسمى الهرمونات، ويتكون الجـهاز الإخراجي من كليتين وحالبين ومثانة بـولية وفتحة بـوليـة. ويـقـوم الجهـاز الإخـراجي باستخلاص المواد الأيضية الضارة بالجسم وتكثيفها وطردها على صورة بول. أما الجهاز الـتناسلي الـذكري فيتـكون من خصيتين وحويصلة منوية ووعاء ناقل، ويتصل به بعض الغدد وينتهي بالقضيب الذي يحمل الحيوانات المنوية إلى مهبل الأنثـى لإخصاب البـويضات في قـناة

المبيض. وأما الأنثى فيتكون جهازها التناسلي من مبيضين وقناتا بيض ورحم ومهبل وفتحة تناسلية إلى الخارج هي الفرج.

الإحساس. إحساس الثدييات بكل ما يحدث في الوسط المحيط متطور جداً، فحواسها على قدر عال جداً من الكفاءة. وتشمل الشم والذوقَ والسمع والبصر واللمس. وتتباين قوة هذه الحواس في أنواع الثدييات المختلفة، بل إن بعض الأنواع تفتقر إلى بعض هذه الحواس. وأهم الحواس لدى معظم أنواع الثدييات حاسة الشم، فمعظم الأنواع لها تجويف أنفي كبير، مبطن بشبكة جيدة من الأعصاب الحساسة لاكتشاف الروائح مهما كانت ضعيفة، ومرد ذلك إلى أن هذه الحيوانات تعتمد على حاسة الشم في الحصول على طعامها، وفي معرفة اقتراب أعدائها لتحمي نفسها منها، أي أنها تعتمد على حاسة الشم وسيلة أساسية للقدرة على البقاء في الحياة. وفي كثير من الأنواع يتصل أفراد النوع بالروائح التي تفرزها غدد خاصة في الجلد، أو بروائح الفضلات التي تخرجها. فالذئب أو الكلب، مثلاً، يتبول على الأشجار وعلى الأحجار وغيرها من الأشياء الموجودة في منطقته ليؤذن أفراد نوعه أنه موجود فيها. وهناك بعض أنواع الثدييات، كالقرود مثلاً، لها حاسة شم ضعيفة. ويبدو أن الحيتان ذوات الأسنان والدلافين ليس لها حاسّة شم أصلا.

وتساعدها حاسة الذوق للتعرف على طعامها، وتحديد ما تأكله وما لا تأكله. وحاسة الذوق وإن كانت في براعم الذوق باللسان فإنها تتأثر تأثراً قويّا برائحة الطعام.

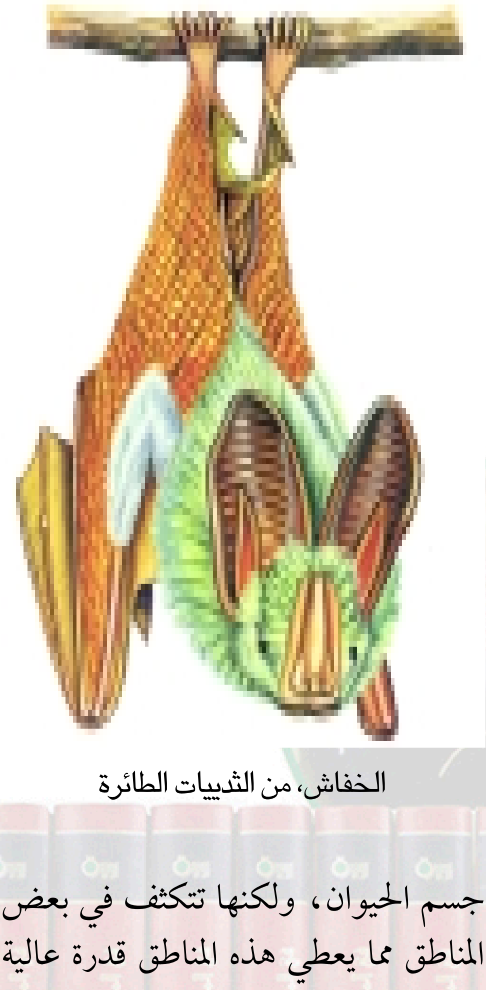
ومعظم أنواع الثدييات لها صيوان أذن خارجي كبير يجمّع الموجات الصوتية ويمررها إلى الأذن الوسطى، فالأذن الداخلية، ولا يوجد صيوان خارجي للأذن في غير الثدييات. وتعتمد بعض أنواع الثدييات على حاسة السمع في الاهتداء إلى أماكن طعامها، وفي تجنب العوائق التي قد تعترض طريقها. فالخفافيش، مثلاً، تصدر موجات صوتية قصيرة قوية، تصطدم بالأشياء التي تصادفها وتعود إليها فتحدد مكانها راداريا. ويمكن للخفاش بهذه الطريقة، التي يُطلق عليها (تحديد المكان بالصدى)، أن يحدد مكان وجود الحشرات التي يتغذى بها، بل يحدد مكان وجود سلك رفيع يعترض طريقه ليتجنبه في سرعة ودقة متناهية. وتستخدم الحيتان والدلافين

طريقة إطلاق الموجات الصوتية نفسها لتحديد مواضع الأشياء التي تصادفها في المياه، ولكن الموجات الصوتية التي تطلقها أضعف من تلك التي تطلقها الخفافيش.

ومن الثدييات الأخرى التي تحدد أماكن الأشياء بالصدى بإطلاق الموجات الصوتية، الفقمة أو عجل البحر، وأسد البحر، والزبَّابات.

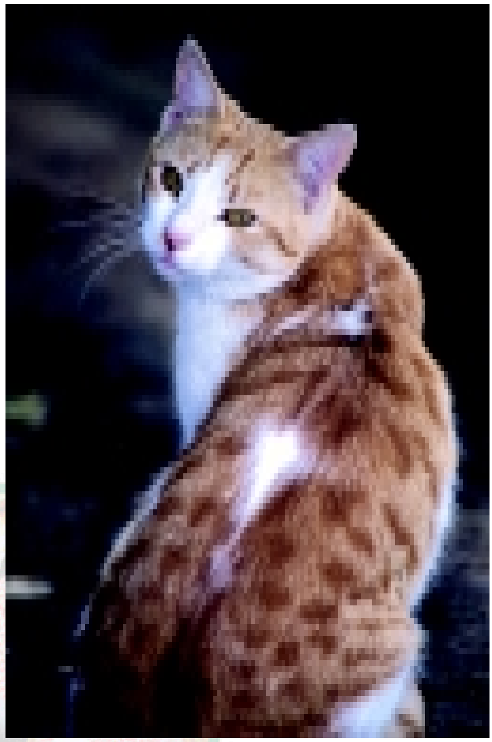
ويتشابه تركيب العين ووظيفتها في جميع أنواع الثدييات. والبصر حاسة مهمة جداً، خصوصاً للثدييات العليا التابعة لرتبة الرئيسيات كالقرود والغوريلا. ويمكّن تركيب العين في هذه الأنواع من رؤية بصرية عالية أثناء النهار، مع القدرة على تمييز الألوان، أما أنواع الثدييات الأخرى، فالنشط منها نهاراً هو أقل من الرئيسيات تمييزاً للألوان، أمّا معظم الأنواع الأخرى فليس لها القدرة على تمييز الألوان. والثدييات الليلية المعيشة يعطي تركيب أعينها القدرة على الإبصار الجيد في الظلام، إذ تكون العيون واسعة ولها حاجز خلفي عاكس، وهو الذي يعطي البريق الذي يراه الإنسان إذا نظر إلى عين قط أو ظبي في الظلام.

ولمعظم الثدييات حاسة لمس قوية حيث تنتشر أعصاب اللمس على كل



الخفاش، من الثدييات الطائرة

جسم الحيوان، ولكنها تتكثف في بعض المناطق مما يعطي هذه المناطق قدرة عالية على الإحساس باللمس. فالشوارب التي تحيط بفم القط والكلب والفأر، في قواعدها كثير من أعصاب اللمس مما يساعد الحيوان على تحديد طريقه بها في الظلام. أما حيوانات الخُلْد وحفار الأرض الفضي، فلها ذيل شديد الحساسية تجاه اللمس يساعدها على التراجع إلى الخلف في الظلام داخل جحورها الملتوية الأنفاق. وكذلك تحتوي أصابع الرئيسيات



وجه لقط يوضح الشعيرات اللمسية الطويلة الشديدة الحساسية

على تركيز من أعصاب اللمس يُكسبها حساسية شديدة.

ويرتبط الذكاء في الثدييات بالقدرة على التعلم. فأثناء التعلم يجمع الحيوان معلومات معينة يخزّنها في ذاكرته ويستخدمها بعد ذلك لكي يتصرف التصرف المناسب. ونظراً لوجود القشرة المخية في الثدييات، فإن قدرتها على التعلم أعلى كثيراً من قدرة أنواع الحيوانات الأخرى. وإن كان من الصعب جداً قياس درجة الذكاء في الثدييات، فإن الشمبانزي والكلاب والدلافين يمكنها أن تتعلم بسرعة إذا دربها إنسان على شيء معين لتتعلمه. وهذه الأنواع تعدّ من بين أكثر الأنواع ذكاء في الثدييات. وتعطي مساحة سطح المخ، خاصة القشرة المخية، دليلاً على القدرة على التعلم. فكلما زادت هذه المساحة، زادت قدرة الحيوان على التعلم. ففي الثدييات التي تتمتع بقدر عال من الذكاء، وقدرة جيدة على التعلّم، تكون القشرة المخية كبيرة ذات ثنيات كثيرة، مما يزيد من مساحتها السطحية كثيراً. وللإنسان قشرة مخية أكثر تطوراً مما هي عليه في أي مخلوق آخر.

غذاؤها وحركتها

معظم الثدييات من الأنواع العاشبة التي تعيش على النباتات. ومادتها النباتية بوجه عام خشنة غنية بالألياف مما يجعلها تسبب تآكل الأسنان باستمرار، وقد تغلبت على ذلك بعض الأنواع العاشبة، مثل البقر والفيلة والخيول بأن جعل الله أسنانها ذات تيجان مرتفعة تتآكل ببطء شديد جداً. وهناك أنواع مثل الجرذان والقنادس وغيرها من القوارض، تنمو قواطعها باستمرار حتى تعوض الجزء المتآكل منها أولاً بأول. وهناك عدد أقل



ظبي العفري يتغذى بالنبات

من الثدييات آكلة اللحوم التي تتغذى بافتراس حيوانات أخرى، أو بالجِيَف، وهذه الحيوانات سريعة العدو ويمكّنها ذلك من اللحاق بفرائسها، فتمسك بها وتغرز فيها أنيابها المذبّبة الطويلة القوية ومخالبها المنحنية الحادة فتمزقها. وبعض هذه الأنواع، مثل الأسد والفهد والذئب، لا تمضغ لحم فرائسها جيداً بل تبتلع قطعاً كبيرة كاملة منه. كذلك تُمسك عجول البحر أو الفقمات والدلافين وغيرها من الثدييات البحرية آكلة الأسماك فرائسها بأسنانها ثم تبتلعها كاملة. أما الأنواع التي تعيش على الجِيَف وبقايا فرائس الحيوانات الأخرى، مثل الضباع، فإنها متكيفة مع ذلك النوع من الطعام، ولها فك بالغ القوة يُمكنها من تحطيم أي شيء حتى العظام الكبيرة. وهناك عدد من أنواع الثدييات آكلة للحشرات، مثل الخفافيش والزبَّابات، ولهذه الأنواع أسنان رفيعة مدببة تمكنها من تقطيع جسم الحشرة وسلخ الأجزاء الخارجية الصلبة منه، مما يكشف الأجزاء الطرية والسوائل التي تتغذى بها هذه الثدييات. وهناك أنواع من آكلة الحشرات لها أسنان ضعيفة جداً، أو ليس لها أسنان أصلاً، فهي تلعق الحشرات بألسنتها الطويلة اللزجة وتبلعها دون مضغ، ومثالها آكل النمل وخنزير الأرض أو أبو ذقن الأفريقي وأم قرفة أو آكل النمل الحرشفي وقنفذ النمل (من الثدييات البدائية)، وكلها أنواع

تتغذى بالنمل أو الأرضة. وهناك أنواع من الثدييات مختلطة التغذية، أي تأكل الأعشاب واللحوم معاً. ولهذه الأنواع أسنان تمكنها من قضم النباتات وطحنها، كما تمكنها من تمزيق اللحوم أيضاً، من هذه الأنواع الدببة والخنازير والأوبوسوم، وبعض هذه الأنواع يُغيِّر نوع غذائه موسمياً، فالظربان المنقط، مثلاً، يتغذى أساساً بالثمار والبذور والحشرات في فصل الصيف، وبالفئران والجرذان في فصل الشتاء.

وتعيش معظم أنواع الثدييات على اليابسة، أي أنها أنواع أرضية، وهي تسير على أربع قوائم: اثنتين أماميتين واثنتين خلفيتين. وتمشي برفع إحدى القائمتين الأماميتين ونقلها خطوة. يلي ذلك رفعها للقائمة الخلفية التي في الجانب المقابل وتنقلها خطوة، ثم ترفع القائمة الأمامية الأخرى ثم القائمة الخلفية التي في الجانب المقابل وهكذا. وإذا رغب الحيوان في زيادة سرعته فإنه يمشي خبَباً أو يهرول، وذلك بسرعة رفع إحدى القوائم الأمامية مع القائمة الخلفية التي في الجانب المقابل معاً ونقلهما خطوة، ثم رفع القائمة الأمامية الأخرى والقائمة الخلفية التي في الجانب المقابل لها ونقلهما خطوة وهكذا.

وهناك بعض الأنواع مثل الإبل والأفيال والزراف لا تمشي خبَباً بالطريقة السابقة، ولكن ترفع قوائمها الأيامن أو



حركة الثدييات



حركة الحيوان

الأياسر معاً ثم تتبعها القوائم الأخرى وهكذا تعدو بسرعة، وهو نوع آخر من العدو إلا أنه أسرع من النوع الأول. وكذلك تفعل الخيول والدواب عندما تريد زيادة سرعتها. وفي السرعة القصوى يقفز الحيوان قفزات سريعة متلاحقة لا يلمس الأرض خلالها إلا بقائمة واحدة فقط في كل مرة. وأحياناً تكون جميع القوائم الأربع في الهواء غيرَ مُلامِسَة للأرض.

وهناك أنواع من الثدييات الأرضية التي تتحرك بالقفز مثل اليربوع والكنغر وفأر الكنغر. وهذه الأنواع تتميز بقوائم خلفية قوية وذيل قوي يساعدها على القفز المتلاحق، أما القوائم الأمامية فهي عادة قصيرة ضعيفة.

وهناك أنواع من الثدييات الأرضية التي تعيش في الغابات الكثيفة وتقضي معظم وقتها فوق الأشجار. هذه الأنواع الشجرية تتكيف أجسامها تركيبياً مع طبيعة الحياة فوق الأشجار بما يسهل عليها الحركة بينها وخلالها. فالقرود، مثلاً، يمكنها أن تتعلق بأغصان الأشجار بأياديها وأرجلها معاً، أي بقوائمها الأربع.

وهناك أنواع من القرود لذيلها خاصية الالتفاف كالحلزون، تَلَفه حول فروع الأشجار ليساعدها على التعلق والانتقال

من فرع إلى آخر، أو من شجرة إلى أخرى. ومن أنواع الثدييات الشجرية الأخرى التي لها هذا الذيل القابض الأوبوسوم وبعض أنواع الكيسيات المتسلقة والفلانجر الاسترالي وشيهم جنوب أمريكا وبعض أنواع آكل النمل وحيوان أم قرفة أو آكل النمل الحرشفي والكنيكاجو الأمريكي. أما السناجيب وزبابات الشجر فلها مخالب حادة معقوفة تساعدها على تسلق الأشجار بكفاءة تامة. وتبلغ مخالب الكسلان حداً من الطول ودرجة الانحناء يجعله لا يستطيع المشي قائماً على الأرض. ولذلك فإن هذا الحيوان الثديي يقضي معظم حياته متعلقاً بفروع الأشجار في وضع مقلوب، وتبلغ درجة إمساك مخالبه بفروع الأشجار حداً من القوة يجعله متعلقاً بفرع الشجرة حتى بعد موته.

أما الثدييات المائية من الحيتان والدلافين وعرائس البحر وبقر البحر فإن أجسامها انسيابية التركيب لتلائم الحركة المرنة في المياه، وذيلها قوي جداً كي تستخدمه للاندفاع في الماء بتحريكه بسرعة إلى أعلى وإلى أسفل وقد تحورت أطرافها الأمامية إلى زعانف مجدافية الشكل تساعدها على حفظ توازنها في الماء والتحكم في اتجاهاتها، وليس لها قوائم خلفية. وهناك أنواع أخرى من الثدييات لا تقضي كل وقتها فيه مثل الأنواع السابقة، ولكنها تقضي جُلَّ وقتها في الماء مثل الفظ وفرس النهر وخنزير الماء. و تتحرك هذه الأنواع في الماء



الأطوم (عروس البحر)

بتحريك قوائمها الأمامية والخلفية. وهناك أنواع أخرى لها قدرة عالية على السباحة في الماء والبقاء فيه، مثل بعض أنواع عجول البحر أو الفقمات ذات الفراء وأسد البحر والدب القطبي والبلاتيبوس ذو منقار البطة، وهو من الثدييات البدائية البيوضة لا الولودة، وهي تتحرك في الماء وتسبح فيه باستخدام أطرافها الأمامية أساساً. وهناك بعض الأنواع التي تسبح باستخدام قوائمها الخلفية فقط مثل: القنادس وعجول البحر أو الفقمة ذات الفرو.

والخفافيش هي المجموعة الوحيدة من بين أنواع الثدييات التي يمكنها الطيران في الهواء. وتتكون أجنحتها من جلد رقيق يمتد فوق عظام الطرف الأمامي إلى الطرف الخلفي، وقد يستمر إلى الذيل في بعض الأنواع. وتطير الخفافيش بتحريك أجنحتها إلى أعلى وإلى أسفل، ثم إلى الأمام وإلى الخلف. وهناك أنواع من الثدييات يشار إليها عادة بالثدييات الطائرة، مثل الليمور الطائر والفلانجر الطائر والسنجاب الطائر. والحقيقة أن هذه الأنواع لا تطير، بل تنزلق من شجرة إلى أخرى، لأن لها غشاء جلدياً رقيقاً يمتد بين الطرف الأمامي والطرف الخلفي على كل جانب من جانبي الجسم وهذه الأغشية الجلدية، عند فردها وتمددها، تكاد تكون مثل الأجنحة فتساعدها على الانزلاق في الهواء من شجرة إلى أخرى، تماماً كما تفعل الطائرات الشراعية المعروفة.

وهناك بعض أنواع الثدييات الصغيرة التي تقضي معظم حياتها في أنفاق تحفرها تحت سطح التربة، مثل الخُلد وحفار الأرض الفضيِّ وغيرها. ولهذه الأنواع أطراف أمامية قوية جداً ومخالب قاسية شديدة، ومعظمها ضعيف البصر، وبعضها أعمى تماماً. ويلاحظ في تركيب حيوان الخُلد أن طرفه الأمامي مقلوب بحيث تتجه كفوفه العريضة إلى الخلف ويتجه مفصل الكوع إلى الأمام. وله عضلات صدرية قوية ترتبط بالطرفين الأماميين مما يتيح له أن يتحرك داخل التربة بسهولة كأنه يسبح في الماء.

وتدخل بعض أنواع الثدييات في بيات أو سبات شتوي، لتتجنب خطر نقص الطعام خلال هذا الفصل البارد. فتتغذى هذه الأنواع جيداً خلال فصل النشاط، وتختزن في أجسامها كمية كافية من الدهون، ثم تلجُ في جحر أو غور مع دخول فصل الشتاء، وتتعطل حركتها وتبدأ في سبات عميق، لا يمكن إفاقتها منه بسهولة، فتنخفض درجة حرارة أجسامها إلى ما يقارب درجة حرارة الهواء

المحيط بها، وينخفض معدل تنفسها ونبضها بشكل ملحوظ، كما ينخفض معدل أيضها أيضاً. وتعيش خلال تلك الفترة على استهلاكها البطيء للدهن المختزن في أجسامها، ثم تعود إلى النشاط من جديد، وتصحو من سباتها مع قرب انتهاء الشتاء وبداية دفء الجو وتوافر الطعام. ومن أنواع الثدييات التي تسبت شتوياً الليمور ذو الذنب الدُّهني وأنواع من الخفافيش والقوارض مثل النضَّاض أو قنفذ النمل، والسنجاب الأمريكي المخطط الصغير، والمرموط، والسنجاب الأرضي، وغيرها. وهناك أنواع من الخفافيش التي تسبت يومياً أثناء النهار وتنشط أثناء الليل، ويسمى هذا النوع من السبات بالسبات اليومي.

ومن أنواع الثدييات الكبيرة التي تسبت شتوياً الدببة، وقد كان العلماء يعتقدون أنها لا تسبت شتوياً لأن درجة حرارة أجسامها تظل مرتفعة في الشتاء ولا تنخفض إلا قليلاً. وتسمى هذه الحالة أحياناً البيات الشتوي. ويبدو أن سبب عدم انخفاض درجة حرارة أجسامها كثيرا كما في الحيوانات الصغيرة، يعود إلى كبر أجسامها التي لا تفقد الحرارة بالقدر الذي تفقده بها الثدييات ذات الأجسام الصغيرة.

وهناك عدد قليل من أنواع الثدييات تدخل في أوقات ارتفاع درجة الحرارة إلى أشدها، خلال فصل الصيف، في نوع من السبات الصيفي تسمى التصيُّف لتحمي نفسها من الجفاف والتأثيرات الضارة لدرجات الحرارة المرتفعة. ومعظم هذه الأنواع أيضاً من القوارض التي تقطن المناطق الصحراوية الحارة، كالسناجيب الأرضية.

تناسلها

تتكاثر جميع أنواع الثدييات جنسياً، إذ يخصب الحيوان المنوي الذي يفرزه الذكر البويضة، أي المشيج الأنثوي الذي تفرزه الأنثى، لتكوين اللاقحة التي تنقسم انقسامات خلوية متلاحقة، وينمو ويتشكل مكوناً جنيناً كامل التكوين داخل رحم الأنثى. ولا يلبث أن يخرج الجنين، بعملية الولادة، بعد كمال تكوينه واستعداده لممارسة الحياة منفصلاً عن الأم. ولجميع ذكور الثدييات عضو خاص، هو القضيب، يتولى توصيل الحيوانات المنوية إلى داخل المهبل في الأنثى.

ويحدث التزاوج في جميع أنواع الثدييات عندما تكون الأنثى في حالة شبق، أي في الدورة النزوية، حيث تكون

الأنثى في ذلك الوقت مهتاجة جنسياً ومستعدة لتلقّي الحيوانات المنوية لإخصاب البويضة فيها.

ويختلف موعد حدوث الدورة النزوية باختلاف أنواع الثدييات. فهناك أنواع كثيرة من الثدييات، خاصة في المناطق المعتدلة المناخ، تحدث الدورة النزوية في إناثها خلال أي وقت من العام، وهذه الإناث متعددة الدورات النزوية، مثل الرُبَّاح أو البابون والفيلة والزراف وكثير من أنواع الثدييات المستأنسة. أما في المناطق المتغيرة المناخ، فإن الدورة النزوية أو حالة الشبق تحدث للإناث خلال وقت معين فقط من العام، يسمى موسم التزاوج. ويأتي هذا الموسم في وقت تكون الظروف البيئية فيه أكثر مناسبة للصغار عند ولادتها لكي تبقى حية وتنمو. وهناك أنواع من الثدييات ذوات الدورة النزوية الموسمية، تحدث لها الدورة النزوية مرة واحدة خلال موسم التزاوج، وذلك كما في أنواع معينة من الخفافيش والدببة والظباء. وهناك أنواع أخرى تحدث لها الدورة النزوية أكثر من مرة خلال موسم التزاوج، مثل بعض أنواع الفئران والأرانب التي يمكنها أن تلد أكثر من مرة خلال موسم التزاوج.

ومعظم أنواع الثدييات الصغيرة لا ترتبط إناثها بذكر معين، بمعنى أنه لا رابطة تربط بين الذكر والأنثى، إذ يبقيان معاً فقط بالقدر الذي يكفي لحدوث الاتصال ثم ينفصل كل منهما متوجهاً إلى حال سبيله. وهناك أنواع أخرى يسيطر فيها الذكر حيث يجمع عدداً من الإناث الخاصة به، ويبقى معها خلال موسم التزاوج، ويقوم بتلقيحها جميعاً، وتنتهي الصلة بينه وبين هذه الإناث بانتهاء موسم التزاوج، كما في عجول البحر ذات الفراء والأيل الأمريكي. وفي أنواع كثيرة من الثدييات يبقى الذكر مع الأنثى لفترة زمنية بعد التزاوج. وبوجه عام هناك عدد قليل جداً من الثدييات التي يظل الذكر والأنثى فيها مرتبطين أحدهما بالآخر طيلة العمر، ويعتقد علماء الحيوان أن من بين هذه الأنواع القنادس والذئاب ونوع صغير من الظباء يسمى ظبي الدِقْدِق من ظباء شرق إفريقيا.

ويمكن تقسيم أنواع الثدييات إلى مجموعات ثلاث من حيث طريقة تكوّن الأجنة فيها من البيضة المخصبة، هذه المجموعات هي ذوات المشيمة أو المشيميات، وذوات الجراب أو الجرابيات، وأحادية المسلك أو المخرج.

تشمل أنواع مجموعة المشيميات معظم الثدييات، وهي تلد أجنة كاملة التكوين. وفي هذه المجموعة تبدأ البيضة المخصبة الانقسام والنمو والتشكُّل داخل رحم الأنثى، مكونةً الجنين الذي يرتبط بجدار الرحم بتركيب نسيجي ناقل يسمى المشيمة، وهي التي يحصل بها الجنين على غذائه من الأم، وإليها ينقل فضلاته أيضاً.

والمدة التي يستغرقها الجنين لتمام تكوينه تسمى فترة الحمل. ويتراوح طول فترة الحمل في أنواع الثدييات المشيمية بين ١٦ يوماً عند الهامستر الذهبي، وهو نوع من القوارض الصغيرة يشبه الجرذ، و٧٠٠ يوم عند الفيلة. وكلما كانت فترة الحمل قصيرة كان الجنين المولود قليل الحيلة ضعيفاً عارياً من الشعر وربما كان أعمى، ويحتاج إلى رعاية خاصة من الأم حتى يقوى على مجابهة الحياة. أما الأجنة التي تمكث في أرحام أمهاتها لفترة حمل طويلة فهي تولد عادة جيدة التكوين مبصرة يكسوها الشعر، ويمكنها ممارسة حياتها بعد فترة قصيرة من الولادة، وأحياناً بعد الولادة مباشرة، إذ إنّ منها ما يستطيع أن يمشي أو أن يجري بعد دقائق من ولادته.

أما ذوات الجراب أو الجرابيات فإن إناثها تلد أجنة دقيقة الحجم جداً ضعيفة التكوين، أي غير مكتملة التكوين. وبعد الولادة مباشرة تلقم الأجنة حلمات أثداء أمهاتها، التي توجد عادة داخل جيب خاص فوق المعدة في منطقة البطن، ويظل الجنين في الجيب ملتقما حلمة ثدي أمه حتى يكتمل تكوينه فيخرج من الجيب ليمارس حياته. وهناك قليل من الأنواع التابعة لهذه المجموعة ليس لها هذا الجيب البطني، مثل بعض الأنواع في أمريكا الجنوبية.

وهناك حوالي ٢٤٠ نوعاً من الجرابيات، معظمها يعيش في أستراليا والجزر المحيطة بها. ومن بين جرابيات أستراليا الكنغر ودب الكوالا والوومبات، الذي يشبه دباً صغيراً، وهناك بعض أنواع الأوبوسوم من الجرابيات تعيش في أمريكا الوسطى والجنوبية، ومنها نوع واحد يعيش في أمريكا الشمالية.

أما وحيدة المسلك أو المخرج فهي مجموعة الثدييات البدائية التي لها مخرج واحد هو مخرج القناة الهضمية ومخرج البول والمخرج التناسلي، وهذه الثدييات، تبيض ولا تلد على عكس جميع الثدييات، ولبيضها قشرة جلدية، وبعد فترة حضانة يفقس البيض وتخرج منه الصغار. وهذه المجموعة تضم البلاتيبوس أو ذا منقار البطة والنضناض

أو قنفذ النمل، وتعيش في أستراليا وغينيا الجديدة وتاسمانيا.

وتتغذى جميع صغار الثدييات فور خروجها إلى الحياة باللبن الذي تفرزه أمهاتها من أثدائها. وتحصل صغار ثدييات المشيميات والجرابيات على اللبن رضاعة بمص حلمات أثداء أمهاتها. أما إناث أحادية المسلك البدائية فليس لأثدائها حلمات بل توجد ثقوب يسيل منها اللبن فتلعقه الصغار التي خرجت من البيض. ويختلف طول فترة الرضاعة باختلاف الثدييات، ففي الأنواع الصغيرة، مثل



أنثى الرباح (البابون) وصغيرها

الفئران والأرانب وغيرها، لا تستمر فترة الرضاعة سوى عدة أسابيع يُفطم بعدها الصغار، أما الثدييات الكبيرة فتطول فترة الرضاعة عن ذلك، حتى إنها تستمر لعدة سنوات في الفيلة ووحيد القرن. وعادة يمكن للصغار أن تأكل طعاماً صلباً قبل أن يتم فطامها بمدة.

وأثناء فترة الرضاعة تعلم الأم صغارها كيف تحصل على طعامها، وكيف تتقي شر أعدائها وتحمي نفسها منها. وفي معظم أنواع الثدييات تتولى الأم وحدها رعاية صغارها، ولكن هناك بعض الأنواع التي يشارك فيها الذكر الأنثى رعاية الصغار، فذكور بعض أنواع الفئران تساهم في بناء الجحر للصغار، ويحضر ذئب الكويوت الأمريكي والكلب البري الإفريقي الطعام للأم وجرائها في جحرها، وكذلك يحمي الأسد أنثاه وأشباله في عرينها من هجمات الذئاب والأسود الأخرى. وفي أنواع الثدييات الصغيرة، مثل الفئران والزبابات، تترك الصغار الجحر بمجرد فطامها وتستقل بحياتها، أما في الذئاب والفيلة والفهد الصياد (الشيتا) وكثير غيرها من الأنواع فتبقى الصغار في رعاية أبويها لمدة طويلة، بعد فطامها، قبل أن تستقل بحياتها.

حياتها الاجتماعية

هناك أنواع من الثدييات التي تعيش في قطعان تضم عدداً كبيراً من الأفراد، وأصغر هذه القطعان، يتكون من ذكر وأنثى وصغارهما كما في القنادس وبعض أنواع القردة. وتضم القطعان الكبرى، مثل قطيع الذئاب، عدداً من الأفراد البالغة ومن الصغار من كلا الجنسين ذكوراً وإناثاً. وهناك نوع آخر من القطعان، يمثله قطيع الحمار الوحشي المخطط، يتكون القطيع فيه من ذكر واحد وعدد من الإناث وصغارها.

وفي كثير من قطعان الثدييات يترتب أعضاء القطيع ترتيباً سيادياً، إذ تحصل النوعيات السائدة في القطيع على حاجتها من الطعام ومن الإناث أولاً، وتحصل - في أول الأمر- على السيادة في القطيع بانتصارها في معارك مع النوعيات الأخرى الراغبة في السيادة؛ وعليها - بعد ذلك- أن تحافظ على سيادتها في القطيع بتخويفها للأنواع الأخرى وإبقائها باستمرار تحت مظلة التهديد.

وهناك فوائد جمة لنمط الحياة الجماعية للثدييات، ففي المفترسات، مثل الذئاب والأسود وذئاب الكويوت، يتعاون أفراد القطيع معاً على الإيقاع بالفريسة والتغلب عليها. وفي الوقت نفسه يفيد هذا النمط أيضاً مجتمع الفرائس؛ فإذا لاحظ أحد الظباء أو الأيائل مثلاً اقتراب عدو، فإنه يُحذِّر



قطيع من المها العربي

أفراد القطيع بإظهاره الجزء الأبيض الداخلي لذيله والتلويح به لأفراد القطيع، فتنطلق جميعها هاربة قبل أن يمسك العدو بأي منها. وفي بعض القطعان، مثل قطعان الرُبَّاح أو البابون وثيران المسك، يتجمع أفراد القطيع في تشكيل دفاعي للحماية من خطر الأعداء المفترسة.

وهناك أنواع من الثدييات تعيش أفرادها منفردة، مثل معظم أنواع العائلة السنورية أو عائلة القطط ما عدا الأسد، وحتى في هذه الأنواع يعيش الحيوان مع نوعه خلال فترة من العام، فيعيش الذكر مع الأنثى خلال فترة التزاوج، كما تبقى الأم مع صغارها خلال فترة رعايتها لها حتى تستقل بحياتها.

ولنمط الحياة الفردي أيضاً مميزاته على نمط الحياة الجماعي، فالحيوان المفترس المنفرد لا يشاركه أحد في فريسته، كما يسهل عليه الحصول على فريسة من دون أن يلاحظه قطيع الفرائس، وبالمثل فإن الفريسة المنفردة يمكن أن تبقى دون أن يلاحظ وجودها الأعداء، بخلاف كونها في قطيع يسهل رؤيته.

ومما يميز سلوك الثديات تحديد مناطق السيادة والنشاط، حيث يسيطر أحدها أو مجموعة منها على منطقة تحددها لنشاطها وتدافع عنها، ولا تسمح لأي أفراد أخرى من النوع نفسه بالاقتراب منها أو دخولها. وكثير من أنواع الثدييات إنّما تفعل ذلك في مواسم التزاوج. فمثلاً يحدد ذكر الفقمة ذو الفرو منطقة لنشاطه قبل موسم التزاوج، ويحاول جمع أكبر عدد من الإناث فيها، ويطرد جميع ذكور الفقمة منها، ويمنع دخول أي ذكر من نوعه إلى منطقة سيادته خلال موسم التزاوج. وفي أنواع أخرى من الثدييات، مثل قرود الجيبون والقرود العاوية الأمريكية، تُتخذ منطقة السيادة لتضمن للقطيع الكمية الكافية من الطعام.

وتحدد أنواع الثدييات مناطق سيادتها بوسائل مختلفة. فالضباع مثلاً تحددها بوضع بعض فضلات الجسم الصلبة، والروائح التي تفرزها من غدد خاصة، على حدود المنطقة وعلى الأشياء البارزة فيها، أما قطيع الذئاب فيستخدم البول لذلك، وهذه العلامات هي تحذير قاطع لأفراد النوع نفسه من دخول هذه المنطقة المحددة أو الاقتراب منها، وتدافع أنواع الثدييات عن مناطق سيادتها بالتهديد أكثر مما تدافع بالعراك أو القتال الفعلي، فقطيع القرود العاوية الأمريكي يمنع القرود العاوية الأخرى من دخول منطقته بالوقوف والعواء لتهديدها، فتمتنع.

وهناك أنواع كثيرة من الثدييات لا تحدد لنفسها مناطق للسيادة، ولكن معظم الأنواع، حتى تلك التي لا تحدد لأنفسها منطقة سيادة، تحدد لنفسها منطقة نشاط تتجول فيها بحثها عن الطعام والشراب والمأوى. وعلى عكس منطقة السيادة لا تدافع هذه الأنواع عن مناطق نشاطها لمنع الأفراد الأخرى من أنواعها من الدخول إليها.

يعيش عدد من أنواع الثدييات بافتراس حيوانات حية، لذلك فهي تحتاج إلى وسائل هجومية فعَّالة للإمساك بفرائسها، كما تحتاج هذه الفرائس أيضاً إلى وسائل فعالة للدفاع عن نفسها للمحافظة على بقائها، وتعتمد المفترسات من الثدييات على أنيابها وأسنانها الحادة لتمسك بالفريسة وتمزقها، ومعظم هذه الأنواع المفترسة لها أيضاً مخالب حادة تستخدمها في الإمساك بفرائسها. وتعمد الأنواع التي تصطاد منفردة إلى الكمون لفرائسها وانتظار مرورها، يساعدها في ذلك تشابه لون فرائها مع مكونات البيئة المحيطة مما يجعل رؤيتها صعبة، ومتى اقتربت الفريسة، فإنها تنسل خلسة من مكمنها وتطاردها، مستغلة صدمة الفريسة من هول المفاجأة، فتنطلق بسرعة كبيرة لتلحق بها وتثب عليها وتمسك بها قبل أن تسنح لها أي فرصة للفرار.

أما الأنواع التي تصطاد في مجموعات، فعادة تتناوب العدو خلف فريستها حتى تنهكها وتسقط، كما يحدث مع الذئاب والكلاب البرية الإفريقية.

وتتخلص الفرائس عادة من المفترسات بالفرار عدْواً. وكثير من أنواع الظلفيات، كالظباء والإمبالا، يمكنها أن تعدو بسرعة مسافة طويلة حتى تهرب من أعدائها. أما الثدييات الصغيرة، مثل كلاب البراري والسناجيب الأمريكية، فإنها تلجأ مسرعة إلى جحر أو شَقّ لتختبئ فيه من عدوِّها فلا يستطيع أن يصل إليها. وأحياناً تتمكن الفرائس الصغيرة من النجاة من المفترسات بتوقفها وبقائها ساكنة في أماكنها، كما تفعل الأرانب وصغار الظباء، وكثيراً ما تنفع هذه الطريقة لأن أغلب المفترسات تعتمد في صيدها على الرؤية ومتابعة الفريسة أثناء تحركها. وبعض أنواع الفرائس، مثل الأوبوسوم الأمريكي، يتظاهر بالموت ويسكن تماماً ويرخي عضلات جسمه، لأن كثيراً من المفترسات تهمل الفرائس الميتة ولا تعيرها اهتماماً.

وهناك بعض الفرائس لها تراكيب جسمية خاصة تقيها من شر المفترسات، مثل الدرع العظمي على حيوان المُدرَّع، والحراشيف القرنية التي تغطي جسم حيوان أم قرفة أو آكل النمل الحرشفي،

وهي تحميها من تأثير مخالب المفترسات الحادة. ويؤدي الجلد السميك للفيلة ووحيد القرن الوظيفة نفسها. وكذلك الأشواك على جلود الشياهم والقنافذ كفيلة بوقايتها من شر أعدائها. ويدافع الظربان برش سائل منتن كريه الرائحة في وجه عدوّه الذي يحاول افتراسه، مما يجعله لا يفكِّر مرة ثانية في مثل هذه المحاولة.

ولمعظم الفرائس جلود ذات ألوان شبيهة بألوان مكونات المواطن التي تعيش فيها، مما يخفيها عن أعين أعدائها من المفترسات. وقد يتغير لون الجلد في الكبار عنه في الصغار بحيث يكون في الصغار شبيهاً بالوسط الذي تعيش فيه ليحميها من المفترسات. وقد يتغير بتغير الوقت من السنة كما في الأرانب القطبية والثعالب الفضيّة، التي يكون لون فرائها في الشتاء أبيض ناصع البياض ليشابه لون الثلوج المحيطة، أما في الربيع فيضرب إلى اللون البني حتى تختفي بين الصخور والأحجار.

الهجرة

يهاجر كثير من أنواع الثدييات هجرة موسمية لتأمين أفضل المصادر لطعامها، أو لتتجنب الظروف المناخية الصعبة، أو للهدفين معاً. وهناك بعض أنواع الثدييات التي تهاجر إلى مناطق معينة للتزاوج أو لوضع أولادها، فمثلاً تهاجر حيوانات التيتل الإفريقي أو النو، وكذلك الحمير



الطائر الأسود الجناح

الوحشية المخططة، في إفريقيا الوسطى خلال فصل الجفاف إلى حيث تجد الغذاء الأخضر. وتهاجر خفافيش شمال أمريكا إلى الجنوب كل خريف، نظراً لنقص الحشرات التي تتغذى بها خلال فصل الشتاء القارس البرودة في تلك المناطق. ويعيش أيل الإلك الأمريكي خلال فصل الصيف على سفوح الجبال العالية في كندا وغربي الولايات المتحدة الأمريكية، أما في الشتاء فإنه ينزل إلى الأودية حيث تقل كمية الثلوج المتساقطة ويتوافر الغذاء، وفي كل خريف تهاجر الحيتان الرمادية من مواطنها التي يتوافر فيها طعامها في المنطقة القطبية الباردة، إلى المياه الدافئة على السواحل الشمالية الغربية للمكسيك، حيث لا يتوافر لها طعامها ولكنها تهاجر إليها لتضع حملها لأن الحيتان المولودة لا يمكنها تحمل برد المناطق القطبية، لذلك تهاجر أمهاتها إلى المياه الدافئة لتضعها هناك حتى تتوافر لها فرصة أفضل للحياة والبقاء، ثم تهاجر الأم وصغارها عائدة إلى مواطنها وقد اشتد عودها وأصبحت قادرة على تحمل ظروف البرد القاسية هناك.

تصنيف الثدييات

تضم طائفة الثدييات ١٨ رتبة هي:

رتبة وحيدات المسلك أو الثدييات البدائية. وهي ثدييات بدائية بيوضة غير ولودة، وأثداؤها بلا حلمات، وتوجد الأسنان في الصغار فقط أما الحيوانات البالغة فلها منقار قرني. وتضم الرتبة ثلاثة أنواع من قنافذ النمل والبلاتيبوس أو ذي منقار البطة.

رتبة الجرابيات. تولد أجنتها ناقصة التكوين، وتستكمل تكوينها متعلقة بحلمات أثداء أمهاتها داخل جيب خاص في معظم الأنواع. وقد يختفي هذا الجيب في عدد قليل من الأنواع. تضم الرتبة حوالي ٢٤٠ نوعاً من الكنغارو والكوالا والوومبات والأوبوسوم.



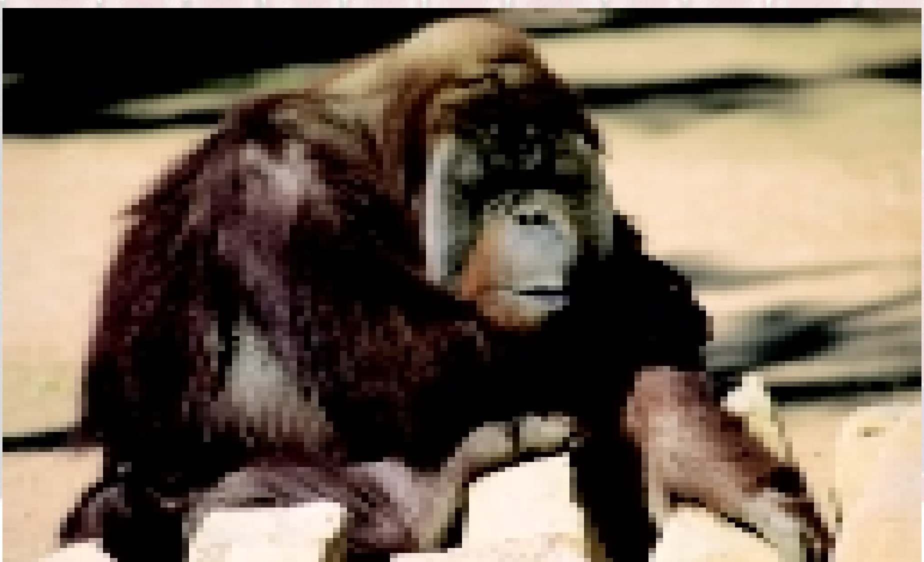
الكنغر، من الحيوانات الجرابية

رتبة آكلات الحشرات. ثدييات صغيرة ذوات أسنان متكيفة لتقطيع أجسام الحشرات التي تتغذى بها، ومعظم الأنواع ذو خطم مذبب، وقدم ذات خمسة أصابع، وتضم الرتبة حوالي ٤٠٠ نوع من زبابات الفيل والزبابات، والقنافذ، والخُلد.

رتبة الليمور الطائر أو جلديات الأجنحة. وهي ثدييات آسيوية تقطن الأشجار، لها أغشية جلدية شبيهة بالجنيحات تمتد بين الطرفين الأمامي والخلفي على كل من جانبي الجسم تساعدها على الانزلاق في الجو بين الأشجار وتضم نوعين فقط من الليمور الطائر.

رتبة الخفاشيات أو الثدييات ذوات الأيدي الجناحية. وهي الثدييات الوحيدة التي لها القدرة على الطيران الحقيقي حيث تحورت أيديها أي أطرافها الأمامية إلى أجنحة جلدية. وتضم الرتبة حوالي ٨٩٥ نوعاً من الخفافيش.

رتبة الرئيسيات. معظم الأنواع التابعة لها من قاطنات الأشجار. أطرافها الأمامية أو الأيدي ذوات خمسة أصابع، وكثير من أنواعها له في يده إبهام، وفي قدمه أصبع كبير قادر على القبض على الأشياء وفروع الأشجار، وتضم الرتبة حوالي ١٦٥ نوعاً منها الغوريلات والقرود والليمور.



الغوريلا

رتبة الدرداوات أو عديمات الأسنان. وهي ثدييات عديمة الأسنان، أو لها طواحن أو أضراس فقط. طرفها الأمامي متكيف للحفر أو للتعلق بفروع الأشجار. وتضم الرتبة حوالي ٣٠ نوعاً من آكلات النمل والمُدرَّع والكسلان.

رتبة ذوات الحراشيف القشرية. وهي ثدييات عديمة الأسنان، وجسمها مغطى بحراشيف قشرية قرنية، وتنمو بينها شعيرات قليلة. وتضم الرتبة ثمانية أنواع من آكل النمل الحرشفي أو أم قرفة.

رتبة الأرنبيات. وهي ثدييات صغيرة لها زوجان من القواطع العليا. وليس لها أنياب، والضروس أو الطواحن بلا جذور والذنب قصير أو معدوم. وتضم الرتبة حوالي ٦٠ نوعاً من الأرانب البرية والأرانب والبيكا.

رتبة القوارض. وهي ثدييات صغيرة قارضة ماضغة، لها زوج واحد من قواطع إزميلية الشكل في الفك العلوي، ليس لها أنياب، وتضم الرتبة حوالي ١٦٩٠ نوعاً من القنادس والسناجيب الأمريكية (الجوفر) والفئران والشياهم والجرذان والسناجيب.

رتبة الحيتان. وهي ثدييات مائية ذوات أجسام انسيابية وأطراف أمامية زعنفية مجدافية. ليس لها أطراف خلفية، وذيلها منبسط أفقياً. والمنخاران على قمة الرأس، وتضم الرتبة نحو ٨٥ نوعاً من الحيتان والدلافين وخنازير البحر.

رتبة آكلات اللحوم. معظمها آكلات لحوم، لها مخالب وأنياب قوية كبيرة، وتضم الرتبة نحو ٢٨٥ نوعاً من الدببة والسنانير والراكون وبنات عرس والذئاب ومنها الفقمات والفظ . ولكن بعض العلماء يفصلون الفقمات والفظ في رتبة مستقلة لأنها مائية المعيشة وذات تركيب جسدي مختلف.

رتبة خنزير الأرض. تضم نوعاً واحداً من الثدييات الحافرة آكلة النمل هو خنزير الأرض، ذو الخطم الخنزيري الشكل واللسان الطويل اللزج.

رتبة الخرطوميات. وهي حيوانات ثديية ضخمة سميكة الجلد، تحور فيها الأنف والشفة العليا إلى خرطوم، وقواطعها العليا تحولت إلى أسنان طويلة ضخمة. تضم الرتبة نوعين من الفيلة: الفيل الإفريقي والفيل الآسيوي.

رتبة الوبريات. وهي ثدييات صغيرة ذوات مخالب حافرية وذنب قصير، وتضم الرتبة ١١ نوعاً من الحيوانات ذات الأوبار.



الوبر

رتبة الظلفيات (شفعية الأظلاف). وهي ثدييات مزدوجة الحافر أو الأظلاف، لها أصبعان أو أربعة أصابع في كل قدم، ويمر محور الرجل في منتصف الأظلاف. وتضم الرتبة حوالي ١٧٠ نوعاً منها الظباء والأيائل والبيسون (الجاموس البري) والإبل والزراف والأغنام والوعول وأفراس النهر والخنازير وغيرها.

ثدييات الجزيرة العربية

شهدت الجزيرة العربية خلال العصور السابقة التي توالت عليها تغيرات جيولوجية ومناخية أدت إلى تنوع كبير في الكائنات الحية التي تعمرها. فقد كانت الجزيرة العربية في بعض الفترات الزمنية الماضية أكثر رطوبة مما هي عليه في الوقت الحاضر، وخلال تلك الفترات تكوّن عدد من البحيرات في صحراء الربع الخالي وصحراء النفود، وتعددت الأودية الكبيرة، وقد أدى هذا إلى نمو غطاء نباتي متنوع وفر البيئة المناسبة لكثير من الحيوانات الفطرية المختلفة الأحجام والأنواع.

وقد دلت الدراسات الحفرية على وجود أنواع كثيرة من الحيوانات الفقرية لا تعيش حالياً على أرض الجزيرة

رتبة بقر البحر. وهي ثدييات مائية ذوات أطراف أمامية زعنفية مجدافية، ليس لها أطراف خلفية، وخطمها منبسط. وتضم الرتبة خمسة أنواع من عرائس البحر وبقر البحر الأمريكي.

رتبة الحافريات (وَتْرية الأظلاف). وهي ثدييات من ذوات الحافر، لها أصبع واحد أو ثلاثة أصابع في كل قدم، ويمر محور القدم خلال أصبع القدم الوسطى، وتضم الرتبة حوالي ١٥ نوعاً، منها الخيول ووحيد القرن والتابير.



وحيد القرن



الفيل

العربيــة، منها الزراف والفيــلة ووحيد القرن وأفراس الـنهر والحمر الوحشـية والتماسيح والسلاحف. وكذلك دلت علـى وجود عدد مـن أنواع النبـاتات والأعشاب الطويلة الفطرية، مما يدل على تكوين إقليم يشــبه إلى حد كبير إقليم السفانا، أو الأعشاب الطويلة المعروف في المناطق المدارية اليوم.

ولكن الفترة المطيرة الأخيرة لم تستمر لزمن طويل، إذ لم يلـبث المناخ بعدها أن أخذ في التغير والتحول إلى الجفاف فـأدى ذلك إلـى جفـاف الـبحـيرات والأودية، وموت كثير من أنواع الأشجار والحشائش، وتدني كثافة الغطاء النباتي وقلـة تنوعـه، وهلاك كثـير من أنواع الحيوانات، خاصة الكـبيرة الحجم التي لم تستطع التكيف تكيفا يلائم الظروف المناخية الجديدة. وانقرض عدد من أنواع الحيوانات الـفطرية في الجزيـرة العربية خلال الـعصـر الجليـدي الأخيـر بعد انحساره شمالاً، وقد حدث الانقراض تدريـجياً، وشمـل أنواعاً متـعددة من الثدييات الكبيرة، مثل الخنازير الوحشية الأفريقيـة وأنواع من وحيد القـرن، ثم



الأسد



الفهد

تلا ذلك الخيول البرية والضباع المنقطة ثم الجمل البري والفيلة وأفراس النهر. وهكذا أدت التغيرات المناخية غير الملائمة إلى تتابع انقراض أنواع من هذه الحيوانات كانت تجوب أنحاء الجزيرة العربية، ولم يسلم من أثر تلك الفترة المناخية القاسية، التي ما تزال مستمرة حتى وقتنا الحاضر، إلا عدد قليل من أنواع الحيوانات التي تمكنت من الانعزال في ملاذات وفرت لها بيئة مناسبة صالحة للبقاء والاستمرار، كالمناطق الجبلية العالية، مثل النمر العربي في جبال عمان، والنمر العربي والوعل في مرتفعات جبال الحجاز في غرب الجزيرة العربية، وجبال عُمان.

وهناك عدد من الأنواع التي استطاعت أن تتكيف مع التحول الذي حدث في المناخ، وتمكنت بذلك من التغلب على ظروف الجفاف، مثل الذئاب والثعالب وأنواع من الظباء والقطط البرية ومن غير الثدييات أنواع متعددة من الطيور والزواحف والمفصليات والحشرات.

وخلال القرنين الماضي والحالي انقرض من حيوان الجزيرة العربية الأسد والحمار الوحشي والكبش البري والنعام والمها العربي بحالته الفطرية. وكان الفهد آخرها انقراضاً من سهول الجزيرة العربية الشمالية في بداية السبعينيات من القرن الميلادي الحالي.

الثدييات آكلة اللحوم

الثدييات آكلة اللحوم أربع عوائل، هي القطية والكلبية والضبعية والعرسية. وفي كل عائلة منها عدد من الأجناس والأنواع. ويجمع بين أجناس وأنواع هذه العوائل جميعها أنها وحشية غير مستأنسة، تعيش على اصطياد فرائسها. وقد تكيفت للعيش في أصعب الظروف البيئية. ونذكر الحيوانات مرتّبين العوائل وأنواعها وفقاً لنسبة وجودها في الجزيرة العربية.

العائلة القطية (السنورية)

في هذه العائلة القط البري، وقط الرمال والوشق والنمر والفهد والأسد. وتمتاز أفراد هذه العائلة بأجسامها فهي رشيقة متطاولة، وأطرافها قوية متوسطة الطول، وأقدامها عريضة سميكة، وأطراف الأصابع هي التي تمس الأرض عند المشي، وعدد الأصابع خمسة في الأطراف الأمامية، وأربعة في الأطراف الخلفية. ومخالبها حادة تنكمش داخل أغماد. وتمتاز الجمجمة بقصر الخطم، ومحجر العين كبير، والفكان قويّان، والقواطع صغيرة، أما الأنياب فكبيرة مخروطية الشكل مدببة. وحاسة السمع قوية، وهي التي تساعد الحيوان على الاهتداء إلى الفريسة، وحاسة الشم ضعيفة.

تستوطن أفراد هذه العائلة مناطق العالم، عدا أستراليا وبعض الجزر البحرية. ويعيش على أراضي الجزيرة العربية في الوقت الحاضر أربعة أنواع من السنانير، هي القط البري (التفه)، وقط الرمال، والوشق أو عناق الأرض، والنمر العربي. أمّا الأسد فيعتقد بأنه انقرض منها في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، والفهد يعتقد أنه انقرض منها في نهاية السبعينيات من القرن الميلادي الحالي.

التُّفَّــة. وهو القط الــبري ويسمــى الهر البري، والسنور البري، والخيدع، والخيطل، والضيّون، والثفا. والأنثى قطة والجــمع قطاط وقططــة. وكنيته أبــو خــداش، وأبــو غــزوان، وأبــو شماخ. والــقط البري حيوان صــغير الجســم، وقد يكــون أكبر أو أصــغر قليلاً من القط الأليف. جسمه مغطى بشعر ناعــم كثيف، وخطمه قصــير، وعيناه كبيــرتان متجهتان إلى الأمام، والأذنان مذببتا النهاية، وخصلة الشعر فــي طـــرف الأذن لا تــتجــاوز ٥ مليمترات. الأطــراف متطاولة وراحة الأقدام عارية من الشعر، واللون العام للجسم رمادي مغبر، أو رمادي مصفر مع بقع خــفيفة وسط الجهة الــظهرية معتمة وخاصة الجهة الخلفية، والجهــة البطنية تميل إلى البياض، ويكسو الذيل شعر كثيف عــلى نصفه الطرفي أربع أو خمــس حلقــات مسودة، ونهــاية الذيل سوداء.



القط البري (التفة)



القط البري

قال عنه الدميري: وكل من السنور الأهلي والبري له نفس غضوب، يفترس ويأكل اللحم الحي. ويناسب الإنسان في أمور منها أنه يعطس ويتثاءب ويتمطى ويتناول الشيء بيده. ويضرب به المثل في سرعة الاختطاف فيقال «أثقف من سنور»، والثقف هو الأخذ بسرعة. وقالوا «كأنه سنور عبدالله»، يضرب لمن لا يزيد سناً إلا زاد نقصاناً وجهداً. وفيه قال بشار بن برد:

أبا مخلف ما زلت نباح غمرة
صغيراً فلما شبت خيّمت بالشاطي
كسنور عبدالله بيع بدرهم
صغيراً فلما شب بيع بقيراط

يتغذى القط البري بالقوارض كالفئران والجرذان، والزواحف كالحيات والسحالي، والحشرات.

تبدأ فترة التزاوج في شهر فبراير وتكون الحيوانات في هذه الفترة مزعجة تصدر أصواتاً عالية، وتتراوح مدة الحمل ما بين ٥٥و٨٠ يوماً تلد الأنثى بعدها ما بين ١ إلى ٦ أدراص (أولاد) والمعدل أربعة، ويرجح أنها تحمل أكثر من مرة في السنة. ويقول الدميري: «وتحمل الأنثى في السنة مرتين ومدة حملها خمسون يوماً».

الوشق أو عَناق الأرض. قال الدميري: العناق دابة من السباع أكبر من القط البري بقليل، وجمعها عنوق. وهو العنِزَة بكسر النون وفتح الزاي، ومن أسمائها أيضاً (التُّمبَلة) بضم التاء ثم فتح الباء، والغنجل وجمعه غناجل. وقد جاء في كتب السلف أنه أيضاً التفه بضم التاء وتشديد الفاء المفتوحة، وقد تخفف. ولعلهم خلطوا أو هكذا عرف عندهم، والحقيقة أن التفة يطلق على القط البري والقط الرملي وهما نوعان من نفس العائلة لكنهما أصغر حجماً من الوشق ويعيشان أيضاً في الجزيرة العربية. وقد وصفه الناشئ في أبيات منها:



عناق الأرض

حلـو الشـمائل فـي أجفـانه وطـف
صافي الأديم هـضيم الكشـح ممسود
فـيـه مـن الـبـدر أشبـاه تـوافـقـه
مـنهـا لـه سفـع فـي وجهـه سـود
كـوجـه ذا وجـه هـذا فـي تـدوره
كـأنـه منـه فـي الأجـفان مـعـدود
لـه مـن الليـث نـابـاه ومخـلـبـه
ومن غـرير الـظبـاء النحر والجيد
إذا رأى الصـيد أخفـى شخصه أدبـاً
وقـلبـه باقـتـناص الـصـيد مـزؤود

وهو من الحيوانات التـي تعيش في المناطق الصحراوية في جنوب غرب آسيا والجزيرة العربـية وأفريقيا. ويعيش في بيئـات مختلفـة، مثل الجبال والـوديان ويفضل المناطق الـبعيدة عن التجمعات السكنية والمناطق المأهولة.

ويشبه عَنَـاق الأرض القط الكبير، أو النمـر الصغيـر، فالوجه مـستدير، والعـينان صـفراوان، وتنـتهي الأذنـان بخصلة شعر طـولها من ٥ إلى ٦سم، وهي علامة مميزة له ولذلك يطلق عليه أهل السودان أم الريشات. وفروه قصير، لونه رملي أو محمر يميل إلى الرمادي، مع لون قاتم على سطح صيوان الأذن، والصيوان قـصير صغير مقارنـة بحجم الحيوان، وقد أعطاه الفكان القويان وجهاً عريضاً مستديراً، جعلت هذه الصـفات من عناق الأرض حيوانـاً مشابهاً للنمر الصغير، لذلك يخطىء كثير من الناس في تحديد هويته.

يعيش الوشق في مناطق عديدة من الجزيرة العربية، خاصة في جبال الحجاز واليمـن وعمان. وهو يـفضل المناطـق الجبلية حيث يعيش في الشقوق والجحور الآمنة ولا يأتي الوديان إلا قليلاً، ويتغذى بالقوارض والطيور والوبران وصغار الظباء والماعـز وربما الضـعيف والـهزيل مـن كبارهـا. ينشط خلال الـليل والنهـار، ونشاطه في الصيف خلال الليل فقط. وعناق الأرض صياد مـاهر، قادر على صيد الطـيور عندما تهم بـالطيران، أو عندما تأتي لشرب الماء، ويستطيع تسلق الأشجار وأخذ الـطيور من أعشاشهـا؛ يقول أحمد بن طاهر يصف مهارته في الصيد:

ويـل نـبـات الأرض مـن لـعـوب
اذا اغـتدت بـصـاحب مـصـحـوب
عـاصٍ عـلـى الملام والـتـأنـيـب
فـأشـرفـت من جـانـبـي كـثـيـب

إلى أن يقول:

وانـدفـعت كـالـفـرس الـيـعـبـوب
وخـفـيـت كـالـقـاتل المـطـلـوب
وظـهـرت كـالـطـالـب الـقـريـب
فـرجـعـت بـثـعلـب مـسـحـوب

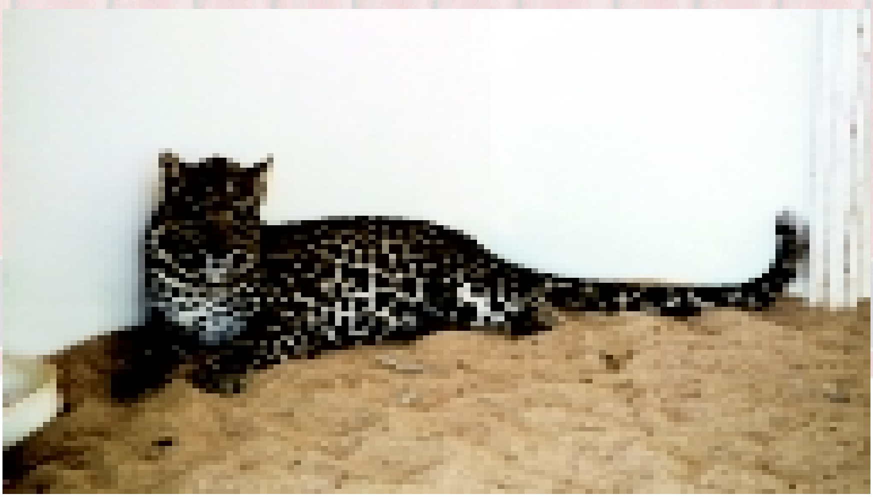
وأتبعت بأرنب مجنوب
أريبة تأوي إلى أريب

ويمكن لعناق الأرض أن يعيش على القليل من الغذاء، ولا يحتاج إلى الماء لفترة طويلة، حيث يأخذ من فرائسه ما يحتاج إليه من الماء.

يتزاوج عناق الأرض خلال فصل الربيع، وتلد الأنثى من ٢ إلى ٣ صغار، بعد فترة حمل تتراوح بين ١٠ و ١١ أسبوعاً، ويعمر الحيوان حوالي ١٧ سنة تقريباً.

النمر العربي. هو ضرب من السباع عند العرب، يشبه الأسد إلا أنه أصغر منه جرماً. ويجمع على أنْمُر ونُمُر ونمور ونِمار وأنمار، ويقال للأنثى نمرة وجمعها نمرات. وسُمِّي نمراً لأنه أنمر أي مرقط، ومن أسماء النمر الأبرد والأنثى أبردة، ويقال له العُسبر والأنثى عسبرة. ويوصف صوته إذا غضب وصاح بالتزمجر، ويقال لصوته في نومه الخرخرة والهرير والغطيط، وكنيته أبو الأبرد وأبو جعدة وأبو جهل وأبو خطاف وأبو الأسود وأبو الصعب وأبو رقاش وأبو سهل وأبو عمرو وأبو المرسال. وكنية الأنثى أم الأبرد وأم رقاش.

وقد اشتق العرب من لفظ النمر أسماء وأوصافاً عديدة، فيقال للفرس الذي في جسمه بقعة بيضاء أو من لون آخر: فرس أنمر، وأنمار حي من خزاعة، والنسبة إليه أنماري، والنمِرة شملة أو بردة فيها خطوط وألوان مختلفة يلبسها الأعراب، والنمير الماء الكثير، ونمر



النمر العربي

الرجل وتنمّر إذا تنكر وغضب، لأن النمر لا تلقاه أبداً إلا متنكراً غضبان، وتدل هذه الحالة على الرجل السيئ الخلق.

والنمر معروف بحدة الطبع، وتجهم الوجه، وشدة الغيظ، والشراسة وقوة البأس، ولذلك وصفوا به من تخلق بأخلاقه، فقالوا في الرجل إذا اشتد غضبه: لبس جلد النمر؛ قال عوف بن عطية يفتخر بشدة بأس قومه في الحرب:

ونلبس للعدو جلود أُسْد
إذا نلقاهُمُ وجلود نمر

وقال أبو جندب الهذلي:

وتُقْطَع بيننا رحمٌ إذا ما
لبسنا للكماة جلود نمر

ويرى العرب أن منزلة النمر من السباع في المرتبة الثانية من الأسد.

ينتشر النمر في أفريقيا وجنوب آسيا حيث تعيش منه عدة أنواع في البيئات التي تتدرج من الغابات ذات الأشجار الكثيفة إلى المناطق الصحراوية القليلة النباتات، وقد أدى التنوع الكبير في البيئات التي يعيش فيها النمر إلى حدوث اختلافات في حجم الجسم، وأشكال البقع على الجلد. وهذه الاختلافات كبيرة واضحة في بعض المناطق المعزولة، مثل الجزيرة العربية التي تتميز النمور فيها بلونها الترابي وبالبقع السود المفتوحة التي تشبه الورد على جوانب الجسم. كذلك يتصف النمر بصغر جسمه إذ لا يزيد طوله عن ١٣٠سم، فهو أصغر من النوع الأفريقي الذي يبلغ طوله ١٨٠سم. ويقول الدميري: وهو صنفان، صنف عظيم الجثة صغير الذنب وبالعكس، وكله ذو قهر وقوة وسطوات صادقة ووثبات شديدة. وقد يكون صغر الجسم، وتنوع الغذاء، والحذر الشديد الذي يتصف به، ووعورة البيئة التي يعيش فيها، من أهم عوامل بقاء النمر العربي في شبه الجزيرة العربية طوال تلك المدة.

ومن الأسباب الأخرى التي ساعدت على بقاء النمر العربي قدرته على تحمل العطش، فهو يكتفي بقليل من الماء، وقد يعتمد كلية على ما يتوافر من الماء في فرائسه، وكذلك قلة احتياجه إلى الغذاء، فقد وجد أن النمر البالغ يستطيع أن يعيش على ٣ كيلوجرامات فقط من الغذاء على الرغم من أنه يتجول لمسافة قد تصل إلى ٢٥ كم في الليلة الواحدة.

وما زال النمر العربي يعيش بأعداد قليلة في المرتفعات الغربية والجنوبية الغربية من المملكة، وفي مناطق قليلة من جبال الحجاز. كما يعيش أيضاً في المناطق الجبلية من اليمن وسلطنة عُمان ودولة الإمارات العربية المتحدة. وقد كان

مستوطنا في المناطق الوعرة من أعالي الجبال حيث تكثر فرائسه، ولكن أعداده تناقصت تناقصاً شديداً لاستمرار قتل الأهالي له.

ويقتل أهالي المناطق الجبلية النمر إما دفاعاً عن النفس، أو بسبب مهاجمته للحيوانات المستأنسة أو للحصول على شحمه الذي يستعمل في الطب الشعبي علاجاً للروماتزم، كما يبيعون جلده بثمن غال، لرغبة الكثيرين في شرائه.

يعيش النمر في مقاطعات يحميها من الحيوانات الأخرى، ويحددها بعلامات مميزة واضحة، مثل: رش البول أو خدش الأشجار، أو حرث التربة بمخالبه، أو مسح الوجه أو الأعضاء التناسلية في أمكنة بارزة منها، وهو يتجول فيها بطيئاً باستمرار لحمايتها ومعرفة الفرائس فيها. وتختلف مساحة المقاطعة حسب درجة ثرائها بالفرائس. ولا يتحمل النمر مشاركة نمر آخر يعيش في مقاطعته. أو أيّ أنواع أخرى من الحيوانات فيها، وهو أعدى عدو للحيوانات، لا تروعه سطوة أحدها، وهو معجب بنفسه، فما أكثر أنواع الحيوانات التي يقتلها لمجرد دخولها إلى مقاطعته، مثل الضباع والقطط وأحياناً بعض الطيور، ثم يتركها فلا يأكلها.

وتتعرف النمور على وجود أفراد أخرى، بإصدار الأصوات، وهي أصوات تختلف من فرد لآخر، وكذلك بوجود الخدوش على الأشجار والأرض، ورائحة البول في المناطق الظاهرة. ويساعد إصدار الأصوات على تجنب المواجهة التي قد تكون خطرة خاصة في موسم التزاوج. وقد وجد أن التجنب الحذر أكثر من المواجهة. ومن طبيعة النمر الجثوم على مرتفع أو شجرة بارزة بحيث يمكن غيره مشاهدته بسهولة، ومن ثم تجنب منطقته، ولا تواجه النمور البالغة نموراً أكبر منها لذا تبتعد عن الموطن الذي يعيش فيه أفراد المجموعة. وقد يدفعها ذلك إلى مهاجمة الماشية والكلاب والحمير مما يغضب السكان، ويحملهم على ملاحقة هذه النمور وقتلها.

ويتغذى النمر بعدّة أنواع من الطرائد الكبيرة والصغيرة، وعلى الرغم من قدرته على قتل طرائد كبيرة، مثل الوعول والظباء وقرود البابون وغيرها، فإن معظم غذائه من الحيوانات الصغيرة، مثل الأرانب والوبران والقوارض والطيور. وقد وجد أنه يأكل أيضاً الثعالب والكلاب والجمال والماشية. ولا يعدو النمر خلف الفريسة مسافة طويلة، بل يكمن لها وينقض عليها من مسافة قصيرة، وقد

ينقض من شجرة أو صخـرة على ظهر الفـريسة، ويسـتخدم يده الـقوية ذات المخالب البارزة في الضربة الأولى، ثم يتبع ذلك بعض العنق عضة قويّة تخنق الفريسة، أما الفرائس الكبيرة فيلوي الرقبة بقوة حتى يكسرها. قال عنه الدميري: وهو نهوش خطوفٌ بعـيد الوثبة، فربما وثب أربعين ذراعاً صعوداً.

ويعتقد أهل البادية أن النمر عف لا يأكل الغنم، بل يأخذ الطرائد الكبيرة. ولكنه في الأزمان المتأخرة، بعد أن قلت الطرائد والحيوانات الفـطرية في المناطق التي يعيش فيها، اضطر إلى أكل طرائد أخرى كالثعالب والوبران وغيرها. وهناك حوادث عديدة يهاجم فيها الجمال والماشية ويفترسـها، فإن لم يصد فإنـه لا يأكل شيئـاً، ولا يأكل من صيد غـيره وينزه نفسه عن أكل الجيف.

كما يعتقد أهل البادية أن النمر سبع قوي لا يطيق أحداً في مقاطعته، خاصة في وقت جريته وهيجانه، أي في وقت تزاوجـه وتكـاثره، وذلـك في أواخـر الصيف وأوائل الشتاء مثل الجمال، وفي هذا الوقت لا يـقر له قرار، يمشي مـن جبل لآخر، ويعدّ هذا الوقت من أخطر الأوقات للقناصة، وإذا رماه القناص ولم يصبه، قفز عليه وقتله إن لم يكن حذراً، ويعتقد القناصة أن النمر يقفز على القناص -إذا رآه- مع انطـلاق الرصاص، ولذا فإن معظم الصيادين يخافون رميه لخوفهم منه، ويلجأون إلى الاختفاء عنه. وبعد انتهاء وقت الشتاء وموسم التكاثر، يقل خطر النمر لكنه يقف ولا يجفل أو يهرب ما دمت تنظر إليه. وهـو في ذلك مثل الرجـل الشهـم الحي الـذي لا يرضى بالتنازل أو الـنكوص، وينصحونك إذا قابلته وليس لك طريق أن تتغافل عنه، أو تصد إلـى جهة اليمين أو الـشمال، فعند ذلك يذهب ويفسح الطريق، وإذا لم تغفل عنه فإنه لن يتحرك عن مكانه. ويذكر أهل البادية كثيراً من حوادث القتل التي حدثت بسبب أن القناص رمى النمر وأخطأه، فانطلق النمر على الصياد مثل السهم فضربه. وهو يقتل بيده ويستخدم مخالبه، فيهشم الرأس والعظام.

ولكن أهل البادية يعـتقدون أن ثمة سبعاً أقوى من النمر، وهو مسلط عليه، هو الضبع، ويحكون أن نمـراً مر بجبل وصاد غزالاً أو شاة، ثم جلس بعد موتها استعداداً لأكلها، فجاء ضبع بعد أن شم رائحة الدم الذي ملأ جو المكان، اقترب من الطريـدة، فرفع النمر يده ليـضرب الضبع ويبعده عن طريدته، وعندما أشار النمر بيده ليضربه، تلقاه الضبع بعرتمته،

و(هي مؤخرة الرأس أو العلباة وهي مثل الصفاة لا يشقها شيء). ثم استدار الضبع عليه وحسك يده بأنيابه، وقف النمر على يده المكسورة، ورفع يده الأخرى ليضرب الضبع، فتلقاه مرة أخرى بعرتمته ثم حسك اليد الأخرى، فانكفأ النمر على يديه المكسورتين. وأقبل القناص الذي كان يراقب المنظر منذ بدايته من بعد، وقتل الضبع، وذكَّى الصيدة، ثم قطع يد الصيدة ويد النمر ويد الضبع، وحملها إلى عربه -منازله- وقال هذه ثلاث صيدات فأين صيدي؟ وأين صيد غيري؟ قالوا، الصيدة صيدة النمر، وأما النمر فصيدة الضبع.

ومعظم أهل البادية يعتقدون بشهامة النمر ونبله. ومن ذلك أن بعضهم، حتى وقت قريب، كان يأكل الطريدة التي يقتلها النمر، ويعتقدون كذلك أن النمر، من شهامته، يقدر ويحترم المرأة والطفل، ولا يعتدي عليهما، وإن أخذوا فريسته من تحت يده، ويقولون إن النمر لو قتل شاة للمرأة وأتت إليه وأخذت الشاة من تحت يده لا يردها، شريطة أن تعرض عنه ولا تنظر إليه، ولكن الرجل لا يمكن أن يفعل ذلك.

تتوالد النمور إذا توافرت لها الظروف المناسبة مثل الطعام والحماية، وهي تتزاوج خلال الشتاء. وعندما تصل الأنثى إلى مرحلة التزاوج تظهر عليها علامات الدورة النزوية أو الشبق، التي تتميز بكثرة رش البول والنداء المتكرر فيطلبها الذكور، وحالما ترتبط بذكر منها في المقاطعة تتم عملية التزاوج. وتستمر فترة الحمل حوالي مئة يوم، وتلد الإناث من جروين إلى ستة جراء عُمْيٍ قليلة الحيلة، غير قادرة على الحركة، وتفتح عيونها بعد مرور ستة أيام إلى عشرة، وتبدأ في أكل المواد الصلبة خلال شهرين، وتفطم بعد ثلاثة أشهُر. تبلغ النمور بعد عامين أو ثلاثة أعوام وتعيش إلى عشرين عاماً.

قط الرمال. قط صغير الجسم نسبياً يطلق عليه تفه السهل، له وجه عريض وأذنان كبيرتان عريضتان، ولون الجسم بشكل عام رملي باهت، والبطن والجهة الداخلية للأطراف تميل إلى البياض. راحة الأقدام مكسوة بخصلة من الشعر الطويل، وهناك خطان أو ثلاثة خطوط سود في منطقة المرفق. وهو من الحيوانات النادرة في المملكة، ويعيش في المناطق الرملية.

وتسمى في العديد من المناطق بالتفه، وهو اسم شائع في شمال الحجاز، وتسمى في بعض المناطق الشمالية بالقُرَطة بضم الراء وفتح الطاء. وقد أخذ هذا



قط الرمال

الاسم من سلوكها في افتراس كثير من الحيوانات، بخاصة الكبيرة منها مثل الماشية، وفي بعض الأحيان الجمال والحمير، حيث تختفي تحت الشجيرات التي تتغذى بها الجمال أو الماشية مثل نبات الشيرن، حتى يأتي الحيوان لأكل النبات، فتمسك بفمه أو أنفه بأسنانها، وتقرط عليه بشدة، ولا تتركه حتى يموت، أو تموت هي.

يتغذى قط الرمال بالحيوانات الصغيرة التي تعيش في بيئته الصحراوية، كالسحالي والطيور والقوارض الصغيرة. ويعتقد أنه يمكنه البقاء فترة طويلة دون أن يشرب الماء. ويتوالد عادة في فصل الربيع حيث تضع الأنثى من ٢ إلى ٣ أدراص (صغار).

الفهد. تسميه العرب فهداً وجمعه فهود والأنثى فهدة، والجرو يقال له الهوبر والأنثى هبيرة، ومن أسماء الفهد الكثعم، والكشيم، ويقال للأنثى كشمة.

كان الفهد حتى وقت قريب منتشراً في مناطق الأعشاب المدارية (السفانا) والأحراش والمناطق شبه الصحراوية في أفريقيا وجنوب غرب آسيا. وقد انحسر اليوم من مناطق انتشاره السابقة، عدا بعض المناطق المحمية أو المتنزهات الوطنية

التي تمتاز بوفرة فرائسه من الظباء، وكانت آخر معاقل الفهد في الجزيرة العربية في السهول الشمالية من المملكة، وفي مناطق المهرة بظفار حيث عاشت مجموعات قليلة. وكانت آخر مشاهدة للفهد في المملكة في عام ١٩٧٣م حيث قتل أحد الحيوانات قرب حائل كما شوهد آخر مرة في عُمان في عام ١٩٧٧م.

ويمتاز الفهد بأرجل طويلة، وصدر ضيق ضامر، ورأس صغير، وعينين لونهما برتقالي أو بني. وهو سريع الحركة، مجدول العضلات تصل سرعته إلى ١٢٠ كم في الساعة لمسافة غير طويلة، ويعدّ من أسرع الحيوانات الأرضية، ولكنه يتعب بعد أن يقطع بضع مئات من الأمتار. وله حاسة سمع شديدة يعتمد عليها في صيد فرائسه، أما حاسة الذوق لديه فهي ضعيفة، ويشبه صوته صوت القط. يصل طول الحيوان البالغ حوالي ١٦٠سم، وارتفاعه عند الكتف حوالي ٧٥سم، ويبلغ طول الذيل حوالي ٧٠سم، وقد يصل وزنه إلى ٦٠كجم.

ويشبه الفهد النمر في شكل جسمه لكنه يمتاز عنه بخط قاتم يمتد من ركن العين الداخلي حتى الشفة العليا. بالإضافة إلى صغر الرأس وطول الأرجل ورشاقة الجسم بشكل عام. والبقع السود في جلد الفهد مصمتة مفردة، أما في جلد النمر فهي مجموعة من النقط التي تكون بقعة واحدة مفتوحة.

يتغذى الفهد بالطرائد التي ترتاد السهول الغنية بالنباتات مثل الظباء



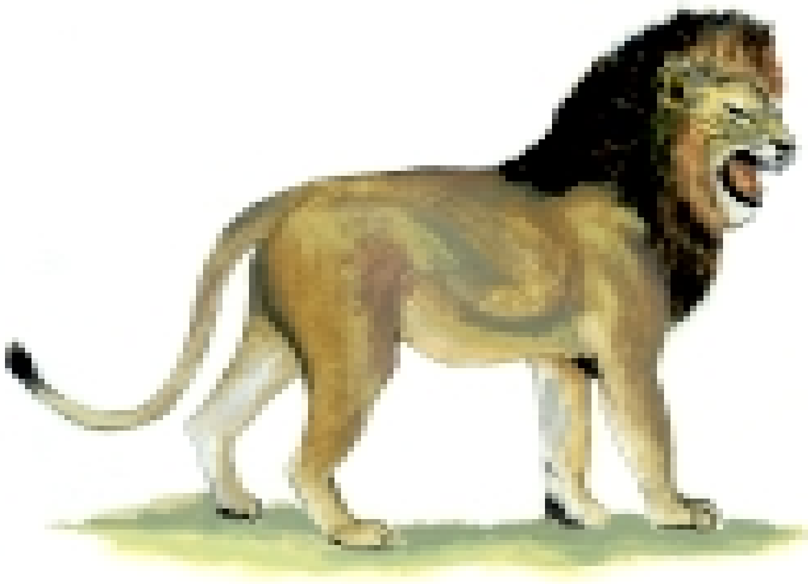
الفهد

والغنم والماشية، ويعتمد في أخذ فريسته على السير البطيء المتخفي، ثم المطاردة السريعة المفاجئة التي يحاول بها طرح الطريدة والقبض على رقبتها وخنقها حتى تموت، ويساعده في ذلك فكاه القويان اللذان يمكنانه من القبض بسهولة. وعادة يختار الإناث التي على وشك الولادة أو الصغار أو الضعاف التي لا تقدر على العدو بسرعة. وبعد أن يرتاح الفهد من عناء الجري السريع يلتهم معظم لحم الطريدة ثم يترك بقاياها ويغادر المكان. وغالباً ما يصطاد الفهد خلال ساعات الصباح الأولى وفي المساء، وأحياناً يصطاد ليلاً في ضوء القمر، ولا ينشط خلال ساعات اشتداد الحر عند منتصف النهار.

ويمكن أن يترك الفهد طريدته إذا نافسه عليها حيوان آخر أقوى منه، حيث شوهد في أوقات كثيرة تطرده عن فرائسه مفترسات أخرى أقوى منه، مثل الأسود والضباع والكلاب البرية الأفريقية.

والفهد معروف بكثرة نومه وتمدده وتغافله عما حوله، ويقال إنه يشبه الكلاب في حب النوم وإنه يأنس لمن يحسن إليه. وقد وصفت أم زرع زوجها بقولها «إن دخل فهد وإن خرج أسد، لا يسأل عما عهد». تعني بذلك وصف زوجها باللين والسكون إن كان معها في البيت، وأنه يغفل عن معايب البيت التي يلزم إصلاحها، فهي تصفه بالكرم وحسن الخلق لعدم سؤاله عن ذلك. وقد ورد في الأمثال «أنوم من فهد، وأوثب من فهد، وأكسب من فهد» وذلك لأن الفهود الهرمة التي تعجز عن الصيد لأنفسها تجتمع على فهد فتي فيصيد لها في كل يوم شبعها. وجاء ذكره في المثل الشعبي «أكل الفهود ولا أكل السنانير» أي أن أكون طعاماً للفهود خير من أن أكون طعاماً للسنانير وهي القطط.

يتم التزاوج في فصل الشتاء، وتقدر فترة الحمل بثلاثة أشهر، وتختار الأنثى مكاناً آمناً بين الأدغال أو تحت الشجيرات عند الولادة. وتلد من ٢ إلى ٤ صغار، تولد الصغار عُمْياً مكسوة بشعر طويل ذي ألوان زاهية على الأكتاف، ولها أعراف فضية جميلة، وتبقى الصغار مع الأم لمدة سنة تقريباً، ثم تبدأ في الاعتماد على نفسها للحصول على فرائسها. تعمر الفهود في الأسر إلى خمسة عشر عاماً لكنها قد لا تصل إلى هذا العمر في بيئتها الطبيعية.



الأسد

الأسد. سيد السباع له تقدير خاص عند الإنسان، ولذا ورد ذكره كثيراً في الأدب من نثر وشعر وقصص وأمثال. وذكر الدميري قول ابن خالويه: أنّ للأسد خمس مئة اسم وصفة، زاد عليها علي بن جعفر بن قاسم اللغوي مئة وثلاثين اسماً، فمن أشهرها أسامة وحيدرة والخادر والدواس وساعدة، وهي أسماء شائعة في بعض مناطق المملكة، والصمة أي الشجاع والسبع والضرغام والليث والهزبر والهمام والورد والقسورة والغضنفر والرئبال وعنبس والهرماس.

وتسمى أنثاه أسدة ولبؤة، ويقال لولده جِرو وجمعه جراء، وشبل وحفص، ويكنى الأسد أبا الحارث وأبا الأشبال وأبا حفص وأبا العباس وأبا فراس، ويوصف صوته بالزئير والنهيم والزمجرة.

تعيش الأسود في المناطق السهلية ومناطق الشجيرات الشوكية حيث فرائسها من الظباء والحمر الوحشية وغيرها من الظلفيات، مع توافر مصادر مياه الشرب، وكانت الأسود قديماً تعيش في جنوبي شرق أوروبا والشرق الأوسط والهند ومعظم أجزاء أفريقيا، ولكن استقرار الإنسان في هذه المناطق أدى إلى قتل أعداد كبيرة منها مما أدى إلى انقراضها من تلك المناطق عدا بعض أجزاء وسط

أفريقيا، وأعداد قليلة في غابة جير في الهند.

والأسد أكبر أفراد العائلة القطية وأقواها، وزن الذكر ١٧٠كجم تقريباً ويصل طوله من الرأس إلى نهاية الذيل إلى حوالي ٣م. والأنثى أصغر من الذكر جسما ووزناً إذ تزن ١٣٠كجم تقريباً، وهي أقصر من الذكر بحوالي ٣٠سم.

تمتاز الأسود بأنها الوحيدة من بين أنواع العائلة السنورية التي لذكورها لبدة تغطي الرأس والعنق إلى الكتفين، ويكتمل نمو اللبدة عند بلوغ الذكر الخامسة من عمره، ويوفر هذا الشعر أو اللبدة الحماية لعنق الأسد المعرضة للخطر أثناء الصراع مع الذكور الأخرى، بالإضافة إلى الهيبة التي يكسبها له للتأثير على خصومه وعلى الإناث.

يعيش الأسد حياة جماعية، وتضم المجموعة من ١٠ إلى ٢٠ فرداً، وقد تصل إلى ٣٥ فرداً. وتتكون الجماعة من ذكر إلى خمسة ذكور وعدة إناث وجراء وأشبال، وقد تتفرق الجماعة لكنها عندما تلتقي يحيي أفرادها بعضهم بعضا بحك الخد بالخد.

تعيش جماعة الأسود في مقاطعات منفصلة تكفل لها الغذاء والماء، وتعتمد مساحة المقاطعة الواحدة على عدد الفرائس التي تضمها، وقد تتسع إلى مساحة ٢٦٠ كم٢ في المناطق التي تشح فيها الفرائس. وتحمي الأسود المقاطعة بتعليم الأحجار والشجيرات بخليط من البول والرائحة الخاصة المميزة لتحذير الغرباء من دخولها، وكذلك بإصدار الأصوات، وقد تقتل الدخيل إذا تجاهل تلك التحذيرات، وتبقى الجماعة معاً لعدة سنوات ولكن قد تحدث بعض التغيرات في تركيبها من وقت لآخر، فعادة تُطرد الذكور عند بلوغها العام الثاني أو الثالث، وتبقى خارج الجماعة حتى تبلغ، وقد ينافس أحد المطرودين ذكر الجماعة البالغ ويحل محله في قيادتها.

وللأسد من الصبر على الجوع وقلة الحاجة إلى الماء ما ليس لغيره من السباع، وكان يظن أنه من شرف نفسه لا يأكل من فريسة غيره، وإذا شبع من فريسته تركها ولم يعد إليها، وهذا غير صحيح. وإذا جاع ساءت أخلاقه، وإذا امتلأ من الطعام ارتاض، ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب. وقد أشار إلى ذلك الشاعر بقوله:

وأترك حبها من غير بغض
وذاك لكثرة الشركاء فيه
إذا وقع الذباب على طعام
رفعت يدي ونفسي تشتهيه

وتجـتـنـب الأسـود ورود مـاء
إذا كـان الـكـلاب ولـغـن فـيـه

ويوصف الأسد بالشجاعة والجبن، فمن جبنه أنه يفزع من صوت الديك، ونقر الطست، ومن السنور، ويتحير عند رؤية النار، وهو شديد البطش ولا يألف شيئاً من السباع لأنه لا يرى فيها ما يكافئه.

وقد اشتهر الأسد عند العرب من بين سائر الحيوانات بالنبل، ولذا كُنِي حمزة بن عبدالمطلب # «أسد الله»، وقد كان شائعاً بين كثير من أهل البادية حتى وقت قريب نبل السباع عامة ولذلك يأكل كثير منهم فريسة السبع ولا يعدّونها ميتة. وقد ورد في الأمثال ما يدل على هذا المعنى فقيل «النهر يشرب منه الكلب والأسد» وقيل «الجوع يرضي الأسود بالجيف».

كما ضربوا المثل بالخوف من الأسد، يقول مجنون ليلى:

يقـولون لي يومـاً وقد جُبت حيَّهمُ
وفـي باطـني نـار يـشب لـهـيبـها
أما تـخـتـشي من أسـدنا فـأجبتـهم
هوى كـل نفـس أين حـل حبيـبها

وضربوا المثل أيضاً بأسد «الشرى» وهو طريق بسلمى كثيرة الأسد قال الفرزدق:

وإنَّ الذي يـسعـى يحـرش زوجتـي
كسـاع إلى أسد الـشرى يـستبـيلها

وقال الأشهب بن رُمَيْلة:

أسـود شَـري لاقت أسـود خَـفِـيّـة
تـساقـوا عـلى لـوح دمـاءَ الأساود

والشرى وخفيّة مأسدتان كانتا معروفتين.

ومن أمثال العرب في صفات الأسد قولهم: أكرم من الأسد، وأكبر من الأسد، وأجرأ من الأسد، وأشجع من الأسد، وأبخر من الأسد وذلك أن الأسد إذا أكل نهس من غير مضغ، وريقه قليل جداً، ولذا يوصف بالبخر وله نكهة قوية. قال أحد الشعراء يهجو داود بن بشر عندما وُلّي الولاية في فارس والأهواز:

قـد ولـي فـارس والأهـ
ـواز داود بـن بـشـر
ولـه لحـيـة تـيـس
ولـه مـنـقـار نـسـر
ولـه نـكـهـة لـيـث
خـالـطـت نـكـهـة صـقـر

وتتزاوج الإناث في السنة الثالثة أو الرابعة من عمرها، وتضع حملها بعد أربعة أشهر ونصف. تضع الأنثى من ٢ إلى ٥ أشبال في المرة الواحدة والأغلب من ٢ إلى ٣ أشبال. ونقل الدميري مما

يزعمه أصحاب الكلام في طبائع الحيوان أن الأنثى لا تضع إلا جروا واحداً تضعه لحمة ليس فيه حس ولا حركة فتحرسه كذلك ثلاثة أيام ثم يأتي أبوه بعد ذلك فينفخ فيه المرّة بعد المرّة حتى يتنفس ويتحرك وتنفرج أعضاؤه وتتشكل صورته، ثم تأتي أمه فترضعه ولا يفتح عينيه إلا بعد سبعة أيام من تخلقه فإذا مضت عليه بعد ذلك ستة أشهر كلف الاكتساب لنفسه بالتعليم والتدريب. وهي مزاعم لا أساس لها فالجرو يولد كامل التكوين غير أنه أعمى. وتولد الصغار عُمْياً لا تعتمد على نفسها، وتزن حوالي ١,٥كجم. وليس للأسود عرين ثابت، ولذا تحمل الأم صغارها بفمها لتنقلها من مكان لآخر، وقد تتعرض الصغار للافتراس، تفترسها الضباع والنمور أو الأسود الأخرى عندما تكون الأم بعيدة عنها. وتهتم الأنثى عادة بالصغار حتى سن الثانية من العمر، حين تصبح الصغار قادرة على الصيد بأنفسها.

عرف عن الأسود أنها تعمر من ١٥ إلى ٢٠ سنة، وقد تعمر مأسورة في حدائق الحيوان إلى ٢٥ عاماً. وقد انقرض الأسد كلية من الجزيرة العربية، ويعود سبب انقراضه إلى التغير في المناخ، فالأسد يحتاج إلى الماء باستمرار ولذلك كان آخر البيئات التي عاش فيها بعض أنحاء اليمن وبلاد ما بين النهرين، وقد ذكر بعض عرب الجنوب للرحالة داوتي خلال عام ١٨٨٠م أن الأسد كان موجوداً في بعض مناطق اليمن، ومن المحتمل أنه انقرض خلال تلك الفترة، فلم تتوافر أي معلومات عن وجوده بعدها. ولكن لانقراض الأسد في الثقافة الشعبية قصة أخرى، فقد زعموا أن الثعلب كان في خدمة الأسد فكان يجد من ذلك المشقة الكبيرة والعنت والإذلال، فأضمر أن يتخلص من ذلك بلطف الحيلة، فأعد مصيدة بأنشوطة حبل، وزعم له أنها مفيدة لصحة الجسد وتمرينه وتلطف بإغراء الأسد ليجربها فانخدع الأسد ووقع في المصيدة، ثم إنّ الثعلب أخذ يحقر الأسد، فلما بلغ منه الكرب مبلغه اشفقت عليه الفأرة فقرضت الحبل ثم سارت متبخترة تمنّ عليه أن أطلقته، فأقسم أن يغادر أرضا ضحك عليه فيها الثعلب المكار ومنّ عليه فيها الفأر.

العائلة الكلبية

من العائلة الكلبية الذئب وابن آوى والكلب والثعلب وأنواع أخرى مشابهة. وهي منتشرة في أنحاء العالم، والإنسان

أحد أسباب انتشارها في مناطق لم تكن تسكنها من قبل.

وتمتاز أفراد هذه العائلة بتكيفات متعددة، فالجمجمة مستطيلة، تحوي تجويفاً أنفياً كبيراً يدل على قدرة شم عالية، ويحوي الفم أنياباً طويلة قوية، وللأضراس الأمامية (الضواحك) أطراف حادة، أما الأضراس الخلفية (الطواحن) فسطح معد للتحطيم أو السحق، مما مكنه من تنويع الغذاء خلافاً للعائلة القطية المتخصصة في غذائها. ولها خمسة أصابع في أطرافها الأمامية، والأصبع الأول قصير، لا يصل إلى الأرض. ولها أربعة أصابع في الأطراف الخلفية. والأطراف طويلة في معظم الأنواع، وهي معدة للعدو، لأن بعضها تعتمد على السرعة في صيد فرائسها، ويعتمد بعضها على القدرة على متابعة الجري لمسافة طويلة. تصيد بعض الأنواع فرادى، وتعتمد أنواع أخرى على الصيد في جماعات وبذلك تكون قادرة على قتل فرائس كبيرة. وتتغذى أفراد العائلة بأنواع مختلفة من الطرائد، منها الفقريات والمفصليات وأنواع مختلفة من النباتات. ويمتاز عدد من أنواع هذه العائلة بأنها تُحسن انتهاز الفرص، وقد يكون هذا أحد أسباب بقائها.

ومن العائلة الكلبية في شبه الجزيرة العربية الذئب العربي وابن آوى والثعلب الأحمر وثعلب الرمال والثعلب الملكي.

الذئب العربي. وتسمّيه العرب بأسماء عديدة تدل على ارتباطه بهم وقربه منهم وإعجابهم به في قوته وقدرته ومداومة بحثه عن قوته. فمن أسمائه لحيف وأوس ويصغّر على أويس. قال الشاعر الهذلي:

ياليت شعري عنك والأمر عمم
ما فعل اليوم أويسٌ بالغنم

ومنها: السرحان والسِّيد والعسّال والأزل. ومنها أيضاً الخاطف والسمسام وذؤالة والعملّس والسلق. وكنيته أبو مَذقة لأن لونه كذلك، قال الشاعر:

حتى إذا جنَّ الظلام واختلط
جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

كما يكنى أبا جعدة، ومن كناه أيضاً أبو ثمامة وأبو جاعد وأبو رعلة وأبو سلعامة وأبو العطلس وأبو كاسب وأبو سبلة، ويقال للأنثى ذئبة وسلقة، وولد الذئب يدعى دغفل أو جرو، وتدّعي العرب أن الذئب يُنْجِب من الضبع ويُسمى الولد السمع، ويُسمى ولد الضبع من الذئبة عِسبار.

والذئاب واسعة الانتشار في العالم، وتختلف أحجامها وألوانها وأشكالها باختلاف مناطق انتشارها، فذئاب كندا



الذئب

وسيبريا أكبرها حجماً حيث تزن نحو ٨٠كجم، ويصل ارتفاع كتفها إلى ٨٠سم، وأصغرها تلك التي تعيش في الجزيرة العربية حيث يتراوح وزنها بين ١٦و ١٨كجم، ويصل ارتفاع كتفها إلى ٧٠سم، والإناث أصغر من الذكور حجماً . ولون الذئب في الغالب رملي فاتح وشعر ظهره أسود، أما البطن والأطراف فلونها يميل إلى البياض. وهناك اختلافات في اللون بين السلالات في المنطقة الواحدة، والسلالات في المناطق المختلفة، وتمتاز الجمجمة بطول الخطم وارتفاع الجبهة.

وينتشر الذئب العربي في مناطق الجزيرة العربية عدا الربع الخالي وأجزاء من صحراء النفود. والسلالة الموجودة في المناطق الجنوبية أصغر جسماً من السلالة التي تقطن المناطق الشمالية من المملكة. لأن السلالة التي تعيش في الشمال هي من أصول تعيش في تركيا والعراق وإيران وشمال الهند. والذئاب في الجزيرة العربية قليلة العدد، وهي

ليلية المعيشة، لا تخرج خلال النهار إلا نادراً، وتنشط خلال الليل في البحث عن غذائها. وتعيش في الكهوف والجحور أو تحت الصخور.

ارتبط الذئب بالإنسان منذ القدم، فهو يعيش في محيطه، ويعتمد عليه في الحصول على الغذاء عندما يشح في البراري، فيسطو على ماشيته، وقد يفترس الإنسان إن لم يجد غيره، أو وجده في قفر ليس لديه ما يحتمي به. يقول الله تعالى في قصة يوسف ﴿قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون، قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون﴾. (يوسف:١٣).

تعتمد الذئاب على حاسة الشم للحصول على فرائسها، فهي تشم من مسافة كيلومترين أو أكثر. والذئب في الجزيرة العربية إما أن يكون وحيداً، يعتمد على نفسه في الحصول على الغذاء، أو على شكل أزواج، ونادراً ما يكون في جماعات. وعندما يكون وحيداً يجول لمسافات طويلة قد تصل إلى عشرين ضعفاً مقارنة بتلك التي يغطيها الذئب الذي يعيش في جماعة، وهو في تجوله لا يترك أثراً يدل عليه ولا يسمع له عواء، كما يفعل الذئب الذي يعيش في جماعة.

ويضرب المثل بالذئاب في اليقظة والحذر من المباغتة، فيقال «أيقظ من ذئب»، ومما تزعمه العرب عن الذئب أنه ينام بإحدى عينيه ويترك الأخرى مفتوحة حتى لا يؤخذ على غرة. قال حميد بن ثور في وصفه في أبيات مشهورة:

ونمت كنوم الذئب في ذي حفيظة
أكلت طعاماً دونه وهو جائع
ينام بإحدى مقلتيه ويتقي
بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

وجاء في الأمثال «أغدر من ذئب» «وأخون من ذئب» «وأظلم وأكسب وأعق من ذئب». ويحكى أن أعرابية وجدت ذئباً صغيراً في الصحراء فأخذته وربته مع شياهها، فلما كبر أكل شاتها التي كانت تنتفع بها، فقالت في ذلك:

بقرت شويهتي وفجعت قلبي
وأنت لشاتنا ولد ربيب
غذيت بدرها وربيت فينا
فمن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء
فلا أدب يُفيد ولا أديب

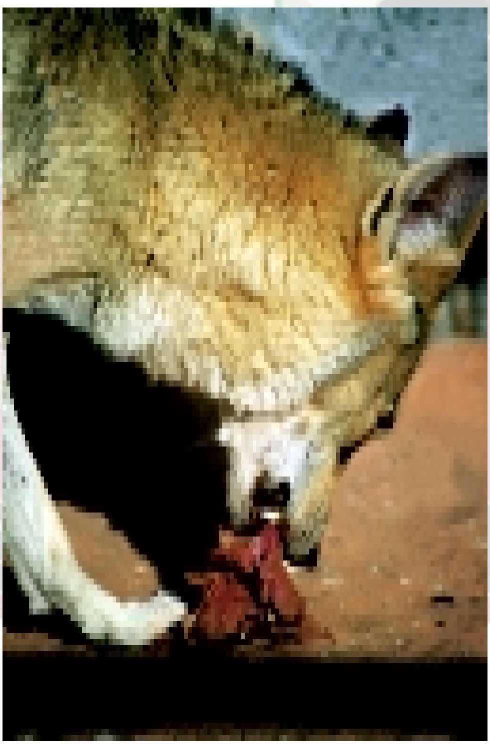
وقالوا في المثل الشعبي «الذيب ما يسرّح بالغنم».

تتغذى الذئاب بمعظم الحيوانات الفطرية الفقرية التي تستطيع صيدها،

وكذلك الماشية عندما تسنح الفرصة لها لذلك، ويعرف عنها قتل الثعالب. وخلال الشتاء قد تشكل جماعات للصيد فتهاجم حيوانات كبيرة مثل الحمير والخيل، ولا يعود الذئب إلى فريسة شبع منها إلا إذا اضطر إلى ذلك ولم يجد غيرها وجاع، ويعاود الذئب مكان فريسته -عادة- بعد ليلتين من افتراسها، لذلك عندما يهاجم قطيعاً من الأغنام، ويفترس شاة، فإن أصحاب القطيع يتركون شاة دون حراسة في الليلة التي يتوقعون عودته فيها، لتكون بمنزلة طعم له، حيث يتمكنون من قتله عند محاولته افتراسها.

وفي الوقت الحاضر حيث تندر الفرائس تحصل معظم الذئاب في الجزيرة العربية على غذائها من الترمم على الفضلات حول المدن ومن جثث الماشية والحيوانات المقتولة على الطرق، وقد تتغذى باللافقاريات والخضار والفواكه عندما لا يتوافر غيرها.

ويزعم بعض أهل البادية أن الذئب يأكل أشياء عديدة، فبالإضافة إلى الفرائس المعتادة، يأكل النباتات الغضة والأوراق والسيقان الصغيرة والحشرات، ويغالي بعضهم حتى ليظن أنه يأكل الهواء إن لم يجد شيئاً يقتات به، ويتوهم بعضهم إنه يأكل الجن. ويروي أحد كبار السن أنهم أثناء رحلات القنص كانوا يرونه خلسة وهو غافل «يمشي ثم يلتقط شيئاً من الأرض ويلتهمه، وكنا نتساءل ماذا يأخذ من الأرض فنحن لا نرى طيراً ولا حيواناً أمامه، وعندما سألنا من هم أكبر منا قالوا: إنه يأكل الجن يتصيدهم من أماكن معينة. ويقولون: إنه أكثر ما ينقر ويأخذ من الجن من تحت شجيرات معروفة أنها مكان تجمع الجن ومقيالهم مثل شجيرات الشث والعتم، ويؤكدون زعمهم هذا بمشاهدات أخرى مثل قولهم: إن بطن الذئب لا يشبعها القليل،



الذئب

وقد ورد في الأمثال «أجوع من ذئب». والذئب صبور على الجوع مثل الأسد فقد يمكث في الجبال الأيام الطوال لا يجد شيئاً من الطرائد التي تسد رمقه، لا غنم ولا مرعى. ولو لم يكن يأخذ من المخلوقات الأخرى، لما تمكن من العيش في هذه البيئات الفقيرة. ومن الأساطير الشائعة عند أهل نجد أن الأرض تنغلق عن الجن إذا رآهم الذئب على سطحها، وخصوصاً إذا كان جائعاً لكي يتمكن من أكلهم. ويرتبط سبب أكل الذئب للجن عند أهل البادية بالنظر، فهم يعتقدون أن عين الذئب قادرة على رؤية الجني ومن ثم فهو فريسة ظاهرة ميسورة له.

ويقول أهل البادية: إن للذئب وقتاً يأكل فيه من الحلال، ووقتاً يأكل فيه من النباتات والمرعى الغض، ووقتاً يأكل فيه من الهواء، ووقتاً يأكل التراب، ووقتاً يأكل من الجن، وهذه أمور مشاهدة في فضلاته. وهذه كلها مزاعم باطلة وخزعبلات لا أساس لها من الصحة وأوهام صورها الخيال الجامح.

وللذئاب طرق مدهشة عجيبة في إرباك الماشية والرعاة والتمويه عليهم لإعطاء الفرصة للرفقاء لاقتناص الفريسة من بين القطيع، وقد يدفع أحد الذئاب الفريسة إلى حيث يختبئ صاحبه لأخذها.

ويقول أهل البادية إن الذئب قديماً كان يفترس الإنسان، خاصة في الطرق الخالية، حين كان اعتماد الناس في السفر والتنقل على الدواب، أو المشي على الأقدام، فيكمن الذئب في مواقع معينة من الطرق حيث يمر المسافرون فيهاجمهم. والاعتقاد السائد لديهم أن الذئب لا يفترس النائم وإنما يحثو عليه التراب حتى يوقظه، كما أنه لا يقترب من النار، ولذلك فإن من يهاجمه الذئب يعمد إلى إشعال النار، ويحاول أن تحيط به طوال الليل، لأن الذئب في الغالب يعود إلى مخبئه في النهار، أما اليوم فنادراً ما يحدث ذلك لاعتماد الناس على استخدام السيارات في التنقل والسير في طرق معينة ممهدة لا يصلها الذئب عادة في تجواله.

وكانت الذئاب أيضاً تفترس الناس في الديار الخالية التي أحال منها السكان إلى مناطق أخرى فيسطو على من يجده بها وينفرد به ويقتله، ويقال: إن الذئب لا يحيل مع الناس إذا أحالوا بل يبقى في الديرة، يأكل من الحيوانات البرية الموجودة فيها، والنباتات المتوافرة بها.

وأكثر ما كانت الذئاب مشهورة بأكل الإنسان قديماً في الطرق التي كان الناس

يسلكونها كثيراً في انتقالهم بين القرى والهجر والمدن خاصة طرق الحج والتجارة. ويتذكر الناس قصة الحاج الصومالي الذي وصل إلى قرية الفريش، وهي قرية في طريق الحج تبعد عن المدينة حوالي ٤٥كم باتجاه مكة على الطريق القديم، وكان وصوله قبيل الغروب مشياً على قدميه، وقال لأهل القرية «أنا أريد الذهاب إلى المدينة». فقال له أهل القرية: «يا غريب لا تذهب إلى المدينة حتى تصبح، فهناك ذئب يأكل الناس في طريقك، فقال لهم «إذا فيه ذيب، أنا ذيب، وأنا معي (شلفا) وهي رمح له سنان ذو حدين. مشى الغريب من القرية وعندما وصل مفترق الطريق، الذي يؤدي إلى الجفر، قابله الذئب وافترسه، ولم ينفعه الرمح الذي كان معه، وعندما أصبح الصباح، قال أحد رجال القرية: الحقوا الغريب وسوف تجدونه حول المفرق، وعندما وصلوا إلى المكان وجدوا الرجل مقطعاً لم يبق منه سوى ثيابه.

ويقول أهل البادية إن العصا والمشهاب، وهي العصا بطرفها نار، والبندقية لا تفيد في طرد الذئب أو النجاة منه، ولكنه يخاف بريق السيف، ويحكى أن رجلاً ذهب إلى ديرته ليؤبر نخلاً له، وكان الناس قد أحالوا من تلك المنطقة منذ فترة، وعندما وصل إلى فم أحد الوديان، في طريق عودته إلى أهله، قابله الذئب، وكان الوقت بعد العشاء الآخرة، وكان مع الرجل بندقية يقال لها (محدَّش) وهي ذات إحدى عشرة طلقة، وعندما عزم عليه الذئب بدأ يطلق عليه النار، وكان الذئب يموج عن الطلقات يميناً وشمالاً حتى أنهى تسع طلقات. وكان مع الرجل سيف يتوشحه على صدره، ولكنه نسيه، هوى الرجل إلى الأرض ليأخذ حجراً يرمي به الذئب، وقبل أن يصل إلى الأرض، وكزه السيف بصدره فتذكره، فاستله من جرابه، وعندما برق السيف هرب الذئب ولم يره الرجل مرة أخرى حتى عاد إلى أهله، ولعل هذه القصة من قبيل تلك القصص التي لا سند لها.

ويقول أهل البادية: إن الذئب يفترس الإنسان إذا خاف منه، ويفترس إذا جاع ولم يجد ما يأكله، ويفترس إذا خلا بالرجل، ولكنه مع هذا يُنْهر ويُبْعد بالكلام القوي ويهرب، وكذلك يهرب بالحجر، ولكنه إذا عزم فلا ينفع فيه ولا ينجي منه إلا السيف، أو الطلقة تصيبه وتقتله. ومن أشهر الألفاظ التي ينهر بها «الخلا، الخلا»، أي ابعد واذهب إلى الخلاء.

وبالرغم من عداوة الذئب لأهل البادية وأكله لحلالهم وسطوته عليهم

وغدره بماشيتهم، فإنهم يعترفون بأنه يقدّر من يسدي إليه المعروف. ومن طرائف ما يروى عن علاقة الإنسان بالذئب أنه قيل: إن رجلاً يقال له عامر بقي في الديار بعد أن أحال الناس، ولم يذهب معهم لانشغاله في بعض الأعمال. وفي إحدى الليالي هظل عليه الذيب أي جاءه ليلاً، وما كان من الرجل إلا أن قسم طعامه بينه وبين الذيب فأكلا وناما، وعندما أصبح الصبح ذهب كل لشأنه. بقي الرجل مدة من الزمن، وكل ليلة يعود الذيب فيقتسم معه العشاء، وفي ليلة قدم الذيب، ويده مكسورة، وبعد أن قدم الرجل له عشاءه أحضر سنايف خشب ووضعها حول يده وربطها بلحاء الشجر، حتى طابت يده وبرئت. انتهى الرجل من شأنه الذي حبسه وعاد إلى أهله. فتبعه الذيب إلى منازل أهله، وعندما وصلوا تأخر الذيب عن البيوت وبقي بعيداً، فقال الرجل لعشيرته: «ياجيران، أنا معي خوِيّ، أي رفيق، انتبهوا له لا أحدَ يذبحه»، قالوا: من خَوِيك؟ فقال لهم: خويي ذيب، وحكى لهم قصته مع الذيب. قالوا: الذياب كثيرة، ما هي صفته وعلامته؟ قال صفته أنه أعرج، وإحدى يديه أقصر من الأخرى. وفي إحدى الليالي قام أحد شباب الحي، ورأى الذيب خوي جارهم، وأطلق النار عليه وقتله. وعندما حضر الشاب «الجليس»، وهو مجلس السمر أثناء الليل، قال لجيرانه أبشركم أني ذبحت خوي عامر، وكرر القصة بأنه ذبح خوي عامر في كل جليس، وفي إحدى الليالي كلمه عامر، وقال له: الذيب كلب ويستاهل من يقتله، والأجدر بك أن تقول أنا ذبحت الذيب، ولا تقول إنك ذبحت خَويّ عامر، لأن بعض الناس لا يعرفون من خوي عامر، ولكن الشاب لم يمتثل وردد قولته أنه ذبح خَويّ عامر، فقال عامر:

تتقيت وعَيَّا التتقي يفيدني
وعَيَّا الذيب إلاَّ خوي عامر

وأطلق عليه النار وقتله.

ومعشي الذئب هو مكازي بن فرحان بن سعيد الشمري وقد اشتهر بذلك فقد ذكر السويداء: أن الشيخ فرحان ذات ليلة من عام ١٣٣٠هـ عندما مضى السمار من عنده بعد انقضاء شطر من الليل سمع ذئباً يعوي حول بيوت الفريق (الحيّ)، فتساءل على أسماع الحاضرين وهو يعلم بإجابة سؤاله حق العلم، لماذا يعوي الذئب؟ فقال له من حضر، إن عواء الذئب من شدة الجوع، فقام موجهاً الكلام لأحد أبنائه: من المستحيل أن يبيت

جائعاً ضيف على حينا، اذهب يا فلان وخذ خروفاً من الغنم باتجاه الذئب واربطه له بشجرة أو حجر، ليأتي إليه ويفترسه. وربط الخروف في شجرة وتعشاه الذئب. واشتهر مكازي وعشيرته السعيد من شمر بأنهم «معشية الذيب» وقد أثارت هذه الحادثة الكثير من الشعراء، ومن ذلك قول الشاعر:

الذيب جان وعلّمن بالسريره
يقول وين اللي ذبح لي بشاة
قلنا عمامك فيضوا للجزيره
دلّى يهوم النزل يبي المبات

ومما يلاحظ أن صلة الذئب بالإنسان في الجزيرة العربية تتخذ مسارين، أولهما، عداء ورفض يبدو في صلة الذئب بالفلاح فهو يختطف ماشيته ويخرب زرعه، لذا فالفلاح يخشاه ويطارده ويقتله. ويقال في المثل: لك أو لأخيك أو للذيب. ويعني أن الأمر ضائع فاغتنم الفرصة المتاحة.

أما صلته الثانية بالبدوي فهي وإن كانت تُحدث آثاراً مضرة فإن البدوي يحترم الذئب حين يرى وجهاً من الشبه بين حياة كل منهما، فهما يتماثلان في التوحد واجتياز الصحراء وكسب لقمة العيش بالإغارة والسلب والنهب وسرعة العدو وكل أولئك مما يقره البدوي قانوناً في حياته ومن سبل بقائه، فهو يغير اليوم ويغار عليه غداً، لذلك لا ينكر البدوي على الذئب مسلكه. ومن أشهر من صور هذا الشبه الشنفرى في (لامية العرب) ومطلعها:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم
فإني إلى قوم سواكم لأميل

وتظل العلاقة بين الذئب وإنسان البادية علاقة عجيبة غريبة تحمل في طياتها المتناقضات فهي مزيج من الخوف والإعجاب والصداقة والمناجاة.

لقد رأى رجل البادية فيما مضى وهو يقاسي من أهوالها ويعاني من شظف العيش فيها نفسه ذئباً فتقمص شخصيته وحاكاه في تصرفه واستفاد من أساليبه وطرقه، فهو عندما يهاجم عدوه يعتمد على السرعة في الهجوم والظفر بالغنيمة والإسراع بالعودة إلى الديار، وهو عندما يريد أن يسلب وينهب فإنه يحاكي الذئب. فالمعروف أن الذئاب تهاجم أحياناً في مجموعات يوكل لكل فرد منها مهمة محددة كمشاغلة الكلاب والسبر والاستطراد، وهذا هو حال الحناشل.

وهو عندما يريد مقابلة محبوبته فإنه يقابلها في غفله من الجميع وبسرعة ما أمكن: يقول محمد بن عمار في ألفيته:

الـفـا فْـوادكْ لا تــولّـيـه حـسّـادْ
واحفـظْ لسـانكْ لا يقـولونْ ذا قـالْ
واضحكْ وكفّكْ عن جميع العربْ صاد
ثم انـتبـهْ للذيـب يضْـوي بغَفْـلاتْ
يـضوي بـغفـلاتٍ وهم مـا دَرُوا بهْ
والـلـي يـودهْ بالمحـاري هَـقُـوا بـه
كـم واحدٍ وقّـفْ ولا قـضـى نوبـه
يضـوي الى شافِ اللـحمْ كنه حْـدَاةْ

وكما أن الـذئب يختار الـقطيع أو الشخص المراد مهاجمته قبل الإقدام على الهجوم كذلك يفعل الحنشل فإن أنسوا قوة أو يقظة من الهدف عادوا أدراجهم. وكما يصادق الـذئب ويفي مع صديقه كما تواترت بذلك الروايات فإن دخولك بيت البدوي وأكل الزاد معه يعني الأمان لك مهما كانت العداوة أو الثأر بينكما.

والبدوي يدرب ابنه منذ الصغر على الفروسية والطعان وكذا الذئب، والذئب صبور علـى الجوع والشظف ويشـاطره البدوي في ذلك.

وقد كان الذئب مصدر إلهام لرجل الصحراء، وكـما تذكر الحمامة عـشاق القرى وتهيض مشاعرهم فإن الذئب هو مناجٍ محب عند أهل البادية وهو الباعث علىٍ أشجانهم. ولذلك نجد أن كثيراً من مطالع قصائد الحب البدوية تبدأ بالإسناد على الذئب فمنها:

يـاذيـبْ يـالـلي هـاظـنـي بـعْـواهْ
قـبلـك وأنا عـن صـاحبـي سـالي
مـا ادري حـدر والا نَـحَـر مَـرْبـاه
والا مــع ابـن حــمــيــدْ نَـزّال

ومثلها:

ياذيـب ابا الفـوس والخفقـان والنير
عان الـعشـا في جـراديخ الـصمود

أما الذئـب فقد اقتصـر ذكره على وصف سـرعة الركائـب والمعاناة الـتي يقاسيها الشعراء؛ قال سلطان بن عبدالله الجلعود:

يـاراكبٍ مـن فـوق حمـرا تمـوحي
حمـرا تزومع فـي رديفه تـقل ذيب

تمـوج: تومـي، تزومـع: ترقـل، الرديف: من يكون خلف الراكب. وقال خلف بن زويد الشمري:

يـاراكبٍ حـمرا تـقل رومـلـة ذيب
حـمرا ولا حـمر الحـويـر غذي بـه

الروملـة: نوع من المشي السـريع.

وقال خضير بن عيادة الصعيليك:

يـاراكب حـر تـقل سـلـوعة ذيـب
عـليـه من رعـي الخـطر كـالـزباره

السلوعة نوع من جري الذئب، رعي الخطر: أي رعـي الخطرة وهي نـبات، كالـزبارة: يعنـي سنامه شـمخ واكتنـز بـالشـحم. وقـال ظاهـر بـن مرزوق الشمري:

كـنـه الذيـب مـع روس المـراقيـب

أو كمـا الادمي الـلي سـامع كـيلـه

الكيلة: تعبئة البندقية بالذخيرة. وقال فيحان بن قاعد بن زريبان المطيري:

ياذيـب يوم انك عـلى راس جلـوى

تجـر صـوتٍ مـثـل حس الـربـابـه

وراك يـوم انك ضـعـيفٍ تـسـلوى

ضامـر ولا صنـعك بصـنع الـذيابه

راس جلوى: موضع، الربابة: آلة وترية يـعزف عليها، وراك: مـا بك، تسلوى: تـتخضع، صنعـك: هيئتك وحالـك ومظهـرك. وقال خلـف أبو زويد:

والذيـب لو يطلـع عليـه الطلي نـار

وصارت عـقوبـات السـباعه شـراده

يطلع: يظهـر عليه فجأة، الطلي: الخروف، نار: هرب وشـرد. يقول إن المفاجأة تخيف حتى الذئب فإنه إذا ظهر عليه الخروف فجأة شرد منه مع أنه فريسته المفضلة. وقـال محمد بن راشد الحمد السويداء:

يـاذيب يـاللـي بالمـراقـيب عـويت

هنـيت عـينـك ما عليـك مـعتوب

ادعن معك يـاذيب لى منّك اعويت

زود عـلى حـسك تـعاوي الجـنوب

انتـه ليـا جضّيـت للصـدر فضّيـت

وانـا عـواي عـن المخـاليـق دوبـي

المراقيب: جمع مرقب وهو المرتفع يشرف منه، معتوب: معاتبة، لامنّك: إذا، جضـيـت: عويت بـعمق وتـأثر، فضيـت: نفست عن صـدرك، دوبي: أقصر صوتي.

ووصفوا الرجل بالذئب على سبيل الكناية مثلما قالت شاعرة:

ياذيـب يـالـلي جر صـوتٍ عوى بـه

ما ادري ظمـا والا من الجوع ياذيب

يـاذيـب لا تـطردك عـنـا المـهـابـه

طرش الـعرب بـالبر كـله عـوازيب

والشعر في قصة عن رجل اتفق مع أخته أن يأخذ إبل هذا الحي وأن تخبره شعراً إذا عوى مثل عواء الذئب، فلما عوى أجابته بأبيات منها هذان البيتان، طرش العرب: يعني إبلهم. وسمعتها عجوز في الحي فظنته عشيقاً لها، فأجابتها شعراً:

يـابنـت حـذرا لا يـعضـك بـنابـه

ترى مـعض الـذيب مابـه تطـابيـب

فردت عليها المرأة نافية التهمة الـتي اتهمتها بها:

وحـياة طـلاب المطـر مـن سحـابـه

إني سـليـمه ما بـعد عـضني ذيـب

والذئب محل إعجاب أهل الصحراء فيسمون بـه أبناءهم، وبه يضرب المثـل فيقال «فـلان ذيب» دلالة على اكتـمال عناصر الرجولة في شخصه.

ويلفت النظر أن الذئب في الثقافة الغربية يمثل الشر، نرى ذلك في قصص الأطفال، خاصة في القصة المشهورة «ليلى والذئب»، كما نجد في الثقافة الغربية أسطورة الرجل الذئب الذي يتمثل ظهوره عند اكتمال القمر، أما الذئب في صحرائنا العربية فلا يمثل روحاً شريرة، بل نجده مثار فخر واعتزاز للعربي، يدل على ذلك تلك الصداقات التي عقدها الشعراء مع الذئاب، وكيف استضافوها وأجاروها وأقروها من زادهم، مثل ما جرى للفرزدق في قصيدته التي مطلعها:

وأطلس عسال وما كان صاحبا
دعوت بناري مَوهنا فأتاني
فلما أتى قلت ادن دونك إنني
وإياك في زادي لمشتركان
فَبِتُّ أقد الزاد بيني وبينه
على ضوء نار مرة ودخان
فقلت له لما تكشر ضاحكاً
وقائم سيفي من يدي بمكان
تعش فإن عاهدتني لا تخونني
نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما
أخيين كانا أرضعا بلبان

ومع ذلك قالوا في المثل الشعبي «الشتا وجه ذيب» فالشتاء كالذئب الذي يعض على الجوع.

ومن الطريف أن الأسد مع عزته وكبريائه وقوته ورغبته في النفوذ لم يستأثر بصداقة العربي، بل ظل بينهما من العداء ما جعل كلاً منهما يتوجس خيفة من الآخر، وأكثر قصائد الشعر العربي تشير إلى الصراع بين الإنسان والأسد، كقصيدة المتنبي في مدح بدر ابن عمار التي مطلعها:

أمعفر الليث الهزبر بسوطه
لمن ادخرت الصارم المصقولا

أو قصيدة بشر بن عوانة:

أفاطم لو شهدت ببطن خبت
وقد لاقى الهزبرُ أخاك بشرا

ويعتقد كثير من أهل البادية أن عين الذئب إذا قُلعت قبل أن تجف، وأخذ منها الماء وخلط بالكحل، فإن من يستخدم هذا الكحل يستطيع أن يرى الجن والشياطين، ويذهب البعض إلى أبعد من ذلك، فيروى أن من الأطباء الشعبيين من يزرع عين الذئب مكان عين الإنسان الميتة، ويقولون إنه إذا ركبت هذه العين للإنسان ولم تمت، فإنه يصبح قادراً على رؤية كل جني على وجه الأرض. وهذا القول ليس له أساس من الصحة.

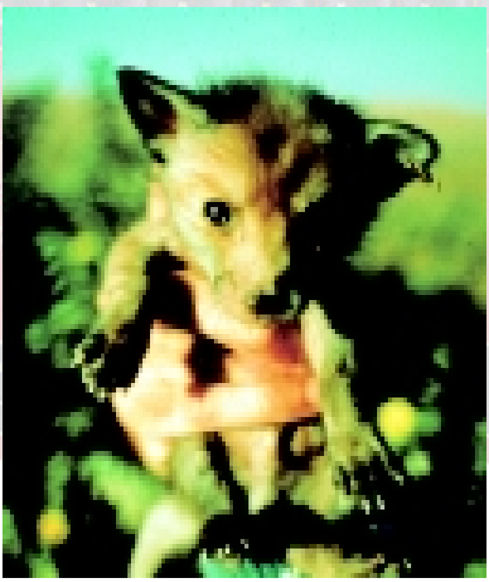
والمعروف أن سكان المناطق الجبلية في المنطقتين الغربية والجنوبية الغربية من المملكة يعمدون إلى قلع عيون الذئب

بعد قتله، ثم يعلقون جثته على جذع شجرة أو عمود على جانب الطريق مع وضع علامة بقربه تشيد بشجاعة القاتل. وهناك اعتقاد بأن هذا سيخيف الذئاب الأخرى ويمنعها من الاقتراب من هذه المنطقة، وقد يكون قلع عيون الذئب بهدف استعمالها في الطب الشعبي.

ويشيع استخدام بعض أجزاء الذئب عند كثير من أهل البادية، ويقولون في المثل العامي «شبعة من ذيب عن ميّة طبيب»، أي تكفي عن مئة طبيب، وهم يعتقدون أن أكل بعض أجزاء الذئب للاستشفاء من الأدواء مع النية السليمة تغني عن الطبيب، وتشفي من كثير من الأسقام. والشائع عندهم أن الكبد تشفي من أدواء الريح أو الغازات، وأن الشحم يستخدم دهاناً للروماتيزم. ولحم الذئب يأخذه بعض الناس لأمراض العظام، ولآلام الظهر الشديدة. ويشرب بعضهم دم الذئب لإزالة الخوف. وغنيٌّ عن القول أن كثيراً منهم يعرفون حرمة أكل السباع، ولكنهم يردونه إلى باب الضرورات، ويقولون: إن من يأكل قلب الذئب يصبح شجاعاً جريئاً، لا يعرف الخوف طريقه إلى قلبه، وإن كان في الأصل جباناً، ومنهم من يعلق بعض لحمه في منزله لطرد الجن. وكل ذلك غير صحيح.

ومن مزاعم أبناء البادية عن أنثى الذئب أنها إذا ما قتلت جراؤها فإنها تلحق بقاتلها ولا تعود إلا قاتلةً أو مقتولة، ولذا فإن من يقتل الجراء يسرع بمغادرة المكان، وعليه أن يكون مستعداً للقاء أحد الأبوين أو كليهما، وإلا فإن النهاية تنتظره وبأسرع وقت.

تتزاوج الذئاب خلال الشتاء، وتستمر فترة الحمل نحو شهرين، تضع الأنثى بعدها من ٥ إلى ٨ جراء، وتمتد فترة الرضاعة مدة تقارب فترة الحمل، وتبلغ الذئاب حجم الحيوان البالغ عندما تصل من العمر سنة واحدة. ومن طبائع الذئاب أن يهتم الأبوان بالصغار، وخلال الأشهر الثلاثة الأولى من عمرها، وهي فترة



جرو الذئب

التعلم والتدريب تعرف الصغار مراكزها في الجماعة، ويصل الذئب مرحلة النضج الجنسي عند عمر سنتين، وقد يُعمر إلى ١٥ سنة.

ونختم الكلام عن الذئاب بهذه القصة التي تبين نمطاً من الحياة الأسرية لدى الذئاب ورعايتها للكبير العاجز. فقد روى أحد كبار السن الثقات من أهل المجمعة أنه كان قبل خمسين عاماً في بلدته وعندما عاد الشاوي (راعي الغنم) لم تعد معه رخلة (الصغيرة من الشياه) وعندما سأل الشاوي عنها قال إن آخر علمه بها في المكان الفلاني، فما كان من الرجل إلا أن عبأ بارودته بالرصاص، وذهب إلى المكان الذي رادته الغنم في النهار، وكانت ليلة منتصف الشهر والقمر ينير المكان، وعندما بحث عن رخلته وجدها مفترسة، فقام بقطع مجموعة من الشجيرات ليختفي وراءها، واختار مكاناً في الاتجاه المعاكس للهواء لأن الذئب حساس ويشم رائحة الإنسان والبارود، وجلس في مخبئه وهو يرى الفريسة. وبينما هو جالس لاحظ أن ذئبين قد أقبلا صوب الفريسة وكان أحدهما يمسك بفمه أذن الآخر، ولما وصلا إلى الفريسة قام الذي كان يمسك بأذن صاحبه بقطع قطعة لحم من الفريسة وأعطاها لصاحبه قال الرجل:

وفي هذه الأثناء صوبت بندقيتي نحوهما وأطلقت النار فقتلت الذي كان يطعم صاحبه، وبينما أنا أجهز البندقية بالرصاصة الأخرى استعداداً لقتل الآخر لاحظت أنه لم يهرب ولم يتحرك، وقام بشم صاحبه وتحسس جسمه ثم قنب (عوى) مرتين وسقط إلى جانبه، ثم انتظرت فترة من الوقت ولم تبد منهما أي حركة فاتجهت نحوهما ببطء وبندقيتي معمرة، وعندما لمستهما اتضح لي أنهما ميتان، فتعجبت الذي موت أحدهما وهو لم تمسه الرصاصة فتفحصته وإذا هو ذئبة عمياء قد سقطت أسنانها، ويبدو أن من كان يقودها هو ولدها. وهذا يعطي دلالة على وفاء الذئب لوالديه أو حتى لرفيقه من الذئاب العاجزة وموت هذه الذئبة حزناً على ابنها أو صاحبها لفقدها عائلها.

ابن آوى. حيوان من السباع، يشبه الذئب في مظهره الخارجي لكنه يختلف عنه في الحجم، وبعض المظاهر الأخرى. فابن آوى أصغر من الذئب جسماً، ويختلف عنه في شكل الجمجمة والأسنان. يصل وزنه إلى ١١ كجم تقريباً، وارتفاع كتفه إلى ٥٠سم. يميل لون جسمه إلى اللون الرملي، وينتهي الذيل بلون أسود، أكثر كثافة من نهاية

ذيل الـذئب. وشعر ابـن آوى خشن، يكون عـادةً مرقشاً بلـون بني أو أسود على الظهر، وشعر البطن أبيض.

اشتهر هذا الحيوان بصوته المميز الذي يصدره ليلاً للقاء أفراد القطيع، ومنه اشتق اسمه «ابن آوى»، لأنه يأوي إلـى عواء أبنـاء جنسه لـيلاً إذا استـوحش وبقي وحده، وصياحه يشبه صياح الصبيان. وابن آوى هو الاسم المشهور الذي عرف به. ويطلق الاسـم على الذكر والأنثى ويجمع علـى بنات آوى. ومن أسمائه الأخـرى «لَعْـوَص وشعـبـر وعلّـوش والذؤلبان». وكنيته أبو أيوب وأبو ذؤيب وأبو كعب وأبو وائل.

ينتشر ابن آوى في مناطق واسعة من العالم، تمتد من تايلاند شرقاً إلى شمال أفريقيا حتى المغرب غرباً، وفي أوروبا. وقد عرف عنه مقدرته على العيش متكيفاً في المناطق الصـحراوية التي تشح فيها المياه، ويقل فيها الغذاء. وينحصر انتشاره في الجزيرة العربية في المنطقتين الشرقية والشمالية الغربية وبعض الوسطى. وهو



ابن آوى، شعره خشن مرقش بلون بني أو أسود على الظهر وشعر بطنه أبيض

قليل العدد في هذه المناطق ولا يرى إلا نادراً، وقد يكون السبب في ذلك تعرضه إلى المنافسة الشديدة في الغذاء وأماكن المعيشة، وافتراس الذئاب خاصة، والثعالب والكلاب والضباع عامة، ومحاربة الإنسان له وترصده إياه وقتله متى ظفر به، لما عرف عنه من إفساد المزارع، ومهاجمة الدجاج والحيوانات الأخرى المستأنسة.

يعيش ابن آوى في جماعات مكونة من عدة أفراد تتألف من الأبوين وعدد من الصغار، ويعيش الزوجان في الموقع نفسه فصلاً بعد فصل، ويتفرق القطيع بعد أن تكبر الجراء.

وابن آوى حيوان ليلي، يخرج للبحث عن الغذاء عند الغسق، وتخرج الأفراد في جماعة أو قطيع كما تفعل بعض الذئاب، وترى مجموعات منها حول المدن في أماكن تجميع الفضلات. وقد شوهدت تجمعات من ابن آوى حول مدينة القطيف في شرق المملكة. وهو حيوان انتهازي في غذائه، يفترس ما يقابله من حيوانات صغيرة وحشرات، مثل الجعلان والزواحف والطيور والثدييات الصغيرة، ويستطيع قتل فرائس أكبر من ذلك مثل الغزلان الصغيرة وصغار الماشية، غير أن معظم غذائه مما يجده من الجيف والفضلات التي ترمى حول المدن لسهولة حصوله عليها، ومن عاداته أنه يسير خلف القوافل السائرة لأخذ ما يقع منها، ويلحق بالجيوش لأكل جثث القتلى. وتختفي هذه الحيوانات خلال النهار في أوجار في الكهوف، أو في شقوق الجبال كما تفعل الذئاب. يتواصل أفراد القطيع باستخدام الأصوات والإشارات وتعابير الوجه، ويشبه صوت ابن آوى نباح الكلب، وله عواء مميز وهو صوت يساعد الجماعة على تحديد مواقعها خلال فترة نشاطها.

وربما يكون السبب في قلة ذكر ابن آوى هو شدة التشابه بينه وبين الذئاب في المظهر الخارجي، وكذلك التشابه الشديد بينه وبين الثعالب في السلوك والاحتيال، وحبه لمهاجمة دجاج سكان القرى والهجر وحيواناتهم الداجنة الأخرى، ولذلك لم يرد عنه في الشعر والقصص أو الأمثال إلا شيء يسير.

ومن أطرف ما ذكر عن ابن آوى في التراث العربي ما أورده الجاحظ في كتاب الحيوان، أن بعض الحيوانات مجبول على الجبن والخوف من بعض السباع، مثل خوف الماشية من الذئاب، وخوف



ابن آوى

الـدجاج مـن ابن آوى. إذ قـد يكـون الدجاج على رف مرتفع أو على أغصان شجرة فلو مر تحته كلب أو ثعلب أو قط فإن الدجاج يـظل ساكنا، فإن مر تحتـه ابن آوى هوى وتساقط من شدة الخوف.

ومن طريف ما جاء عن ابن آوى في الشعر العربي قول أبي نواس في هجاء إسماعيل بن نوبخت:

على خبز إسـماعيـل واقية البـخل
فقـد حلّ في دار الأمـان من الأكـل
ومـا خـبـزه إلا كـآوى يُـرى ابـنـه
ولـم يُر آوى فـوق حزن ولا سـهل

يربي ابن آوى صغاره في أوجار في الكهوف، وتنقل الأنثى صغارها بين فترة وأخرى إلى أماكن جديدة، وتتزاوج في فصل الشتاء وتضع الصغار في الربيع، وتضع الأنثى عدداً من الجراء قـد يصل إلى سبعة جراء في المرة الواحدة، ولكن القليل منها يعيش. ويستمر الحمل مدة شهرين، وترضع الأنثى صغارها شهرين آخرين. وتبـلغ الجراء نضجها الجنـسي خلال عام واحد، وقد تـعمر إلى اثني عشر عاماً.

الثعلب. يـسمـى الذكـر ثعـلب وثعلبان، قال الشاعر:

أربّ يـبـول الـثـعـلـبـان بـرأسـه
لقـد ذل من بـالت عليـه الـثعالـب

ويجمع على ثعالب وأثْعُل، وتسمى الأنثى ثعلبة وثُعالة وثُعال، ويقال لولد الثعلب الهجـرس والكتع. ومن أسماء

الثعلب الأخرى حبتر، والدران، والعسلَّق وتتفُل. يقول امرؤ القيس يصف فرسه في معلقته:

له أيطلا ظبي وساقا نعامة
وإرخاء سرحان وتقريب تتفُل

ويكنى الثعلب أبا الحصين وله من هذه الكنية شيء كثير يظهر في سلوكه وتصرفاته، والناس تسميه الحصني. ويكنى أيضاً أبا النجم وأبا نوفل وأبا الوثاب وأبا الحنبص. وتكنى الثعلبة بأم عويل وكنية الثعلب عند العامة أبو علي والأنثى درباسة؛ قال ابن مزحان:

درباسةٍ نطت على راس قنه
تبكي عيال له بقاعة غار

تشبه الثعالب الكلاب الصغيرة النحيلة، لكنها تختلف عنها بالذيل الطويل الكثيف الشعر، والأذنين الكبيرتين المدببتي الطرف، والخطم المستدق. والثعالب حيوانات معروفة لانتشارها في مواطن عديدة من العالم، ولأنها ارتبطت بحياة الإنسان لاعتمادها عليه في الحصول على الغذاء، وكذلك طلب الإنسان لها بغية الحصول على جلدها ذي الفرو الثمين.

وفي شبه الجزيرة العربية أربعة أنواع من الثعالب، هي: الثعلب الأحمر، وثعلب الرمال، والثعلب الملكي، وثعلب الفنك. ويعدّ الثعلب الأحمر أكثر أنواع الثعالب انتشاراً في الجزيرة العربية، وهو يعيش في كل أجزائها عدا المناطق الداخلية من صحراء الربع الخالي، وصحراء الدهناء. ويتميز عن بقية أنواع الثعالب الأخرى الموجودة في المنطقة بكبر حجمه، إذ يصل طول جسمه، من الرأس إلى نهاية الذيل، من ٦٢ إلى ١٠٣سم، وطول ذيله من ٢٤ إلى ٤١سم، كما يتميز بلون أسود أو قاتم على سطح الأذنين الخارجي. وجسم الثعلب الأحمر أسطواني بشكل عام، مقارنة بالذئاب، والذيل أطول، وهو مغطى بشعر كثيف.

ويعيش الثعلب الأحمر في أوجار أو جحور يحفرها تحت الأرض، أو في الكهوف أو الشقوق في الجبال حول المناطق السكنية غالباً. وهو حيوان ليلي المعيشة، يقضي فترة النهار في وجاره، ويخرج ليلاً للبحث عن الغذاء حول المدن وفي المزارع حيث يسطو على الحيوانات المستأنسة، مثل الدجاج والأغنام الصغيرة. وفي المناطق الصحراوية يتغذى الثعلب الأحمر باليرابيع (الجرابيع) والقوارض الأخرى والزواحف، وكذلك الحشرات. ولا يتورع عن أكل الفواكه والنباتات المختلفة

عند توافرها، ولذلك فهو مختلط التغذية الحيوانيـة والنباتية. ومـن عاداته إخفاء الفريسة أو دفنها في مكان آمـن، ليعود إليها بعد فترة معتمداً على ذاكرته القوية، وحاسة شمه الحادة، في تحديد مكانها.

وقد ارتبط الثعـلب الأحمر ارتباطاً وثيقاً بحيـاة الإنسان وأماكن استقراره، فاستفاد بشكل ذكي من تصرفات الإنسان وأسلوب حياتـه. فقضاء الإنسان على كثـير مـن المفتـرسات، مـثل الذئـاب والضباع، خفف من حدة منافستها وقتلها للثعالب، إلـى جانب زيادة حصته من الفرائـس التي كانت مـن نصيب تلك المفترسات.

ويعيش الثعلب الأحمر في جماعة أو عائلة تتكون من ذكر بالغ، قد يوجد معه عدة ذكور أخرى، وأنثى واحدة أو أكثر. ويحدث عـراك بين الذكور على الأنثى أو الإناث خـلال الدورة النزوية لها، ولا يتحمل الذكر الكبير في الجماعة مشاركة أي ذكر آخر خلال فترة التزاوج.

وتتزاوج الثعالب خلال فصل الشتاء. وتبلغ مدة الحمل حـوالي شهرين تضع الأنثى في نـهاية فصل الشـتاء أو بداية فصل الربيع من ٢ إلى٦ جراء، وعدداً أقل في الأنواع التي تـعيش في المناطق الصحراوية (٣-٤ جراء). تولد الصغار عمياً وتفتح أعينها بعد ٩ أيام من الولادة، ويستمر إرضـاعها لمدة خمسة أسابيع، تأكل بعدها الطعام الصلب، وتخرج إلى مسافات قريبة حول الجحر، ثم لا تلبث أن تتـعلم الـصغار الـصيـد والإمساك بالفريسة التـي تجلبها الأم والأب حية. وتعتـني الذكور والإناث معـاً بالصغار بجلب الطعام لها وحمايتها من الأعداء، وتخرج الصغار عند بلوغها أربعة أشهر. ويعمـرّ الثعلـب الأحمر حوالـي عشر سنوات.

أما ثعلب الرمال فيعيـش في أجزاء الجزيرة العربية عدا جبال الحجاز واليمن. وهو أقل عدداً من الثعلب الأحمر وأصغر منه حجمـاً، إذ يصل طول جسمه من الرأس إلى نـهاية الذيـل، من ٦٢ إلى ٨٠سـم، وطـول ذيلـه مـن ٢٥ إلـى ٣٥سم، ولكن أذنيه أكبر حجماً، وليس على سطحـهما الظهري لون قاتم مثل أذني الثعـلب الأحمر. ويشبه الـثعلب الرملي ثعلب الفنك الأصغر منه حجماً في لون فروه الباهت، ولكن ذيل الثعلب الرملي ينتهي بخصلة بيضـاء ليست في ثعلب الفنك.

يعيـش ثعلب الـرمال في البـيئات الرملية غالباً في شمال أفريقيا والجـزيرة العربية وإيران وأفغانستان، والباكستان.

وهو متكيف للمعيشة في المناطق الجافة، فلا يحتاج إلى الماء، وإنما يكتفي بما يحصل عليه منه في غذائه. وهو ليلي المعيشة، يخرج للبحث عن الغذاء ليلاً ليتفادى درجات الحرارة العالية خلال النهار، ويتغذى بالقوارض والزواحف والحشرات، وقد يأكل النباتات غذاء إضافياً. ويعيش وحيداً، وربما شوهد في بعض المناطق في أزواج وجماعات صغيرة.

ولم يعرف الثعلب الملكي في الجزيرة العربية إلا قبل فترة قصيرة، حين شوهد عدد قليل منه في سلطنة عُمان، والجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية، وفي دولة الإمارات العربية المتحدة. والثعلب الملكي معروف في إيران وباكستان وتركيا وجنوب غرب تركستان، وكان معروفاً قبل سنوات في فلسطين والأردن، وأخيراً في شبه جزيرة سيناء.

ويعزى السبب في تسميته بالثعلب الملكي إلى فوه الناعم الثمين، وذيله الكثيف الذي يضاهي جسمه في الحجم. وهو أصغر حجماً وآذانه أكبر من آذان الثعلب الأحمر، وجهتها الظهرية ذات لون بني فاتح، وأطرافها ليست سودا كأطراف الثعلب الأحمر. والذيل كثيف الشعر، نهايته سوداء. والخطم مذبب والوجه نحيف، ويمتد من الزاوية الداخلية لكل عين خط أسود إلى الجهة الأمامية للشفة العليا، وفرو الوجه والرأس أقل وأخشن من فرو بقية الجسم. ويدل المظهر العام لهذا الثعلب وتركيب جسمه ومخالبه الصغيرة على أنه لا يحفر جحوراً في الأرض، بل يعيش في الشقوق الطبيعية في المناطق الجبلية.

وقد عرف عن هذا الثعلب أنه أكثر ما يعيش في المناطق الجبلية، التي قد تصل إلى ارتفاع ٢٠٠٠م فوق مستوى سطح البحر، ويبتعد عن المناطق المنخفضة الدافئة. وأكثر ما يتغذى به المفصليات كالجراد والعقارب، وكذلك الثدييات الصغيرة. والثعلب الملكي ليلي المعيشة، يبقى مختبئاً في جحره خلال النهار. ويعتقد أنه يشبه بقية الثعالب في موعد موسم تزاوجه وطول فترة الحمل، التي تضع الأنثى بعدها من ٢ إلى ٦ جراء، تولد عمياً قليلة الحيلة.

وفي شبه الجزيرة العربية تختلف الثعالب التي تعيش في المناطق الصحراوية الرملية والحصوية في الشمال والوسط عن تلك التي تعيش في المناطق الجبلية الغربية والجنوبية. فالثعالب التي تعيش في المناطق الأولى أصغر حجماً، وأنحل جسماً من ثعالب الجبال، وآذانها أكبر

وأرجلها أنحف من مثيلاتها التي تعيش في المناطق الجبلية. كذلك تبدو حمرة الثعلب الذي يعيش في وسط الجزيرة العربية أفتح من حمرة الثعلب الذي يعيش في المناطق الغربية الجبلية.

ولا يفرق كثير من الناس بين أنواع الثعالب في الجزيرة العربية. فهي عندهم نوع واحد فقط هو الثعلب الأحمر، أكبر أنواع الثعالب في الجزيرة العربية وأكثرها انتشاراً. ولا غرابة في ذلك لأن هذا النوع هو أكثرها عدداً حول القرى والهجر التي يعيش فيها الناس. أما الأنواع الأخرى فتعيش في المناطق الصحراوية البعيدة عن التجمعات السكانية، كثعلب الرمال، أو أنها تعيش في المناطق الجبلية كالثعلب الملكي. وتعتمد في غذائها على الحيوانات والنباتات الطبيعية التي توجد في بيئاتها.

كذلك يخلط كثير من الناس بين الثعلب الأحمر وابن آوى، لأنه يعيش مثله حول القرى، كما أنه يشبهه في اعتماده في الحصول على غذائه على حيوانات أهل القرى ومزارعهم.

وتغص كتب الأدب العربي بالأمثال والشعر والنثر والقصص عن الثعالب. ولا عجب في ذلك، فهو حيوان قريب لصيق بالإنسان، يعيش في بيئته ويشاطره الغذاء بالحيوانات التي يعتمد عليها، ولا



ثعلب الرمال

يتورع عن سلبه ما يناسبه من مزروعاته. وقصص الثعلب في الحصول على الغذاء ومراوغة الأعداء والمنافسين وحسن التصرف في المواقف الحرجة كثيرة جداً في كتب الأدب والحكايات، وقد وصل بعضها إلى درجة يصعب تصديقها، فغالب قصص الثعلب تدل على ذكائه وحسن تصرفه ومنطقه الصائب في معالجة الأمور، كما تدل على حسن التدبير والدهاء والمكر بالأعداء. ومما يستطرف من ذلك الحكاية الشعبية التي تروي كيف احتال الثعلب على الأسد حتى دفعه لمغادرة الجزيرة.

ومن ذلك ما زعموا أن أسداً وثعلباً وذئباً اصطحبت فخرجت تتصيد، فصاد الأسد حماراً وصاد الذئب ظبياً وصاد الثعلب أرنباً، فقال الأسد للذئب: اقسم بيننا صيدنا، فقال: الأمر أبين من ذلك، الحمار لك، والأرنب لأبي معاوية يعني الثعلب، والظبي لي، فخبطه الأسد فأطاح به، ثم أقبل على الثعلب وقال: قاتله الله ما أجهله بالقسمة، هات أنت يا أبا معاوية، فقال الثعلب: يا أبا الحارث الأمر أوضح من ذلك، الحمار لغدائك، والظبي لعشائك، والأرنب فيما بين ذلك، فقال له الأسد: ما أقضاك! من علمك هذه الأقضية؟ قال: الذئب الطائحُ. ويقال في المثل الشعبي حول هذه القصة: قال من علمك هالقَسم المنسمح قال هالذِّيب المنسدح.

كما ذكر الدميري عن الشعبي أنه قال: مرض الأسد فعاده جميع السباع ما خلا الثعلب فنمَّ عليه الذئب، فقال الأسد: إذا حضر فأعلمني، فلما حضر أعلمه، فعاتبه في ذلك، فقال: كنت في طلب الدواء لك. قال الأسد: فأيَّ شيء أصبت؟ قال: خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج، فضرب الأسد بمخالبه في ساق الذئب، وانسل الثعلب، فمر به الذئب بعد ذلك ودمه يسيل، فقال له الثعلب: يا صاحب الخف الأحمر، إذا حضرت عند الملوك فانظر ماذا يخرج من رأسك. قال الحافظ أبو نعيم: لم يقصد الشعبي من هذا سوى ضرب المثل وتعليم العقلاء وتنبيه الناس وتأكيد الوصية في حفظ اللسان وتهذيب الأخلاق والتأدب بكل طريق.

تعيش الثعالب حياتها في مجموعات، ريثما يكبر الصغار ثم تتفرق وتعيش فرادى، أو في أزواج، وتبدأ في تكوين جماعة جديدة. ويتصل أفراد المجموعة بالهرير والعواء، وهذا يساعد على تحديد موضع الثعلب المنادي، وكذلك تستخدم الرائحة حيث يرش

الثعلب بوله في مواقع معينة من المقاطعة التي يعيش فيها لتدل على أنه يحتل هذا الموطن، وتعمل الرائحة على إبعاد الأفراد الأخرى عن أماكنها التي تعيش فيها، ولا تشكل الثعالب جماعات للصيد مثل الذئاب. وللثعالب حاسة سمع حادة وحاسة شم قوية، تعتمد عليهما في الحصول على الغذاء.

ومن ناحية أخرى فإن الثعالب استعملت ذكاءها المفرط في أخذ ما تحتاجه من الطعام سواء من الفضلات حول المدن أو ممّا يربيه الإنسان من حيوانات أليفة دون أن يعرضها ذلك لمخاطر الصيد أو القتل.

قال الدميري: والذئب يطلب أولاد الثعلب، فإذا وُلد للثعلب ولد وضع أوراق العنصل على باب وجاره ليهرب الذئب منها. ومن شأن الثعلب إذا دخل برج حمام وكان شبعان، قتلها ورمى بها لعلمه أنه إذا جاع عاد إليها وأكلها، وهو من الحيوان الذي سلاحه سَلحه، وهو أنتن من سلح الحبارى، فإذا تعرض للقنفذ ولقيه كالكرة، وتحصَّن بشوكه سلح عليه، فينبسط فعندها يقبض على مراق بطنه.

والثعلب معروف بروغانه وخبثه ودهائه في صيد فرائسه من الحيوانات البرية والأليفة، واتبّاعه طرقاً غايةً في الذكاء للحصول على غذائه، ولذلك ضرب به المثل في الروغان فقيل: «أروغ من ثعلب»؛ قال الشاعر:

خير الصديق هو الصدوق مقالةً
وكذاك شرهم الميون الأكذب
فإذا غدوت له تريد نجازه
بالوعد راغ كما يروغ الثعلب

والثعلب معروف بفرط حبه لمهاجمة حيوانات أهل القرى وبخاصة الطيور الأليفة، ونتيجة لما يحدثه عدوانه بهم من ذل وهوان لتدميره مزارعهم وأكله محاصيلهم وطيورهم ضُرب به المثل، إذ يقال في القوم الذين يقع بينهم مثل هذا الفساد «بالت بينهم الثعالب»؛ قال عمرو بن الأهتم:

ألم تر ما بيني وبين ابن عامر
من الود قد بالت عليه الثعالب
وأصبح ذاك الود بيني وبينه
كأن لم يكن، والدهر فيه العجائب

ويكنى ببول الثعالب عن الذل وهوان الأمر. يقول الجاحظ في الثعلب: إنه سبع جبان جداً لكنه لفرط الخبث يجري مع كبار السباع. وخبث الثعلب الذي يعنيه الجاحظ مرده قوة الحواس والمهارة والحيلة والصبر، وقد يكون ذلك لكثرة ما يطارده الإنسان وبقية الحيوانات

الأخرى كالذئاب والكلاب وأمثالها التي تنافسه في غذائه، فالخوف يبعث في الحيوان انفعالاً يجعله يستعمل كل قدراته في تأمين نفسه من غوائل المنافسين والأعداء. على أن من بين الأمثال التي قيلت في الثعلب ما ينحى به غالباً منحى آخر هو على الطرف النقيض من ذلك، فهي تدل على الخداع والمراوغة سلوكاً غير محمود، كما تدل على إيقاع الفساد، وأنه ذليل مهين بين السباع. كذلك بعض ما جاء عنه في الشعر، وكثيرٌ منه يذهب مثلاً، يدل على الذلة والغدر والخوف الشديد والرهبة ودنو المنزلة. وقد لخص الجاحظ في كتاب الحيوان ذلك في قوله: إن المرء يعجب من أنواع الحيل والنوادر التي يعملها الثعلب للتخلص من الأعداء أو للحصول على الغذاء، أو لتضليل المطاردين لدرجة تصل إلى عدم التصديق، ويقول: إن كان ذلك حقاً فما أعجبه! وإن كان باطلاً فإنهم لم يجعلوه له إلا لما فيه من الخبث والكيس.

والأمثال والقصص التي يرويها عامة الناس في البادية تشبه إلى حد كبير ما ذكر في كتب الأدب والقصص العربية القديمة، في الدلالات والمقاصد. يذكر أن ثعلباً كان يخرج كل ليلة إلى أطراف المدينة للبحث عن غذاء يصيده من القوارض والثدييات الصغيرة الأخرى، وقد تسلط عليه كلب يخرج إليه ويطرده عن هذه المنطقة، ولا يتركه يبحث عن غذائه. ضاق الثعلب بالكلب وقرر أن يحتال للأمر، وفي إحدى الأمسيات رأى الكلب الثعلب في المنطقة فعدا وراءه لإبعاده، جرى الثعلب بطيئاً أمام الكلب ليغريه بمحاولة اللحاق به، إلى أن اقترب من بئر قديمة في المنطقة، فأسرع الثعلب نحوها، وعندما وصل إليها غيَّر مساره فجأة، فما كان إلا أن سقط الكلب في البئر يعوي، فعاد الثعلب ونظر إليه وقال له بصوته المعهود: قاع قاع قاع.

ومما يروونه أيضاً أنه حدث قبل حوالي ٤٠ عاماً تقريباً في أحد أسواق المدينة، وهو سوق الحدرة أمام باب المصري، أن أصبح الصبح والثعلب في السوق، وكان الناس في طريقهم إلى الحرم لأداء صلاة الفجر، فهرب الثعلب وارتمى بقرب جدار وفتح فمه، وطرح يديه ورجليه جانباً كأنه ميت، وعندما طلعت الشمس جاء عمال النظافة، وكانوا يستخدمون عربات يدفعونها بأيديهم. وجد العمال الثعلب المتماوت وقد غطاه الذباب، فحملوه إلى العربة وأخذوه إلى خارج المدينة ناحية الباب الشامي حيث كانت تطرح القمامة، وعندما طرحت

الفضلات من العربة قفز الثعلب، وجرى إلى جبل سلع المطل على المدينة، وهو يصيح فرحاً بنجاته.

وحادثة أخرى مع امرأة كان لها دجاج تربيه في صندقة أمام منزلها، وكانت تقفل باب الصندقة على الدجاج ليلاً وتفتح له كل صباح لتخرجه. وفي أحد الأيام فتحت الصندقة لإخراج الدجاج فوجدته مقتولاً ومعه ثعلب ميت، صاحت بأعلى صوتها: دجاجي أكله الثعلب، وكان الذباب يحوم على الثعلب من كل جانب. كان الثعلب قد حفر تحت جدار الصندقة، ودخل إليها وأكل من الدجاج حتى ملأ بطنه، وعندما حاول الخروج من الفتحة التي دخل منها قبل أكل الدجاج لم يتمكن، فبقي محبوساً داخل الصندقة حتى الصباح. أخذت المرأة الدجاج الميت ورمته، وألقت الثعلب للأطفال يجرونه بذيله، ويلعبون به وعندما ملوا منه تركوه، وعندما أحس الثعلب أن الأطفال قد ابتعدوا عنه، قفز على قوائمه وانطلق إلى سفح الجبل وهو يصيح فرحاً.

وقد أورد الجاحظ في كتابه الحيوان قصصاً شبيهة بهذه. قال: إن أعرابياً طارد مرة بكلاب له ثعلباً، فراوغه حتى صار في خَمَر (وهو ما يواري من الشجر أو الجبال ونحوها)، ومر بمكانه فرأى ثعلباً ميتاً، وإذا هو زكَر بطنه (أي ملأه بالهواء ونفخه) فوهمه أنه قد مات من يوم أو يومين، قال فتعديته، وشمَّ رائحة الكلاب فوثب وثبة فصار في صحراء.

وروى أحد كبار السن الثقات من أهالي المجمعة أنه كان في مزرعة له وبقربها جبل به بيت ثعلبة وقد وضعت مواليدها، وذات يوم جاءتها كلبة قريبة من المكان وأكلت أولادها، فظلت الثعلبة تطوح بصوتها -قع قع قع- طوال تلك الليلة، ومرت فترة من الزمن ولدت خلالها الكلبة، فما كان من الثعلبة إلا أن تحينت فرصة غياب الأم، وأخذت جراءها ورمتها في هبات (بئر غير مطوية وليس بها ماء) قريبة من المكان ثم جلست تتراقص وترقب عودة الأم، ولما عادت الكلبة ووجدت جراءها في الهبات أمامها ولا تستطيع الوصول إليهم أخذت تطوح بالأصوات والثعلبة ترقص فرحاً من صخرة إلى أخرى، وهذه تبين ذكاء الثعلب وقدرته على الانتقام ممن هو أكبر منه.

وكما حكى العامة عن الثعالب حكايات فقد قالوا فيها الشعر، فهذا الشاعر عبدالله بن فرحان القضاعي من بلدة السبعان من حائل ينظم في الثعالب قصيدة تحكي قصة درباسة، وهي أنثى

الثعالب، التي جمعت الثعالب لكي تحتال على صاحب المزرعة، وهو الشاعر، فيشغله بعضها باختطاف السريح (وهو حبل من جلد البعير من نوع القد) إلا إن صاحب المزرعة كان واعياً لحيل الثعالب فأطلق عليها النار من بندقيته مما جعلها تفر خائبة؛ يقول ابن فرحان في قصيدته:

دربـاسـةٍ نـطـت عـلـى راس قنـه
تـبـكـي عـيـالٍ لـه بـقـاعـة غـار
تجـمّعـت بـاقـصى تـهـام وشرمـة
ووصـلـت جـروده ليـا خراب قـفار
جنـك مع المنـصل يهـشن الغـضب
ولا يمـشـن الا مـع هـبـاط غـتـار
نـطت رقـيـبـتهـن ثـنـية مـطـلـح
يـشـوف بـحـدري الـبـلاد سمـار
قـال ازغر الـعـينين ممـروط الذنـب
هـــذاك رجـالٍ يـــسـوق حـــمـار
نادى كـبـيـر القوم مـن يسبر العدا
وله بوعـين من وسط السـريح خيْار
لكـن وحي لـي على سـمع هرجـه
دغـفت زنـاد العـوج للعوج ثـبـار
وشغـلت زناد الـبر جيـت من تحت
لـيـا امـتـلا كـل الـبـطـين شـرار
نـادى كبـيـر الـقـوم ياقـوم انكـفـي
مـا يـــنـقـرب هـــذا جـدار ونـار

وأكل الثعلب (أبا الحصين) للسريح مشهور ومعروف عند أهل المزارع كانوا يرفعـونه في حال غيـبتهم عـنه خشية الثعالب، ولهذا قالوا في المثل «أبا الحصين يوم فاته السريح عض الدراجة».

وأورد الدميري من طريف ما يحكى عنه أن البـراغيث إذا كثرت في صـوفه تناول صوفةً منه بفـيه، ثم يدخل النهر قليلاً قليلاً والـبراغيث تصعد فراراً من الماء، حتى تجتمع فـي الصوفة التي في فيه، فيلقيها في الماء ثم يهرب.

وأهل البادية يعدونه من الـكلاب، مثل الذئـاب وابن آوى، وهو من هذه الناحية نجس مثل بقية الكلاب، ينجس الأدوات والأشياء التـي يلمسها. ومن طرائـف ما يروى فـي هذا السيـاق أن جماعـة من الناس كان لهـم شيخ في الحي يـجتـمعون لـلإفطـار عنده فـي رمضان، حـيث يحضـر كل منهـم ما يستـطيع من تمر ولـبن وخلافه، فقـال أحدهم يـوماً أن له شنة تمر، (والـشنَّة هي القربـة الصغيرة) ولكن قـد كرفها الحصني و(الكرف هو الـشم العميق). قال الشيخ: إن كان كرفها الحصين فهي حرام ولا تجينا ولا نشوفها. مرت عدة أيام واتفق أهل الحي إن يختبروا شيخهم هل هو على فتواه أم أن في الأمر فسحة؟ واتفقوا أن لا يحضر أحد طعاماً للإفطار في ذلك اليوم، وعـندما حضر الشيخ

قال: يا جماعة ما عندكم فطور اليوم؟
قالوا: والله ما فيه شيء غير شنَّة فلان.
قال: اصبروا حنَّا ما سألناه أول هل الحصني كرفها بخشمه أم كرفها بذيله؟ إن كان كرفها بذيله فهي حرام ولا تجوز، وإن كان كرفها بخشمه فهي إن شاء الله طيبة ولا فيها شيء.

وكثيراً ما ضرب الحصين (الثعلب) مثلاً للخسة والدناءة؛ يقول خلف بن زويد:

دخيل يابني ياسلايل والدي
لا تصير للحصني سواة لعيب
من رافق الحصني دخل في مذاهبه
ولا يرافق الحصني نضايض ذيب

وقوله:

قامت بصاع المنكر الناس تكتال
ودلّت تباع الجوهره بالنحاسه
واشوف انا الاسود خشوعٍ وذلّال
وقتٍ به الحصني يدور الفراسه

وقال بديوي الوقداني:

عنوانها يخبرك عن كل مضمرْ
شبت وشابت وابدلت عود بصبَي
والنمر جَنَّبْ والحصيني تنمَّرْ
يحسب سباع الغاب من جملة الظبي

وقال شاعر آخر:

يا هجرة راحت بها الاذناب روس
شبعى ثعالبها جياع اذيابها

ولمثل هذا الشعر نماذج كثيرة في الثقافة الشعبية حيث يقرن الثعلب بالذئب غالباً كناية عن انقلاب الأوضاع من الرفعة إلى الخسة.

أما الأمثال الشعبية التي وردت عن الثعالب فكثيرة، مثل قولهم «أبا الحصين وارض ثري»، ويضرب مثلاً لانتهاز الفرص. وقولهم: «قال: من شاهدك يا أبا الحصين؟ قال: ذنبي»، ويضرب لمن يستشهد بشاهد غير مقبول الشهادة. وقولهم «غدا أبا الحصين». قال العبودي في الأمثال العامية في نجد حول أصل هذا المثل «أن الثعلب والغراب اتفقا على أن يغدي أحدهما صاحبه، فجعل الثعلب غداءه عصيدة رقيقة كالمرق وصبَّه على أرض صخرية، ثم جعل يلحسه بلسانه أما الغراب فإنه لا يستطيع أن ينال منه شيئاً. قالوا: لكن الغراب قابل ذلك بأن جعل غداءه قطعاً صغيرة من التمر ودسها في داخل شجرة شائكة وأخذ يدخل منقاره بين الأشواك ويلتقطها، أما الثعلب فإنه لا يستطيع الوصول إليها بسبب الأشواك».

وقولهم «كل للحصيني كيلة اسد» ويعني بمجمله الاستعداد للأمور بحزم وعدم استصغارها أو التهاون بها فهوان وضعف الحصيني وهو تصغير الحصني لا يعني التهاون في معالجة أمره.

ومن أطرف ما يتناقله أبناء البادية عن الثعالب أنه إذا رأى الأرنب جعل ذيله بين رجليه وتشبه بمشيتها، حتى تعتقد أنه أرنب ويقترب منها المسافة التي تمكنه من اصطيادها فيهجم عليها.

ومن الأساطير المروية على لسان الحيوانات أن الثعلب وجد ضباً على شجرة فلم يتمكن من اصطياده، فاقترب منه وقال له: لماذا لا تنزل يا أبا حمد، (يكنى الضب بأبي حمد لدى البادية) فقال الضب: إنك ستأكلني، فلماذا أنزل؟ فقال: يبدو أنك لم تسمع بالمنشور الذي عممه الأسد على الحيوانات بأن تتصافى ولا يأكل أحدها الآخر ولا يضره، فقال الضب: لم يصل إليّ العلم بذلك، قال الثعلب: إنه أمر صريح انظر له إنه في يدي فانزل، فقال الضب: انتظر حتى تمر هذه القافلة المقبلة التي معها كلب. قال الثعلب: إذاً سأختفي حتى تمر، فربما أن الكلب لم يصله العلم بمنشور الأسد فيهاجمني.

العائلة الضبعية

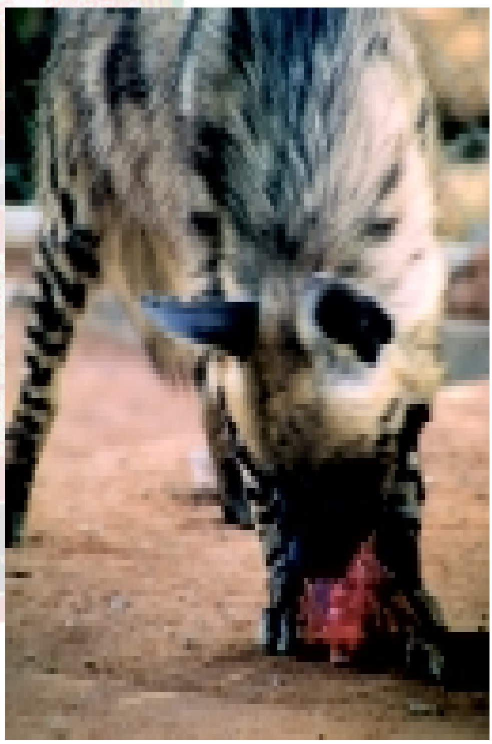
عائلة صغيرة العدد، يتبعها ثلاثة أجناس تضم أربعة أنواع. تنتشر أفرادها في أفريقيا وبلدان الشرق الأوسط وجنوب آسيا، ومن أهم أفراد هذه العائلة الضبع المخطط والضبع البني والضبع المنقط، والعِسْبَار الذي يعيش في أفريقيا، وهو معروف بهذا الاسم في السودان، وهو يشبه الضبع المخطط، إلا أنه أصغر منه حجماً وله عرف مثل عرف الضبع وذيله كثيف الشعر. يتغذى العِسْبَار بالأرضة، وهو يستدل على مواضعها بأصواتها. ويمثل هذه العائلة في المملكة نوع واحد هو الضبع المخطط.

الضبع المخطط. الضبع اسم للأنثى ويستخدم أيضاً للذكر، والجمع أضبُع وضباع وضبُع ويقال للذكر نعثل لثقل عدوه، وضِبْعان، وجمعه ضباعين مثل سِرْحان وسراحين، وتسمى أيضاً جَعَار، وجعر وذلك لأنها تجعر، وتسمى خزعل لضلعها وكذلك تسمى الوركاء لعرجها. كما تسمى العثواء لكثرة شعرها. وتكنى أم عامر، وأم نوفل، وأم جعار، وأم خنور، وأم طريق، وأم القبور. ويكنى الذكر أبا عامر، وأبا كلدة، وأبا الهنبر.

ينتشر الضبع في غرب آسيا، من البنغال والهند إلى الجزيرة العربية وشمال وشرق أفريقيا. وأكثر ما يعيش في الجزيرة العربية في المناطق الشمالية والجنوبية الغربية، ويعيش بعض الضباع في المناطق الساحلية. وينقسم هذا النوع إلى نويعين،

أحدهما في شمال المملكة، والآخر في جنوبها.

والضبع حيوان لا يمكن أن تخطئه، وذلك بسبب الخطوط السود على جسمه وأرجله. والجهة البطنية منه بيضاء، وله عرف مميز على ظهره، وتنخفض مؤخرة جسمه بسبب قصر أرجله الخلفية قليلاً، ويغطي جسمه شعر كث، وذيله ذو شعر كثيف، وينفش الضبع شعر العرف عندما يثار، فيزداد جرمه ويعظم مظهره، وهو سلوك يساعد على تخويف الكلاب البرية والذئاب كذلك يساعده على طرد



الضبع المخطط

بعض المفترسات عن فرائسها لكي يأكلها هو.

ويعتقد أهل البادية أن الضبع سبع قوي، وهو يمثل عندهم سبع السباع، وكما يقولون فعله أكثر من اسمه، ولا يقف أمامه أي سبع آخر حتى النمر. وهو يعيش في المناطق الجبلية والوديان والحرات، وتعيش الضباع وحيدة أو في أزواج، ولا ترى معاً إلا في أوقات الجرية، أي وقت التزاوج، حيث تشاهد في مجموعات مكونة من اثنتين أو ثلاث أو أكثر، وفي غير هذا الوقت يكون كل بمفرده، ويعرف ذلك بالنظر إلى آثارها على الأرض.

ومن خرافات العرب قديما ما ذكره القزويني في عجائب المخلوقات من أن الضبع كالأرنب، يكون سنة ذكراً وسنة أنثى أي أنه يلقح في سنة، ويلد في سنة أخرى. وهذا القول غير صحيح. ومن خرافاتهم أيضاً قولهم إن الضبع إذا وطئت ظل الكلب في ضوء القمر، وهو على سطح، وقع الكلب فأكلته.

ويضرب بها المثل في التخريب فيقال «أعيث من جعار»، ذلك أنها تعيث في الغنم فساداً عندما تجدها ولا تكتفي بما يشبعها. ويضرب لظهور الفساد في كل مكان المثل الشعبي «كل دار به أم عامر»

ولكن إذا اجتمع الذئب والضبع في الغنم سلمت لأن كل واحد منهما يمنع صاحبه. ولذلك تقول العرب في دعائها: «اللهم ضبعاً وذئباً» أي اجمعهما في الغنم لتسلم. ومنه قول الشاعر:

تفرقت غنمي يوماً فقلت لها
يارب سلط عليها الذئب والضبعا

وقد ارتبط هذا الفساد والتدمير بأن سمت العرب السنة المجدبة التي تأكل المال والغذاء وتفسد الحياة بالضبع؛ قال العباس بن مرداس السلمي:

أبا خراشة أمّا كنت ذا نفر
فإن قومي لم تأكلهم الضّبُعُ

كما يضرب بها المثل في الحمق فيقال «خامري أم عامر» أي استتري أم عامر، وهو مثل يضرب للأحمق يجيء بالكذب الواضح الذي لا يخفى على أحد. وهي معروفة بالحمق لأنها لا تحذر من صياديها، وقد قيل إن الصياد إذا رمى في جحرها حجراً، خرجت إليه تحسبه فريسة تصيدها فيأخذها الصياد، كما يقول الصيادون على باب وجارها كلمات يصيدونها بها.

ولكثرة ما انطبع في أذهانهم عن حمقها أنهم قالوا إن الضبع تزعم أن أحلامها صادقة، وإذا حدث لأحد الوحوش شيء سرعان ما تزعم أنها رأت ذلك في المنام، فصدقها بعض الحيوانات وكذّبها بعضها. ويوما سألها أحد الوحوش عما إذا كانت حلمت بشيء سيقع ذاك اليوم. ردت بغضب وبلاهة: سيكون فيه صحو، أو غيم!!

يتميز رأس الضبع بالبنية القوية، وبه فكان قويان لهما القدرة على كسر العظام الصلبة وتفتيتها، وقد ساعدت هذه الصفة الضباع على تناول كميات كبيرة من العظام من الجيف وبقايا الفرائس التي تقتلها المفترسات الأخرى. وهي تفتت العظام وتستخلص منها المادة الغذائية ثم تطرح الباقي أو ترده من فمها مواد غير مهضومة. وقد جعلها سلوكها في غذائها هذا السلوك من أهم عوامل تخليص النظام البيئي من كثير من الجيف والفضلات التي قد يؤدي تراكمها إلى مشاكل بيئية سيئة، ولذلك يعرف الضبع بأنه من الحيوانات الكانسة.

ويصعب على الضبع الالتفات لتركب فقرات رقبتها المتداخلة، فإذا أرادت الالتفات أدارت جسمها كله، ولذا ضرب بها المثل الشعبي «اقفات ضبعة» لمن يذهب ولا يسأل عمن خلفه.

والضبع حيوان ليلي يستقر خلال النهار في الكهوف أو في جحور يحفرها في الأرض، ويخرج ليلاً للبحث عن



الضبع المخطط رأسه قويّ البنية

الغذاء، وأكثر ما يتغذى الضبع بالجيف، ورغم أنه متخصص في هذا النوع من التغذية، إلا أنه يتغذى أيضاً بالحيوانات الأخرى التي يصيدها، مثل الثدييات الصغيرة والزواحف والحيوانات الضعيفة أو الكبيرة السن وغيرها، كما يعتمد على بقايا الفرائس التي تقتلها السباع الأخرى.

وللضباع أصوات مزعجة، والعامة تسمي صوتها (الفتيخ) يقول الشاعر عدوان بن راشد الهويد من أهل حائل مشبهاً صوت حيران نوق حنت لأمهاتها بصوت الضباع (الفتيخ):

تتلي مصلّح ناقته والمشاعي ... ربعي يدورون المغازي والاسفار
هل الشداد مدلهين القطاع ... كم راسي حيدٍ زوّلوا عنه الاشجار
حيرانهم مثل فتيخ الضباع ... وضحٍ تعاود بين ملحق وقهّار

وعندما تتعرض الضباع للخطر أو التهديد تعمل على انتصاب شعر معرفتها، إلا أنها غالباً تحاول الهروب في مثل هذه الحالات.

والضبع يتحمل العطش لفترات طويلة، ويحصل على الماء من فرائسه،

أو من النباتات التي يأكلها في بعض الأحيان.

تتجول الضباع لمسافات طويلة في مناطق معيشتها، وتقوم بتعليم مناطق بارزة بمادة تشبه المعجون تفرزها من كيس في مؤخرتها، وتنقل الرائحة المنبعثة من هذه المادة معلومات مهمة للحيوانات الأخرى عن جنس الحيوان وحالته وهويته.

ويعتقد كثير من أهل البادية خطأ أن الضبع نوعان؛ ضبع الطين، وهذا لا يأكل إلا الطين. وعندما يقتل وتشق بطنه فليس فيها غير الطين. والنوع الآخر هو الضبع المعروف الذي يأكل الحيوانات والنباتات مثل الحبحب والقرع والقثاء وغيرها. على أن بعضهم لا يعتقد بهذا ويرجع السبب في وجود الطين في بطن بعض الضباع إلى أنه الغذاء الذي وجدته. وأنها قد تتغذى بالحيوانات والنباتات إن وجدتها. والطين ليس من غذاء الضبع أو غيره من الحيوانات.

وقد يكون إقبال عدد من أهل البادية والمناطق الجبلية على أكل لحم الضباع واستساغتهم له، مبنياً على اعتقادهم بأنها تتخذ النباتات والطين غذاءً لها. وقد عرف عن قلة من سكان المناطق



الضبع المخطط (شجار بين الذكور)

الوسطى والشمالية والغربية من المملكة أكل لحم الضباع. وتوصف بأن لحمها مثل لحوم الصيد الأخرى في المذاق والطعم. وهناك أُناس لا يستطيبون لحم الضباع ولكنهم يأكلون بعض أجزائها، مثل الكبد والشحم والمرق لعلاج بعض الأمراض. وقد عرف عن كثير من الناس ولعهم بصيد الضباع وهم في ذلك كمن يخرج للبحث عن الظباء والوعول وغيرها، كما يعتقدون بأنها علاج لكثير من الأمراض

وبوجه عام، يكره كثير من أهل البادية أكل لحم الضباع، بسبب أنها تتغذى بالجيف ولكونها من السباع، والسباع عموماً منهي عن أكل لحمها. ولكن العرب ما زالت تأكل الضبع. ولا ترى في أكلها بأساً كما قال عروة بن الزبير. وقد وردت الرخصة في أكل الضبع. روى جابر قال «أمرنا رسول الله ﷺ بأكل الضبع، قلت أصيد هي؟. قال: نعم» وفي لفظ قال: «سألت رسول الله ﷺ عن الضبع؟ فقال: هو صيد ويجعل فيه كبش إذا صاده المحرم» رواه أبو داود. قال ابن عبد البر هذا لا يعارض حديث النهي عن كل ذي ناب من السباع لأنه أقوى منه.

ويقوم آكلو لحم الضبع حال صيده بتجعيره أو جوعرته وذلك بإدخال خشبة طويلة بها مسامير في عكس الاتجاه في دبره وسحبها إلى الخارج لتخرج معها الغدة الشرجية التي تفرز الرائحة الكريهة قبل أن يستخدمها الضبع ويفسد طعم اللحم. وقد يستخدمون سكيناً حادة ويقومون بالتدوير حول فتحة الاست ويسحبون المستقيم وما اتصل به من القولون والأمعاء إلى الخارج للتخلص من هذه الغدة أيضاً ومنع تأثيرها على اللحم، ثم يذكون الضبع ويطبخونه.

وعلى الرغم من أن الضبع حيوان متخصص بأكل الجيف، إلا أنه يشكل خطراً كبيراً على مواشي أهل القرى والبادية، خاصة عندما يشح الغذاء، حيث تقتل الضباع كثيراً من الحيوانات. وهي معروفة بعيثها فساداً في الأغنام والماعز والأبقار إن وجدتها، حيث تقتل أعداداً كبيرة منها في وقت واحد. ولذلك فإن أهل البادية كثيراً ما يضعون السم في بعض الأغنام الميتة، لقتل الضباع والمفترسات الأخرى التي تقتل مواشيهم. وقد عرف الضبع كذلك بالسطو على الحمير المستأنسة التي يستخدمها أهل البادية في حمل أمتعتهم

وجلب الماء من الآبار. والضبع هو العدو الأول للحمار إذ يقتله حيث وجده دون أدنى مقاومة، والحمار يخاف من مجرد رائحة الضبع حتى لو كان الأخير ميتاً.

خرج جماعة من الصيادين بحثاً عن الضباع في إحدى الحرات جنوب المدينة حيث كانت هناك مضبعة، وهي المكان الذي تكثر فيه الضباع وجحورها، وأخذوا معهم طعاماً وشراباً وحماراً لنقل متاعهم ونقل صيدهم إن أصابوا شيئاً، وعندما وصلوا إلى المضبعة قيدوا الحمار، وذهبوا مشياً للكهف الذي فيه الضباع. وبعد أن صادوا الضبع حملوه حيث يوجد الحمار ليحملوه عليه، فلما شم الحمار رائحة الضبع، شخر شخرة عميقة ووقع ميتاً من شدة خوفه من الضبع. وما كان منهم إلا أن حملوا ضبعهم على ظهورهم وعادوا إلى منازلهم.

يسود الاعتقاد بين الناس في كثير من المناطق أن الضبع ينبش القبور ويأكل الموتى، وما يزال هذا الاعتقاد عند أهل البادية والقرى، وبسبب هذا الاعتقاد فإن الضبع يصاد ويقتل أينما يشاهد ويعلق جسمه على الأشجار والأعمدة. ولكن كثيراً من أهل الخبرة ينفون أن يكون الضبع نابشاً للقبور، ولم يعرفوا قبراً نبشه ضبع طيلة حياتهم، ويؤكدون أن هذا ربما يكون من عمل الذئاب خاصة، ذلك أن بعض القبور، سابقاً لم تكن تعمق جيداً، مما يجعل الجثة قريبة من سطح الأرض، ولذلك تشم الذئاب رائحة الميت فتنبش عنه وتأكله.

ومن الأمثال المشهورة عنها قولهم «مجير أم عامر» وهو يضرب مثلاً للمحسن الذي يكافأ بالإساءة. وقصة المثل أن جماعة خرجوا للصيد فوجدوا ضبعاً فطردوها حتى لجأت إلى خباء أعرابي فدخلته، فأجارها الأعرابي كعادة العرب وحال بينهم وبينها، وبقيت عنده يطعمها ويسقيها فترة من الزمن. وفي أحد الأيام بينما هو نائم وثبت عليه وبقرت بطنه ثم ولت هاربة، وجاء ابن عم له يطلبه فوجده مبقور البطن فعرف أنها الضبع، فأخذ كنانته واقتفى أثرها حتى أدركها وقتلها؛ وجاء في الشعر:

ومن يصنع المعروف في غير أهله
يلاق الذي لاقى مجير أم عامر
أدام لها حين استجارت بقربه
قراها والبان اللقاح الغزائر
وأسمنها حتى إذا ما تمكنت
برته بأنياب لها وأظافر

فقل لذوي المعروف هذا جزاء من
يجود بمعروف إلى غير شاكر

وأهل البادية يعرفون الكثير عن الضبع وسلوكه وقدراته وأماكن معيشته، ويستفيدون من تلك المعلومات في صيده. ومن الصفات الغريبة في الضبع أنه لا يستطيع الوقوف والمشي حال قيامه من منامه، إذ تتخالف أرجله عند المشي، ولذلك سميِّ «الوركاء، ونعثل»، والبادية تستغل هذه الصفة ويناورونه وهو على هذا الحال فيمسكون به ويقتلونه دون عناء. ومن سلوكياته الأخرى أنه لا يهاجم من يدخل عليه مغارته أو وجاره في الكهوف، وربما بسبب عدم الرؤية داخل المغارة. وقد ذكر أن من يدخل على الضبع مغارته ويمسكه ثم يأخذه إلى قرب باب المغارة يستطيع صيده بسهولة، بشرط أن يقتله قبل أن يرى النور، وإلا فإنه سوف يفترس صائده إذا رأى النور.

تعيش الضباع المخططة عادة منفردة لكنها تتجمع في أزواج خلال فصل التزاوج، وقد تبقى الذكور مع الإناث في الجحر نفسه الذي يضم الجراء أيضاً. وتحمل الأنثى لفترة تقرب من ثلاثة أشهر، تلد بعدها من ٣ إلى ٥ جراء،



الضبع المخطط

تولد عمياً، وتربى في الكهوف أو الجحور لمدة تقرب من العام حيث ترضعها الأم وتجلب لها الطعام، ويعاون الذكر الأنثى في العناية بالصغار، وقد يعمر الضبع لمدة ٢٤ عاماً في حدائق الحيوان.

يعتقد كثير من الأعراب أن الضباع والكلاب والذئاب وأمثالها تتزاوج بعضها مع بعض لأنها من جنس واحد، وما زال بعض هذه الاعتقادات بين العامة في الوقت الحاضر مثل اعتقادهم أن الضب سنة ذكر وسنة أنثى، واعتقادهم أن (الذيخ) هو ولد الضبع من الذئب مع أن هذا المسمى يطلق على ذكر الضباع أو الكلاب. ويطلقون على الضبعة (أم خميس). يقول الشاعر عبدالله بن فرحان القضاعي من بلدة السبعان الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة حائل:

لى يام خميس ما عينتي قعودي
واخوفتي انك من حواله تدوجين
أنشدك لو انتي كذوب ربود
وليا عملتي عملةٍ ما تقرّين
ما ني طرف تَريَه كثير جنودي
وربعي على حقات مثلي معيين
لى صار لك من قفو سبعة فْرودي
بايّاتهن ياشينة الزول ترمين
وليا تلولس بك قوي العضود
عملة عمر باللي هوا الحير وقرين

قالت ترد عليه:

ذرّب جوابك واندقم يالعبودي
لا تظلم الاجواد يالشايب الشين
لا تتهمن تر ما بالاتهام زودِ
ولا تصدق الدعوى لما تنظر العين
أنا لى اكلت الشين ما ني جحود
عادات ربعي ياكلون البعارين

وكذلك يعتقد بعض الأعراب أن الله سبحانه وتعالى لم يدع ماكساً أو ظالماً إلا أنزل به بلية، وأنه مسخ من الظالمين ضبعاً وذئباً تسافدا وتناجلا. وقد أنشد محمد بن السكن:

إن ربي لما يشاء قدير
ما لشيء أراده من مفر
مسخ الماكسين ضبعاً وذئباً
فلهذا تناجلا أم عمرو

وتزعم الأعراب أن تزاوج الضباع والذئاب ينتج السِّمع. وهو ولد الذئب من الضبع، ويزعمون أنه لا يعرف العلل، ولا يموت حتف أنفه، وأنه لا يعدو شيء كعدوه، وأنه أسرع من الطير والريح. وكذلك العسبار ولد الضبع من الذئب قال الكميت:

وتجمَّع المتفرقون من الفراعل والعسابر

و«الفرعل» هو ولد الضبع من الضبعان و«العسابر» جمع عسبار.

ويؤكد الأعراب أن الضبع إذا هلكت قام بشأن جرائها الذئب قال الكميت:

كما خامرت في حضنها أم عامر
لذي الحَبْل حتى عال أوس عيالها

وأنشد أبو عبيدة في ذلك:

والذئب يغذو بنات الذيخ نافلة
بل يحسب الذئب أن النجل للذيب

وهذا يفسر في زعمهم ما بين الضباع والذئاب من التسافد حتى يظن الذئب أن أولاد الضبع جراؤه، وهو زعم باطل.

العائلة العرسية

يتبع هذه العائلة حيوانات صغيرة، وأخرى متوسطة، ذات جسم متطاول، وأطراف قصيرة، وآذان قصيرة، خطمها قصير وأطرافها خماسية الأصابع، ولبعض الأنواع مخالب قوية. تنتشر العائلة في آسيا وأوروبا وفي أمريكا الشمالية وكذلك في أفريقيا. وتضم هذه العائلة أنواع الظربان وبنات عرس والسمور وأبو عفن، ويمثلها في المملكة نوع واحد هو الظربان.

الظرنبول. هذا اسمه في نجد وفصيحه الظَّرِبان بفتح الظاء وكسر الراء أو الظِّرْبان بكسر الظاء وإسكان الراء، ويقال أيضاً الظَّرِبي والظرِباء. كذلك يسمى في بعض المناطق ظرمبان، وظرمبون، وتجمع على ظرابين وظرابي وظرباء وتسمى الأنثى ظرِبانة.

يعيش الظربان أو الظربون، ويسمى أيضاً آكل العسل، في الجزيرة العربية، في المناطق الجبلية والوديان. وهو حيوان مميز بلونه الفريد، حيث يكون لون الجسم بنياً غامقاً أو أسود في الخطم والأجزاء السفلية والأرجل والطرف النهائي للذيل، أما سطح الجسم العلوي وسطح الرأس فأبيض أو مصفر، وجسمه قوي، والأطراف الأمامية مزودة بمخالب قوية كبيرة، تساعده على الحفر في الأرض واقتلاع الصخور والأحجار بحثاً عن فرائسه. وهو يعتمد لتحديد موقع فرائسه على سمعه ورائحة الفرائس. ويدافع عن نفسه بأسنانه ومخالبه القوية الكبيرة.

يعرف أهل البادية والقرى الظربان بلونه المميز. ويعدُّونه من الحيوانات القوية، ويصفونه بأنه قوي مثل الرجل الشديد، كما يصفونه بأنه حيوان جبلي، قليلاً ما ينزل إلى الوديان والأماكن المفتوحة، ويشبهونه بالقط لكنه قصير اليدين والرجلين، ممتلىء الجسم شديد القوة والعزيمة. وللظربان غدة مخرجية تفرز رائحة كريهة. ويعدّ لون الحيوان المميز عاملاً مهماً في تحذير الحيوانات



آكل العسل (الظربان)

الأخرى في البيئات التي يعيش فيها. ويتميز هذا الحيوان، بالإضافة إلى لونه، بريحه النتن أو فَسْوه الكثير، وهو معروف عنه، مشهور به، ويستخدمه في الدفاع عن نفسه وفي الصيد وتدويخ الفريسة، كما يفعل مع الضب عندما يجده. ويطلق العرب عليه مفرق النعم. وذلك أنه يتوسط الهجمة أي مئة من الإبل فيفسو فيها، فتتفرق تلك الإبل كتفرقها من مبرك فيه قردان فلا يردها الراعي إلا بجهد. وقد لاحظ العرب فيه هذه الصفة الغريبة ونعتوه بها، واستخدموها في الهجاء والذم، وسارت بها الأمثال، فيقال «أفسى من ظربان»، ويقال أيضاً «فسا بينهم الظربان»، وذلك عندما يتفرق الجماعة ويتقاطعون. كما يضرب بها المثل في سوء الرائحة والنتن؛ قال الحكم بن عبدل يهجو محمد بن حسان:

ليت الأمير أطاعني فشفيته
من كل من يكفي القصيد ويلحن
ألقيت نفسك في عروض مشقة
وحصد أنفك بالمناجل أهون

إلى أن قال:

لا تدن فاك من الأمير ونحّه
حتى يداوي ما بأنفك أهرن
إن كان للظربان جحر منتن
فَلجُحْر أنفك يا محمد أنتن

وقد عرف العرب أن الظربان يستخدم هذه الخاصية سلاحاً فعَّالاً في صيد فرائسه، ويقولون إنه متى رأى الضب يدخل جحره، أتاه فسد كل

مخارج الجحر، وجاء إلى أضيق مكان وسده بجسمه ثم فسا فيه ثلاث مرات، فيخر الضب مغشياً عليه من الرائحة النتنة فيأكله ويأكل حسوله وبيضه. وينهر الناس في نجد من يفسو من الصغار في المجلس بقولهم «قم يا ها الضربول».

وقد استخدم العرب في الهجاء صفات أخرى إلى جانب الرائحة النتنة يرون أنها ذميمة في الظربان وهي أن لون جسمه، ووجهه أسود. قال البعيث المجاشعي في هجاء جرير:

سواسية سود الوجوه كأنهم
ظرابي غربان بمجرودة محل

وصفة أخرى للظربان استخدمت في أشعار الهجاء، وهي اللون الأبيض الذي على هامته، استخدمت لتشبيه ضربهم العدو المنافس؛ قال أسد بن ناغصة:

ألا بلغا فتيان دودان أنني
ضربت عُبيداً مضرب الظربان

والظربان حيوان نشط خلال النهار والليل، لكنه ليلي المعيشة خلال الصيف، يتجول لمسافات طويلة بحثاً عن الغذاء، ويسير بخطوات بطيئة، ويعتمد على الشم وحركة الحيوانات في تتبع فرائسه، وهو قادر على تحمل الظروف القاسية، ولا يحتاج إلى الماء كثيراً بل يعتمد على ما في الغذاء الذي يتناوله من ماء.

يتغذى الظربان تغذية مختلطة، حيث يأكل الحيوانات من اللافقاريات والفقاريات الصغيرة، مثل الحشرات والزواحف والطيور والثدييات. ويحفر عن البيض والمواليد الصغيرة باستخدام مخالبه القوية. وهو ماهر في الوصول إلى أماكن اختفاء الفرائس والأعشاش، وله قوة على تسلق الحيطان في طلب الطير، فإذا سقط نفخ بطنه فلا يضره السقوط، كما يتغذى بالنباتات مثل أنواع الخضراوات، وهي صفة تمكنه من الحياة والبقاء في المناطق الصحراوية القليلة مصادر الغذاء.

ويشتهر الظربان بمهاجمة مناحل العسل، خاصة المناحل التقليدية في الجبال. وفي أفريقيا يعتقد أن طائر دليل النحل يشترك معه في هذه المهمة حيث يدل الظربان إلى مكان المنحل فيهاجمه ثم يشتركان في اقتسام الغنيمة. ويستخدم الظربان أطرافه ومخالبه القوية في فتح هذه المناحل وإخراج العسل منها، وهي أعواد مجوفة من سيقان بعض الأشجار، مثل الطلح والدوم، ويسمونها في بعض المناطق خشبة أو

عود يضعونها في مكان مناسب قرب النباتات والماء، وآمِن من الحيوانات، مثل الظربان.

ويجتهد الظربان في الوصول إلى مناحل العسل ويصر على تسلق المناطق الوعرة التي بها خشب العسل. وعندما يصل إليها يدور حولها ليتمكن من إزاحة الأحجار التي توضع حولها لحمايتها. وله قدرة وذكاء في إزالة هذه الأحجار واحداً بعد الآخر حتى يتمكن من فتح المنحل وإخراج العسل الذي بداخله وأكله.

ولمعرفة أهل المناحل بخطر مهاجمة الظربان لمناحلهم، فإنهم يحرصون على وضعها في أماكن آمنة، وبناء أحجار كبيرة حولها لحمايتها، واستخدام الأسمنت والرمل لإحكام تماسكها. ولكن إذا لم يستطع الظربان فتحها وإخراجها فقد يتعاون أكثر من حيوان واحد في التصدي لها وإزاحة ما حولها من أحجار للفوز بالعسل الذي بداخلها.

وقد روى أحد أصحاب المناحل أن ظرباناً أتعبه في محاولة فتح منحله وأخذ عسله، فما كان منه إلا أن جلس في عربة حول مكان المنحل لحراسته. وكان الوقت زمن هياج الظرابي وشهوتها، أي وقت تزاوجها. وفي إحدى الليالي سمع الرجل صوتاً فنظر فإذا جماعة من الظرابين حول المنحل، وقد تقدم أحدها فأمسك بالحجر الذي يوضع في مقدمة العود لحمايته من الفتح. ثم أتى الثاني وأمسك بخاصرة الحيوان الأول وجاء الثالث وأمسك بخاصرة الحيوان الثاني، ثم صاح الأول، فبدأت في سحب بعضها بعضاً إلى الخلف فتحرك الحجر أو (المرداج) واستولت على العسل.

وتأكل هذه الحيوانات العسل وتحبه كثيراً، ولا تأكل النحل، وكل خشبة يأتي عليها الظربان، ويأكل منها فإنها تفسد بسبب رائحته النتنة، ولذلك لابد من إخراج الخشبة وغسلها وتنظيفها وتعطيرها بالنفض، وهي مادة من بقايا العسل تؤخذ من الخشبة ولها رائحة عطرة يحبها النحل وعادة يبني النحل الشمع عندما يجدها.

تعيش الظرابين في الجحور في المناطق الجبلية والوديان غالباً على هيئة أفراد، وقد عرف عنها أنها تستخدم الإفراز من غدد الرائحة في تعليم مناطق معيشتها، كذلك تستخدم الفضلات التي تضعها في مناطق معينة في طريقها الذي تسير فيه، وتساعد

هذه العلامات في تجنب المواجـهة مع الأفراد الأخرى في البيئـة التي تعيش بها. وقـد تساعد فـي التعرف عـلى الذكور أو الإناث الأخرى في المنطقة.

تتـزاوج هذه الحيوانـات خلال فصل الخريف، وتحمل الإناث مدة ٦ أشهر، وتضع مـن ٢ إلى ٤ صغار. وتعـمَّر ٢٤ سنة تقريباً.

الثدييات آكلة الأعشاب

تضم هذه المجموعة من الثدييات عدداً من البهائم والدواب التي لا تأكل إلا الأعشاب، والتي تعتمد على الأعشاب وغيرها في غذائها، وتندرج هذه الثدييات تحت عدد من العوائل هي البقرية والخيلية وعائلة الوبر والأرانب والسعادين والشياهين والفئران واليرابيع (الجرابيع) والقنافذ والثعلب الطائر والخفافيش. كما تضم كل عائلة عدداً من الأجناس. وهنا عرض لهذه الحيوانات وأنواعها وفقاً لما تضمه العوائل المختلفة منها مع الإشارة إلى خصائصها وأماكن وجودها بالجزيرة العربية.

العائلة البقرية

تتميز أفراد هذه العائلة بأن لها قرنين مجوفين عليهما حلقات تبدأ من قاعدة القرن، وهذه القرون غالباً مقوسة أو ملتوية، وقلما تكون مستقيمة، وهي غير متفرعة إلا في نوع واحد منها، والفك العلوي يخلو من القواطع والأنياب. تستوطن أنواع هذه العائلة مناطق العالم، عدا أستراليا وأمريكا الجنوبية. ويمثلها في الجزيرة العربية المها العربي والوعل وخمسة أنواع من الظباء والكبش البري والماعز البري. ويعيش النوعان الأخيران في سلطنة عمان، ولم يسجل وجود أي منهما في المملكة حتى الآن.

الوضيحي. هو المها العربي، ومفرد المها مهاة، ويقال للمها أيضاً بقر الوحش، وهو الاسم الذي عُرِفَ به هذا النوع من الحيوان في كتب التراث، كما يسمى أبو سولع في سلطنة عمان. ويُعد من أكبر المجترات البرية التي تعيش في الجزيرة العربية.

وهناك عدة أنواع من المها، فبالإضافة إلى المها العربي الذي ينتشر في الجزيرة العربية فقط، هناك أربعة أنواع أخرى

تعيش في مناطـق مختلفة من أفريقيا. فالمها معقوف القرن ينتشر في وسطها، وفي الجنوب الغربي من القارة مها جنوب أفريقيا، أمـا مها البيسا والمها ذو الأذن الجانبـية ففي شرق أفريـقيا من جنوب السودان إلى القرن الأفريقي.

ويعدّ المـها العربي أكـثر أنواع المها الموجودة في العالم رشاقة حركة، وصغر جرم. أظلافـه دائرية عريضـة وهذا مما يساعده على المشي على الرمال، وقرونه مستقيمة يتخذها سلاحاً قوياً ضد أعدائه. وهو يشبه الخيل في شكل جسمه وسرعة جريه ورشاقة حركته. ولا يختلف الذكر عن الأنـثى فـي شكل الجـسم وطـول القرون. وقـد تظهر الاخـتلافات عنـد اكتمال بلوغ الحيـوان، إذ يكون الذكور أكبر من الإناث رقبة وقروناً.

يميل لون الحيوان البالغ إلى البياض، ولذا فإنه يُرى من مسافات بعيدة، ومن هذه الـصفة أخذ لـفظ (الوضيـحي)، وتظهر على بعض أجزاء الجسم علامات بنية قاتمة. فالأرجل بنية داكنة، مع وجود منطقة بيضاء فوق الأظلاف سود اللون. وعلى كل جانب من جانبي الوجه بقعة بنية مسودة يسـميها أهل البادية حرقة، تمتد لتغطي العين، وكذلك على الأنف، وبذا يظهر الوجه ملوناً بالأبيض والبني



المها العربي

المسود، وقد يظهر في بعض أفراده خط صغير داكن على جانبي الجسم. والذيل متوسط الطـول ينتهي بخصلة سوداء، وللمها حدبة صغيرة على الكتـف تشبه حدبة الأبقار الأليفة. ويصل ارتفاع المها البالغ عند الكتف إلى ٩٥سـم، ويصل وزنه إلى ١٢٥ كجم.

يعيـش المها في قـطعان يخـتلف عددها حسب توافر المـرعى. وتتكون عادة من ذكر وأنثى وبـعض الصغار، أو من ذكـر سائـد وعدد من الإنـاث والذكور والصغار أو المواليد، ويسمى القـطيع مـن المها الـصور والصـوار،

ويسمى صغيرها الغضيض والغض؛ قال أبو حية النميري:

خبأن بها الغنَّ الغضاض فأصبحت
لهن مرادا والسخال مخابئا

وقال كعب بن زهير:

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا
إلا أغن غضيض الطرف مكحول

وقد يظل القطيع ثابتاً لا يتغير أفراده لفترة طويلة، وقد تنفرد بعض الأفراد عنه لفترة قصيرة ثم تعود إليه ثانية. ويقود الذكر السائد القطيع عادة باستعراض قوته وفرض سلوكه العدواني على بقية الأفراد خاصة الذكور الأخرى المرافقة للقطيع. وهو ينطح ويضرب بقرونه الحادة حتى يستسلم كل أفراد القطيع لسيطرته. والمها كثير الترحال لا يستقر في مكان معين. يعيش في البيئات الرملية خلال الشتاء، وينتقل إلى بيئات الهضاب الحصبائية خلال الصيف، حيث توفر له الأشجار الظل المناسب لاتقاء حرارة الشمس، والمرعى الجيد.

يتغذى المها بأنواع متعددة من النباتات الفصلية خلال الربيع مثل النفل والحربث والقفعاء، وفي الصيف والخريف يتغذى بالنصي والسحم والصمعاء والثمام، وكذلك الأشجار كالسمر والعوسج والطلح من النباتات المفضلة له، غير أن الأثموم هو أكثر ما يعيش عليه، وتساعد نباتات الطرثوث والذانون على توفير قدر جيد من الماء له، خاصة الأجزاء السفلية منها. كما يتغذى بالنباتات العصارية وأوراق أشجار السمر العربي في فصل الصيف لاحتوائها على كمية جيدة من الماء، إضافة إلى قيمتها الغذائية العالية. هذا بالإضافة إلى الشبرق والخويطة والثمام.

وهذا التنوع الكبير في النباتات التي يتغذى بها المها، وعدم الاقتصار على عدد قليل منها، يمكنه من الحصول على احتياجاته الغذائية في أي وقت من العام، خصوصاً أن له قدرة كبيرة على العيش بصورة طبيعية على كمية قليلة من الغذاء. وهو أمر في غاية الأهمية للحيوانات التي تعيش في بيئات صحراوية شحيحة الإنتاج. وقد وجد أن المها يستطيع أن يعيش بالحصول على ما يعادل ١٪ فقط من وزنه من الغذاء، والمواشي تحتاج عادة إلى أكثر من ٢,٥٪ من وزنها من الغذاء.

ولا يحتاج المها إلى شرب الماء كثيراً فهو يعتمد على النباتات التي يتغذى بها في الحصول على احتياجاته منه، خاصة النباتات العصارية، ولكنه يشرب قليلاً من الماء عندما يتوافر له، ولذلك يعده العرب من الجوازىء التي تجتزئ بالنبات

الرطب عن الماء. ومما يساعده في تقليل كمية الماء التي يحتاج إليها، تحديد فترة نشاطه أثناء النهار وبحثه عن الغذاء خلال الليل أو في الصباح الباكر، وقضاؤه فترة اشتداد الحرارة في سكون تام في الظل. وقد وجد أن النشاط الليلي يوفر قدراً كبيراً من الماء لمها البيسا الذي ينتشر في جنوب السودان ومنطقة القرن الأفريقي، حيث يتغذى بنوع من النبات يجمع الندى من الجو عند انخفاض درجة الحرارة وارتفاع الرطوبة النسبية خلال الليل إلى ما يعادل ٧٠٪ من وزنه الجاف، وتنخفض هذه النسبة إلى أقل من ١٠٪ من وزنه الجاف عند ارتفاع درجة الحرارة وانخفاض الرطوبة النسبية خلال النهار.

ويعدّ تكيف المها للمعيشة على قدر ضئيل من الغذاء وتحمل العطش لفترات طويلة من الوقت، من أهم العوامل التي ساعدته على البقاء في البيئات الصحراوية الجافة مثل صحراء الربع الخالي وصحراء الدهناء. هذا إلى جانب تحمله للارتفاع الكبير الذي يحدث في درجة حرارة جسمه خلال فترة اشتداد حرارة الجو، حيث ترتفع درجة حرارة جسمه تحت هذه الظروف عن المعدل الطبيعي (٣٨ْم) إلى درجات حرارة قد تصل إلى ٤١ْم فلا يفقد كمية كبيرة من الماء بالتعرق. ولذا فالمها لا يعرق عادة إلا بعد أن ترتفع درجة حرارة جسمه عن ٤١ْم. وكذلك يمكن أن تنخفض درجة حرارة جسمه إلى ٣٤ْم خلال الليل للتقليل من فقد الطاقة الذي يحدث إذا بقيت حرارة الجسم حول المعدل الطبيعي لها. ومن عوامل التكيف التي تساعد المها على حفظ سوائل جسمه، قدرته على تركيز البول والمواد الإخراجية الأخرى لإبقاء أكبر قدر من الماء في جسمه. وللتكيفات السلوكية أيضاً قدر كبير من الأهمية في حياة المها في البيئة الحارة، فالنشاط والبحث عن الغذاء، خلال الليل أو الفترات الباردة في أول النهار أو آخره والبقاء تحت الأشجار وسط النهار يقلل من التعرض المباشر لأشعة الشمس الحارقة.

يتزاوج المها طوال العام، إذ ليس هناك فترة محددة لتزاوجه. ويسبق التزاوج عادةً فترة من الغزل تبدأ بالعراك الخفيف والتدافع والتلاحم بالجسم والقرون بين الذكر والأنثى، وعندما تُظْهِر الأنثى علامات الخضوع، مثل خفض الرأس إلى الأسفل، يدور الذكر والأنثى أحدهما حول الآخر، مع احتكاك جسميهما وشم أعضاء التناسل والبول، وينتهي الغزل بامتطاء الذكر للأنثى لفترة

قصيرة جداً، تتكرر عدة مرات خلال اليوم الواحد.

فترة حمل المها ٨ أو ٩ أشهر. وتضع الأنثى صغيرها في مكان منعزل تحت الشجيرات لتوفير الظل والحماية له من المفترسات. وتستمر عملية الوضع عادة لعدة ساعات، وتنظف الأم وليدها تلعقه بلسانها وتأكل المشيمة. ويظل الصغير خلال ثلاثة الأسابيع الأولى بلا حركة في الظل تحت الشجيرات، ولا يخرج من مكانه إلا عند قدوم الأم لإرضاعه. وتزوره الأم زيارات قد تصل إلى ١٤ مرة



مها عربية وصغيرها

خلال اليوم والليلة، ويفطم بعد ثلاثة أسابيع. وقد تستمر الرضاعة لمدة أطول من ذلك، ومن ثم يبدأ بأكل الأعشاب والنباتات الغضة. ويستمر الغض أو الغضيض، الذي يكون لونه رملياً بلون البيئة المحيطة، مع أمه إلى أن يتم سنته الأولى ثم يتركها، وقد يضطر الصغير إلى ترك أمه أبكر من ذلك إذا اقترنت بذكر آخر للتزاوج، وهو ما يمكن أن يحدث بعد أسبوع أو أسبوعين فقط من وضعها، وعندها يبعد الذكر الصغير بقرونه بلطف ليترك أمه. تصل الإناث مرحلة البلوغ بعد سنتين أو سنتين ونصف وقد تستمر خصوبتها لأكثر من عشر سنوات.

وقد حفلت كتب الأدب والشعر بوصف بقر الوحش وسلوكياته وتصرفاته تجاه المفترسات والصيادين، وعطفه على صغاره، واستماتته في حمايتها والدفاع عنها وقت الشدة. يقول لبيد في وصف معركة بين بقر الوحش والذئاب التي تحاول افتراس وليدها:

أفتلك أم وحشية مسبوعة
خذلت وهادية الصوار قوامها
خنساء ضيعت الفرير فلم يرم
عرض الشقائق طوفها وبغامها
لمعفر قهد تنازع شلوه
غبس كواسب لا يمن طعامها

صادفن منها غرة فأصبنها
إن المنايا لا تطيش سهامها

فهذه البقرة الوحشية البائسة التي عدت على ولدها السباع الكواسب على غرة منها فأكلته، ما زالت تبحث عنه أملاً في العثور عليه حياً في الشقائق بين عروق الرمال، ولكن هيهات، لقد اختطفته المنية التي لا تخطىء سهامها. ثم يستطرد في وصف حال الأم بعد فراق ولدها المفقود بوصف لا يجاريه وصف ولا يقدر عليه إلا أمثال لبيد وزهير بن أبي سلمى وطرفة بن العبد من الشعراء المطبوعين.

وقد شبه امرؤ القيس بقر الوحش بالعذارى في مشيتها وبياضها فيقول:

فَعَنَّ لنا سرب كأن نعاجه
عذارى دوار في ملاء مذيل
فأدبرن كالجزع المفصل بينه
بجيد معم في العشيرة مخول

كما شبه زهير بن أبي سلمى محبوبته ببقر الوحش في جمال عيونها ورشاقة جسمها فيقول:

تنازعها المها شِبهاً ودرّ البـُ
ـحور وشاكهتْ فيها الظباء
فأما ما فويق العقد منها
فمن أدماءَ مرتعها الخلاءُ
وأما المقلتان فمن مهاة
وللدر الملاحة والصفاء

كما قال علي بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وقد شبه العرب رواحلهم في قوتها وشدتها وتحملها لصعاب الرحلة وطول السير، ببقر الوحش في الصبر والقوة وتحمل مطاردة الصيادين أو المفترسات. وكذلك استخدموا أوصاف بقر الوحش الجمالية في تشبيه ممدوحيهم، مثل جمال العيون وبياض اللون والتفاف الكشح وغيرها من الأوصاف.

كما استخدم الشعراء وصف الحيوان الوحشي، بصفة عامة وبقر الوحش بصفة خاصة، عند الكلام عن ديار الأحبة التي خلت بعد أن هجروها إلى غيرها من الديار لتصبح مرتعاً للحيوان الوحشي. يقول زهير بن أبي سلمى:

بها العين والآرام يمشين خلفةً
وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وقد استخدم الشعراء أيضاً الصفات الحميدة في بقر الوحش التي هي محل تقديرهم، مثل الجرأة في الدفاع عن النفس والكبرياء والإقدام والشجاعة في التصدي للمفترسات، في نعت ممدوحيهم ومن يريدون أن يرفعوا شأنه ويعلوا ذكره بين الناس.

وفي أواخر القرن الثالث عشر الهجري (١٢٨٠هـ) أي بعد منتصف القرن الثامن عشر الميلادي (١٨٦٣م)، لوحظ تناقص أعداد المها العربي في مواطن انتشاره في المناطق الشمالية الغربية، وصحراء النفود الكبير، وصحراء الدهناء والربع الخالي. واستمر التناقص في أعداد المها بشكل سريع حتى لم يبق منه إلا أفراد معدودة، في أجزاء من الربع الخالي، وفي جنوبي غرب سلطنة عُمان، بحلول منتصف القرن العشرين. وقد تأكد ذلك من خلال البحث عن المها خلال الربع الأخير من عام ١٩٧٢م في جنوب سلطنة عُمان والربع الخالي حيث تبين أن آخر سبعة أفراد من المها شوهدت وصيدت في تلك المناطق، ولم يعثر على أي أثر لهذا الحيوان في مواطنه الطبيعية بعد ذلك التاريخ.

وقد تزامن انقراض المها مع تطور الأسلحة النارية وانتشارها انتشاراً واسعاً في أوروبا، ومن ثم تصديرها إلى مختلف مناطق العالم ومنها الجزيرة العربية، إلى جانب توافر وسائل النقل القوية خاصة السيارات ذات الدفع الرباعي.

وقد أخذ عدد من الهيئات والحكومات في علاج ظاهرة التناقص السريع في أعداد المها العربي والأنواع الفطرية الأخرى في الجزيرة العربية، فقاموا بجمع ما أمكنهم جمعه من أفراد المها العربي واحتفظوا بها في حدائق الحيوان في بعض دول المنطقة مثل المملكة وسلطنة عُمان وقطر والبحرين والإمارات العربية والكويت. كذلك جمع بعض المهتمين بالحيوانات الفطرية عدداً من هذه الحيوانات واحتفظوا بها في حدائق ومزارع خاصة. إلا أنه لم يصاحب تجميع هذه الأعداد من الحيوانات تخطيط واضح لإكثارها أو تكوين الملاذات الآمنة لها، ومن ثم إعادتها إلى مواطنها الطبيعية السابقة.

ولم تلبث أن اهتمت بعض المنظمات العالمية بالحالة المتدنية التي وصل إليها وضع المها العربي في مواطنه الطبيعية، فأخذت زمام المبادرة للمحافظة عليه. وشكلت لجنة من الاتحاد الدولي لصون الطبيعة وجمعية المحافظة على الأحياء الفطرية، وغيرها من الهيئات، في عام ١٩٦١م بهدف الحصول على قطيع من المها العربي من مواطنه الطبيعية في الجزيرة العربية وإكثاره تحت الأسر، ومن ثم إعادته إلى مواطنه الطبيعية بعد ضمان حمايته مستقبلاً من الصيد الجائر الذي أدى إلى انقراضه. وفي عام ١٩٦٢م

أمسك فريق أرسلته اللجنة بذكرين وأنثى في منطقة من الربع الخالي بين سلطنة عُمان واليمن، وأرسلت هذه الحيوانات إلى كينيا ثم إلى ولاية أريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية. وتبرعت المملكة العربية السعودية بذكرين وأنثيين من أصل ثلاث عشرة مهاة كانت في حديقة حيوان الرياض، وتبرعت كل من الكويت وحديقة حيوان لندن بأنثى كانت جاءتها من سلطنة عُمان. وتكون من مجموع هذه الأفراد ما سُمِّي بالقطيع العالمي الذي استقر في حديقة حيوان مدينة فيونكس بولاية أريزونا بأمريكا.

بدأ هذا القطيع في التكاثر بشكل جيد حتى وصل عدد أفراده في عام ١٩٧٢م إلى ثلاثين فرداً. ثم رأى المختصون أن يوزع هذا القطيع العالمي إلى مجموعات في حدائق حيوان متفرقة، لضمان بقائه وعدم تعرضه لخطر الموت الجماعي نتيجة التعرض للإصابة بأي مرض وبائي. لذا أرسلت مجموعة منه إلى حديقة حيوان لوس أنجلوس، وأخرى إلى حديقة حيوان سان دياجو في ولاية كاليفورنيا بأمريكا الشمالية.

وبدأ المها العربي رحلة العودة إلى مواطنه الأصلية في الجزيرة العربية عام ١٩٧٨م حيث أرسل ثمانية أفراد من القطيع العالمي إلى محمية الشومري بالأردن، سرعان ما تأقلمت فيها وتكاثرت بصورة جيدة. ثم أعقب ذلك إرسال حوالي ١٧ مهاة إلى جنوب غرب الجزيرة العربية حيث أطلقت في محمية جدة الحراسيس في سلطنة عُمان عام ١٩٨٠م. ولم تلبث أن تبعتها مجموعات صغيرة أخرى أطلقت في المحمية نفسها.

وعلى الرغم من انقراض المها العربي من مواطنه الطبيعية في المملكة العربية السعودية، إلا أن أعداداً لا بأس بها كانت موجودة ضمن بعض المجموعات الخاصة، مثل مزرعة الملك خالد بن عبدالعزيز -طيب الله ثراه- في الثمامة شمال مدينة الرياض وغيرها، وكانت هذه المجموعات محل اهتمام خاص من حيث الرعاية الصحية والإكثار. وقد أضيفت إليها أعداد قليلة من القطيع العالمي من قطر والبحرين خلال فترات مختلفة بغرض تجديد دمائها وزيادة أعدادها.

وجاء إنشاء الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها عام ١٤٠٦هـ ليمثل نقطة تحول مهمة في المحافظة على الحياة الفطرية عامة، والمها العربي خاصة. فأنشئ المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالطائف، وأوكلت إليه مهمة

العنايـة بالقطيع الذي كان مـوجوداً في مزرعة الملك خالد بالثمامة، والعمل على تحسين نوعيته وإكثاره لإعادة توطينه في مواطنه الطبيعية التي كانت تزخر به في عهود سابقة. وقد تكاثر المها العربي في المركز الـوطني لأبحاث الحيـاة الفطرية بالطائف تكاثراً جيداً، وزادت أعداده بعد التـغلب علـى المشاكل الـصحية الـتي واجهت القطيع بعـد انتقاله من الثمامة إلى الطائف. وفي بداية شهر شعبان من عام ١٤١٠هـ أطلقت أول مجموعة من المها مكونة من ١٧ فرداً في محمية محازة الصيد المسيجة الـتي تبعد حوالي ١٤٠ كم شرق مدينة الطائف. ولم يلبث أن تكيف المها سريعاً مع الظروف الطبيعية في محمية محازة الصيد خلال السنوات الأولى لإطلاقه. وازداد عدد أفراد القطيع حتى وصل إلى أكثر من ٢٥٠ فرداً في منتصف عام ١٤١٦هـــ. ونتيجة لزيادة أعداد المها فـي المركز الوطني لأبـحاث الحياة الـفطرية بالطـائف، وكذلك في محمية محازة الصيد، اختيرت مجموعة جديـدة مكونـة من ٢٣ مـهاة تـتـراوح أعمارها بين ٩ إلى ١٦ شهراً وأُطـلقت في محمية عروق بني معارض في شوال من عام ١٤١٥هـ. لترتع حرة طليقة على مشارف الربع الخالي، آخر موطن وجدت فيه قبل انقراضها. ولن يمر وقت طويل بإذن الله قبل أن يعود المها العربي لينتشر في جميع المواطن التي كـان ينتشر فيها قبلاً في الجزيرة العربية.

الوعل. الذكر منه هو التيس الجبلي، والأنثى هي الشاة أو العنز وتسمى أيضاً أروية وأرَوى وجمعها أراوي. ويـسمى الوعل المسن الـبِدَن، وله أسماء عديدة غير ذلك، ويـسمى ولد الأروية العَـفَر وإذا أتم سنة فهو الغادِر. ويـسمى أهل البادية الذكر البدن والعوِد إذا كانت قرونه أطول من شبريـن، أما إذا كانت أقصر من ذلك فيسمى أبو صدة. وأنثى الوعل لها عـدة أسماء لدى أهل البـادية فهي أروية وجلمـة وسيافة وشاة ولا تسمى لديهم عـنزا، وإذا اشتد الذكر وبلـغت قرونه طولها النـهائي، وهو عادة سبعة أشبار، يسـمى ناخس لأن قرونه تترك علامات فوق مؤخرة ظهره لاحـتكاكها المستمر بها.

وينتشـر الوعل على امتداد جبـال أوروبا وآسيـا وسلاسل جبال جنـوب سيبيريا وغرب الصين وجبال الهملايا، وفي جنوب أوروبا وعلى جانبي البحر الأحمر. ويـعيش الوعل في الجـزيرة العربية في المناطق الجبـلية على امتداد ساحل البحر الأحمر، وجبال اليمن،



الوعل (الذكر يسمى التيس الجبلي)

وعُمان، ووسط المملكة. وهناك تنافس بين الوعول والماعز والضأن في البيئات التي تقطنها، خاصـة تلك الفقيرة في محتواهـا النباتي مما أدّى إلـى تناقص أعداد الوعول. ساعد على ذلك امتلاك أصحـاب الأغنام كـثيراً مـن المناطـق الرعوية الجيدة، واستخدامهم الأسلحة النـارية في الـقضـاء على كـثير مـن الوعول.

وتعيش الوعول في المـناطق الجبلية العاليـة في قمم الجبال، وفي الشـعاب الصغيرة، والمنحدرات في أعالي الجبال، وفي المناطق الوعرة، حيث توفر لها هذه البيئات الحماية والمنعة. والوعل من أمهر أنواع الماعز البري في التسلق والمشي على أصعب الحواف الصخريـة العمودية في وثبات متتابعة، يساعده في ذلك أطرافه العضلية القصيرة القوية، وأظلافه الغليظة المرنة المتكيفة للمشي في البيئات الجبلية الصعبة.

والوعل حيوان جبلي يشـبه الماعز، جسمه ممتـلئ مغطى بشعر خـشن لونه يميـل إلى البنـي. تمتاز مقـدمة أطرافـه بعلامات سود وبـقع بيض على الركبة تعرف بالحِـجَل. وللذكور قرون كبـيرة معقوفة إلى الخـلف ذات بروزات قرنية عريضـة واضحة، أما الإناث فـقرونها صغيـرة، والبروزات القرنـية فيهـا أقل وضوحاً مما هي عليه في الذكور.

تختلـف ذكور الوعول عن الإناث في حجم الجسم، ويبلغ حجم الذكـر البالغ ضعف حجم الأنثى تقريباً، وللذكر لحية مميَّزة هي خصلة شعرية تنمو تحت الذقن تظهر عنـد بلوغه سن الثانية من عمره، كما أن للذكور عُرْفاً مـن الشعر الأسود على منـتصف الظهر، ويتلاءم لون الشعـر في الوعول مع البيـئة التي تعيـش فيها، فـفي البيئـات الصخريـة الرسوبـية في جبـال طويق يكون لـون

الجسم أفتح منه في تلك التي تعيش في جبال الحجاز غرب الجزيرة العربية، أما الوعول التي تقطن الحرات فيميل لونها إلى البني الرمادي، وفي كلا الجنسين نهاية الذيل سوداء.

ويمكن تقدير أعمار الذكور بطول القرون واللحية، فالذكر البالغ من العمر ثلاث سنوات يبلغ طول قرونه نحو ٣٠سم، وتكون منحنية إلى الخلف قليلاً وتظهر على مقدمتها ٣ أو ٤ عقد قرنية واضحة، ويصل طول لحيته حوالي ٢سم. أما الذكور التي عمرها من أربع إلى خمس سنوات فيتراوح طول القرن فيها من ٣٠ إلى ٦٠سم، ويكون القرن واضح الانحناء إلى الخلف، ويصل طول اللحية من ٣ إلى ٥سم، وفي الذكور من سن ٦ إلى ٨ سنوات يبلغ طول القرون من ٦٠ إلى ٨٠سم، وتكون محدبة بصورة واضحة، كثيرة العقد وطول اللحية من ٥ إلى ٧سم. أما الذكور من ٩ سنوات فأكثر فتكون قرونها محدبة كثيراً ونهايتها قد أكملت دورتها واتجهت إلى الأمام قليلاً، وقد تلامس ظهر الحيوان في الذكور المسنة، ويصل طولها إلى ١٢٠سم، وطول اللحية من ٧ إلى ١٠سم. وقد ثبت أنه لا علاقة بين عدد العقد القرنية على القرون وعمر الحيوان.



الوعل

وقد أدى الصيد الجائر من ناحية، ومزاحمة قطعان الماشية لها على المرعى في معظم البيئات التي تعيش فيها من ناحية أخرى، إلى انحصار انتشارها في مناطق أقل جودة، مما نتج عنه حدوث تغيرات جوهرية في أعداد جماعات الوعول وصفاتها وعلاقتها بعضها ببعض، كما تأثرت قدرتها على التناسل، فتناقصت أعدادها كثيراً. وقد أدى هذا الوضع إلى زيادة الجهد الذي تبذله هذه الحيوانات في الحصول على غذائها تحت

ظروف المطاردة المستمرة وقلة المراعي الجيدة، مما جعل من الصعوبة بمكان أن تتحرك للبحث عن الغذاء مع المحافظة على مخزونها من الطاقة وتقليل تعرضها للمخاطر، بالإضافة إلى حرص الحيوان على عدم التعرض لأشعة الشمس الحارقة خلال منتصف النهار حتى لا ترفع من درجة حرارة جسمه، وتعرض مخزونه من الماء للخطر. ولذلك يحرص الحيوان على أن يكون نشاطه محصوراً في أوقات برودة الجو في أول النهار وآخره. وتبقى الحيوانات في الظل أو في الكهوف في فترات الظهيرة.

وتتغذى الوعول بالأعشاب والكلأ، إلا أن غذاءها أكثره من أوراق الشجيرات والنباتات العشبية الصغيرة، وبعض أجزاء الأشجار مثل الأوراق والبراعم والأزهار وربما اللحاء. وعندما ترعى الوعول يكون لها فرد «رقيب» لحمايتها من الخطر ولا يرعى بل يتفرغ لمراقبة ما حوله إلى أن تنتهي نوبته ويحل محله فرد آخر من القطيع فيأخذ نصيبه من الرعي.

تعيش الوعول في مجموعات تتكون غالباً من ذكر سائد ومجموعة من الإناث التي تتبعها صغارها،



منافسة بين ذكرين من الوعول

وتنفصل الذكور الأصغر سناً عادةً في مجموعات مستقلة. ومن عادة الوعول أن تعيش مجتمعة في فصل الخريف ابتداءً من شهر أكتوبر خلال الدورة النزوية للإناث وهياج الذكور مع دخول الوسم. وترتبط الذكور السائدة بالإناث ويحدث تنافس شديد بين الذكور على الإناث، خلال تلك الفترة، وتكثر حركة الذكور ونشاطها بحثاً عن الإناث حيث يقف الذكر على أعلى مرتفع من الجبل عند بحثه عن الإناث للتزاوج ويجذبهن إليه بإطلاق رائحة معينة مع إصدار صوت خاص يدعوهن إليه. وقد تتدهور الحالة الصحية للذكور بسبب كثرة نشاطها وقلة تغذيتها خلال تلك الفترة.

يستمر تزاوج الوعول حتى منتصف شهر تشرين الثاني (نوفمبر)، أي نهاية فصل الخريف إذ تستمر فترة الحمل حوالي خمسة أشهر وتلد في بداية فصل الربيع وتضع الإناث عادة صغيرين، وقد يلد بعضها صغيراً واحداً، وتنعزل الإناث في أعالي الوديان في أماكن بعيدة عن بقية القطيع قبيل الولادة، وتظل في مكانها لعدة أسابيع حيث تلد صغارها وتعتني بها وتزورها عدة مرات خلال الليل للرضاعة. ويعمل هذا الانعزال على توثيق صلة الأم بصغيرها، كما يقلل من خطر الافتراس وموت الصغار، وتبقى الأم مع وليدها عدة أسابيع حتى يستطيع المشي، تعود بعدها لمشاركة القطيع حياته.

وتفضل الوعول خلال الخريف العيش في الجبال ذوات الأحجار الصغيرة البازلتية لأنها أوفر عشباً مع سقوط أمطار الوسم. أما في الصيف فتنفصل الذكور عن الإناث وتتجه للعيش في سفوح الجبال وفي الهضاب الحمر، حيث تكون أوفر أشجاراً وظلاً وتجد ما يكفيها من الماء في القلات والأوشال. كما أنها في الشتاء تكون في أعالي الجبال، وفي الصيف تنزل إلى أطراف الهضاب والأودية المنحدرة منها، لوفرة الأشجار، خاصة السمر والطلح.

تعمر الوعول أكثر من ١٥ سنة، وأكثر ما تموت عادةً خلال ستة الشهور الأولى من العمر. وتشكل الضباع وعناق الأرض والثعالب والعقبان والبزاة أهم الأعداء الطبيعية لصغار الوعول. أما النمور والذئاب والضباع فتفترس الوعول البالغة. والإنسان بحق هو المسؤول الأول عن قتل أعداد كبيرة منها بصيده الجائر وتدميره بيئاتها الطبيعية، وحرمانها من الحصول على احتياجاتها الغذائية.



أنثى الوعل وصغارها

ويضرب بالوعل المثل لمن لا يُرى خيره وإحسانه إلا نادراً فيقال «فلان كبارح الأروى» وذلك لأن منازل الأروى شعف الجبال العالية فلا ترى إلا نادراً.

وقد ورد ذكر الوعل كثيراً في الشعر، وأكثر ما ورد في قصائد المدح حيث يشبه الممدوح بالوعل في القوة والمنعة لأنه لا يبرح شعف الجبال وقممها الصخرية الوعرة التي لا يكاد يصلها الإنسان، وقد وصل الحال ببعض الشعراء إلى الرمز به لطول البقاء، وأن الموت قد لا يدركه. يقول ديك الجن في هذا المعنى:

نغفل والأيام لا تغفل
ولا لنا من زمن موئل
والدهر لا يسلم من صرفه
أعصم في القنة مستوعل
يتخذ الشعرى شعاراً له
كأنما الأفق له منزل
كأنه بين شناظيرها
بارقة تكمن أو تمثل

والقُنَّة جمع قُنَن وهي قمة الجبل، وشناظير الجبل هي حروفه وأطرافه ورؤوسه المدببة.

وقد وردت بعض صفات الوعول في شعر الصعاليك، الذين ألفوا حياة التشرد والبعد عن الناس ومجتمعاتهم، فوجدوا في الوعول الشاردة أليفاً لهم يأنسون به؛ يقول الشنفرى:

تروود الأراوي الصمُّ حولي كأنها
عذارى عليهن الملاء المذيل

وكانت البدن تشاهد في قطعان كبيرة في معظم البيئات الجبلية. ويروي بعض كبار السن أن الوعول كانت تختلط مع أغنامهم في مراحها حول منازلهم فضلاً عن الرعي معها في المراعي القريبة، حتى وصل الأمر في كثير من الأحوال إلى التزاوج بين إناث الماعز وذكور الوعل، وقد اضطر صاحب قطيع من الماعز إلى أن يصطاد صغار ماعزه المهجنة من ذكور الوعل عندما كبرت وعجز عن إمساكها، وقد أخذت عن الوعل سرعته وارتقاءه للجبال والمسالك الوعرة.

وكان الصيد عند أهل البادية من أساسيات حياتهم، يتربون عليه منذ نعومة أظفارهم، فالشاب يحمل البندقية وهو حدث السن لا يكاد يستطيع حملها على كتفه، لكنه يحملها حتى ينتقل من سن الطفولة إلى مرحلة الرجولة، ولا يعني ذلك في الحقيقة قدرته على الصيد وضرورة أن يجلب صيداً سميناً لأهل الحي، ولكنه يتعلق بقدرته على البقاء في هذه البيئة غير الآمنة المحفوفة بالمخاطر. ولذلك كان من المسلمات أن لا يسير الإنسان إلا ومعه السلاح أو البندقية أياً كان نوعها. فإن لم تتوافر له، فسيف يدافع به عن نفسه وإلا فعصاً قوية يرد بها سبعاً مفترساً أو معتدياً أثيماً من بني جنسه.

وخلال تلك الفترة كان يحكم الصيد مقدار حاجة الصياد وحاجة جيرانه في الحي. فعلى الرغم من توافر أعداد كبيرة من قطعان الوعول، التي كثيراً ما يصادفها الصياد أثناء القنص أو أثناء تجواله وراء أغنامه، لكنه لا يقتل منها إلا ما يستطيع أن يعود به إلى أهله، ويعلم أنه سوف يأكله ولا يبقي منه شيئاً، أي بقدر الحاجة. وكان سلوك المحافظة على الموارد الطبيعية نظاماً راسخاً في حياة أهل البادية، فكل الموارد الطبيعية الموجودة في بيئتهم شحيحة، ولذلك كان عليهم أن يتصرفوا حيالها بحذر ولا يسرفوا في استخدامها. فكان الصياد منهم لا يقتل إلا ما يستطيع حمله إلى أهله وبخاصة الوعل الذي لا يُنال غالباً إلا في أماكن بعيدة وعرة، ويحتاج إلى حمله على ظهره لمسافات طويلة حتى يصل به إلى المنازل، إضافة إلى حمله المعتاد من متاع وبندقية.

كان للوعول منافع كثيرة؛ فبالإضافة إلى اتخاذ لحومها قوتاً، كانت قرونها تستخدم لعمل مقابض الخناجر أو الجنابي ويسمونها النِّصَاب وإن كانت قرون الظباء

أكثر استخداماً لهذا الغرض، وكذلك كانت تستخدم أداة في نطي الأَسْدية، ومفردها سدو، وهو البساط الذي يعمل من شعر الأغنام وصوفها وتعمل منه الخيام أيضاً. كما كانت جلودها تستخدم بعد دبغها لعمل القرب أو الفرش.

الظباء. يطلق هذا الاسم عند عامة الناس على أنواع الغزال المختلفة، وقد كثر في الزمن الحاضر استخدام لفظ الغزال للدلالة على الظبي، والصحيح أن الغزال هو صغير الظبي، ويجمع الظبي على ظباء وأظْبٍ وظُبي، والأنثى ظبية وجمعها ظبياتٌ وظباء، وتكنى الظبية بأم الشادن، قال ذو الرمة:

ذكرتك إذ مرّت بنا أم شادن
أمام المطايا تشرئب وتسنح

وتكنى كذلك أم الطل وأم الخشف.

يقول مجنون ليلى:

فما أم خشف بالعقيقين ترعوي
إلى رشأ طَفْل مفاصله خدر
بمخضلةٍ جاد الربيع زهاءها
رهائم وسميّ سحائبه غزر
تقلب عيني خاذل بين مرعو
وآثار آيات وقد راحت العفر
بأحسن من ليلى معيدة نظرة
إليَّ التفاتاً حين ولت بها السفر

ويسمى الظبي بأسماء متعددة منها الأعقف أي معقوف القرن، والأَغْيَد أي الطويل العنق، أما غادة فهي الفتية من الظباء، وبها يسمى اليوم كثير من البنات. وتسمى الظبية كذلك المُغزل والمُشدن وهي المطفل من الظباء. وقد وردت هذه الأسماء كثيراً في شعر العرب قديماً وحديثاً في قصائد الوصف والغزل وتذكر المحبوبة.

وقد صنف العرب الأوائل الظباء حسب ألوانها إلى ثلاثة أقسام؛ هي الآرام، أي الظباء البيض الخالصة، واحدها ريم ومساكنها الصحارى الرملية التي تخفيها عن أعدائها. قال البحتري في مدح إسماعيل بن بلبل:

قد أراه مغنى لآرام سرب
مائلات إلى التصابي خدوده
من غزال يصيدني أو غزال
يتأبى ممانعاً لا أصيده
أسرتني له الصبابة حتى
أسرت مقلتاه لُبي وجيده

والظباء العُفر، أي ذات البياض المشوب بحمرة، واحدها أعفر والأنثى عفراء وتسكن الأراضي الصلبة. وقد انقرض الظبي العفري من مواطنه الطبيعية منذ فترة طويلة ولم يبق منه إلا عدد قليل جداً في مجموعة خاصة،

هي تلك الموجودة في مركز الملك خالد لأبحاث الحياة الفطرية بالثمامة ولا يتعدى عددها أربعة ظباء. والقسم الثالث من الظباء هو الأدم، أي التي يميل لونها إلى الأدمة أي البياض يخالطه غبرة، ويقال أدمي وتوصف الأنثى بأنها أدماء. وقد مر قول ذي الرمة في وصفها. والظباء الأدم تسكن في المناطق الجبلية والحرات، حيث تتشابه ألوانها مع تلك البيئات التي توفر لها الحماية من المفترسات.

والظباء جزء من بيئة سكان الجزيرة العربية، تعيش معهم وتشارك مواشيهم المراعي، ولذا عرفوها تمام المعرفة، وتغنَّوْا بجمال أجسامها ورشاقتها، وحَوَر أعينها، واستخدموا تلك الصفات الجميلة في شعرهم لوصف من يحبون أو يمدحون من ذوي الشرف والكرم، وتظهر معرفتهم بالظباء في تسميتهم إياها بأسماء مختلفة منذ ولادتها حتى تهرم وتموت، فأول ما يولد للظبية الطَلاَ حتى يبلغ أسبوعين، ويكون ناعم الجلد داكن اللون. يخلد عادة تحت الأشجار ولا يتحرك إلا إذا أحس بقرب أمه للرضاعة، وهو أمر يجنبه كثيراً من أخطار الافتراس. وإذا مشى الطَلاَ سمي «غزالا» وهو ما له ثلاثة إلى ثمانية أسابيع من العمر، وقد يلازم أمه بعض الوقت، ويبدأ في قضم النباتات بالإضافة إلى غذائه من لبن الأم، ولا يمكن التمييز في هذه السن بين الذكور والإناث. وإذا طلع قرنه سُمِّي شادناً، والشادن هو الذي يبلغ طول قرنه نصف طول الأذن، ويصل ارتفاع ظهره إلى نصف ارتفاع جسم أمه. وخلال هذه المرحلة يمكن التمييز بين الذكور والإناث بشكل القرون، فقرون الذكر غليظة القاعدة ذات رأس منحنٍ إلى الأمام وأما قرون الإناث فدقيقة مستقيمة. وإذا بلغ ستة أشهر فهو شاحر أو جدَّاية أو خشف وهو أقل من الحيوان البالغ، ثم يصير بعد ذلك جذعاً ثم ظبياً أو ظبية ثم ثَنِيًّا وهو الحيوان المكتمل النمو، ويبقى كذلك حتى يهرم ويموت. والخشفة هي الظبية التي لم تلد بعد.

ويضرب بالظباء كثير من الأمثال الشعبية مثل: «عيا على فقاح الظبا خميرها»، «ظبي الهويملي ما يعودها رقدة»، «ظبي عليان يرعى مقفي وراه». «ظبي يكذب بعينه ويصدق بخشمه»، «راس ظبي ما فيه عراش». «ظبي العزا ما يحمد إلا قوايمه». «آمن من ظبا الحرم»، ويضرب هذا المثل للآمن مثل ظباء الحرم التي لا تصاد ولا تفزع

لمجاورتها للحرم. ومن الأمثال التراثية «به لا بظبي أعفر» وهو يضرب للشماتة. أي لتنزل به المصيبة ولا تنزل بالظبي، قال الفرزدق عندما بلغه موت زياد بن أبيه:

أقول له لما أتاني نعيُّه
به لا بظبي بالصريمة أعفرا

ويقال «أنفر من ظبي»، لحذره ونفوره عند الإحساس بالخطر ولذا أمر النبي ﷺ الضحاك بن قيس أن يذهب إلى قومه ليأتيه بخبرهم وقال له: إذا أتيتهم فاربض في دارهم ظبياً. والمعنى أن يكون منهم بحيث يراهم ويجمع أخبارهم من دون أن يحسوا به، فإذا أحس منهم الخطر انفلت منهم. فيكون كالظبي الذي لا يربض إلا وهو متحفز للنجاة من أي خطر داهم.

وقد كانت لرشاقة أجسام الظباء وحسن ألوانها وصفاء وحوَر أعينها أثر كبير في شحذ قرائح الشعراء في مختلف العصور، لنحت الصور الجميلة والتشبيهات الفاتنة المعبرة عمَّن يحبون. ومن الصور التي استخدمها الشعراء باطراد تشبيه طول عنق المحبوبة أو الموصوفة بعنق الظبي، وكذلك الحَوَر الذي يزيد العين جمالاً، قال البحتري في مدح المتوكل:

إن الظباء غداة سفح محجر
هيَّجن حر َّجوًى وفرط تذكر
من كل ساجي الطرف أغيد أجيد
ومهفهف الكشحين أحوى أحور
أقبلن بين أوانس مال الصبا
بقلوبهن وبين حور نُفَّر
فبعثن وجداً للخلي وزدن في
بُرحاء وجد العاشق المستهتر

وقال مجنون ليلى في هذا المعنى:

إن الظباء التي في الدور تعجبني
تلك الظباء التي لا تأكل الشجرا
لهن أعناق غزلان وأعينها
وهن أحسن من أبدانها صورا

ويقول أحمد بن عبد ربه في هذا المعنى:

وكأنما ترنو بعين غزالة
فقدت بأعلى الربوتين غزالَها

ومن الصور المستعارة من أشكال الظباء وحسن أجسامها، الكشح الهضيم والخصر الدقيق واللون الناصع، يقول أبو تمام في هذا:

فتأبَّدَتْ من كل مخطفة الحشا
غيداء تُكسى يارقا ورعاثا
كالظبية الأدماء هافت فارتعت
زهر العرار الغض والجثجاثا
حتى إذا ضرب الخريف رواقه
سافت برير أراكة وكباثا

ويضرب لجمال النساء المثل الشعبي «أزين من قايد الريم» ويـقودها أرشقها وأكملها قواماً.

الريم: وهو ظبي الرمال، وهو ظبي فاتح اللون كثيـر البياض، جليل العنق قصيـره. وكانت الآرام منتشـرة بأعداد كبيرة في معظم أنحاء الجـزيرة العربية، وما يزال كثيرون من كبـار السن يروون مشاهدها، ويصفون قطعانها الكبيرة التي كان من المعتاد مشاهدتها في نواحي الربع الخالي والدهناء والنفود والمناطق الشمالية الغربية من الجزيرة العربية. كما ذكر ذلك أيضاً الرحالة الـغربيون في مذكراتهم، ووصفوا أعدادها الكبيرة في مناطق عديدة من المواطن التي تعيش فيها، حيث كانت الآرام تعيش في قطعان تتراوح أعدادها في كل قطيع من ٥٠ إلى ١٠٠ ظبي، وقد يكون القطيع أحياناً أقل من ذلك. ويسمى هذا القطيع من ظباء الريم جميلة والجمع جمايل، ويقود القطيع عادة أنثى جماء لا قرون لها تسمى العنود وتكون أول من يهرب عند الخطر ويتبعها باقي القطيع، ولا يوجد قطعان بهذا العدد إلا ظباء الريم، أما العفري والأدمي وغزال بلقيس فـلا يزيد عدد القطيع فيـها عن بضع ظباء عادةً. ويـتكون القطيع عادةً من ذكر سائـد، ومجموعة من الإناث البالغة وما يتبعها من الشوادن والجديان، كما قد يحتوي القطيع على بعض الذكور اليافعة.



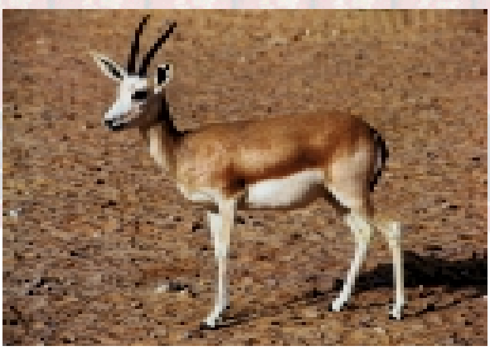
ظبي الريم وهو ظبي الرمال

ويتسم نشاط الريم بحركة موسمية طويلة ضمن نطاق المواطن التي يعيش فيها. فيتجول في مناطق شاسعة بحثاً عن الأعشاب والنباتات المناسبة لغذائه، ويساعده في ذلك أرجله الرفيعة الطويلة وجسمه الممشوق وسرعة عدوه التي قد تبلغ ٧٠كم في الساعة، وقد تلجأ بعض الآرام إلى الخروج من المناطق الرملية إلى المناطق المجاورة بحثاً عن الغذاء.

تنشط الآرام خلال فترتي الصباح الباكر والمساء، وقد تصبح ليلية المعيشة خلال فترات اشتداد حرارة الجو، وتصرف الحيوانات جزءاً كبيراً من الوقت في البحث عن الغذاء، والعناية بالجسم والاختفاء من الأعداء، وتتغذى بالحشائش والأعشاب الحولية، وأوراق النباتات المعمرة وأزهارها. ولا تحتاج إلى شرب الماء بل تكتفي بالماء الذي تحصل عليه من النباتات التي تتغذى بها، مثل براعم العرفج والنباتات التي تمتص الندى في فترات الصباح الباكر أو الليل مثل الشبرق، ولذلك يعدها العرب من الجوازىء التي تجتزئ بالنبات الرطب عن الماء. وهي قادرة على أكل النباتات التي قد لا تستسيغها الحيوانات الأخرى، مثل نبات اللبان.

يوافق موسم الولادة فترة هطول الأمطار ووفرة الغذاء خلال الربيع. ولذلك فإن أعداداً كبيرة من الآرام تتجمع خلال الخريف وأوائل الشتاء. ففي شهر تشرين أول (أكتوبر) تحدث الدورة النزوية، وخلال هذه الفترة تتكون مناطق السيطرة وما يتبعها من تنافس قوي بين الذكور على الإناث البالغة، وتستخدم الذكور البراز والبول وإفرازات الغدد الوجهية (الختتور) في ترسيم هذه المناطق وحمايتها من تعدي الذكور الأخرى المنافسة.

تحدث الولادات خلال شهر آذار (مارس) ونيسان (إبريل) بعد فترة حمل تبلغ حوالي خمسة أشهر، وتلد أنثى الريم عادة توأمين بعكس أنثى العفري والأدمي التي لا تلد توائم عادة، وتعتني الأم بالصغار حتى تفطم وتعتمد على نفسها وتبدأ بأكل النباتات، وتبلغ الآرام سن التكاثر خلال عامها الأول.



ظبي الريم

وقد تناقصت أعداد الآرام في الجزيرة العربية، مثل غيرها من الحيوانات الفطرية الكبيرة، منذ بداية القرن العشرين. وبحلول منتصف القرن العشرين أصبحت أعدادها قليلة جداً، وانحصرت داخل مناطق. ولا شك في أن وسائل النقل الحديثة، خاصة السيارات ذات الدفع الرباعي، والأسلحة الآلية المتعددة الطلقات ساهمت كثيراً في حصد أعداد كبيرة منها في وقت قصير. وقد روى كثيرون من كبار السن أن السيارات كانت تطوف بالسهول والمناطق التي تنتشر فيها الظباء وتعود محملة بالمئات منها لا تجد من يأخذها، فترمى في أطراف المدن بعد تعفنها وفسادها. وقد تأكدت هذه الروايات في مذكرات بعض الرحالة الغربيين الذين كتبوا عن الجزيرة العربية.

الأدمي: وهو ظبي الجبال، وهو ظبي شائع في الجزيرة العربية، رشيق الجسم متوسط الحجم، دقيق العنق طويله، لذلك يوصف به كثيراً عنق الفتاة الحسناء، ويميل لون جسمه إلى اللون البني الداكن. وعلى امتداد جانبي الوجه خطان بنيان واضحان ممتدان من أعلى الأنف حتى نهاية العين الداخلية، كما توجد بقعة بنية على الأنف، وخط بني داكن على الخاصرة، يفصل لون الجسم البني عن البطن بقعة بيضاء، وهناك اختلاف في درجة اللون حسب المنطقة التي يعيش فيها هذا النوع من الظباء. فالمجموعات



ظبي الأدمي وهو ظبي الجبال

المنتشرة في المناطق الشمالية الغربية أفتح لونـاً من تلك الـتي تعيـش في تهامـة الحجاز. وللذكور والإناث قرون قصيرة عريضة القاعدة، هي في الذكور مستقيمة الشكل منحنية الرؤوس إلى الأمام قليلاً عليها حلقات واضحة، يصل طولها إلى ٢٠سم، أما قرون الإنـاث فهي أصغر حجماً، والذيل قصير ينتهي بخصلة من الشعر سوداء.

وكان الأدمـي واسع الانتـشار فـي معـظم منـاطق غرب الجزيـرة العربـية وجنوبـها، وكذلك سواحلـها الشرقية حيـث كان يـقطـن المنـاطق الجـبلـية والمنحـدرات والأودية المحاذية لـساحل البحر الأحـمر والبحر العـربي وخليج عُمـان. ويعـيش الأدمـي في قطـعان صغيرة، وقـد يعيش وحيداً في بـعض الأحيان. وعلى الرغم مما تعرض له من صيد جائر واقتحام لمواطنه الطبيعية، أدى إلى تـدني أعـداده تدنـيا شـديداً فـإن مجموعات صغيرة ما زالت موجودة في بعض المناطق النائية في المنطقة الشمالية الغربية من المملكة.



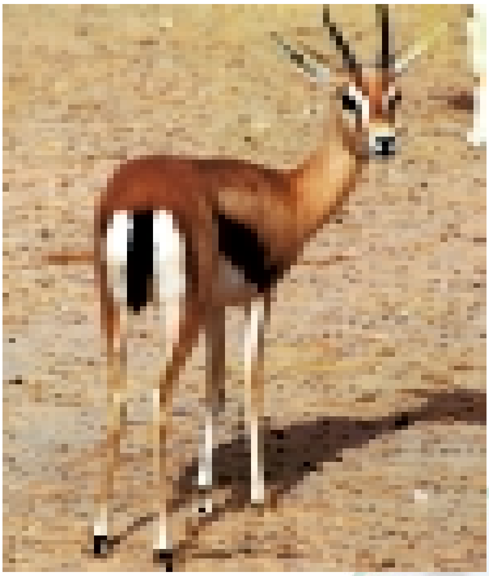
ظبي الأدمي

يتكيف الأدمي مع البيئة الجبلية التي أكثر ما يعيش فيها. فلون جسمـه يماثل المناطق الجبلية التي يعيش فيها، ويستعين بحاستي السمع والبصر في تحديد أماكن الخطر المحتملة، ويمارس نشاطه في فترات الصـباح أو المسـاء، إذ تكون درجـات الحرارة منـخفضة ولكي يـتفادى أشعة الشـمس الحارقـة. وفي أكثـر المناطـق حرارة، كما فـي بعض مناطق تهامـة، تنشط الأدم لـلبحث عن الغـذاء خلال الليل وتختفي في الأودية تحت الأشجار خلال النهار. ويتحمل الأدمي العطـش لفترات طويلة خاصة خلال فصل الشتاء عندما لا يجد الماء، حيـث يعتمد على الماء الذي يحصل عليه من النباتات التي

يتغذى بهـا. ولكنه قد يحتاج إلى الماء كل ٧ أيام خلال فصل الصيف وهو أمر يضطـره للورود إلى تجمعـات المياه في الوديان مما قد يعرضه لخطر الافتراس أو الصـيد. ويتـغذى الأدمي بـالحشائـش والأعشاب خلال فصل الربيع، ويعتمد على النباتات الكبيرة مثل أشجار السمر والطلـح والسدر وغيـرها خلال فصل الجفاف، وتعدّ البراعم النامية والأوراق والأزهار غذاءه المفضل.

يرتبـط تكاثر الأدمي غـالباً بموسم الأمطار بشكل عام، ولـكن قد يحدث التزاوج طوال العام. وتحدث الـولادات عادة في فصلي الربيع والخريف، وتلد الأنثى صغيراً واحداً في كل مرة، وتمتد فترة الحمل لستة أشهر، وتصل الإنـاث مرحلة البلوغ خلال ستة شهور إلى عام من عمرها.

العفري: وهو الظبي السعودي، وهو أصغر أنواع الظباء المعروفة في المملكة. لون جسمه فاتح بصورة عامة، والمنطقة الجانبية والظهرية غالباً ذات لون رملي. أما الجهة البطنية فبيضاء، وعلامات الوجه واضحة، والشريط الداكن على الخاصرة غير محدد المعالم، وآذانه طويلة، وذنبه قصير ينتهي بخصلة من الشعر سوداء. تمتاز قرون العفري بأنها طـويلة متباعدة



ظبي العفري وهو الظبي السعودي

مستقيمة. وحلقات قرون الذكر لا الأنثى واضحة. وتتميز قرون العفري بأنها أطول من قـرون الأدمي إذ يصل طـولها في الذكـور إلى ٣٠سم وفـي الإناث إلـى ٢٤سم. وأكثر ما يتغذى العفري بأوراق أشجار الطلح والأعشاب والحشائش.

والمعلومات عن أنشطة تكاثر العفري قليلة. تصل الإناث إلى مـرحلة البلوغ بين الشهرين السادس والثامن من عمرها، وتبدأ أنشطة التزاوج عادة في الربيع حيث تلد الأنثى صغيراً واحداً بعد فترة حمل قد تصل مدتها ٨ أشهر تقريباً.

والعفري من الظباء المتـوطنة النادرة في المملكـة. وانتشاره في مواقع قليلـة جداً، تـنحصر فـي السفـوح الشرقـية

للمرتفعات الشمالية والغربية والجنوبية الغربية. وعدد المشاهدات الحقلية للعفري خلال العقدين الأخيرين جدّ قليلة، ومن المحتمل وجود بعض منه شمالي المدينة المنورة، ويخشى أن يكون هذا الظبي النادر قد انقرض بحالته الفطرية في المملكة وفي الجزيرة العربية إذ لم يسجل وجوده في المملكة منذ عام ١٩٨٠م. وتبذل الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها جهوداً حثيثة للتأكد من نقاوة التركيبة الوراثية لبعض الأفراد التي يعتقد أنها عفري، وموجودة في عدد من المجموعات الخاصة وفي حدائق الحيوان في المنطقة.

تدنت الأعداد الموجودة من أنواع الظباء كافة منذ منتصف القرن الميلادي الحالي تدنياً ظاهراً في مواطنها الطبيعية بالجزيرة العربية، وكان للصيد الجائر، ومزاحمة الماشية المتزايدة لها، والقضاء على معظم المناطق الرعوية التي كانت تعتمد عليها في معيشتها وانتشارها، أثره البالغ في انحسارها عن كثير من مناطق انتشارها السابق.

ولا شك في أن جرمها الصغير، وحب الناس لها وعطفهم عليها، ساعد كثيراً في المحافظة عليها بتربيتها في المزارع والحدائق وحتى في المساكن الخاصة، وكان من أشهر المجموعات المرباة تحت الأسر ظباء الريم والأدمي في مزرعة الملك خالد -طيب الله ثراه- بالثمامة شمال الرياض، وظباء الريم في مزرعة الأمير محمد السديري بالخفيات في القصيم.

وتولت الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها منذ إنشائها في عام ١٤٠٦هـ العناية بتلك المجموعات وإكثارها، تمهيداً لإعادة توطينها في مواطنها الطبيعية التي كانت تعيش فيها سابقاً، ومن هذه المواطن المحميات الطبيعية التي أنشئت في مناطق ما تزال تضم مجموعة صغيرة من ظباء الريم والأدمي مثل محمية حرة الحرة في شمال المملكة، ومحمية الخنفة في شمال غرب المملكة. وقد تكاثرت الظباء في تلك المناطق تكاثراً ملحوظاً بفضل المحافظة على الغطاء النباتي ومنع الصيد فيها.

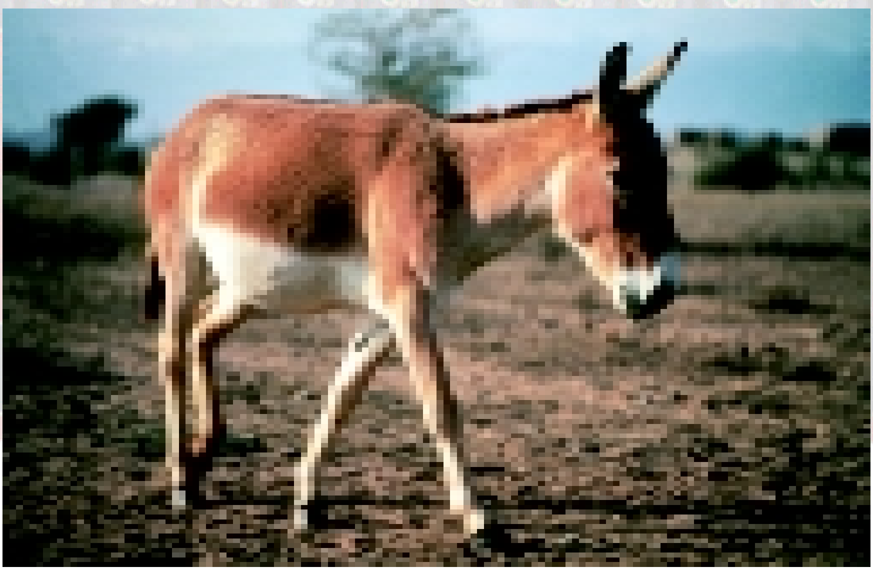
وأعيد توطين ظباء الريم في محمية محازة الصيد شرق مدينة الطائف في شعبان من عام ١٤١٠هـ وتكاثرت أعدادها حتى بلغت عام ١٤١٦هـ أكثر من ٢٠٠ ظبي. كما أعيد في شوال ١٤١٥هـ، إطلاق مجموعة منها في محمية عروق بني معارض في الجزء الجنوبي الغربي من الربع الخالي وهو

أحد مواطنها الطبيعية السابقة، وهي تعيش فيها الآن بصورة طبيعية كما كانت في بداية القرن. كما أعيد توطين ظباء الأدمي في محمية الوعول في حوطة بني تميم في عام ١٤١٢هـ، حيث تزايدت أعدادها كثيراً حتى أصبحت ترى في معظم الوديان بشكل لافت للنظر، كما أعيد توطين أعداد منها في محمية عروق بني معارض عام ١٤١٦هـ.

العائلة الخيلية

تمتاز أفراد هذه العائلة بحافر واحد في كل قائمة من قوائمها، وهي حيوانات نشطة، يكسو جسمها شعر أملس ناعم. رأسها متطاول، ومنطقة المخ صغيرة بالنسبة إلى الوجه. وتضم هذه العائلة الحصان والحمر المستأنسة والبرية وحمر الوحش، وتستوطن جنوب آسيا وغربها وشرق إفريقيا وجنوبها. ويتبع هذه العائلة نوعان استوطنا الجزيرة العربية هما: الحصان العربي، والحمار البري الآسيوي أو الأخدر.

الحمار البري الآسيوي. ويسمى الأخدر السوري ويعيش في الصحارى الجافة الباردة حيث ينتشر في مساحات واسعة من العالم القديم تتوافر فيها المناطق العشبية. ويمتد موطن انتشاره السابق إلى الأجزاء الشمالية من الجزيرة العربية. وهو حمار صغير الجسم، يميل لونه إلى الأحمر أو الرملي، ويمتد بياض البطن



الحمار البري

إلى داخل الكتفين، وتشبه أذناه أذني الخيل، وله عرف قصير داكن اللون وذيل كث. فيه أحياناً خط على الكتف. وهو مرهف حواس البصر والشم والسمع. لا يرد الماء إلا مرة كل يومين. وقد انقرض هذا الحمار من مناطق شبه الجزيرة العربية في أوائل القرن العشرين، غير أن أعداداً قليلة من أنواع قريبة الشبه به تعيش في بعض مناطق آسيا الوسطى في مناطق محمية.

ويعتقد أن الحمر البرية من نسل الحمر الأهلية للتشابه الكبير بين الجنسين، ولذلك فهناك اعتقاد قوي أن الحمر الأوابد (الضَالَّة) اليوم في كثير من أجزاء الجزيرة العربية هي بقايا الحمر البرية السابقة، وقد استطاعت البقاء على هيئة مجموعات متفرقة في أجزاء الجزيرة العربية، نتيجة لصفاتها الجسمية القوية، وجودة تكيف نسلها من الحمر البرية مع الحياة تحت الظروف البيئية القاسية السائدة فيها. وكلتا المجموعتين من الحمر البرية تتحمل الجفاف، وهي انتهازية الرعي، ولها قدرة على رعي الأنواع القاسية والخشنة من النباتات الرعوية لكنها تحتاج إلى الماء باستمرار وترتاده حتى لو كان بعيداً.



أنثى حمار بري وصغيرها

عائلة الوبر

ينتشر أفراد هذه العائلة في شرق إفريقيا وغربها وجنوبها، وكذلك في جنوب غرب آسيا. ويمثل هذه العائلة نوع واحد في الجزيرة العربية هو الوبر الصخري، الذي يشبه الأرنب في مظهره الخارجي، ويقطن المناطق الصخرية، وبعضها الآخر شبه شجري في معيشته.

الوبر الصخري. الوَبْر، بفتح الواو وسكون الباء الذكر، والأنثى وبرة. ويجمع على أوبار، ووبران، ووبار، ووبور، ووبارة، وإبارة. وهو حيوان يشبه الأرنب القصير الأذنين، أو الفأر الكبير الكثيف الشعر. وهو فريد في تركيبه العام، ذيله مختزل، يمتاز بأسنانه وجمجمته، فقواطعه العلوية لها شكل الخنجر أو الناب، وهي في الذكور أكبر من الإناث، أما القواطع السفلية فهي مختلفة، تشبه المشط، ولذا تستخدم في تمشيط الفراء، وأضراسه تنمو باستمرار طوال حياته. وفي أصل الأصابع جلد يساعد على الالتصاق بسطح الصخور، أو فروع الأشجار التي يمشي عليها، وأما إفراز الغدد العرقية الحساسة فيساعده على الثبات أثناء سيره على السطوح الملساء. ويغطي جلد الحيوان وبر بني غامق،



الوبر

وتنتشر على سطح الجلد شعيرات لمسية طويلة سود. وفي منتصف الجزء الخلفي من ظهره غدة الرائحة الـتي تظهر على هيئة بقعة بيضاء أو صفراء تصبح واضحة وضوحـاً كبيراً أثـناء موسـم التزاوج. ويخالف بموضع الغدة هذا بعض أنواع الحيوانات الأخرى إذ تكـون غدته عادة قريبة من منطقة المخرج.

يعيـش الوبر في الجزء الغـربي من الجزيرة العربية، في جبال الحجاز واليمن ومنطقـة ظفار في سلطنة عُـمان، وفي مناطـق وسط الجزيرة، فـي جبال أجا وسلمى، وسلسلة جبال طويق، ويعيش الوبر في المناطق الصخرية، حيث تتوافر الجحور والشقوق التي تهيئ بيئة مناسبة لاختفاء الحيوان وهروبه من المفترسات؛ قال حميدان الشويعر:

إلى شـافوا الخِـطّار عـنهـم تلاوذوا
تـلاوذْ وِبْــران لِـجَـتْ بِــصَـدوع

شافوا: رأوا. والخطار: الضيوف، تلاوذوا: أي هربـوا واختفوا بـسرعة، لجت: لجأت

وحياة الوبر حياة جماعية إذ يعيش في كل مـنطقة صـخرية، من مـناطق وجوده، مجموعة كبيرة من الوبران. وفي كل شق أو جحر مجـموعة من الإناث وصغـارها، ومعهـا ذكر بالغ، ولـكل مجموعة نـقاط مراقبة في أماكن بـارزة على الصخور يقف عليها أكبر الذكور، وهو قائد المجموعة، يراقب المفترسات. وعند رؤية أي عدو يُصدِر صفيراً يستجيب له كـل أفراد المجمـوعة من دون تـردد بالاختـفاء في الشقـوق إلى حين زوال الخطر. وهو لا يبتعد عن جحره خصوصاً في الأيـام الغائمـة خشيـة من الطيـور الجارحة التي لا يرى ظلها على الأرض وهي محلقة على ارتفاع عال.

والوبر حيـوان نباتي التغـذية يأكل العشب وأوراق الأشجار، مثـل أشجار الطلح والبشام والظبيان والسمر والكتاد. ويـفضـل الأوراق خاصـة في فـصـل الصيف، ويـأكل الحبوب والثمار الـتي تسمى الحِبْلَة. وقد وجد أنه يأكل النباتات التي تكون سامـة للحيوانات الأخرى.

ومعدة الوبـر طويلة ذات ثلاثة أجزاء، ولكليتيه قدرة عالية على استخلاص الماء من البول وتركيز الأملاح فيه تركيزاً شديداً بحيـث يصبح غليـظ القوام، فهو من مركبات كـيميائية تـتبلور بسرعـة على الصخور التي تطرح عليها.

تتزاوج الـوبران في الربـيع، وتلد الإناث من ٣ إلى ٤ وأحياناً ٥ صغار، بعـد فترة حمـل تتراوح بين ٧ إلـى ٨ شهور، وتولد الصغار في مرحلة متقدمة

من النمو، أي وهي قادرة على الحركة والجري. ترضع الأم الصغار لمدة ثلاثة أشهر، وعندما يصل عمر الذكور من ١٨ إلى ٢٤ شهراً، تضطر إلى الانتشار في أماكن أخرى، ولا يسمح لها بالبقاء في جحر المجموعة، حيث لا يبقى سوى ذكر واحد بالغ، وتموت معظم الذكور عند هذا العمر، أما الإناث فإنها تبقى مع المجموعة كل فترة حياتها.

ويصف العرب الوبر بأنه حيوان له بعض الصفات الغريبة يختلف بها عن غيره من الحيوانات . فيداه وقدماه تشبهان قدم الإنسان غير أن له ثلاث أصابع فقط، وذيله قصير جداً، ولونه أغبر أو رمادي، وله رأس مثل رأس البعير وأذنٌ قصيرة مثل أذنه. وتعوقه أرجله القصيرة عن العدو السريع، قالوا في المثل الشعبي «أقصر من يد الوبر»، لذلك يعيش في الجبال بين الصخور وتساعده على البقاء والحياة مقدرته الفائقة على القفز بين الأحجار، وسرعة الاختفاء من الأعداء في الشقوق.

والوبران من الحيوانات التي يصيدها الناس في كثير من مناطق جبال الحجاز، وكثيراً ما تصاد عندما يخفق الصياد في صيد الحيوانات الكبيرة كالوعول، مع أنها صعبة المنال لشدة حذرها ووعورة البيئة التي تعيش فيها، وكثيراً ما ترمى وتصاب ولكن الصياد لا يجدها لسقوطها بين الأحجار، أو دخولها بين الشقوق فتموت داخل جحرها.

تعيش الوبار في الشعاب والوديان خصوصاً الشعاب الكثيرة الأحجار والصخور، وتسمى هذه الشعاب السرب، ومفردها سربة. والسرب التي توجد بها وبار توصف بأنها مَوْبرة. والموبرة أو الميبرة هي المكان الكثير الوبارة. وفي كل موبرة قائد للمجموعة، يتخذ عادة مكاناً واضحاً يشرف منه على كل الموبرة. ومهمته الإشراف على المنطقة ومراقبة أي دخيل، وبه ضرب المثل الشعبي «مثل رقيب الوبران». ويسمى السابر والرقيبة أي الذي يسبر الأعداء ويرقبهم. وعندما يرى السابر أي حيوان مفترس أو إنسان فإنه يَصرّ أي يصدر صوتاً قوياً حاداً متكرراً مثل «صِرّ. . صِرّ». وكل من يسمع هذا الصرير من الوبران يعلم بمداهمة الخطر، ويختفي في الشقوق والأحجار بأقصى سرعته وإلا تعرض للموت.

وهناك صوت آخر تصدره الإناث أو الأمهات يسمى وَسْلَكه، وهو يشبه صوت العصافير. وهذا الصوت يصدر عن الأمهات لإخراج الصغار وبقية

المجموعة من الشقوق أو الجحور لمتابعة الرعي والبحث عن الغذاء. وهو بمثابة الصوت الذي يدل على خلو المكان من الأعداء وزوال الخطر. ويعمد الصيادون المهرة إلى تقليد هذه الأصوات فتسمعها الوبران فتخدعها وتظن المكان خالياً من الأعداء وتخرج وينالونها بسهولة، وتسمى هذه الطريقة تنقيضا.

وفي وقت التزاوج أو (النشيَرة)، الذي يحدث في أشهر الصيف تموز وآب (يوليو وأغسطس)، تصدر الذكور صوتاً خاصاً تدعو به الإناث يطلق عليه صوت اللعب ويكون مثل: زر... زر، صِرِ... صِرِ، كخ... كخ. ويردد عدة مرات. ويتخذ الذكر وقت النشيرة مكاناً منعزلاً عن بقية المجموعة، يختاره بحيث يكون حصيناً، ولا يخرج منه بسهولة، لحذره الشديد خلال هذه الفترة. ومعظم الصيادين المهرة يستطيعون تقليد صوت لعب الذكور خلال فترة التزاوج، وعندما يفعلون ذلك فإنهم يخرجون الوبر من غاره أو جحره، ويجعلونه يتتبع مصدر الصوت، حتى يصل إلى الصياد أو قريباً منه، فيرميه. ويكثر القتال والمشاجرة بين الذكور خلال موسم التزاوج، وكثيراً ما يعمد إلى العض في القتال، ويسمع صوت للحيوان المعضوض. وهو صوت مثل السكسكة أو الوصوصة وهو الصوت نفسه الذي تصدره هذه الحيوانات عندما تصاب برصاص الصيادين.

ويسمي أهل البادية الذكر البالغ الكبير الجسم من الوبران ذيخاً، ويسمون الأنثى البالغة نَجْعَه. ويطلقون على الصغار من الجنسين فسوسا. ومفردها فِس، وتسميه البادية أيضاً جروا وذلك ما لم يبلغ السنة. أما إذا بلغ عمر الوبر سنة واحدة فيقال له عامي، أي له عام واحد، ولا يرميه الصيادون لصغر سنه وحجمه. وكذلك لا يرمون الفسوس. ولا يصيدون الذيخ وقت الشهوة أو النشيرة، لأنه يكون قد فقد كثيراً من شحمه ولحمه بسبب التزاوج. ويكون في هذه الحالة هلامة أي هزيلاً لا يصلح للأكل.

تعيش الوبارة في جماعات كبيرة في شعب واحد. ولكل جماعة قائد هو الذكر الكبير في المجموعة، وتتكون بقية الجماعة من الإناث والصغار من الجنسين، وعندما تكبر الصغار من الذكور تستقل عن الجماعة. وكثيراً ما يشاهد الذكر الكبير في عراك ومطاردة مع ذكور أصغر سناً لإبعادها عن المجموعة.

تنشط الحيوانات خلال أول النهار وآخره في الصيف، وتنشط في منتصف النهار خلال الشتاء، ولكن هذا السلوك

قد يتغير عندما تحدث في محيط الحيوان بعض التغيرات التي تضطره إلى تغيير فترة نشاطه الطبيعية. فقد حدث أن أحد المولعين بصيد الوبارة كان يتردد على الموبرة صباحاً وبعد الظهر، أي خلال الفترة التي تكون فيها الوبران نشطةً لاعتدال درجة الحرارة، ولكنه لم يجد أي وبر في المنطقة على الرغم من معرفته أنها مليئة بالوبارة. وذات يوم مر ابنه وقت الظهيرة على المنطقة فوجد الحيوانات تجول في كل مكان بأعداد كبيرة. فحدَّث والده الذي فطن إلى أن الوبارة عرفت وقت زيارته لها فغيَّرت فترة نشاطها لتتفادى رصاص بندقيته.

ويعدّ «العيسا» وهو العقاب الضخم المسمى بالعقاب الملكي، أحد أهم أعداء الوبر بعد الإنسان. حيث يقف على مقربة من الموبرة يراقب الحيوانات، وعندما يشاهد أي حيوان ينقض عليه من علو. والطريف في الأمر أن الوبر لا يبدي أي مقاومة لهذا الطائر الضخم القوي، فعندما يرى الوبر طائر العيسا يقترب منه يَصِرّ بصوت حاد، ويجمد في مكانه لا يتحرك حتى يأخذه بمخالبه، ويرتفع به إلى علو شاهق ثم يتركه يسقط على الأرض ليموت، ثم يأخذه لوكره في الجبال ويأكله. ومن الأعداء الجديدة الوافدة على بيئة الوبر، القطط الأليفة. فقد انتشرت هذه القطط في كثير من المناطق التي يعيش فيها الوبر، خاصة تلك القريبة من القرى والهجر، وتدخل هذه القطط في جحور الوبارة وشقوقها فتقتلها وتتغذى بها.

وللوبارة سلوك غريب في التخلص من فضلات أجسامها، فكل مجموعة تسكن في شق واحد أو جحر واحد تتخذ لها مكاناً معيناً يكون عادة في مدخل الشق أو الجحر ليتبرز ويتبول فيه كل أفراد المجموعة. وفي كثير من الأحيان يكون مكان التخلص من الفضلات طريق دخول وخروج الحيوانات فيعجن البراز، وهو على هيئة دمن، بالبول فيتكون منهما خليط مثل العجينة يتماسك بمرور الزمن وتتابع الإضافة وكثرة الدهس حتى تتحول العجينة إلى خليط يميل لونه إلى اللون الأشقر، وهي عجينة متماسكة شديدة القوام، يطلق عليها أهل البادية اسم الصِّنْ، ويستخدمه كثير منهم دواء فعَّالاً لكثير من الأمراض، مثل الربو والزكام وآلام الرأس والمكر، وهو ما يتعارف أهل المدن على تسميته بالشمم. وهو حالة التغير في الجرح إذا تعرض الشخص لرائحة غريبة، مثل العطور أو رائحة البنزين أو الدمن أو غيرها.

ويستخدم أهل البادية الصن أيضاً في علاج إبلهم عندما تصاب بمرض يدعى النَّحاز، بالنون المشددة المفتوحة، وهو داء يشبه الزكام الذي يصيب الإنسان، ويسمع للبعير المصاب صوتٌ مثل صوت المزكوم، وهو مرض خطير قد يسبب موت البعير إن لم يعط الصن بعد أن يخلط بالماء ويسقى له، وهو دواء فعال لهذا المرض. كما يستخدمونه أيضاً، مخلوطاً بماء الشرب، لعلاج مرض أبي الركب الذي يصيب مفاصل الأغنام وهو علاج ناجع لها.

ويضرب بالوبر المثل في السواد؛ قال رجل من بني تغلب:

إذا رجونا ولداً من ظهر
جاءت به أسود مثل الوبر
من بارد الأدنى بعيد القعر

كما يضرب به المثل في نتن الرائحة؛ قال الشاعر:

تطلي وهي سيئة المعرى
بوخر الوبر تحسبه ملابا

والمعنى أنها تطلي ما ظهر منها، وهو يداها ووجهها بنتن الوبر وتحسبه الملاب وهو الطيب أو الزعفران، ونتن الوبر هو بوله وله رائحة قوية. وقال مخارق بن شهاب يهجو قوماً بأن أرضهم كثيرة الوبار:

فياراكبا أما عرضت فبلغن
بني فالج حيث استقر قرارها
هلموا إلينا لا تكونوا كأنكم
بلاقع أرض طار عنها وبارها

عائلة الأرانب

تنتشر أفراد هذه العائلة في جميع أنحاء العالم. ولم تكن موجودة في كل من جزيرة مدغشقر وأستراليا، إلا أنها أدخلت هناك وتكاثرت لدرجة أصبحت معها مضرة بالنظام البيئي. أجسامها متطاولة، والرأس مستطيل والآذان والعيون كبيرة. والشفاه العليا مشقوقة والشوارب قوية طويلة. وللأطراف الأمامية خمس أصابع، وللخلفية أربع أطول من أصابع الأمامية. ويمثل هذه العائلة في شبه الجزيرة العربية نوع واحد فقط هو الأرنب البري.

الأرنب البري. الأرنب اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى، ويميز باسم الإشارة فيقال: هذا أرنب وهذه أرنب، وقد يقال للأنثى أرنبة، وتجمع على أرانب. ومن أسمائها الخُزَزُ للذكر وتجمع على خِزَّان وأخِزَّة، وعكرشة للأنثى، ولولد الأرنب الخرنق وإذا كبر وفطم فلم يعد يرضع منها فهو سلفع وإذا كبر قليلاً واشتد عوده ولمّا يتزاوج فهو غويلب،



الأرنب البري

كما يقال له غويلب السلق لسرعته وقدرته على الانحراف الحاد مما يتعب كلاب الصيد (السلق) التي تطارده وبذلك يغلبها، وكذلك هو سخلة ثم خزز إن كان ذكراً وعدنة إن كان أنثى، وكل منهما أرنب. وأرانب الأرض الخلة أسرع من الأرانب التي ترعى الحمض، وتسمى الأرض الكثيرة الأرانب أرضاً مؤرنبة، كما يسمى موضع الأرانب المَخَزَّة.

يستوطن الجزيرة العربية نوع واحد من الأرانب البرية يضم خمسة «نويعات» تتوزع في المناطق المختلفة، وفي المملكة منها «نويعان»، أحدهما يستوطن الهضاب والمناطق الجبلية، والآخر المناطق الرملية، وهناك نويع في سلطنة عُمان، وآخر في جزيرة مصيرة قرب الساحل الجنوبي للسلطنة، والنويع الخامس في البحرين. وتتركز الاختلافات بين نويعات الأرنب البري في اللون وحجم الجسم والجمجمة.

والأرنب متكيف مع البيئة التي يعيش فيها، فلون النويع الذي يعيش في الجبال داكن مشابه لبيئة الهضاب والجبال، بينما لون النويع الذي يعيش في المناطق الرملية يميل إلى اللون الفاتح الرملي. والأرانب مرهفة الحس، حادة الإبصار، قوية الشم، وهي صفات تمكنها من الهرب من المفترسات، مثل الطيور الجارحة والضواري التي تعتمد عليها مصدراً لغذائها. والأرنب خفيف الوزن. وأطرافه

الخلفية الطويلة تكسبه القدرة على القفز، وسرعة الجري التي قد تصل إلى ٧٠ كم في الساعة، وهو عامل مهم في هروبه من المفترسات، خاصة في البيئات الرملية والحصوية المفتوحة.

ومن التكيفات المهمة في الأرانب البرية الأذن الكبيرة الطويلة التي تضاعف مقدرتها السمعية وتساعد على تحديد مصادر الخطر بدقة. وكبر حجمها يؤدي إلى زيادة مساحة سطحها المعرض للهواء، ويساعد وجود شبكة كبيرة من الشعيرات الدموية فيها على زيادة كفاءة تبريد الدم، خاصة إذا توافر الظل ونسمات الهواء مما يخفض من درجة حرارة جسم الحيوان في الحر القائظ.

ويلاحظ أن النويعين الموجودين في البحرين وجزيرة مصيرة، لهما آذان أصغر من النويعات الثلاثة الأخرى التي تعيش في مناطق مفتوحة في وسط الجزيرة العربية تتسم بدرجات حرارة أعلى.

تتغذى الأرانب البرية بالأعشاب والحشائش، وكثيراً ما تأخذ بعض حبيبات الرمل مع الغذاء. ولذلك فإن قواطع الأرنب تنمو باستمرار لتعويض ما يبلى منها. وجهازه الهضمي متخصص، ويمر معظم الطعام مرتين أو أكثر بالقناة الهضمية، إذ يتناول البراز الحاوي على الغذاء بعد طرحه إلى الخارج. وعند مرور الطعام للمرة الثانية في القناة الهضمية تهضم المواد الغذائية التي لم تهضم خلال المرة الأولى. والأرنب ليلي النشاط، فهو يتغذى خلال الليل، ويستظل تحت الشجيرات خلال فترة النهار مبتعداً عن حرارة الشمس الشديدة.

ومن عادة الأرنب عندما تقوم من مربضها أن تنفج أي تسرع في خطوها مبتعدة عنه، ويكون ذلك وقت العتمة بعد غروب الشمس إلا إذا كانت المنطقة خالية (قفرا) فإنها تخرج عصراً. ويعرف أبناء البادية آثار الأرنب التي يسمونها جُرَّةً إذا كانت في أول الليل أو في وسطه أو آخره إذ لكل منها أثره المميز، وإذا كانت الأرنب متجهة إلى مربضها آخر الليل عند انبلاج نور الصبح فإنها تعمد إلى التمرغ أولاً ويكون لجرتها شكلها المميز، ويسمى الأرنب في هذه الحالة مصبِّحْ أو مشرِّقْ، وزعموا أنها تعود إلى مربضها من طريق واحد حتى قالوا في المثل الشعبي «مثل الأرنب إلى سرحت ما تدل إلا مع دريبها». وتعمد الأرنب إلى السير على زمعاتها وتخفيف وطأتها في ذلك الوقت حتى لا تكاد ترى آثارها وهي متجهة إلى مربضها الذي يسمى

الدحل تحت شجيرة. ويختلف مربض الأرنب في الأيام الحـارة عنه في الأيام الباردة، وقد تغيره في اليوم الواحد أكثر من مرة بحثاً عن الظل البارد في الصيف، وعن الدفء في الشتاء. وفي العـادة لا تنفج الأرنب من مربضها في أول النهار ولا في وسـطه حيث تـكون نائـمة أو متوارية عن أعدائها من الطيور الجارحة وغيرها، وإذا نفجت خلال تلك الأوقات فإنها لا تبعد عن مربضها. ويمكن للخبير أن يأخـذها من مـربضهـا خلال تلك الأوقات. أما إذا «نفجـت» الأرنب في وقتها المعتاد آخر النهار قرب الغسق فإنها تبعد كثيراً عن مربضها، وتنفج مرة بعد مرة مبـتعدة أكثر وأكثـر، ولذلك يقال «شاوفت الأرنب» أو «أرنب مشاوف».

تعيش الأرانب فـرادى أو جماعات مكونة من عدة أفراد في منطقة واحدة. وعند بـداية الدورة النـزوية في الإناث تجتذب الأنـثى عدة ذكور، وتكون لـها السيطرة علـيها، وذلك لكبر حجمهـا. وقد تهاجم الأنثى بعض الذكور المتقدمة في العمر، وتطرد بعضها، قبل أن تقوم باختيار أحدها لإتمام عملية التزاوج معها، وكثيراً مـا تنتهي منافـسة الذكور للفوز بالأنثى بنفوق بعضها إذ تتقاتل بالأيدي والأرجل، وقد يحدث ذلك أيضاً أثـناء عملية التزاوج. وتتزاوج الأرانب طوال العام، وفي الأحوال غـير المناسبة كقلة الغذاء مثلاً، تقوم الأنثى بامتصاص الجنين تلقائياً، وعـندما تكون الظروف مناسبة تضـع الأنثى عدة مـرات خلال فترات قصيرة. تستغرق فترة الحمل حوالي ٤٠ يوماً، وقد تلد الأنثى من ٣ إلى ٥ صغار، ولكنها في الغالب تضع واحداً أو اثنين فقط، وترضع الأم صغارها مرة واحدة في اليوم، وتفطمها خلال شهر واحد، ولبن الأم أغنى في محتواه الغـذائي من لبن الماشية ومـعظم الثدييات الأخرى، وتصبح الصغار قادرة على التزاوج بعـد ثمانية أشـهر. تعمر الأرانب في الأسر لمدة ٨ سنوات، ولكن من غير المحتمل أن تصل إلى هذا العمر في البيئة الطبيعية بسبـب الصيد أو الافـتراس، أو نقص الغذاء، أو الإصابة الخطرة أو الأمراض.

وقد ورد ذكر الأرنب كثيراً في الأمثال فقيل «أطعم أخـاك من كلية الأرنب»، ويضرب للمـواساة. كما يقال «أقطف من أرنب» ويضرب للمبالغة. وفي احتقار شأنها قيل «بئـس الرميّة الأرنب». قال أحدهم يهـجو قوماً بأن لا كسب لـهم سوى صيد الأرانب وبيع جلودها:

إذا ابـتدَرَ الـناسُ المـعـالي رأيـتَـهم
قـيامـاً بـأيديـهـم مسـوك الأرانـبِ

والمسوك واحدها مَسْك، وهو جلد الأرنب. ويضرب المثل في التقليل والذل بكراعها؛ قال الأبيدر الرياحي يهجو حارثة بن بدر الغداني:

زَعَمَتْ غُدانة أن فيها سيداً
ضخماً يوازِنه جَناح الجندبِ
يُرويه ما يُروي الذُبابَ فينتشي
سُكراً ويُشبعه كراعُ الأرنب

ويضرب المثل بها في سرعة حركتها فيقال «ما الدنيا في الآخرة إلا كنفجة أرنب»، والنفجة هي وثبة الأرنب من مربضها، ويضرب المثل للسرعة وقصر الزمن.

ومما زعمته العرب من الأمثال على ألسنة البهائم قولهم: إن الأرنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا يختصمان إلى الضب فقالت الأرنب: يا أبا حسل، قال: سميعاً دعوت، قالت: أتيناك لنختصم إليك، قال: عادلاً حكيماً، قالت: فاخرج إلينا، قال: في بيته يؤتى الحكم، قالت: إني وجدت تمرة، قال: حلوة فكليها، قالت: فاختلسها الثعلب، قال: لنفسه بغى الخير، قالت: فلطمته، قال: بحقك أخذت، قالت: فلطمني، قال: حرٌّ انتصر لنفسه، قالت: فاقض بيننا، قال: قد قضيت. فذهبت أقواله كلها أمثالاً.

ومن الاعتقادات الباطلة الشائعة عند كثير من الناس أن الأرنب له القدرة على مقاومة قوة الشيطان، خاصة الأنثى (عكرشة)، التي تتميز عن الذكر بالطمث، وكذلك بعلاقتها بالقمر والنجوم الستة المعروفة باسم الثريا، التي يعتقد أنها تبعد الشر أو تبعد شر الجن. وقضية مقاومة الأرنب لقوة الشيطان أو إبعاده الجن زعم قديم عند العرب. قد يكون سببه التوهم بأن الأرنب تحيض، ولذلك فهي ليست من مراكب الجن، وهي في ذلك مثل الضبع فهو ليس من مراكب الجن لمكان الحيض منه.

وهناك من سكان الجزيرة العربية كثيرون لا يأكلونها ويسمونها شرمة لانشقاق شفتها العليا، كما يطلق البعض عليها كلبة فاطمة أصل هذا الاسم غير معروف. وقد يعود تقزز كثير من العوام من أكل الأرنب لشبهها بالقط، أو لتوهمهم أنها تحيض كما تحيض أنثى الإنسان والحيوانات العليا (الرئيسيات) كالقرود، وهو اعتقاد خاطىء. وحقيقة الأمر أن دورة الطمث، وهي الدورة المصحوبة بخروج الدم من جسم الأنثى، لا تحدث إلا في الإنسان والرئيسيات فقط. والمادة

التي تخرج من الأنثى في الحيض ويطلق عليها اسم الدم، هي أنسجة وأوعية دموية تنسلخ من جدار الرحم ما لم يحدث الحمل. أما سائر الحيوانات الثديية، ومنها الأرنب، فإنها تمر بدورة تسمى دورة الشبق أو الدورة النزوية، وعندما لا يحدث الحمل، فإن الأنسجة والأوعية الدموية لا تطرح خارج الجسم، وإنما تمتص داخلياً ولذلك لا تظهر أي آثار لهذه الدورة على الحيوان. كذلك فإن عملية التبويض لا تحدث تلقائياً خلال فترة زمنية معينة كما في الإنسان والحيوانات العليا، وإنما يحدث التبويض بعد دخول القضيب في عنق الرحم وإتمام عملية التلقيح. ولذلك يطلق على هذا النوع من التبويض (مستحث). وإذا لم ينجح الإخصاب فإن البويضة تضمر وتختفي بعد عدة أسابيع فلا ينزل دم حيض عليها.

ويعدّ كثير من العوام الأرنب مثالاً للضعف وقلة الحيلة، ويتخذونه مثلاً لذلك كما في قولهم «أرنب وتأكل لحم»، وقولهم «مثل الأرنب ما تخطيها الحقطة»، ويضرب في كثرة المشاكل وسوء الحظ، كما أن كثيراً من أهل البادية يتطيرون من الأرنب إذا مرت أمامهم أثناء سيرهم ويقال في ذلك «عرضة أرنب». وقد يفسر حدوث كل أمر سيئ بأنه بسبب اعتراض الأرنب لهم. وللأرنب نصيب كبير في القصص الشعبي، وقد تكون الأرنب فيها مثالاً للدهاء والمكر، أو للغرور والاعتداد بالنفس، وأحياناً للضعف وقلة الحيلة.

عائلة السعادين

تستوطن أفراد هذه العائلة أفريقيا وآسيا، وتشمل قروداً طويلة الأذناب وأخرى قصيرة الأذناب ضامرتها. الوجه مدور، واليد مكيفة للمشي والتسلق، ومنطقة العجز ملونة. يقطن منها في الجزء الغربي والجنوب الغربي من الجزيرة العربية نوع واحد فقط هو الرُبَّاح أو البابون.

الربّاح. وهو البابون، القرد المعروف في الجزيرة، ومن أسمائه الحودل والقردح والهبار. ويسميه أهل البادية الربح وكنيته أبو خالد وأبو ربّة وأبو فشّة. ويعتقد أنه قد وصل إلى الجزيرة العربية من الجانب الأفريقي للبحر الأحمر قبل أزمان سحيقة، أي قبل تكوّن منخفض البحر الأحمر.

يعيش الرُبَّاح في جماعات كبيرة قد يصل عدد أفرادها إلى ٥٠ أو ١٠٠ فرد في القطيع الواحد، وقد يصل العدد إلى



الرباح (البابون)

عدة مئات في البيئات الغنية بالغذاء مثل مناطـق الغابات، وقـد يقل العـدد في البيئات الـفقيرة أو تلك التي لا تـتوافر فيها الموارد الـغذائية دائماً، ففي بعـض هذه المناطق قد يـتكوَّن القطيع من ذكر واحد مسيطر وعدة إناث قد يصل عددها إلى خمس إنـاث مع صغارها. وتوفـر الحياة الجماعية للرباح الحماية الكافية من أعدائه، وكذلك توفر له الفرصـة لإتمام التـزاوج بالإضافة إلـى تعلم المـهارات اللازمة للحصول على الغذاء.

تمتاز ذكور الرباح بكبر حجمها مقارنة بالإناث، كما أن لها عرفاً فضـيا يغطي مؤخرة الرأس والعنق والأكتـاف يضفي عليهـا منظراً مهيبـاً، ولها أنياب كبيرة تستعملها في الدفاع والهجوم، أما الوجه فخال مـن الشعر، والعيـنان صغيرتان متقاربـتان. ولكل من الذكور والإناث مقـعدة حمراء، أو ورديـة، عارية من الشعر. والـذيل طويل ينتـهي بخصلة شعرية يشول به أثناء مشيه أي يرفعه.

وتؤدي مؤخـرة الحيوان ذات اللون الوردي أو المحمـر عدة وظائف مـهمة منها: أنها تـكون أكثر وضوحاً وأغمق لوناً عـند الإناث خلال فترة الـتزاوج، وبذلك تعلن للذكر أنّ الأنثى في حالـة



الرباح (البابون)

استعداد للتكاثر. كما تستخدمها الذكور المستسلمةً لإظهار فشلها في مواجهة ذكر آخر أو حيوان آخر في القطيع، وذلك بتعريضها وتحريكها من جهة إلى أخرى إشارة إلى الاستسلام والزهد بالمواجهة. ويستخدم قائد المجموعة، أو الذكر المسيطر، مؤخرته للإشارة إلى القطيع لبدء نشاط معين، مثل التحرك من المكان، حيث يقوم برفع ذيله عالياً كالراية، ويحرك مؤخرته يميناً وشمالاً دلالةً على بدء التحرك، وآمراً أفراد القطيع بالسير خلفه. ويسميه بعض أهل البادية (الكبش).

وتحتل الأم المرضع مكاناً مهماً بين أفراد القطيع. أما الصغار فهي موضع إيثار جميع أفراد القطيع وعطفها، فتلعب معها وتهتم بسلامتها. وتواجه الذكور البالغة موقفاً صعباً من الذكر المسيطر وغالباً ما تُرغم على ترك القطيع.

وتزاوجها طوال العام، وللإناث دورة نزوية شهرية حيث تكون في حالة شبق طالبةً للحمل لمدة أسبوع من كل شهر ما عدا فترة الحمل والإرضاع، وتستمر فترة الحمل حوالي ستة أشهر، تلد الأنثى بعدها صغيراً أو اثنين، ويتعلق المولود بفرو أمه بعد ولادته مما يمكِّنُها من مواصلة

السير والحركة مع القطيع دون عناء. وتولد الصغار ولها جلد وردي، وفرو أسود، وأذنان كبيرتان. وتبلغ الإناث خلال أربع سنوات، أما الذكور فتبلغ خلال السنة الخامسة، وتعمر نحو أربعين سنة.

والرباح حيوان مختلط التغذية، أي أنه آكل عشب وآكل لحم، فهو يأكل أوراق النباتات وثمارها مثل التوت، وأوراق أشجار السنط وصمغها، والنبق والزهور البرية، وثمر أشجار السمر والسِيَّال. كما يأكل الزواحف والخنافس والنمل والفراشات. وعند حلول الظلام يلجأ القطيع إلى مكان المبيت، وهو موقع يختار بعناية ليوفر الحماية من المفترسات، فيكون في مكان صعب مثل المنحدرات الصخرية العالية. وقد تجتمع عدة قطعان للمبيت معاً في مكان واحد، ثم تنتشر في الوديان المجاورة عند طلوع الشمس. وتعدّ النمور والذئاب والضباع من المفترسات الرئيسية للرباح.

ويضرب العرب بالرباح المثل في القبح. وقد ضرب الله الأمثال بكثير من أنواع الحيوانات في الذلة والضعف والوهن والجهل، ولكنه سبحانه وتعالى خص القردة والخنازير بالهوان والقبح. قال تعالى: ﴿وَجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾ (المائدة: ٦٠)

وقد درج على ألسنة الناس أمثال بهذا المعنى مثل «أقبح من قرد»، و«القرد قبيح لكنه مليح». ومن الأمثال الأخرى فيه «أحكى من قرد» وذلك لأنه يحكي كل ما يرى، و«أكيس من فَشَّة» و«أملح من رُباح»، و«القرد في عين أمه غزال» وغيرها من الأمثال التي تعبر عن سلوك الحيوان وعاداته.

والرُّبَّاح عند العرب مسخ، مثله في ذلك مثل الفأر والخنزير والفيل والأرنب والعنكبوت، ويعتقدون أنه ليس من مطايا الجن لأنه يحيض ولا يغتسل، ومن المعروف عن القرد أنه يتفلى فإذا أصاب قملةً رمى بها إلى فيه وأكلها، ويفلِّي الذكر الأنثى كما تفلِّي الأم صغارها في أوقات الراحة.

وقد زخرت كتب الأدب والشعر بالقصائد التي ورد فيها التشبيه بالقرود وأفعالها وسلوكها، وهي في جملتها قصائد في الهجاء والذم وإظهار قبح الأفعال والصور؛ قال البحتري:

مازحته غير ذي علم بخسَّته
في نظم ممدحة من حرٍّ أشعاري

فأظهر التيه من جهلٍ وقابلني
بسيّئ لم يكن من حق مقداري

ولو أحاط عُبيدُ الله معرفةً
بعظم شأني اتقى نابي وأظفاري

إحـدى النـوادر مـن قـرد تَعَـرُّضـهُ
من غـير مـقدرة للـقَسْـوَرَ الضـاري

وقال ابن الرومي في هجاء حفص الورّاق:

أصـبـحـت قـرداً يـا أبـا حـفـص
ولـست أيـضـاً مـن ملاح الـقـرود
تـلـك قـرود غيـر ممسـوخـةٍ
وأنـت قـردٌ مـن مـسوخ الـيـهـود

عائلة الشياهم

تستوطـن أفراد هذه العائلـة العالم القديم، وتمتاز بتحور أغلب شعر ظهرها وذيلها إلى أشواك طويلة قوية. ومخالب الأطراف قوية مكيفة للحفر، وباطن القدم عار من الشعر، والذنب قصير، والآذان مستديرة. يقطن الجزيرة العربية نوع واحد منها هو النيص أو الشيهم، وهو واسع الانتشـار حيث يستوطـن أيضاً جنوب غرب آسـيا وجنوب تـركستان والـهند وسيرلانكا.

النيص. وهو الشيهم ويـسمى أيضاً الـشـيـظم، والمـدجّـج، والـدلـول، والدلدول، والـشيهة، وذات المـداري، وأبو شوك. وهو أكـبر أنواع القوارض في الجزيرة العربـية، حيث يصل طوله إلى حوالي المتر، ووزنه إلى حوالي ١٥ كجم. ينتشـر الشيهم في معظم أجزاء الجزيرة العربية عدا الربع الخالي وصحراء النفود وبعض سواحل الخليج الـعربي، وهو أكثر انتـشاراً في المنطقتين الـغربية والجنوبية الغربية ولكن أعداده قليلة.

والنيص قارض ضخم، يمتاز برأس كبير بالنسبة لبقية أجزاء الجسم، ويعود كبر الـرأس إلى تضخم الأنف وأجـزاء الشم الأخرى مما يكسبه حاسة شم قوية تساعده في تحديد أماكن الغذاء. ويغطي الرأس والجزء الأمامي من الجـسم شعر قصير خشن أسود، ويمتاز النيص أيضاً بأن له أطرافاً قوية تنتهي بمـخالب حادة يستخدمها في الحفر للبحث عن الطعام وإعداد جحوره العميقة، وله عرْفٌ من الشعر الـقوي الطويل ينمـو من الرأس ممتداً إلى الرقبة، أمـا بقية أجزاء الجسم فتغطيها أشواك طويلة، وهو ما يميز هذا الحيوان عـن بقية الحيـوانات الأخرى. ولذلك يطلق العـرب على النيص اسم



النيص (الشيهم)

ذات المـداري، جمـع «مدرى»، وهــو الشوك الـطويل. ولا يكاد يُـعرَف هذا الحيوان في كثير من المناطق إلا بالاسم الشـائع له وهو الـنيص أو أبو شـوك. ويوصف بـأنه يشبه الجرو الـصغير في شكل الجسم والذيل، وأن له شوكاً مثل المحاريب.

وتتفاوت أشواك الـنيص في الطول والقطر، فبعضها طويلة يصل طولها إلى ٣٠سم وقطرها صغير، وبعضها قصيرةٌ وقطرهـا كبير، وهـي ذات لون أبيض وأسود أو بني. وأشواك الـذيل مجوفة مفتوحة الطرف، يستخدمها النيص في تخويف الأعـداء، حيث يوجهها نحـو مكان الخطر ويحركها بقوة ليصدر عنها صوتٌ عال. وقد تنفصل بعض الأشواك أثناء هذه العمـلية من جراء قوة الحركة لضعف اتصالها بالجسم، ويفسر بعض العامة هذه المشاهدات خـطأً بأن النيص يقذف بأشواكـه على أعدائه. وقد ورد مثـل ذلك الخـطأ فـي كتـاب الحيـوان للجاحظ حيث يـرى أن النيص، يرمي بشـوكه فـلا يكاد يـخطـئ، وإن هذه الحيوانات تستخدم هذا السلاح في إبعاد الأعداء عنها كما يستخدم القنفذ شوكه ليحـميه من أعدائـه. ويصف الجاحظ قدرتها على فصل شوكها وأنها ترمي به الشخص الذي تخافه مثلما يرمي الرجل السهم، وهو تصور غير صحيح.

ويزعم أهل البادية أنه عندما يهاجم سبع أو إنسان النيص فإنه يـنتفض بقوة ويقذف بالشوك عـلى من يهاجمه مثل السهام. وأنه قد يُسمع لبعض الـكلاب أو السباع التي يرميها بشوكه عواء بسبب ذلك. ويـعدّ الإنسان أحـد أهم أعداء النيـص، فهو يصـاد للأكل في بعـض المناطق ولاسـتخدام الأشواك في حلي النساء. ومن أهم أعدائه الألداء الذئب والوشق والنمر.

والنيص حـيوان ليلي، يعـيش في البيئات الصخرية في الوديان والجبال وفي المناطق الـزراعية، ويتخذ من الشـقوق والجحور والحفر تحت الأحجار الكبيرة مأوى له، ويتغذى بالفواكـه والخضار، وقد يـهاجم المحاصـيل الزراعيـة مثل البطاطس والجزر والذرة وغيـرها، كما يتـغذى بالجذور والـبصيلات، وبـقايا الحيوانات الميـتة والعظام. ويعرف عنـه أيضاً أنه يتغذى أكثر ما يتغذى بالنباتات البرية.

تستمر فترة الحمل لمدة سبعة أشهر، تضع الأنثى بعدها من ٢ إلى ٤ صغار، والمعدل صغيران. تولد الصغار مفتوحة الأعين، عـلى جسـمها أشواك لـينة،

وتضعها الأم في جحور مغطاة بالنباتات. وتبدأ الصغار في الاعتماد على نفسها عند الشهر الخامس، وتتزاوج بعد السنة الثانية.

ويعرف أهل البادية عن النيص حُبَّه أكل الجمَّار، وهو قلب النخلة، ويأكل غالباً جمَّارة صغار النخل، ولا يعرف عنه أنه يتسلق النخل العالي. وله في ذلك قدرة عجيبة إذ يقضم الجريد حول قلب النخلة في سرعة فائقة بأسنانه، ثم يستخرج الجمَّارة أو قلب النخلة في وقت يسير لا يتجاوز الدقائق وقد يستغرق ذلك العمل ساعتين أو أكثر لو أراد إنسان أن يقوم به، وبعد أن يأكل النيص الجمارة تبقى النخلة حية، لكنها لا تثمر.

عائلة القوارض الوثابة

تستوطن أفراد هذه العائلة شمال أفريقيا ووسط آسيا وجنوب غربها. الرأس كبير فيه شوارب طويلة تبلغ أحياناً طول جسم الحيوان، والعيون كبيرة والآذان منتصبة، والجسم رشيق. الأطراف الأمامية قصيرة ذات أصابع خمس، والخلفية طويلة ذات أصابع ثلاث في الغالب، والفرو كثيف ناعم. يقطن الجزيرة العربية منها نوعان هما اليربوع واليربوع الفراتي.

الجربوع. وهو اسمه عند العامة وفصيحه اليربوع، وهو دابة كالجرذ منكب على صدره لقصر يديه، وطول رجليه. وله ذنب طويل وفي نهايته خصلة من الصوف السميك يختلف لونها عن لون جسمه وفيها بياض غالباً تُسمى زهرة، وهذا الذنب يشول به أي يرفعه عالياً إلى فوق عندما يركض وهو الذي يميزه عن الجرذ أو الفأر، ويألف الإنسان، وقد يأكل بعد ساعات من أسره الحبوب. ويقال لأولاد اليرابيع أدراص، ودروص (مفردها درْص) كما يقال لأولاد الفأر أدراص كذَلك، وتسميها البادية فروخاً.

واليربوع منتشر في جميع مناطق الجزيرة العربية، خاصة المناطق الرملية في وسطها وشمالها. وهو حيوان صغير، رشيق، متوسط طول جسمه ١٢سم وطول ذنبه ٢٠سم. أطرافه الأمامية قصيرة خماسية الأصابع، والخلفية أطول كثيراً من الأمامية وهي ذات أصابع ثلاثة، والخطم قصير مستدير، والعيون والآذان كبيرة ملعقية الشكل. ويشتهر اليربوع بقفزاته المميزة، وهي طريقة مثالية فعالة للحركة السريعة لمسافات طويلة فوق الرمال. وللأرجل الخلفية الطويلة القوية أثر فعال في المقدرة على القفز والارتفاع لمسافة كبيرة في الهواء، كذلك الذيل



يمتاز اليربوع بذنبه الطويل

الطويل الذي ينتهي بخصلة شعر بيضاء أداة فعالة في حفظ توازن جسمه أثناء الحركة، إذ يجعله قادراً على المناورة والحركة التموجية، التي تمكنه من تفادي كثير من المفترسات. كما أن وجود ثلاثة أصابع فقط في الأطراف الخلفية تنمو عليها خصلة شعرية طويلة يساعد اليربوع في المشي على الرمال والحركة أثناء القفز، أما الأطراف الأمامية القصيرة فتستخدم بفعالية في الحفر وتنظيف الوجه.

ومن الصفات الأخرى التي مكنت اليرابيع من البقاء والانتشار في المناطق الصحراوية القاسية الظروف تضخم القلة السمعية في الأذن الداخلية، مما يجعلها تحوي حجماً كبيراً من الهواء يمكِّن اليربوع من سماع أخفت الأصوات، والإحساس بأدق الذبذبات خاصةً نداء اليرابيع الأخرى. وله قدرة على تحمل الحرارة المرتفعة التي تتصف بها المناطق الصحراوية الرملية التي يعيش فيها.

وهو حيوان ليلي، إذ تختفي اليرابيع خلال النهار في جحورها، وتنشط ليلاً للبحث عن الغذاء. وهي تتغذى بالحبوب والنباتات والأعشاب، لا تحتاج إلى الماء لكنها تشربه إذا توافر لها. وتعيش اليرابيع فرادى أو جماعات فقد يحتل عدة أفراد منها جحراً واحداً لفترة من الزمن، وهي تحفر جحورها في المناطق السهلية المرتفعة، وتستخدم أيديها القصيرة القوية في حفر الجحور، يساعدها في ذلك مخالبها الحادة التي تستخدمها لتفكيك التربة، ومن ثَمَّ تقوم بإزاحتها بأنفها وأرجلها.

ومن أهم أعداء اليرابيع الثعالب والذئاب والقطط البرية والبوم وبعض الجوارح الأخرى. كما يقتل أهل البادية أعداداً كبيرة منها حيث يصيدونها للأكل مع أنه صيد غير سمين حتى ضرب به المثل الشعبي فقالوا «جربوع ما يسوى

تعبه» ويضرب المثل للأمر التافه يبذل في سبيله كلفة وتعب، وينصح بشيِّه جيداً لأنه قد لا يخلو من بعض الحشرات الصغيرة أو الجراثيم التي تعيش داخل جهازه الهضمي أو على وبره من الخارج، وتأكل الأعراب اليرابيع في الخصب وفي الجدب، ولكنهم لا يصيدونه في أول الليل لأنه عندهم من مطايا الجن، وهو في ذلك مثل القنفذ والورل والنعام والظباء، كلها من مطايا الجن في زعمهم، وهو زعم باطل بلا شك.

واليربوع من أشد الحيوانات احتيالاً على أعدائه وذلك باتخاذه النافقاء، وهو النفق الذي يتخذه جحراً له، ويسمى أيضاً القاصعاء؛ قال أوسُ بن حجر:

ووَدَّ أبو ليلى طفيل بن مالكِ
بمنعرج السُّوبان لو يتقصَّع

يتقصع: يختفي. ويرى الجاحظ أنها مأخوذة من تقصّع اليربوع وهو يدخل في قاصعائه أي جحره، وسمي جحره بذلك لأنه كثير التعرج عديد المخارج، وتسمى هذه المخارج في عامية أهل نجد نطّاقات (مفردها نطّاقة) أما عند أهل البادية فإن «القصعة» هي أن يقوم اليربوع بدفن بوابات جحره المتعددة ووضع بعض الأعشاب والأغصان الدقيقة عليها للتمويه، حيث يجمع اليربوع على أبواب جحره التراب، فإذا هاجمه عدو مفترس خرج من أحد الأبواب وترك الجحر. وفي ذلك يضرب به المثل في التخفي عن الأعداء؛ قال أعرابي لسهل بن هارون في تواريه عن غرمائه:

لتنزل أبا عمرو على حد قرية
مزيغ إلى سهل كثير السلائقِ
وخذ نفق اليربوع واسلك سبيله
ودع عنك عدوى ناطق إثر ناطقِ
وكن كأبي قطى على كل زائغ
له منزل في ضيق العرض شاهق

وكذا قالوا في المثل الشعبي «جربوع في خبار» والخبار هي الأرض الرخوة فيها جحور كثيرة يضل فيها الباحث عن الجربوع.

تتكاثر اليرابيع خلال فصلَي الربيع والخريف. وتستمر فترة الحمل لمدة ٢٥ يوماً تقريباً، وتضع الأنثى ٣ صغار أو ٤ في كل مرة، وتولد الصغار عُمْياً عارية من الشعر، وتستطيع الأنثى أن تنجب أكثر من مرة خلال العام الواحد، والمعروف أنها تعمّر نحو ست سنوات في الأسر.

ويستوطن شمال الجزيرة العربية نوع آخر من اليرابيع يسمى اليربوع الفراتي، وهو كثير الشبه باليربوع، عدا أن أطرافه

الخلفية ذات خمسة أصابع، وآذانه متطاولة ذات أطراف مدببة.

عائلة القنافذ

تستوطن أفراد هذه العائلة أوروبا وآسيا وأفريقيا، وهي أرقى أنواع آكلات الحشرات تركيباً. أضراسها عريضة كاملة النمو، ويكسو الشوك أجسام بعض الأنواع، ويكسو الشعر أنواعاً أخرى، وحول الجسم تحت الجلد عضلة طولية تمكِّن الحيوان من أن يكور جسمه فيصبح في حماية درعه الشوكي. تستوطن ثلاثة أنواع من القنافذ الجزيرة العربية، أوسعها انتشاراً القنفذ الأثيوبي، والنوعان الآخران هما القنفذ الأسود والقنفذ الطويل الأذن.

القنفذ. هو القنفذ والأنثى قنفذة، وتجمع على قنافذ، ويقال لها العساعس لكثرة ترددها بالليل ويسمى أيضاً الدعلج، وهو حيوان مميز بشوكه الذي يغطي الأجزاء العلوية من جسمه، ولذا كنيته أبو الشوك وأبو سفيان، والأنثى أم وعول. ومن أسمائه الأخرى أنقد والأَزْيب على وزن أَفْعَل، وهي ريح الجنوب أو الماء الكثير أو السرعة والنشاط. وقد يسمى دلول، دلدل، أو شيظم خطأً، لأن الدلول أو الشيظم أو الشيهة هو النيص وليس القنفذ.

وأكثر ما تتغذى به القنافذ الحشرات، ولكنها تتغذى أيضاً بمواد أخرى. وقد يكون ذلك ما أعانها على العيش في



القنفذ

المناطق الصحراوية القليلة الغذاء. والقنفذ الأثيوبي واسع الانتشار في شبه الجزيرة العربية باستثناء منطقة الربع الخالي. وهو صغير الحجم يميل لون جسمه إلى البني الضارب إلى الرمادي المسود، ويمر خط أبيض عبر الوجه، على جانب الجسم، ويميل لون البوز إلى الأسود، وبطنه أبيض غالباً، وذنبه أسود، وأذنه كبيرة ذات قاعدة عريضة، وفي مقدمة رأسه منطقة عارية من الشعر والأشواك.

تعيش القنافذ الإثيوبية في المناطق الصحراوية والجبلية والوديان، حول المزارع وحظائر الماشية حيث تكثر الحشرات. وهي ليلية المعيشة، وتمضي النهار داخل الجحور أو تحت الشجيرات، وتخرج وقت الغروب للبحث عن الغذاء، وقد تنشط كذلك خلال فترة الصباح الباكر. ويعتقد أهل البادية أن القنفذ دابة مسالمة لا تؤذي الناس، تخرج ليلاً للبحث عن الغذاء، وتأكل ما تجد من الهوام، مثل الفئران والخنافس والحشرات والثعابين.

وتعتمد القنافذ على حاسة الشم في الحصول على غذائها من الحشرات، لأن حاسة البصر عندها ضعيفة. وأكثر ما تعتمد عليه في غذائها اللافقاريات واليرابيع وبيض الطيور، وهي مولعة بأكل الأفاعي. كما تأكل الثمار والحبوب والجيَف، وقد لا تحتاج إلى الماء، لأنها تكتفي بما في فرائسها من الماء، ولكنها تشرب إذا توافر لها الماء أو عندما تربى في الأسر. وقالوا: إن القنفذ إذا جاع يصعد الكرم منكسا فيقطع العناقيد ويرمي بها ثم ينزل فيأكل منها ما أطاق، فإذا كان له فراخ تمرغ في الباقي ليشتبك في شوكه ويذهب به إلى أولاده، وهو لا يظهر إلا ليلاً، قال الشاعر:

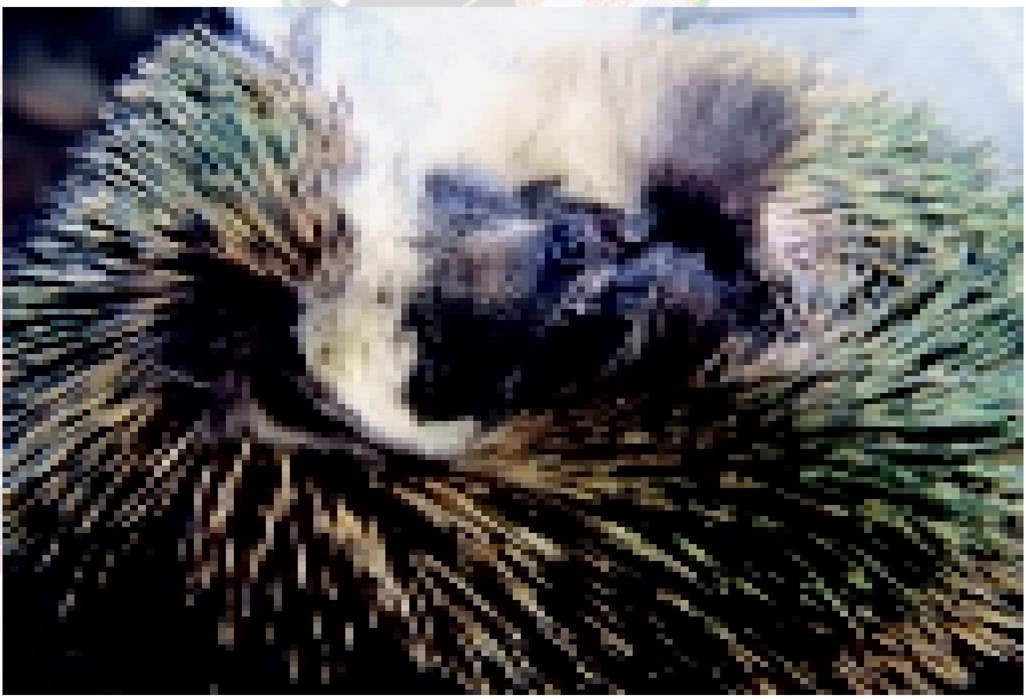
قنافذ هداجون حول بيوتهم
بما كان إياهم عطية عوَّدا

ومن الأعراب من يستطيب لحم القنافذ، ويقول إنه طيب للأرواح، ولكن بعضهم لا يقتلها، لأنها تقتل الأفاعي والحيات وتخلصهم منها. والقنافذ وابن عرس إذا نهشتها أفعى أو حية فإنها تعالجها بأكل الصعتر البري، وهو نبات يقال إن من خواصه طرد الهوام. وتقول العرب إن من أشد أعداء القنافذ الثعالب، فإذا لقى الثعلب القنفذ قلبه على ظهره، وبال في بطنه، فيبقى القنفذ مستلقياً على ظهره، فيأكل الثعلب جميع أجزاء جسمه من جهة بطنه ويترك الجزء العلوي من الجلد المكسو بالأشواك.

وعند حلول الشتاء تدخل القنافذ في سبات شتوى، ويقل نشاطها

لانخفاض درجة الحرارة الخارجية، فتبحث عن جحر مناسب، فإن لم تجد تحفر بمخالبها جحراً وتنام فيه فترة الشتاء. وعندما يدفأ الجو خلال فصل الربيع تنشط وتخرج مرة أخرى للتغذية والتزاوج.

تعيش القنافذ معيشة فردية، وتلتقي في بداية فترة التزاوج خلال فصل الربيع، وتترك الذكور آثاراً على الأرض أثناء السير، تثير الإناث عند شمها. وتتراوح فترة الحمل بين ٣٠ و٤٠ يوماً، تلد الإناث بعدها من ٢ إلى ٥ صغار، وتضع الأم الصغار في جحر تحفره بنفسها أو تستخدم لذلك جحر أحد الحيوانات، وتولد الصغار عُمْياً، وأشواكها لينة لا تلبث أن تقسو خلال فترة قصيرة. وتعتني الأم بالصغار لمدة شهر قبل خروجها من الجحر، فتبدأ القنافذ الصغيرة بعد خروجها البحث بنفسها عن الغذاء مستقلة عن أمها. وقد تتزاوج الأنثى بعد هذه الفترة مرة أخرى خلال العام نفسه، وتلد مجموعة أخرى من الصغار، وقد تُعمَّر القنافذ إلى ثماني سنوات أو عشر في الأسر. ومن المحتمل ألاّ تصل إلى هذا العمر في بيئتها الطبيعية بالرغم من الاعتقاد



يتحول شعر القنفذ إلى أشواك لحمايته من الأعداء

بأنها حصينة ضد لدغ العقارب وعض الثعابين. وتعدّ الطيور الجارحة والثعالب من أهم أعداء القنفذ في بيئته الطبيعية على الرغم من العدد الكبير من الأشواك القاسية التي تغطي جسمه ويستخدمها بشكل فعال عندما يتعرض للخطر، فيتكور على هيئة كرة شوكية، ويحبس الهواء في ثنايا الفرو الناعم الذي يغطي الناحية البطنية، وبذلك يتمكن من التنفس والبقاء على هذه الحالة حتى زوال الخطر.

ويروي العرب أن القنفذ يتفنن في قتل الحيات، فعندما يجدها يمسك بذيلها ثم يتكورُ على نفسه، وعندما تحاول الحية أن تلدغه لا تجد غير كرة الشوك فتضرب الشوك حتى تموت، وعند ذلك يأكل القنفذ الحية أو الثعبان حتى يشبع، وضرب به المثل الشعبي «دعلج تحقره وهو ياكل القامه». والرخمة المصرية هي العدو اللدود للقنفذ، فعلى الرغم من مهانتها، على حد قولهم، فإنها عدو مسلط على القنفذ، فعندما يراها القنفذ يستلقي على ظهره، فتهبط عليه الرخمة وتأكله، ويضرب أهل البادية المثل في ذلك بقولهم «يذبح الدّاب ويستلقي لعليَّة»، وعليَّة هو اسم للرخمة عند البادية.

ويضرب المثل بالقنفذ في خبثه فيقال «قنفذ بُرقة». والبرقة هي الأرض فيها الحجارة والرمل والطين وهذا أخبث له، ومما يروى عن خبثه أنه اشترك مع النعامة في زراعة القمح كل بقدر طاقته، وبعد الحصاد والتذرية جمع الحب في كومة كبيرة، واختلفا في اقتسامه. ورأى القنفذ أن يكون الحب لمن سبق في الوصول إلى كومة الحب مما أفرح النعامة التي تعرف أنها أسرع من القنفذ. لكن القنفذ قد اتفق مع رفاقه القنافذ على أن يتخذ كل واحد منهم موضعاً على طول مسافة السباق. وعندما حلَّ المساء وبدأ السباق، أخذت النعامة تنادي القنفذ لترى إن كان يجاريها، فيرّد عليها أحد القنافذ المتربصة وتظن أنه هو صاحبها فتزيد في الركض. وتنادي: ياقنيفذ أين أنت؟ فيرد أحدها أمامها. وقبل الوصول إلى الكومة نادت وجاءها الرد قبل وصولها أنا هنا في العرمة! (كومة الحب). فأقرت النعامة بالهزيمة!. ويضرب به المثل في النميمة، وذلك لأنه لا يخرج إلا ليلاً. قال عبدة بن الطبيب في هذا المعنى:

إن الذين ترونهم خِلاَّنكَم
يشفي صداع رؤوسهم أن تصرعوا
قوم إذا دمس الظلام عليهم
جذعوا قنافذ بالنميمة تمزعُ

ويقول الراجز في خروجه ليلاً:

قنفذ ليل دائم التجآب

وقيل فيه «أسرى من قنفذ» لأنه يسري في الليل كثيراً.

أما النوعان الآخران من القنافذ فهما القنفذ الأسود وهو أكبر حجماً من القنفذ الأثيوبي، ويستوطن المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة، واليمن، وسلطنة عمان، ودولة الإمارات العربية المتحدة. والقنفذ الطويل الأذن يمتاز بطول أذنيه وشعر في مقدمة الرأس، ويعيش في المنطقة الشرقية من المملكة والكويت والبحرين.

عوائل الخفافيش

الخُفّاش بضم الخاء وتشديد الفاء، واحد الخفافيش التي تطير في الليل، وهو غريب الشكل والوصف. والخفش لغة هو صغر العين وضيق البصر. والأخفش هو صغير العين ضيق البصر، وقيل هو من يبصر في الغيم دون الصحو. وقيل هو عكس الأعشى، والأعشى هو من يبصر نهاراً لا ليلاً. والخفافيش حيوانات ثديية، تلد وترضع صغارها. أطرافها الأمامية تكيفت كأجنحة للطيران، ومع قدرتها الفائقة على الطيران وسرعة تقلبها في الهواء فإنها ليست من الطير. وقد ورد في كثير من كتب الأدب خطأً أنها من الطيور، أو أنها من طير الليل لأنها تطير ليلاً شأنها في ذلك شأن البوم، وتسمى كذلك الوطواط وهو الخفاش الكبير الحجم، والخشاف، والسحاة، وأبو خافة. تخرج الخفافيش وقت الغروب لصيد فرائسها من البعوض والعث (أبي دقيق) والحشرات الأخرى، وتصيد فريستها خلال طيرانها.

تتبع عوائل الخفافيش رتبة الخفاشيات، ومنها ٨٩٥ نوعاً في العالم. وتقسم بشكل عام إلى مجموعتين خفافيش كبيرة، تتغذى بالفواكه، وخفافيش صغيرة، تضم أنواعاً مختلفة التغذية. ومعظمها حشرية التغذية، ومنها ما يتغذى بالفئران والأسماك، وما يتغذى برحيق الأزهار. وهناك ثلاثة أنواع تتغذى بالدم، تعيش في أمريكا الوسطى وقارة أمريكا الجنوبية.

ومن الخفافيش الكبيرة عائلة الثعلب الطائر، إحدى عوائل خفافيش الفاكهة التي تستوطن المناطق الحارة من العالم القديم. وهي كبيرة الحجم ذات رأس كبير يشبه رأس الثعلب، أو الكلب الصغير، ومنه اكتسبت اسم العائلة. عيونها كبيرة وحاسة البصر قوية، وحاسة

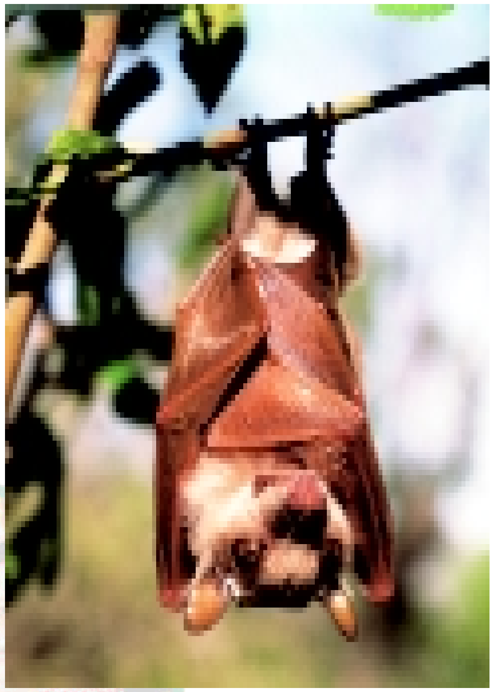


الخفاش (الوطواط)

الشم جيدة مما يساعدها على تحديد أماكن طعامها، والذنب ضامر أو معدوم، وينتهي الإبهام بمخلب. وفي الجزيرة العربية منها ثلاثة أنواع تعيش على أغصان الأشجار أو في الكهوف قرب البساتين، وأوسعها انتشاراً هو الوطواط المصري.

ومن الثعلب الطائر ما يسمى الوطواط المصري وهو خفاش كبير الحجم. يتراوح طول جسمه بين ١٥٠ و١٦٠سم. الأقدام قوية والأصابع مزودة بمخالب، والإبهام طويل قوي ينتهي بمخلب واضح، والفرو ناعم حريري الملمس، بني فاتح. يتغذى بالفواكه الناضجة ومنها التمر، والسدر (النبق)، والتفاح، والمشمش، والجميز. وقد يسبب أضراراً اقتصادية إذ يعيش في مجموعات يتراوح عددها بين ٥٠ و٥٠٠ فرد.

يتزاوج الوطواط المصري طوال العام، وتلد الأنثى صغيراً أو اثنين بعد فترة حمل تصل إلى مئة يوم. وتولد الصغار عُمْياً، أجزاؤها العليا بلا شعر وأما الأجزاء السفلى فيكسوها الشعر. ينتشر هذا النوع في المنطقتين الغربية والجنوبية من المملكة، كما يعيش في اليمن وسلطنة عُمان والإمارات العربية المتحدة.



الخفاش يجعل رجليه إلى أعلى ورأسه إلى أسفل ويبقى متعلقاً

وتضم عوائل الخفافيش الصغيرة أنواعاً كثيرةً منها في الجزيرة العربية ما يقرب من ٣٦ نوعاً تنتمي إلى سبع عوائل، تتغذى بصورة عامة بالحشرات التي تصيدها ليلاً معتمدة على قدرتها في رسم صورة صوتية للفرائس التي تتغذى بها باستخدام الموجات فوق الصوتية التي تطلقها، وعند اصطدام هذه الموجات بأي جسم ترتد إلى الخفاش ليتعرّف عليه إن كان مصدر غذاء يتجه إليه أو عائقا يتجنبه. وتتزاوج هذه الخفافيش في فصل الخريف، وتلد الأنثى صغيراً واحداً في الغالب في فصل الربيع، بعد فترة حمل تصل إلى شهرين تقريباً. وتولد الصغار عُمْياً عارية من الشعر. وأثناء الوضع تتعلق الأنثى على غير عادتها بإبهامي اليدين ويتقوس الذيل إلى أعلى باتجاه البطن مكوناً شبه كيس لتلقي الصغير عند ولادته، ويتعلق الصغير عند الرضاعة بإحدى حلمتي ثدي أمه. وقد تحمله تحت جناحها، أو ربما قبضت عليه بفمها وذلك من حنوّها وإشفاقها عليه. وذكر الدميري أنه ليس في الحيوان ما يحمل ولده غير الخفاش والقرد. وهذا غير دقيق، فهناك حيوانات أخرى مثل حيوان الكنغر الذي يحمل صغيره أو صغيريه أحياناً داخل جراب جلدي في منطقة البطن.

تعتني الأم بالصغار وترضعها فترة شهر ونصف تقريباً، تطير بعدها الصغار معتمدة على نفسها في البحث عن غذائها من الحشرات، وتبلغ الصغار بعد ثمانية أسابيع إلى عشرة، وتكون قادرة على التزاوج عندما تبلغ ثلاثة أشهر أو أربعة، وتُعمَّر في الغالب حوالي عشر سنوات، وقد يُعمَّر بعضها إلى ما يقرب من عشرين سنة.

يعرف الخفاش عند العامة بطير الليل وسحية الليل والسحاة ويقال له أيضاً خرفاش، وهو تحريف لكلمة خفاش.

وعند بعضهم أنه من أخف الحيوانات وأكثرها فألاً، ويُظهر رأفة الخالق بالضعيف من الحيوان، وأنه يُسخِّر له السُبل التي تجعله أقدر من الحيوانات القوية في كسب عيشه. ويراه بعضهم من المفسدات حتى ليضرب به المثل الشعبي فيقال «سحاة خضرا». وتسكن طيور الليل الجبال والوديان والشعاب في الكهوف واللجوف، وهي الصدوع التي في الصخور، خصوصاً تلك التي لا يصل إليها المطر أو الرياح. والخفاش على نوعين: نوع عندما يدخل في الشقوق أو اللجوف يلصق جناحيه في الصخر، ويبقى جسمه معلقاً في الهواء ويتغذى بالثمار. ونوع آخر، أصغر حجماً من الأول ويسمى طير العشاء لأنه يطير وقت العشاء في أول الليل، وهذا النوع إذا دخل الصدع ينقلب، ويجعل رجليه إلى الأعلى ورأسه إلى الأسفل متعلقاً في سقف الصخر أو الصدع، ويبقى على هذه الحالة طوال النهار، ويخرج في طلب الرزق ليلاً. ويتغذى هذا النوع بالحشرات الليلية أثناء طيرانه. وهو يعتمد في طيرانه على إطلاق موجات صوتية عالية الذبذبة تصطدم بالعوائق التي تصادفه وتعود إليه، فيقدر المسافات التي تفصله عنها بدقة كبيرة كما يحدد أشكالها وأحجامها، وهو نفس المبدأ العلمي الذي تعمل عليه أجهزة الرادار الحديثة، ولذا كان الناس في نجد يعلقون بعض الأشجار الشوكية الجافة في أسقف المسجد حتى تحول دون طيرانه في فضاء المسجد تجنبا لازعاج المصلين. وطير العشاء هذا لا يقوى على مقابلة أشعة الشمس؛ قال الشاعر:

مثل النهار يزيد أبصار الورى
نوراً ويعمي أعين الخفاش

ولذلك لا يطير ولا يطلب رزقه إلا ليلاً. قال الدميري: لأنه لمّا كان لا يبصر نهاراً التمس الوقت الذي لا يكون فيه ظلمة ولا ضوء، قبيل غروب الشمس لأنه وقت هيجان البعوض، فإن البعوض يخرج ذلك الوقت يطلب قوته وهو دماء الحيوان، والخفاش يخرج طالباً للطعم فيقع طالب رزق على طالب رزق، وقالوا في المثل الشعبي «السحيّة ريفها بالليل». وله صوت يطلق عليه الصرصرة؛ وقد قال فيه الشاعر الشعبي حميدان الشويعر:

ياشويخٍ نشا مع طِيورَ الْعْشا
ضاريٍ بالحساسات والقرقره
فارسٍ بالقهاوي وانا خابره
بالخلا تاخذه طيرة الحمّره
تاجرٍ فاجرٍ ما يزكّي الحلال
لو يجي صايم العشر ما فطّره

وهناك مثل شعبي يقول «طير العشا ما عنده إلا الصرصرة». ويضرب هذا المثل لمن لا يكون لديه إلا الضجيج الذي لا ثمرة فيه ولا نفع.

وله أيضاً:

أي طير إلى طار عشّى الفريق
وأي طير العشا ذاك أبا الصرصره
ماكره كل يوم بعرض الجدار
وكل ساس إلى جا الضحى نغثره

تعيش الخفافيش في مستعمرات قد تصل أعدادها إلى المئات، وتسكن في المنازل القديمة والكهوف والآبار، وبعضها متكيف للمعيشة في البيئات الصحراوية الجافة، وتتحمل درجات حرارة عالية قد تهلك الأنواع الأخرى، مثل خفاش ذنب الفأر. وللخفافيش القدرة على تخزين كميات من الدهون في منطقة الحوض، للاستفادة منها خلال فترة السبات الشتوي عندما تقل الحشرات. والخفاش موصوف بطول العمر مثل الحيات، وهو حيوان يحنو على صغاره وينقلها معه عند طيرانه للبحث عن غذائه؛ يقول كشاجم يخاطب ولده، ويطلب برَّه:

اتخذ فيّ خلة للكراكي
اتخذ فيك خلَّةَ الوطواط
أنا إن لم تبرني في عناء
فببِرِّي ترجو جواز الصراط

والكركي طائر يَبَرُّ والديه إذا كبرا، كما أن الخفاش يبر أولاده بحملها معه حيثما طار.

ويقال فيما نقل الدميري والقزويني إن من خواصه أنه إذا جُعل رأسه في حشو مخدة فمن وضع رأسه عليها لم ينم، وإذا ذبح الخفاش في بيت وأخذ قلبه وأُحرق فيه لم يدخله حيَّات ولا عقارب، وعنقه إذا عُلِّق على إنسان أمن من العقارب. وإذا علقت خفاشة في شجرة من قرية جاوز الجراد عنها. وعند بعض أهل نجد فإن من يبول عليه يصاب رأسه بالقيقي وهي قروح تصيب جلدة الرأس. وكل هذه مزاعم لا سند لها من الصحة.

الطيــــور

ماهية الطيور وتركيبها العضوي

الطيـور حيوانات مـألوفة، يسـهل التـعرف عليـها، فكـثير مـنها شائـعة الانتشار، نشطة أثناء النهار، ويمكن أن ترى بسهولة. وهي الحيوانـات الوحيدة التي يغطي جسمها ريش، فالـريش هو أهم مميز لـلطيور عن جميع الحـيوانات الأخرى، وهو عـازل جيد لأجسـامها للحفاظ على درجة حرارتها الداخلية.

والطيور من أكثر الحيوانات ارتباطاً بالإنســان، منذ أن خلـق الله الأرض وما عليها، ولقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وأشهرها الغراب الـذي أرسله الله ليُري قابـيل كيف يواري جثة أخـيه هابيل بعد أن قتله ظلماً. وكان الغراب قد قتل غراباً آخر، فأخذ يحفر الأرض بمنقاره ليدفن جثة صاحبه عـلى النحو الذي حكى عنـه القرآن الكـريم في سورة المائـدة (المائدة: ٣١)، وعندما رآه قابيل شعر بالندم لقتل أخيه هابيل، فأخذ يـحفر الأرض ليدفـن جثته. كـما ورد ذكر الطيور في القرآن الكريم عـندما أخبر الهدهد النبي سليمان عليه السلام بأمر بلقيس ملكة سبأ (النمل: ٢٠-٢٦). وكذلك جاء ذكر الطير الأبابيل، التي أرسلها الله بحجارة من سجيل، تلقيها على أبرهة الحبشي وجنوده عندما أرادوا أن يهدموا الكعبة المشرفة (الفيل: ١-٥). ويقال أيضاً إن آدم عـليه السلام عندما نزل إلى الأرض أصابته وحشة، فأرسل الله إليه الطير الأبابيل لتؤنسه.

والطيور مع الإنسان في كل مكان، في البر والبحر والبيت والمزرعة، وهي من أقرب الحيوانات إلى نفسه، فهي تزيل تعب النهار وكدر الـعيش عندما يسمع تغريدها وزقزقتها التي تدخل البهجة إلى الصدر وتجلب الارتياح إلى النفس.

وقد سخر الإنسان عدداً من الطيور لخدمته، فاستخدم الصقور في الصيد، وحمام الزاجل في نقل الرسائل، واستفاد من صياح الديك في معرفة بعض الأوقات، كما أن مائدة الإنسان لا تكاد تخلو من الطيور، خاصة الدجاج المستأنس. وقد استُخْدِم ريش الطيور في عمل الوسائد، والمهفات (المراوح اليدوية) وفي الكتابة على الورق، كما استخدمت مناقير الطيور في عمل مقابض الشعر، وأقراط النساء، وأمعاؤها طعما لصيد الأسماك، والحوصلة في عمل بالونات للأطفال، وبيض النعام في خزن الماء، وزبل الطيور في تسميد التربة. كما استخدمت الطيور وأجزاؤها أيضاً في الطب الشعبي لعلاج كثير من الأمراض، وتساعد أنواع من الطيور الإنسان في التخلص من الحشرات والقوارض التي تتلف البيوت والمزارع. وكذلك تُخلصه من الجيف التي لو تركت لسببت انتشار كثير من الأمراض. وهناك كثير من الدول تتخذ من صور الطيور الجارحة شعاراً لها رمزاً للقوة والبطش.

وتختلف ألوان الطيور باختلاف أنواعها، وقد يتغير باختلاف المواسم، وقد يختلف اللون بين الذكور والإناث. ويمكن بهذه الألوان التعرف على أنواع الطيور المختلفة، ووضعها في السلم التصنيفي المناسب لها. وتتحلى ذكور بعض الأنواع بألوان زاهية لها قيمة اجتماعية مهمة، فهي تستخدمها للغزل والتودد إلى الإناث وقت التزاوج.

وتعرف الطيور بأسماء مختلفة في المناطق المختلفة، وكثير منها له أكثر من اسم يعرف به، ولكن هناك أنواعاً قليلة من الطيور ثابتة الأسماء تظل معروفة لدى معظم الناس على مختلف لهجاتهم، مثل الغراب، والبومة، والصقر، والحمام، والدجاج، والحبارى وغيرها.

وقد خصّ الله الطيور وميزها على سائر المخلوقات بالريش الذي يجعلها قادرة على الطيران، سواء للبحث عن الرزق أو الهجرة أو الهروب من الأعداء.

ويختلف نوع غذاء الطيور باختلاف أنواعها، وطرق معيشتها. فمنها ما يقتصر على غذاء نباتي، من العشب الأخضر والحبوب والثمر والجذور ونحوها، ومنها ما يفترس غيره من الحيوان، وهي الطيور الجوارح، ومنها ما يأكل الجيف كالنسور، ومنها ما يجمع بين هذا وذاك كالعصافير.

والطيور من ذوات الدم الثابت الحرارة، أي أن لها القدرة على المحافظة على درجة حرارة أجسامها ثابتة تحت

مختلف الظروف البيئية. وتتميز الطيور بأن لها أجساماً مغزلية الشكل، أي عريضة الوسط، والنهايتان الأمامية والخلفية مذببتان مما يساعدها على الطيران، والتحرك بين الأعشاب، والسباحة في الماء، والغوص فيه بسهولة ويسر. ولها أربعة من الأطراف، تحور الزوجان الأماميان منهما إلى جناحين، أما الطرفان الخلفيان فلكل منهما أربعة أصابع على الأكثر. وتستطيع الطيور التنقل بين البيئات المختلفة، إما بالطيران، في أغلب الأنواع، أو بالقفز أو الجري أو المشي، كما في النعام والدجاج، وغيرها من الطيور التي لا تطير. ويختلف حجم الطيور من نوع إلى آخر. وتعدّ النعامة أكبر الطيور الحية جسما ووزناً. إذ ارتفاعها قد يبلغ ٢٧٠سم، وتزن حوالي ١٣٠كجم. وليس لها القدرة على الطيران. ومن الطيور الضخمة التي تقدر على الطيران، طائر الباتروس المتجول. وهو طائر بحري يبلغ البعد بين طرفي جناحيه ثلاثة أمتار. أما أصغر الطيور جرماً ووزناً على الإطلاق فهو الطائر الطنان الذي يبلغ طوله ٦سم تقريباً، ويصل وزنه إلى جرامين فقط.

ويتركب جسم الطائر من رأس ومنقار، وعنق، وجذع، وأجنحة، وذيل، وأرجل. والرأس في الطيور صغير على حجم الجسم، وعلة ذلك ضرورة وجود ثقل الجسم في المؤخرة، لا في المقدمة، حتى يوازن الجناحين عند الطيران، وعلى جانبي الرأس عينان كبيرتان نوعاً ما، في كل منهما ثلاثة أجفان؛ جفن علوي وآخر سفلي، وغشاء رامش شفاف يعمل على حماية العين، وإزالة الغبار عنها. وخلف كل عين فتحة أذن خارجية، أما العنق فهو ملتوِ التواءين متعاكسين حتى يتمكن الطائر من تحريكه إلى أي جهة يريد، أي بزاوية قدرها ١٨٠°، وهذه القدرة على الحركة من متطلبات الحياة لديه، لأنها تجعله يتجول ببصره في أي جهة يريد، فيتمكن من مراقبة أعدائه، ومن البحث عن الغذاء.

وينقسم الجذع إلى صدر وبطن كبيرين، والذنب قصير، وبه فتحة المذرق، أي فتحة الإخراج، التي تفتح على الناحية البطنية. وعلى ظهر الذنب غدة تفرز سائلاً زيتياً يستعمله الطائر لتنظيف ريشه، حتى لا يلتصق بعضه ببعض، ولذلك نشاهد كثيراً من الطيور وهي تمرر منقارها على ذيلها لتحصل على الزيت الذي تدهن به ريشها فلا يلتصق أبداً ولا يختلط به الماء، وبخاصة

الطيور التي تعوم في الماء، والجناحان هما العاملان المهمان في الطيران، وقد يكونان ضعيفين كما في النعامة، أو ضامرين كما في طائر الكيوي النيوزيلندي الذي لا يستطيع الطيران أيضاً، ولكنه يجري على الأرض تعينه على ذلك قدمان قويتان.

الجهاز الهضمي. يتركب من القناة الهضمية وملحقاتها. وتبدأ قناة الهضم بالفم فالبلعوم فالمريء، ثم المعدة فالأمعاء التي تؤدي إلى المجمع الذي يفتح إلى الخارج بفتحة مشتركة مع الجهاز البولي التناسلي. ومن أهم المميزات أن الفم لا يحتوي على أسنان، بل على عدد من الغدد اللعابية. أما المريء فهو أنبوبة مرنة طويلة، ينتفخ جزؤها الأول وهو عضو كيسيٌّ كبير يسمى الحوصلة، يختزن بها الطعام، ويؤدي المريء إلى المعدة، وهي ذات جزءين: أمامي يسمى المعدة الهاضمة، وخلفي يسمى القانصة. والقانصة غليظة الجدران، مبطنة من الداخل بطبقة قرنية صفراء، تحتوي على حصى لطحن الحبوب. يلي المعدة الأمعاء، وأجزاؤها الاثني عشري، والصائم، واللفائفي، فالأمعاء الغليظة. أما ملحقات القناة الهضمية فهي الكبد، والبنكرياس والحوصلة الصفراوية، وبعض الغدد الأخرى.

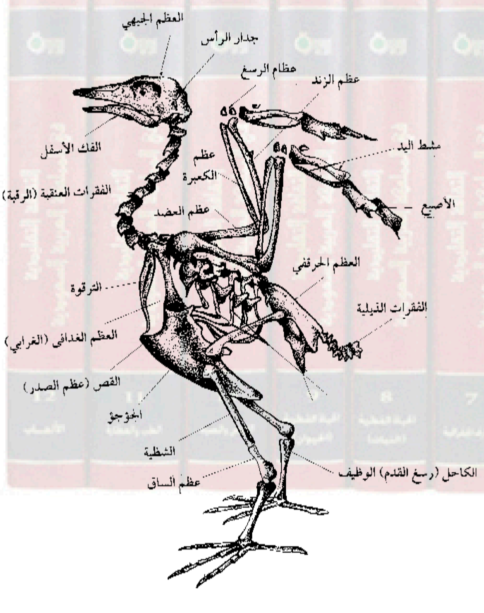
الجهاز التنفسي. يتركب من الأنف، والحنجرة، والقصبة الهوائية، والشعب الهوائية والرئتين. ويتصل بالرئتين تسعة أكياس هوائية هي الكيسان العنقيان، والكيسان الصدريان الأماميان والكيسان الصدريان الخلفيان، والكيسان البطنيان، ثم الكيس الإبطي. والرئة في الطيور صغيرة تلتصق بالضلوع، ولا تكفي لتلبية حاجة الطيور المتزايدة إلى الهواء أثناء التنفس، لذلك زودها الله بهذه الأكياس الهوائية التي تجعل معظم الأنسجة على اتصال مباشر مع الهواء الخارجي الموجود فيها، مما يزيد من المساحة الداخلية للتنفس. كما تزيد من خفة وزن الطائر فيساعده ذلك على الطيران والتحليق في أعالي الجو. يضاف إلى ذلك رقة هيكله العظمي، وخفة وزنه، ووجود تجاويف هوائية في بعض عظامه. وهذا الهيكل يفي بحاجة الطيور أثناء طيرانها، وكذلك أثناء مشيها على رجلين. وللطيور عضلات قوية، تعرف بعضلات الطيران، وهي العضلات المتصلة بعظم القص، وعظم العضد. أما الساق والقدم، فليس بهما عضلات، وإنما أوتار. وربما يرجع ذلك

لتقليل فقدان حرارة الجسم من هذه الأجزاء الخالية من الريش.

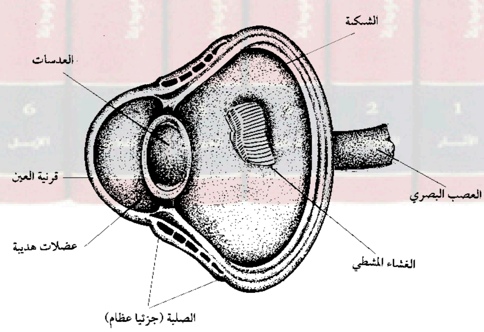
الجهاز الدوري. يتكون من قلب ذي أربع حجرات، أذينين وبطينين، ومن أوردة وشرايين، وليس به جهاز كلوي بابي كما في بقية الفقاريات، بل جهاز كبدي بابي.

الإحساس. حاستا السمع والبصر في الطيور قويتان جداً، تعتمد عليهما في تحديد مسار طيرانها، وفي تجنب أعدائها، وفي الاهتداء إلى الجنس الآخر، وإلى أفراخها، وفي العثور على غذائها وتناوله. وتوجد حاسة اللمس فيها على المنقار واللسان، أما حاستا الشم والذوق، فما زال الخلاف بين علماء الطيور قائماً حول وجودهما في الطيور أو انعدامهما.

التكاثر. تتكاثر الطيور بالبيض الذي يلقح داخل الأنثى ويحضن خارجيا، والجهاز التناسلي الأنثوي الأيمن ضامر أما الأيسر فهو فعّال. ويختلف عدد البيض الذي تضعه الأنثى باختلاف نوع الطيور، ولا بُدَّ من أن تحضنه الأنثى أو الذكر، أو كلاهما بالتناوب لمدة زمنية معينة تختلف باختلاف نوع الطيور، لينمو الجنين بداخله أو يحضنه طائر آخر في حالات نادرة. وتخرج الفراخ من البيض عارية، لا تبصر، ولا تقدر على المشي أو الطيران في بعض الأنواع التي تسمى ملازمات العش، بينما تقدر على ذلك في أنواع أخرى تسمى مبارحات العش. وتتميز هذه المجموعة بأن صغارها تغادر العش بعد الفقس مباشرة، كما في الدجاج والحباري والحجل والبط وغيرها.



الهيكل العظمي في الطيور



رسم تخطيطي لعين الطائر

تتزاوج الطيــور أثناء فصل الربيع، وتؤدي طـقوساً مـعينـة خلال عمـلية تزاوجها هي: الغناء، يصدر من الذكر لينذر ذكراً آخر من نوعه ليبقى بعيداً، أو ليعرّفه بحدود منطقـته التي يعيش بها، أو يحذّره ليتجنب العراك معه. والغزل، وهو صفة لازمة فـي الطيور، يتودد به الـذكر إلـى أنثـاه قبـل إتمـام التـزاوج والتـعشيش، حـيث تبدأ الـطيور بعـد التزاوج في بناء العش الذي يختلف شكله وتركيبه من نوع إلى آخر، فبعض الطيور تضع بيضها على الأرض لترقد عليه في العراء. وبعـضها يبني أعشـاشاً منسقة جميلة يقوم الذكر عادة ببنائها. وجميع الطيور تضع بيضاً، وتحتوي البيضة، إلى جانب الـبويضة (المشـيج الأنثوي) في البيضة غير المخصبة واللاقحة (الزيجوت) في البيضة الملقحة (المخصبة)، على المح والزلال أو (الأح)، ويـختـلف شكـل البيضة ولونها من نوع إلى آخر؛ ويحاكي لون البيض غالباً لون البيـئة التي يعيش فيها الطائر.

الريش. يمكن تمييز عدة أنواع من الريش على جسم الطائر. فمنه ريش الطيران الذي يغطي الجسم كلـه، وهو قسمان: الريش الجناحـي، أو ريش القوادم وهو مـا كان متصلاً بالجناح، والريش الذيلي، وهو ما كان متصلاً بالذيل. ويسمى الريش الذيلي بالريش الموجِّه لأنه يوجه الطائر أثناء الطيران ويحفظ عليه توازنه، ويساعده على التحليق والهبـوط، وهناك الريش الـزغبي، وهو الريش غير المتـماسك، عند قواعد ريش الطيران، والريش الوبري، الذي يشبه الشعر في منظره وينبت عند قواعد ريش الطيران أيضاً.

ولريـش الطـائر وظـائف، مـنهـا الحماية، بـحفظ جسم الطـائر من أثار المطر، وأشعة الشمس الحارة، والظروف البيئية الضارة الأخرى. ومنها تنظيم درجة حرارة الجـسم، لأن الـريش ضـعيـف



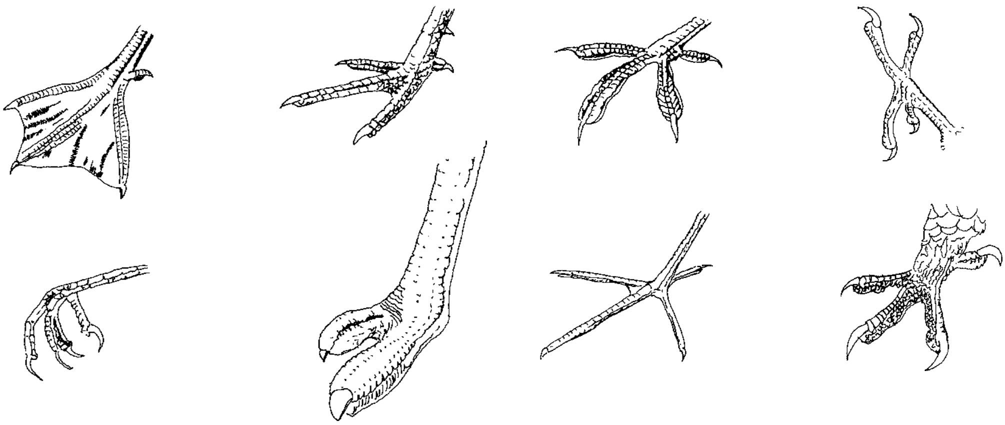
أنواع الريش



ريش الجناح

توصيلـه للحرارة، خصوصاً أن بـعض الطيور تحمل ريشاً كثيفاً أثناء فترة الشتاء، ومنها إكسابه القدرة على الطيران، ويعود ذلك إلى قـوة الريش الجنـاحي، وإلى تماسك شويربات التويج فيه بعضها مع بعض، ومنها تكيف الطائر لأداء وظيفة معينة. فقد تتحور شويربات التويج في الريش فتجعـله عديم الصوت، خاصة أثنـاء الطيران لـيلاً. كما فـي البومة، ويختلف عدد الريش من نوع إلى آخر. ويعتمد هذا العـدد على حجم الطائر، وعلى الجنس والعمر، والصحة والمرض، والفصل من السنة، والتوزيـع الجغرافي لهذه الحيوانات.

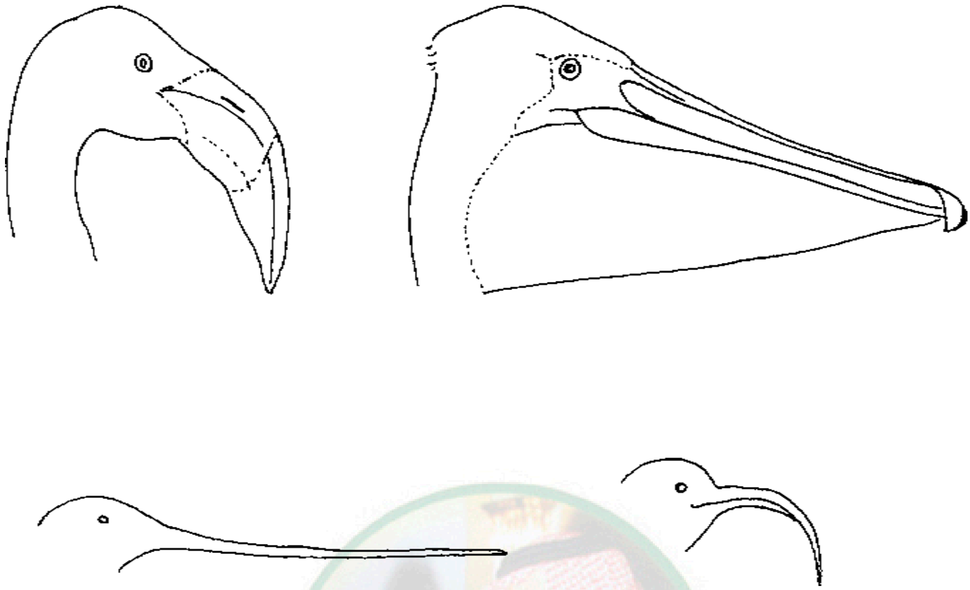
تتكون الرِّجْل في الطيور من الفخذ، والساق، والقدم. ويختلف شكل أقدام الطـيور وتركـيبهـا باختـلاف الأنواع والبيئات الـتي تعيش فيها، أرضية أو مائية أو جوية، وكذلك باختلاف أنواع الغذاء، فمنها: أقدام العَدْو، وهي أقدام طويـلة قوية لـها أصبـعان، كمـا في النعـامة، أو ثلاثة كـما في الحبارى. وأقدام النبش، وهي أقدام قـصيرة لها أربعة أصابع ينتهي كل منها بمخلب كما في الدجاج والحجل والحمـام. وأقدام العوم، التي تكون فيها الأصابع الثلاثة الأمامية مكففة أي متصلة بعضها ببعض بغشاء جلدي يـساعدها على السباحة



بعض أقدام الطيور

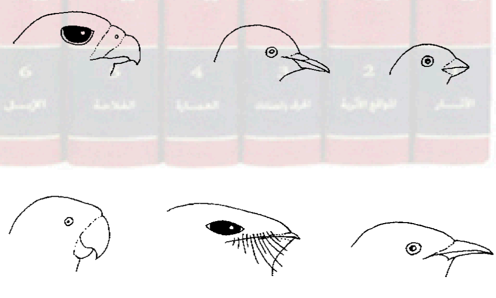
في المـاء، كـمـا فـي البـط والأوز والنوارس. وأقدام الغوص، التي تتخذ الأصابع فيها شكل المجاديف ولا تنتظم في غـشاء واحد، كـما في الـغواص الصغـير ودجاج الماء. وأقدام القـنص القصيرة القوية جداً، التي تنتهي بمخالب متوسطة حـادة تستخدم للقبـض على الفريـسة، كما فـي الصقور والطـيور الجارحة الأخرى. وأقدام الخوض، ذات الأرجل والأصابـع الطويلة، كمـا في الطيور الخواضة عـلى شواطىء المياه، ومنها مالك الحزين وأبو قردان. وأقدام التسلق القصيرة التي تمتاز بطول الأصبع الخلفي، كما في الببغاء ونقار الخشب. وأقدام الـقبـض على الأغـصان ذات الأصابع الرقيقـة التي يحمل كلٌّ منها مخلباً حاداً، كما في العصافير الصغيرة.

والمنقار في مقدمة الرأس، وهو قرني صلب. وفي كثير من الطيور جزء رخو عند اتصال المنقار مع الرأس يسمى القير، يفرز مادة شمعية، وبالمنقار فتحتا الأنف الخارجيتان. والمناقـير على عدة أشكال تناسب نوع الغذاء الذي يتغذى به الطائر، فمنـها: منقار لتـصفية الكائـنات الحية الطافية في الماء، وهو منقار كبير مقوس، كمنقار طائر النحام. ومنقار لتصفية الغذاء من الماء، وهو منقار كبير، على جانبيه مجموعة من البروزات على هيئة فرشاة لتصفية الـغذاء، كما في البط. ومنقار لجرف الأسماك العائمة في المياه الضحلة، وهو منقار مجرفي الشكل كبير الحجم، يتصل به مـن أسفل غشاء جلدي كبير ليستخدمه الطائر في خزن الأسماك لحين هضمهـا، كما في طائر الـبجع، ومنه



المناقير على عدة أشكال تتلاءم مع نوع الغذاء

اكتسب اسمه. ومنقار لمص الرحيق، وهو منقار طـويل سيفي الشـكل يستخدمـه الطائر في مص رحيق الأزهار، كما في الطائر الطنان. ومنقار لاستخراج الفريسة من التربـة، وهو منقار طويل، مـذّبب من الأمام، كما في ديك الغابة. ومنقار حربوني (رمحي)، وهو منقار على شكل



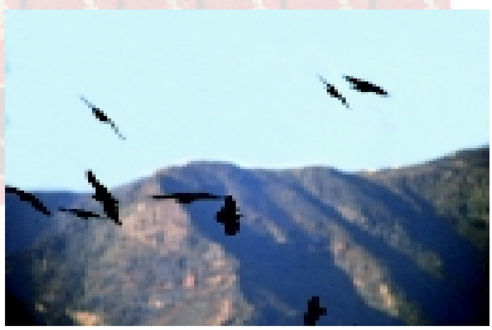
المناقير

الحربة أو الرمح، قصير بعض الشيء، يستخدمه الطائر في اصطياد الأسماك، كما في البلشونات. ومنقار لاستخراج الحشرات من الخشب، وهو منقار قوي قصير بعـض الشيء، يستخدمه الطائـر لاستخراج الفريسة من الخشب، كما في نقار الخشب. ومنقار لـتمزيق اللحوم، وهو مـنقار قصـير مقـوس حاد جداً، يستخدمه الطائر في تمزيق اللحوم، كما فـي الصـقور والـعقـبـان وأمثـالهـا. ومنقار لالتقاط الحبوب، وهو منقار قصير مـذبّب، كـمـا في الحـمـام واليـمام والعصـافير. ومنـقار لتكـسير الفواكـه الصلبة، وهو منقار قصير مقوس حاد،

كما في الببغاء. ومنقار لصيد الحشرات، وهو منقار مذبّب رفيع، كما في الهدهد.

الطيران. هو من أعجب ظواهر الطبيعة التي تشغل بال العلماء. وهناك بعض التكيفات التي حدثت في جسم الطائر، لتجعله قادراً على الطيران، منها الريش الذي يغطي جسم الطائر، واندماج بعض أجزاء الجهاز العظمي، إلى جانب ملاءمة تركيبه للطيران حيث توجد تجاويف هوائية في بعض أجزائه، واختزال بعض أعضائه لكي يصبح الجسم خفيفاً مثل اختفاء الأسنان، وقصر المستقيم، واختفاء المثانة البولية، واختفاء النخاع في أغلب العظام، واختزال عدد الأصابع، وضمور الجهاز التناسلي الأنثوي الأيمن. ومنها تحور الطرفين الأماميين إلى جناحين، والعضلات القوية التي تحركهما، واتساع سطح التنفس الداخلي بوجود الرئتين والأكياس الهوائية. وطول العنق وقدرته على الالتفاف بزاوية قدرها ١٨٠ درجة مما يمكِّن الطائر من التجول ببصره في الفضاء، وحدة النظر، وعلو الصوت لكي يسمع بعضها بعضاً.

ويمكن تمييز أربع طرق لطيران الطيور هي: الطيران الشراعي من أعلى إلى أسفل دون أن يحرك الطائر جناحيه، كما يفعل الحمام. وطيران الحوم الذي قد يستمر لعدة ساعات في الفضاء محمولا على بعض التيارات الهوائية الصاعدة والنازلة، سواء على قمم الجبال كما تفعل أنواع الغداف، أو في الصحارى، أو على شواطىء البحار، كما تفعل بعض الطيور البحرية، والطيور الجوارح مثل النسور والرخمة المصرية. وطيران التصفيق عندما يرغب الطائر في الارتفاع إلى أعلى. وطيران الترفيف للوقوف في الهواء، كما في طائر الطنّان الذي يستطيع أن يحرك جناحيه بمعدل ثمانين مرة في الثانية الواحدة، واقفاً في مكانه معلقاً في الهواء أثناء امتصاصه للرحيق.



الغداف مروحي الذيل (من طيور الماء)

هجرة الطيور

من أعجب الظواهر لدى بعض أنواع الطيور هجرتها من مكان إلى آخر بعيد

خلال فصول معينة من السنة تدفعها غريزتها إلى ذلك. وهي تتجمع في أسراب عند رحيلها، وتبدأ رحلتها الشاقة الطويلة إلى حيث تريد، لا تأبه بمحيط ولا بحر ولا صحراء قاحلة، بل تمضي في طيرانها حتى تصل إلى هدفها، وهناك أنواع أخرى من الطيور تبقى في مواطنها لا تبرحها أبداً. وتهاجر الطيور المهاجرة غالباً من مناطق شمال أوروبا ووسطها، حيث تحدث تغيرات في البيئة أثناء فصل الشتاء لا تناسبها، مثل اشتداد برودة الجو، وقلة الغذاء، وطول الليل وقصر النهار، وتضاؤل الأشعة فوق البنفسجية، مما تضطر معه هذه الطيور إلى الهجرة جنوباً قاطعةً مسافات قد تصل إلى عدة آلاف من الكيلومترات. وتهاجر بعض الطيور أثناء النهار، وبعضها أثناء الليل. كما أن بعضها قد يهاجر لأول مرة من غير دليل يتبعه أثناء هجرته، وعندما تتحسن الظروف البيئية في المناطق الأوروبية الشمالية تبدأ الطيور في الهجرة العكسية والعودة إلى أماكنها حيث تتزاوج، والغريب أن بعض هذه الطيور يعرف طريقه إلى العش نفسه الذي وضع به بيضه في العام الماضي.

وتشارك كثير من طيور أمريكا الشمالية وأوربا في مواكب الهجرة، وأكثر من ثلث أنواع الطيور في العالم مهاجرة، وقد تبلغ عشرات الآلاف من الملايين. وتحدث الهجرة بوضوح في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، حيث تغطي الثلوج مناطق واسعة، وتعبر أعداد ضخمة من طيور أمريكا الشمالية خط الاستواء لتقضي فصل الشتاء في أفريقيا وأوراسيا وأمريكا الجنوبية.

وتعدّ الهجرة أعظم مخاطرة في حياة الطائر يسلكها لإتمام عملية التزاوج ولاستمرار حصوله على غذائه في المناطق الدافئة، وتهلك خلال رحلتها الطويلة أعداد كبيرة من الطيور قد تصل إلى ٥٠ ألف طائر في ليلة واحدة. وتدرس الآن كثير من المؤسسات العلمية مسار الطيور وتتبعها في رحلاتها بوضع حلقات معدنية على سيقانها، وكان من نتيجة ذلك تحديد خطوط مسارات بعض أنواعها أثناء هجرتها وقد صيدت بعض الطيور في القصيم ذات حلق وتبين أنها مهاجرة من شمال آسيا.

من الطيور المهاجرة اللقلق الأبيض الذي يُعد من أشهر الطيور المهاجرة، فهو يقضي فصل الصيف في أوروبا، ويقضي فصل الشتاء في جنوب أفريقيا. وقد أظهرت الدراسات بطريقة وضع الحلقات، أن الطيور التي تقطن مناطق غرب أوروبا

تسلك طريق الجنوب الغربي إلى مضيق جبل طارق متجهة إلى أفريقيا. أما الطيور التي تقطن وسط أوروبا وجنوبها، فتأخذ طريقها نحو الجنوب الشرقي ثم تقوم بجولة حول شرق البحر الأبيض المتوسط متجهة إلى مصر، متتبعة نهر النيل، ثم وادي الانفلاق في شرق أفريقيا حتى تصل إلى مواطنها الشتوية في جنوب أفريقيا. وتقطع بعض هذه الطيور في رحلتها مسافة ١٢٨٠٠ كم تقريباً. وقد تسلك بعض الطيور عند وصولها إلى شرق البحر الأبيض المتوسط ثلاث طرق فرعية. فإما أن تتجه جنوباً بمحاذاة المناطق المرتفعة غرب الجزيرة العربية حتى تصل إلى اليمن، أو بمحاذاة الشواطئ شرق الجزيرة العربية حتى تصل إلى جنوب سلطنة عُمان، وقد يطير بعضها بمحاذاة الشواطئ الشرقية للخليج العربي وخليج عُمان حتى تصل إلى شمال الهند.

ومن هذه الطيور خطاف البحر القطبي، وهو طائر قريب الشبه بالنورس، ويقطع في هجرته المسافات البعيدة، فهو يترك مواطنه في المنطقة القطبية الشمالية في أواخر الصيف، لرحلة طولها ١٦,٠٠٠ كم إلى بحار المنطقة القطبية الجنوبية، ليقضي هناك فصل الشتاء، وقد يأخذ بعضها طريقه عبر المحيط الهادي، بينما يذهب الباقي عن طريق الشاطيء الغربي لكل من أوروبا وأفريقيا، وقد يذهب بعضها إلى المحيط الهندي.

وهجرة الطيور الجارحة واحدة من الظواهر الطبيعية الجديرة بالإعجاب، حيث تقطع ملايين منها كل عام آلاف الكيلومترات منطلقة من مناطق تكاثرها في الشمال لقضاء فصل الشتاء في مناطق أكثر دفئاً في الجنوب، ثم تعود في الربيع إلى مناطق تعشيشها مرة أخرى.

ويهاجر كثير من الطيور الجارحة إلى مسافات بعيدة، وتستفيد الجوارح الكبيرة العريضة الأجنحة، مثل الحدآت والنسور والعقبان، من التيارات الهوائية والحرارية لتقليل استهلاكها للطاقة أثناء طيرانها. وتطير هذه الجوارح عادة في جماعات كبيرة، أما الجوارح التي هي أصغر جرما، وأضيق جناحاً فلا تطير هذا الطيران، بل إنها غالباً تطير مباشرة عامدة إلى غايتها وذلك بفضل سرعة حركة أجنحتها. وعليه فإنها أقل اعتماداً على التيارات الحرارية، وبإمكانها قطع مسافات طويلة فوق الماء آمنة بخلاف الجوارح الكبيرة.

وتشكل منطقة الشرق الأوسط منطقة عبور بين أوراسيا وأفريقيا، حيث يمر خلالها عدد كبير من الطيور الجارحة المهاجرة العريضة الأجنحة مع عدد من جوارح أضيق جناحاً مثل الصقور والمرزة والعقاب النسارية.

ومما يذكر أنه في فصل الخريف تتجمع جوارح أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية في منطقة مضيق البوسفور بين بحر إيجه والبحر الأسود، وتتجمع طيور أقصى شرق أوروبا وأقصى غرب آسيا عند الشاطئ الشرقي للبحر الأسود باستعمال التيارات الحرارية على طول حافة القوقاز. ويتوقع أن تتجمع جوارح آسيا الغربية على طول الشاطيء الشرقي أو الشاطيء الغربي لبحر قزوين، على الرغم من عدم معرفة نقاط التجمع في الوقت الحاضر، ومع تحركها باتجاه الجنوب تحصل تجمعات على طول الجبال الموازية للشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، كما تحصل تجمعات قرب شط العرب عند رأس الخليج العربي، أما عند مضيق هرمز في مدخل الخليج العربي، فيمكن توقع مثل هذه التجمعات. ومع تحرك هذه الطيور باتجاه الجنوب، تتجمع في رأس خليج السويس وربما أيضاً قرب باب المندب عند الطرف الجنوبي للبحر الأحمر قبل عبورها إلى شرق أفريقيا.

اهتمام العرب بالطيور

اهتم الشعراء العرب منذ القدم بتسجيل حركات الطيور وسكناتها وطبائعها بأجمل صورة وأبلغ قول، فما من شاعر عربي إلا جاء للطير ذكر في شعره، على تفاوت بينهم في هذا المضمار، فمنهم من يأتي على ذكره عرضاً ومنهم من ولع بالصيد فيذكر الطيور في طردياته ومنهم من وقف على كثير من أصناف الطيور الكبيرة والصغيرة، المستأنسة منها والفطرية، وقوف فاحص متأمل يحصي عليها حركاتها وأنفاسها.

وقد ضربت العرب أمثالاً كثيرة بالطيور، مثل «ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع»، ويضرب مثلاً للمغرور المتكبر، أو «لو فيه خير ما قطه الطير»، ويضرب في الأشياء التي قلَّت قيمتها بعد أن كانت ذات قيمة كبيرة، أو «طارت الطيور بأرزاقها»، ويضرب مثلاً لمن يتأخر عن طلب رزقه. أو «الطيور على أشباهها تقع»، ويضرب مثلاً للأشخاص الذين يألف بعضهم بعضاً في أمور كثيرة قد تخرج عن المعتاد؛ يقول الشاعر في هذا المعنى:

ترى الجنس حول الجنس يا صاح مثلما
طيور الهوى بالجو للجنس ضاويه

ومن الكنايات «كأن على رؤوسهم الطير» كناية عن السكوت والذهول لأن من على رأسه الطير يسكت حتى لا يطير الطير.

وللبيضة مكان كبير في التراث الشعبي منذ أقدم العصور. ولايزال السؤال التقليدي حائراً دون جواب: هل وجدت البيضة أولاً أم الدجاجة؟ وقد ظفرت

البيضة باهتمام كبير في الأدب والتراث. ومن المأثور قولهم إنّ كل حيوان تغيب أذناه فهو يبيض، وأي حيوان تظهر أذناه فهو يلد. وقد ورد ذكر البيضة في الشعر، من ذلك قول أبي الفرج الأصفهاني:

فيها بدائع صنعة ولطائف
ألف بالتقدير والتعليق
خلطان مائيان ما اختلطا على
شكل ومختلف المزاج رقيق

ومن أجمل ما قيل في البيضة من الشعر لغز لابن عبد ربه الأندلسي:

ألا قل لأهل العلم والفهم والأدب
وكل بصير بالأمور أخي أربْ
ألا أخبروني أي شيء رأيتم
من الطير في أرض الأعاجم والعربْ
قديم حديث قد بدا هو حاضر
يُصاد بلا صيد وإن جد في الطلبْ
ويؤكل أحياناً طبيخاً وتارة
قلياً ومشوياً إذا دُسَّ في اللهبْ
وليس له لحم وليس له دم
وليس له عظم وليس له عصبْ
وليس له رجل وليس له يد
وليس له رأس وليس له ذنبْ
ولا هو ذو روحٍ ولا هو ميت
ألا أخبروني إن هذا هو العجبْ

كما ورد ذكر البيض في الأمثال حيث قيل «أحسن من بيضة في روضة»، لأن العرب تستحسن نقاء البيضة في نضارة خضرة الروضة. وقيل «يمشي على بيض» ويقصد به الشخص المتردد بطيء الحركة.

ومن الشعر الشعبي والغنائي في الطيور قولهم:

ياطير ياللي على كبد السما بتحوم
ما جبت من عند الاحباب علوم

وقولهم:

عصفور هدّي على عروق الداليه
ما ناخذ الاّ من البنات الغاليه

ومن أغاني الفرح الشعبية تردد النساء:

كحل الهوى ياطير مصحوب بهوان
موزون بالميزان ربع الوقيه
وقرونها ياطير تقول حنشان
حنشان على امها ملويه

وحتى في دنيا التهكم والسخرية كان للطير حديث تتناوله ألسنة المغنِّين حيث يقولون:

أحلف لكم ياجماعه ما شهدنا زور
سبع ليالي طبخنا فخذة العصفور
عزمنا الوز والنورس والشان استانبور
وظل الشحم واللحم على حيطاننا منشور

ومن ألغاز العامة في نجد قولهم «اطْوير طار، مع الخطّار، اذْنيبه ريش، وارْويسه نار» وجوابه البندقية.

الطيور آكلة اللحوم

من الطيور ما اقتصرت في تغذيها على اللحوم فهي تصطاد غيرها من الطيور والقوارض والزواحف والأرانب وصغر الماشية، وتطعم مما تصيده السباع والجيف، ولها من خصائصها الجسمية ما يعينها على طلب رزقها، فلها مناسر حادة معقوفة تمزق بها لحوم طرائدها ولها مخالب قوية تقبض بها ولها أجنحة تعينها على الطيران في الأعالي والانقضاض على الفرائس وضربها ضربات قوية. ولها قدرة إبصار قوية ضرب بها المثل الشعبي «أشوف من الحايمات». وقد أدرك الإنسان ما أوتيت من مهارة صيد فاستأنس بعضها وسخرها لصيده فأضحى يأكل مما يمسكن عليه. ومن آكلات اللحوم العقبان والبزاة والصقور، والنسور والبوم وأبو مطرقة، وصياد السمك والغربان والصرد.

العائلة العقابية

في العالم حوالي ٢٠٥ نوع من هذه العائلة، منها ١٧ نوعاً في المملكة العربية السعودية. وكلها من الطيور الجوارح، التي تنشط بالنهار. ولها منقار حاد مقوَّس، وأرجل قوية ذات مخالب كبيرة. وتقتات بالحيوانات الحية. ولكن بعضها يقتات بالقمامة والجيف. ولكل طائر منها جناحان قويان يساعدانه في الطيران، وفي الحوم لعدة ساعات. ألوان الذكر والأنثى غالباً متشابهة، والأنثى أكبر حجماً من الذكر. وتضم هذه العائلة العقبان والبزاة والنسور والحدأ.

العقبان. العُقاب بالضم هو المفرد. والجمع أعقب وعقبان. وجمع الجمع عقابين. وهو ضربان، الأول المخصوص باسم العقاب، وهي مؤنثة اللفظ لا تُذكَّر. وقيل لا تكون العقاب إلا أنثى، وسافدها طير آخر من غير جنسها، كما

قال الشاعر محمد بن نصر الملقب بأبي العينين يهجو ابن سيده:

قـل لابـن سيـدةٍ وإن أضـحـى لـه
خـول تـدلّ بـكـثـرةٍ وخُـيـولُ
مـا أنـت إلا كـالـعُـقـابِ فـأمّهُ
مـعـروفـةٌ ولـهُ أبٌ مـجـهـولُ

والعقبان طيور كبيرة الجسم، وهي أقوى الطيور قاطبة، وأجرؤها، وأجسرها. تعتمد على نفسها في الحصول على الغذاء، وتعاف الجيف، ولا تلجأ إليها إلا إذا عضها الجوع. طويلة الأجنحة والذيل، السيقان مغطاة بالريش، ولون الجسم العام بني داكن أو أسود، وهي غالباً طيور حوامة تضع بيضها في أعالي الجبال، أو على الأشجار العالية، التي يصعب الوصول إليها. ويسمى فرخ العقاب الهيثم. والعقاب من أسرع الطيور طيراناً. ومن صفاتها أيضاً أن جناحها كثير الخفقان أثناء طيرانها حتى زعم أنه دائم الخفقان. قال الشاعر في هذا المعنى:

لـقد تـركـت عفـراء قـلـبي كـأنـه
جـنـاح عـقـاب دائـم الخـفـقـان

والضرب الثاني من العقبان يسمى: الزُّمَّج. وهو دون العقاب. وقيل هو ذكر العقاب (وهو خطأ)، والأقرب إلى الحقيقة أنه النورس أو عقاب البحر الرمادي.

وللعقاب أسماء كثيرة منها: خُداريّة لأنها سوداء، والخدار: السواد، ودجوجيّة، والشّغواء، لتعقّف منقارها، والشّقذاء، أي شديدة الجوع والطلب، والقوة، لأنها سريعة الاختطاف. والغرن هو ذكر العقاب. والضرم فرخ العقاب وكذلك الهيثم. ومن أشهر كنى العقاب أبو الأشيم، أبو الحجاج، أبو حسان، أبو الدهر، أبو الهيثم، أم الحوار وغيرها.

والعقاب طائر جارح يضرب به المثل في القوة والبطش. وكان البدو، وما يزالون، يسمون أولادهم بالعقاب، دليلاً على القوة والشجاعة. وتعدّ العقبان العدو الأول للصقور، فهي تبعدها وتستولي على ما تصطاده. فالمناطق التي بها العقبان لا تصيد بها الصقور أو غيرها من الطيور ما دامت تراها، وكثيراً ما يترك الصقر صيده إذا كان في الجو عقاب يحوم، ولا تصيد العقبان في وجود الإنسان. ويوصف الشخص الذي يكن الحسد لغيره، بأنه «أحسد من عقاب»، لأنه يحسد غيره من الطيور على ما معها من صيد ويسلبها إياه. وفريستها عادة من الأرانب والحباري وصغار الطيور والغزلان وصغار الوعول والماعز.

وقد ورد ذكر العقاب في الأمثال العربية فيقال «أبصر من عقاب ملاع»

والملاع اسم للصحراء. وعقاب الصحراء أبصر وأسرع طيراناً، من عقاب الجبال، و«أحزم من فرخ العقاب»، لأنه يخرج من البيضة، وهو على أرفع موضع في الجبل، فلا يتحرك حتى ينبت ريشه. وقيل أيضاً «أطيرُ من عقاب»، لأنها تتغدى بالعراق، وتتعشى باليمن كضرب من المبالغة على مدى اتساع طيرانها. وكذلك «أمنع من عقاب الجو»، وذلك لصعوبة الوصول إليه. وجاء ذكره في المثل الشعبي «العقاب ما يورث إلا يعقاب»

وجاء ذكر العقاب في الكلام المنثور، قيل لبشار بن برد: لو خيرك الله أن تكون حيواناً ماذا كنت تختار؟ قال: العقاب، لأنها تلبث حيث لا يبلغها سبع، ولا ذو أربع، وتحيد عنها سباع الطير، ولا تعاني الصيد إلا قليلاً، بل تسلب كل ذي صيد صيده. وقال أعرابي «أما علمت أن الشدة والشجاعة والبأس والقوة من الحيوان في ثلاثة أصناف: العقاب في الهواء، والتمساح في الماء، والأسد في الغياض».

كما ورد ذكر العقاب في الشعر العربي في قول الزبير بن عبد المطلب في الحية، التي كانت قريش تهاب لأجلها الإقدام على تجديد بناء الكعبة، وأتى العقاب، فاختطف الحية من مسكنها وطار بها في أعلى الجو:

عجبت لما تصوّبت العقاب
إلى الثّعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش
وأحياناً يكون لها وثاب
إذا قمنا إلى التأسيس شدّت
تهيّبنا البناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الرّجز جاءت
عقاب تتلئبُّ لها انصباب
فضمّتها إليها ثم خلّت
لنا البنيان ليس له حجاب

وقال أبو الفرج الببغاء يصف العقاب، وما يتصف به من قوة في الطيران، والفتك بفريسته:

ما كل ذات مخلب وناب
من سائر الجارح والكلاب
بمدرك في الجدّ والطّلاب
أيسر ما يدرك بالعقاب
شريفة الصّبغة والأنساب
تطير من جناحها في غاب
وتستر الأرض عن السحّاب
وتحجب الشمس بلا حجاب
يظل منها الجو في اغتراب
مستوحشاً للطير كالمرتاب
ذكية تنظر من شهاب
ذات جران واسع الجلباب

ومـنـكـب ضـخـم أثـيــثٍ رابـي
ومــنـسـرٍ مـوثّـق الـنـصـاب

وما يزال جبل ثهلان معروفاً بعقبانه، وهي من نوع العقبان السود الضخمة ذات الرؤوس الصقع، وهي معروفة بقوتها وصرامتها، وقدرتها على اختطاف فريستها وسرعة هجومها. وقد وصف امرؤ القيس هذا النوع بقوله:

كأنـهـا حـين فاض المـاء واحتـفلـت
صقـعـاء لاح لـهـا بـالقـفرة الـذيب
فأبـصرت شخـصه من فـوق مرقبـة
ودون مـوقـعـهـا مـنـه شنـاحـيـب
فـأقبـلـت نحـوه في الجـوّ كـاسرة
يحـثهـا من هوى لـلريح تـصويـب

ولهـذا النوع مـن العـقبان أوكـار، أشهـرها ما كان فـي المنجور ونجـار وأم العقبان، وغيرها، ومـن الأوكار الواقعة في الهضاب التي تحف بثهلان من الشرق، وكر في قمـة حذنه (الحذني) ووكر في قمة أم رمـية وقد عرفت بلاد الـشريف قديماً بعقبانها؛ ويقول طفيل الغنوي:

وفيـنا نـرى الطّـولى وكل سـميـدع
مـدرَّب حـرب وابـن كـل مـدرب
طويـل نجاد السيـف لم يرض خـطة
من الخسف ورّاد إلـى الموت صقعب
تـبيـت كعـقبـان الشـريـف رجالـه
إذا مـا نووا إحـداث أمـر مـعطِّـب

وفي المملكة من العقبان عدة أنواع، منها العـقاب الملكي أو ملك العـقبان، وعقـاب السهوب، وعـقاب بونلـلي، والعـقاب الذهبـي (اللموع) والـعقاب الأسود (الفطرة) وهو أخطرها.

ملك الـعقبان: ويسـمى العقاب الملـكي، والـعقـاب الإمبـراطوري، والحرّاء، والعيسى. وهو طائر ضخم له قوة عظيمة في الطيران وفي اصطياد فريسته من الشـدييات. وطوله حوالي ٩٠سم. يمتاز عـن غيره من العقـبان ببياض في ريش الكتف، أغلب جسمه بني فاتح إلى بني غامق، وذيله طويل مـدور أو مستـطيل رمـادي مـسود الأطراف. يتغذى بالأرانب والحملان والطيور، وقد يأكل الجيف إذا لم يجد غيرها؛ ويعـيش في المناطق المفتوحـة القليلة الأشجار.

عقاب الـسهوب: وطولهـا حوالي ٨٠سم، أي أنـهـا مـتوسطـة الحجـم. وألوانها متدرجة من اللون البني الغامق إلى اللون الأسود. وهي قليلة الانتشار في المملكة. وقـلما تعتمد على نفسـها في اصطياد فريستها، فهي تكسب قوتها من الصقور والغربـان والنسور إلى أنها قد تأكل الجـيف أحياناً، وتعيش على سفوح الجبال والمناطق المفتوحة.

عقاب بونـللي أو العقاب الأبـيض القفـا: وهي متوسطـة الحجم وطولهـا حوالي ٧٤سم. وجسمها بني فاتح إلى غامق وبه بقعة بيضاء على الظهر. ورأسها صغيـر كرأس البازي، أمـا لون الرقبـة والصدر فأبيض فيه بقع سود، والأجنحة طويلـة مدورة، وذيلها أطـول من ذيل البازي. وأسفل الجناح والذيل مسود أو شاحب البـياض وبه خط أسود. وهي طائر قوي يفتك بالحبارى وهي طائرة، وبالدجاج البري وهو على الأرض، لذا فإنهـا تستخدم في أواسـط آسيا لصيـد الغزلان، برفقة الكلاب السلوقية، كما تصيد الزواحف والقـوارض والأرانب، وتعيش في المناطق الجبلية، وتضع بيضها في أعالي الجبال، أو فـي الجروف التي يصعب الـوصول إليها. بعـضها طيور مهاجرة، وتعيش غالباً في أزواج.

العقاب الأسود (الفطرة): عقاب كبير الجـرم أسود، طـول جسـمه حـوالـي ٩٧سم. والأنثى أكبر حجماً من الذكر، وظهره أسـود مع بعض الـبياض علـى كواسي الذنب العليـا. والجناح عريض عرضـا مميزا، وله مـنسر قـوي ضخم وقدمان كبـيرتان. قوي الطيران رشـيق الحركة كثير التحويم فوق لجفات الجبال والمرتفعات، يـغطي مسافات كبيرة في



العقاب الأسود

طيرانـه باحثاً عن فـرائسه من الأرانب والوبران والطيور والزواحف. وهو طائر مقيم يـتكاثر في منطـقة الشرق الأدنى وجنوب القارة الأفريقية والجزيرة العربية.

العقاب الذهـبي (اللموع): عقاب كبير الحجم داكن اللـون، طول جسمه حوالي ٨٨سم. له منسر قوي، وجناحان عريضـان وذنب طويل مربع الـطرف، ويتميز بقـوة طيرانه ورشاقته، والجسم داكن أو بني أسـفع يضرب إلى اللـون الذهبي أو لـون الصدأ، والذنب داكن اللون عـليه خطوط داكنـة، والسطوح



وجه العقاب الذهبي

السفلية لجسم الطائر ذات لمعة ذهبية، يعيش في الجبال وفي الأماكن المفتوحة ذات الأشجار. وهو نشيط في تحويمه وبحثه عن فرائسه التي يتغذى بها، إذ



العقاب الذهبي

ينقض عليها انقضاضاً سريعاً، ويستطيع أن يأخذ الطيور في الجو أو على الأرض.

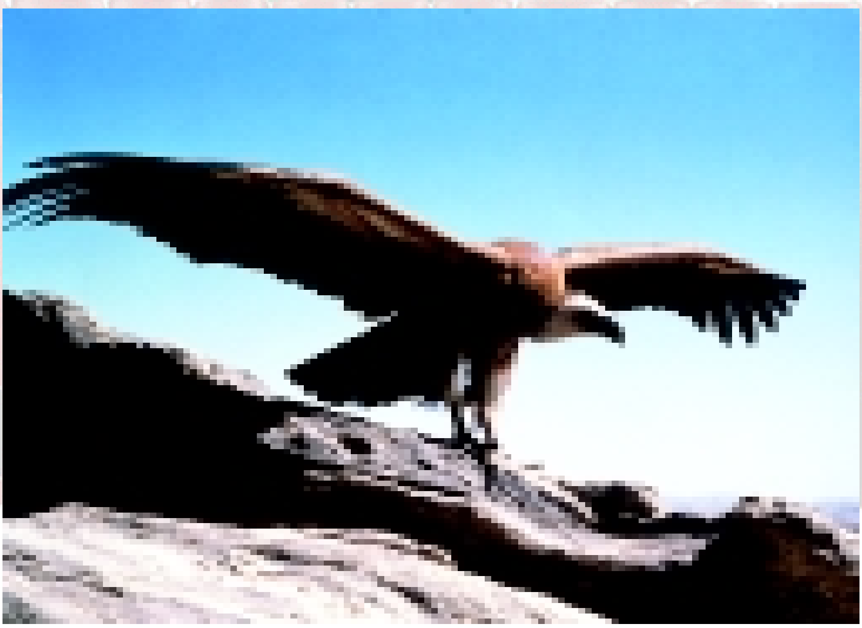
النسور. النسر أكبر الطيور جسماً، وأطولها عمراً. جمعه أنسر ونسور. وسمي نسراً لأنه ينسر الشيء بمنسره ويبتلعه. كنيته أبو الأبرو، وأبو الأصبع، وأبو مالك، وأبو المنهال، وأبو يحيى، وأبو الطير، والأنثى أم قشعم والهيثم هو فرخ النسر. يوصف النسر بحدة حاستي الشم والبصر. وهو على ألوان، منها الأسود البهيم، والأربد، والأحمر، والأبيض. ومن أسمائه العنزة، والعنز وهي الأنثى، والعبنّي وهو النسر العظيم

وقيل: القديم، والقشعم، وهو المسن الضخم من النسور، وكان للقمان بن عاد نسر يقال له لبد، ذكره النابغة في قوله:

أضحتْ خلاءً وأضحى أهلها احتملوا
أخنى عليها الذي أخنى على لبد

ولكبر جثته وشراسته راجت حوله أساطير ومزاعم كثيرة، منها أنه قد يعيش ألف عام، وله قوة على الطيران تجعله يقطع ما بين المشرق والمغرب في يوم واحد، وجثته عظيمة، حتى إنه يستطيع حمل أولاد الفيلة، وله حاسة شم قوية حتى قيل إنه يشم رائحة الجيف من مسيرة أربعمائة فرسخ. وإذا سقط على جيفة تباعدت عنه الطيور هيبة له حتى يفرغ من الأكل. وقيل إنه يأكل حتى يضعف عن الحركة، بحيث إنّ أضعف الناس لو أراد إمساكه في تلك الحالة لاستطاع ذلك بسهولة. والحقيقة أنه ليس هناك طائر ولا حيوان من أي نوع كان يعيش ألف عام، وأن النسر قد يقطع في ليلة واحدة مئات الكيلومترات طائراً، وأنه يمكنه أن يحمل جيفة حيوان ثقيل بعض الثقل مثل صغار الغنم والظباء، وأنه يرى الجيفة من مسافة كبيرة قبل أن يشم رائحتها، فقد يراها من مسافة عشرة كيلومترات.

ومما يروى في القصص أن الطيور كانت تطير من عند سيدنا سليمان عليه السلام، في الصباح، وأولها النسر وعندما تعود



النسر

عند الغروب يكون آخرها النسر، فاستغرب النبي سليمان من ذلك، وسأله عن السبب، فقال: إن لي ولداً ليس له ريش، فأذهب إليه صباحاً قبل الطيور خوفاً من أن تأكله، وأعود آخرها في الليل حتى أحرسه وأضمن أن لا يبقى أحد بعدي حتى يأكله، فطلبه سليمان ومسح عليه فظهر له ريش.

والنسور، مع كبر حجمها، قصيرة الذيل أو متوسطته. وهي من الجوارح، وأجنحتها طويلة عريضة، يصل مداها ما بين ١٥٠ إلى ٢٧٥سم. ذات قدرة عالية على الحوم على ارتفاعات شاهقة. والرأس وأعلى العنق والساقان والقدمان عارية من الريش، والجنسان متشابهان في اللون، إلا أن الذكر أكبر حجماً من الأنثى. وأغلبها تعيش في جماعات، وتتغذى بالجيف في حواف المدن والمناطق المفتوحة. وتحلق النسور في أعالي الجو لمراقبة مواقع الجيف، ولمراقبة النسور الأخرى، التي تطير ناحية هذه الجيف، وعند رؤيتها جيفة، فإنها تطير إليها بسرعة كبيرة، وخلال مدة قصيرة تتجمع أعداد كبيرة من النسور حول موضع الجيفة. ولها مناسر قوية قادرة على تمزيق اللحوم، أما الأقدام فلها مخالب ضعيفة غير حادة.

ويقال إن النسر عندما يجثم على الأرض يكون في جثومه كالرجل الجالس، فيشبهون جلسة الرجلِ ذي الجسم الكبير بالنسر، فيقولون فلان جالس جِلسة النسر.

وكان البدو يقولون لأعدائهم إننا سوف نفرقكم ونشبع النسر الجائع منكم، إشارة إلى أنهم سوف يقتلون منهم خلقاً كثيراً، ويتركون جثثهم وليمة للنسور الجائعة، وذلك لأن النسور لا تأكل إلا الجيف فهم يتوعدون أعداءهم بأنهم سيقتلونهم ويتركون جثثهم للنسور تأكلها.

ومن أقوالهم أيضاً في الحروب إذا انتصروا على أعدائهم: لو كان هناك نسر قريب منا لنفض ريشه وشبع؛ يقول الشاعر في هذا المعنى:

مركاضنا به شبعة النسر والذيب
نروي معاطيش السيوف الظوامي

وقديماً كان أهالي الجزيرة العربية يقنصون النسر ليأكلوا لحمه لاعتقادهم بأنه مفيد من الناحية العلاجية، ففي زعمهم أن أكل سبع قطع منه مجففة في الشمس خير علاج للرثية (الروماتزم) والبواسير. وينبغي أن يزدرد المريض هذه القطع السبع معاً، ثم يلتحف بسبعة ألحفة ويعرق، وسوف يعينه الله. كما يزعمون إنه إذا أخذ قلب النسر، وجعل في جلد ذئب، وعُلق على شخص، كان مهيبا عند الناس، مقضي الحاجة. وإذا عسر على المرأة الوضع

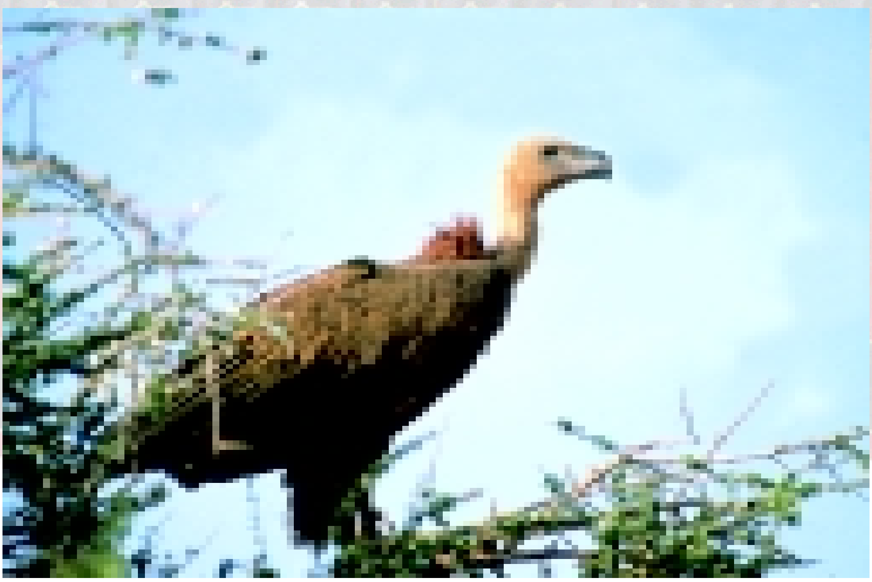
وجعل تحتها من ريشه يَسْهلُ وضعها. وهذه اعتقادات باطلة ليس لها سند من الحقيقة.

وقد ورد ذكر النسر في عدد من الأمثال في التراث، فيُقال «أبصر من نسر» لأنه ليس في الطير أبصر منه، فهو يبصر الجيفة من مسافة بعيدة. وقيل كذلك «أعمر من نسر»، لأنَّ العرب تزعم أن النسر يعيش خمس مئة سنة. وكذلك «إن البغاث بأرضنا يستنسر»، وهو مثلٌ يضرب للضعيف عندما يقوى، والذليل عندما يعزّ. قالت جنوب بنت العجلان من عامر، أخت عمرو ذي الكلب، في رثاء أخيها:

أبلغ هُذيلاً وأبلغ من يبلّغُها
عنّي رسولاً وبعض القول تكذيبُ
بأنّ ذا الكلب عمراً خيرهم نسباً
ببطن شريان يعوي عنده الذّيبُ
الطّاعن الطّعنة النّجلاء يتبعها
مثعنجر من دماء الجوف أثعوبُ
تمشي النسور إليه وهي لاهيةٌ
مشي العذارى عليهن الجلابيبُ
المخرج الكاعب الحسناء مذعنة
في السّبي ينفحُ من أرادنها الطّيبُ

ومن أنواع النسور التي تعيش في بيئات المملكة النسر الأسمر (النسر الذهبي)، والرخمة المصرية، والنسر الملتحي، والنسر الوردي الرأس.

نسر جريفون أو النسر الذهبي: طائر كبير الجسم، عاري الرأس والرقبة. ورأسه أبيض، وأسفل رقبته خصلة بيضاء



النسر الذهبي، الرأس والرقبة عاريان

من الريش كأنها فـرو. ولونه بني فاتح إلى بنـي غامق، ذيلـه قصير مـربع أو مدوَّر، وطول جسمه ٩٧ إلى ١٠٤سم، وبُعد جناحيه حوالي ٢٥٠سم. يتغذى بالجـيف. ويكثـر في المنـطقة الغـربية والجنوبية الغربية وفي أعالي الجبال.

الرخمة المصرية أو الـنسر المصري: الجمع رَخَـمٌ، وهو طائر أبـقع ببيـاض وسواد، يسمى الأنوق. وهو من النسور، ومعدود في بغاث الطير. يأكل الجيف، ويسكن رؤوس الجبال العالية حيث تضع الأنثـى بيـضها فـيهـا، وفي الأمـاكن الموحشة. ويـضرب بها المثل في تـعذر الوصول إلى بيضهـا. كنيتها أم جعران وأم رسالة وأم عجيبة وأم قيس وأم كثير، ويسميهـا أهل البادية علية . وهي مـن أخس الـطيور، وزعمـوا أنها صمـاء، وسبب ذلك ما قيل في بعض الأساطير إن موسى عليه الصلاة والسلام لما توفي تكلمت بوفاته، وكانـت تعرف مكانه، فأصمها الله تعالى حتى لا تـرشد أحداً إلى موضعه.

وهي أصغـر النسور جرما إذ يـبلغ طولها من ٥٨ إلى ٨٦سم. وهي بيضاء، وأطراف الجناح سودٌ، والـرأس والرقبة لونُهما أصفر، ولها ريش طويل يحـيط بمـؤخرة الـرقبـة. وصلـع رأسهـا في



النسر المصري أو الرخمة

مصلحتها لأنها تتغذى بالجيف التي تكثر بها الجراثيم، لذلك عندما تعلق الجراثيم برأسها الـعاري فإن الشمس تـهلكها. ومنقارها مستقيم، مقارنة ببقية النسور، وهي عديمـة الأصوات أثناء طـيرانها. وتحوم لمدة طويلة في أعالي الجو، وتعد من أقل النسور تجمعاً. تعيش في المناطق المفـتوحـة، وعلـى حواف المدن وفـي المرتفعات. وتختار الأنثـى لبيضها قمم الجبال الـشاهقة، ومـواضع الصدوع، وخلال الصخور، ليعسر الوصول إليه. وتكـثر الرخـمة المصريـة في العـراق، والجزيرة العربية وشمال أفريقيا.

تهاجر الرخمـة المصرية عند حلول موسم الخـريف، ولا تعود حتى بـداية موسم الربيـع. ويرحب البدو بعودتهـا مسرورين لعلمهم أنه خلال خمسة عشر يوماً سيكون ثمة طقس أدفأ. ويقال إن



النسر المصري

الرخمة لا تتخلى عن غنيمتها، وأنها تصطاد القنفذ، ويقال إنها سميت بالرخمة لأنها تحنو على صغارها. وهي جبانة لا تقرب الحي من الحيوانات، ولذا يلقب الشخص الجبان بالرخمة.

ومن المعتقدات الخاصة حولها أنها تعلم البدو عن وجود الصيد الوفير أثناء طيرانها، وأنها تغسل أرجلها ببولها الأبيض لتصبح بيضاً. وكان البدو إذا تسمم لديهم شخص بسم العقرب أو الحية يضعون مرارة الرخمة على المكان الذي أصابه السم، وبإذن الله يشفى الملدوغ في أغلب الأحيان.

وقد ورد ذكر الرخمة في الأمثال العربية حيث قالوا «أعزّ من بيض الأنوق»، لأنها أبعد الطير وكراً. فضربت العرب به المثل لما لا يُنال؛ قال الشاعر:

وكنت إذا استودعت سراً كتمته
كبيض الأنوق لا ينال لها وكر

وقال آخر في هذا المعنى:

طلب الأبلق العقوق فلما
لم ينله أراد بيض الأنوق

ويضرب مثلاً لطلب المستحيل، لأن الأبلق من صفات الذكور، والعقوق هي الأنثى الحامل. والذكر لا يكون حاملاً، يقول فلما لم يظفر هذا بالذكر الحامل



الرخمة المصرية

لاستحالته، طلب بيض الأنوق الذي هو أصعب منالاً.

وقد ورد ذكر الرخمة في النثر العربي، قال عنها محمد بن سهل: هي تحضن بيضها، وتحمي فرخها، وتحب ولدها، ولا تمكن من نفسها إلا زوجها، وتقطع في أول القواطع، وترجع في أول الرواجع. ولا تطير في التحسير، ولا تغترّ بالشكير، ولا تربُّ بالوكور، ولا تسقط على الجفير. وقد ضرب بها المثل في الكيس فقيل «أكيس من رخمة».

قال الجاحظ: قوله «تقطع في أول القواطع، وترجع في أول الرواجع» فإن الرماة وأصحاب الحبائل والقنّاص إنما يطلبون الطير بعد أن تكون القواطع قد قطعت، فبقطع الرخمة يستدلون فلا بد للرخمة من أن تنجو سالمة إذا كانت أول طالع عليهم. أما قوله «ولا تطير في التحسير، ولا تغترّ بالشكير» فإنها تدع الطيران أيام التحسير، فإذا نبت الشكير، وهو أول ما ينبت من الريش، فإنها لا تنهض حتى يصير الشكير قصباً. وأما قوله «ولا تربُّ بالوكور» فإنه يقول: الوكر لا يكون إلا في عرض الجبل، وهي لا ترضى سوى بأعالي الهضاب، ومواضع الصدوع وخلال الصخور، حيث يمتنع على جميع الخلق الوصول إلى أفراخها. ولذلك قال الكميت:

ولا تجعلوني في رجائي ودّكم
كراجٍ على بيض الأنوق احتبالها

وأما قوله «ولا تسقط على الجفير» فإنما يعني: جعبة السهام، يقول: إذا

رأته علمت أن هناك سهاماً، فهي لا تسقط في موضع تخاف فيه وقع السهام.

كما ورد ذكر الرخمة في الشعر العربي. قال الكميت يصف الرخمة:

يفوت ذوي المفاقر أسهلاه
من القنّاص بالغدر العتول
وذات اسمين والألوان شتى
تُحمّقُ وهي كيّسة الحويل
لها خبٌ تلوذ به وليست
بضائعة الجنين ولا مذول

وقال أبو الطيب المتنبي:

شر البلاد مكان لا صديق به
وشر ما يكسب الإنسان ما يصم
وشر ما قنصته راحتي قنص
شهب البزاة سواء فيه والرخم

واستعير اسم الرخمة للرجل الرديء الذي لا يفعل وقد يتحدث عنه، وفي المثل الشعبي «أطيب ما بالرخوم لسانها».

البزاة. يضم جنس البازي ٤٧ نوعاً تتوزع على جميع مناطق العالم القديم والجديد، وهي طيور ذات أجسام متوسطة إلى صغيرة الجرم، الرأس مدور والعنق أسطواني قصير، وجناحاه عريضان قصيران مدوران، وعيناه صفراوان أو حمروان لا سوداوان كعيني الصقر، سريعة الطيران قوية الانقضاض، والأنثى أكبر من الذكر حجما. وفي المملكة العربية السعودية من جنس البزاة أربعة أنواع منها البازي والباشق والبيدق.

البازي: جمعه أبؤز، وبزاة، ويكنى بأبي الأشعث، وأبي البهلول. يبلغ طوله حوالي ٦١سم، وبعض أنواعه مقيم والآخر مهاجر، وألوانه مختلفة تتدرج من البني الغامق إلى البني الفاتح، وتحت الجناح منطقة فاتحة اللون، والذيل طويل بعض الطول وعليه بعض الخطوط. الأرجل تميل إلى الطول، والأقدام خالية من الريش قوية، حادة التقوس.

وهو طائر فائق المهارة في اصطياد فريسته ينقض عليها انقضاض الصاعقة، ويتغذى بالطيور والثعابين والعظايا والأرانب البرية. يبني عشّه فوق الأشجار، ويبطنه بالأعشاب والشعر، وتبيض أنثاه ما بين ٣ إلى ٤ بيضات. ويعيش في الغابات أو الشجر وفي المناطق المفتوحة، ومأواه مساقط الأشجار الكثيفة، وهو خفيف الجناح سريع الطيران. ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين، فخذاه طويلتان مسرولتان بريش.

وقد ورد ذكر البازي في الأمثال العربية، فقيل «إذا لم ينفعك البازي فانتف ريشه»، «لا يرسل البازي في الضباب»:

يضرب لأخذ الأمر بالاحتياط، «لا يفزع البازي من صياح الكركي»، «وهل ينهض البازي بغير جناح». وقال الناشئ الأكبر (عبدالله بن محمد) في وصف البازي:

تحلّى ببازيّ عيون ذوي النهى
إليه لإبصار المحاسن صُورُ
مكان سواد العين منه عقيقةٌ
وتبر على خط السواد يدورُ
تمور إذا ما رنَّقت في مآقها
كما مار من ماء الزجاجة نورُ
فإن جحظت عنها استوى في مداره
وإن مال عن لحظٍ ففيه شطورُ
له قَرْطَق ضافي البنائق أنمر
منوّف ضاحي الشقفتين ضريرُ
ومن تحته درع كأن رقومه
تعاريج وشي أرضهن حريرُ
كأن اندماج الريش منه حبائك
بعقب سحابات لهن نشورُ
له هامة ملساء أما قذالها
فموفٍ وأما جيدها فقصيرُ
له منسر يحكي من الظبي دومة
إذا كان للتحبير منه سطور
له فرق فوق القذال كأنها
ولم يعرهُ خط القتير قتير

وقال أبو نواس في البازي أيضاً:

آلفُ ما صدت من القنيص
بكلّ بازٍ واسع القميص
ذي برنسٍ مذّهبٍ رصيص
وهامةٍ ومنسرٍ حصيص
وجؤجؤ عولّ بالدليص
مدبج معيّن الفصوص
على الكراكي منهم حريص
آنس عشرين بذات العيص
فانسلّ عن سكاره الممحوص
وانقض يهوي وهو كالوبيص
داني جناحيه إلى نصيص
فاعتام منها كل ذي خميص
فقدّه بمخلب قبوص
فكم ذبحنا ثمّ من موقوص
وكم لنا في البيت من مقصوص
معدةٍ للشيّ والمصوص

وقال ابن المعتز في الزُرَّق وهو حدأة ظهر جناحها أزرق:

قد اغتذي والليّل قد تقضّى
بزُرّقٍ أرضي به وأرضى
لما حملناه أراد النّهضا
أقل بعضاً ومنعنا بعضا
يركض في جو السماء ركضا
بخافقين ينقضان نقضا
كما رأيت الكوكب المنقضّا
فأطعم القوم شواءً عضا
والشمسُ لم يصبغ سناها الأرضا

الباشق: طائر من جنس البزاة، يبلغ طوله حوالي ٣٨سم. يختلف

الجنسان في اللون والحجم. وأجزاء الذكر العليا متجانسة رمادية، سوى قفاه خلف الرأس فهو بقعة بيضاء، والذيل طويل مقلم، والصدر والبطن أفتح لوناً ويميل لونهما إلى السفعة مع تقليم فيه كذلك. أما الأنثى فهي أكبر جرما، وأجزاؤها العليا بنية إلى رمادية، والصدر والبطن أفتح لونا ويشبهانهما في الذكر، ولها القدرة على الحوم والترفيف. ويعيش الباشق في الأحراش والغابات والبساتين ذات الأشجار الكثيفة والأراضي المزروعة، ويتغذى بالطيور والزواحف والثدييات الصغيرة وبعض الحشرات.

قال فيه ابن المعتز:

يا كفّ ما خبيت إذ غدوت
بباشقٍ يعطيك ما ابتغيتِ
لا يتقيه هارب بفوت
سهم مصيب كلّما رميتِ
مؤدبٌ يسرع إن عدوت
لا عيب فيه غير عشق الموتِ

وقال عبدالله بن محمد (الناشىء الأكبر):

أخف القوانص جسماً وروحاً
وأجمعها لأمورٍ أمورا
وأكرمها باشقٌ حاذقٌ
يساوي البزاة ويشأى الصقورا
يقلب عينين ياقوتتين
ترى التبر حولهما مستديرا

وقال كشاجم (محمود بن الحسين) في الباشق أيضاً:

إذا بارك الله في طائر
فخصّ من الطير أَسيَهْرقي
له هامة كلّلت باللجين
فسال اللجين على المفرق
يقلب عينين في رأسه
كأنهما نقطتا زئبق
وأشرب لوناً له مذهباً
كلون الغزالة في المشرق
هنيدة كاملة وزنه
وسرعته سرعة البيدق
حِمَامُ الحَمَام وحتف القطا
وصاعقة القبج والعقعق
وأحنى عليك إلى أن يعود
إليك من الولد المشفق
وإن غاب عنك لصيد نحاه
بأسنان مستأسد موثق
فأكرم به وبكف الأمير
وبالدستبان إذا تلتقي

أسيهرقي: اللون الأزرق، هنيدة: اسم للمئة من الإبل، الدستبان: قفاز لليد يلبسه حاملو البزاة.

الحدآت: المفرد حدأة، وتعرف عند عامة أهل البادية باسم الحدية أو الحديا،

وتعرف في بعض المناطق باسم الحندية، وقد يطلق عليها اسم الجسرة لأنها تخطف اللحم من يد الإنسان. وهي من أخس الطيور، لونها الأسود والرمادي، ولا تصيد إلا خطفاً، ولا تخطف من الجهة اليمنى عادة وكأنها عسراء، ويظن بعض العامة أنها طرشاء لا تسمع. وهي طيور ثقيلة الوزن، بطيئة الطيران، بالغة الجبن، كثيرة الخوف من الطيور الأخرى، كما أنها من أسرع الطيور طيراناً عندما تتجه إلى الأرض لتلتقط فريستها أو الجيفة التي ستأكلها. ويقال إنها من أحسن الطيور جواراً لأنها لا تأكل أفراخ جارها مهما جاعت.

وتتغذى الحدأة بالجيف أو من صيد غيرها من الطيور الجارحة، وتوصف بأنها ليس لديها من الهمة أو العزيمة ما يجعلها تترفع عن صيد غيرها، أو تمتنع عن أكل الجيف التي تموت حتف أنفها، أو تقتلها السباع والضواري.

ومن المعتقد أن البيت الذي ترى الحدآت تحوم حوله صاحبه كريم كثير الذبائح، ولذلك تحوم فوقه الحدآت لتنال نصيبها من الفضلات التي يطرحها أهل البيت. كما يستدل بالحدأة على مواقع الذئاب وغيرها من الحيوانات المفترسة لأنها تتبعها لتنال نصيباً من بقايا فرائسها. وبعض الناس يتشاءمون من صوت الحدية، ويعتقدون أنها إذا صاحت في القرية صباحاً أو مساء فإن ذلك لا يبشر بخير، ولو أن أكثر الطيور التي يُتَشاءَم منها هو الغراب إذا نعب، كما يتشاءم الناس عادة من البوم. وتنزل الحدآت في مضارب البدو بعد أن يرحلوا عنها تبحث عن غذائها من بقايا الذبائح أو من الحيوانات النافقة.

ويطلق أهل البادية على فراخ الحدأة اسم المزجل. ويحكى أن رجلاً في قديم الزمان وجد مزجلين فاستغل جهل صديق له بحقيقتهما وقال له: خذ هذين الفرخين وربّهما فإنهما فرخا صقر، ففرح بهما صديقه وأخذهما واعتنى بهما حتى كبرا ثم أراد أن يجربهما في الصيد، فأطلقهما على فريسة وكله ثقة في أن أحدهما سيعود بها، فهرب أولهما تاركاً الرجل وصيدته، وحوّم الآخر في السماء ثم ذهب إلى بعض مضارب البدو القريبة يبحث عن غذاء. وكره الرجل فعلة صديقه وخداعه، وغضب عليه غضباً شديداً فلما علم صاحبه بما حدث وخشي ما يمكن أن يفعله به لغضبه منه بادره بطلب العفو معلناً أنه لم يقصد خديعته ويطلب الصلح منه فقال:

لي صاحب عطيته المزجل اثنين
بولد الحدية غدر ماني بداري

ظنّيته وليد الصقر جايب اثنين
واليوم نبغى الصلح وأرجو الغفاري
فعفا عنه.

ويستخدم بعض الناس أجزاء من الحدأة في العلاج الشعبي، ويقولون: إن دسمها إذا خلط بقليل من المسك وماء الورد، وشرب على الريق، نفع من ضيق التنفس، وإذا وضع في البيت لم تدخله حية ولا عقرب، وكانوا يأخذون مرارتها، ويجففونها في الظل، وينقعونها في إناء من الزجاج، فمن لسع وقطّر منها في موضع اللسعة، وتكحل مخالفاً لجهة اللسع، ثلاثة أميال، أبرأته. وكل هذا لا أصل له في الحقيقة.

وتتميز الحدأة بجسمها المتوسط الحجم، وجناحيها الكبيرين الطويلين، وذيلها الطويل وفيه ريش الأطراف أطول كثيراً من ريش الوسط فيبدو كأنه مشقوق، وهو علامة للحدآت.

وفي المملكة نوعان من الحدآت: الحدأة السوداء وهي أكثر انتشاراً من النوع الآخر، وتعيش في معظم مناطق المملكة بالقرب من المناطق المأهولة بالسكان وأحياناً بالقرب من الشواطئ، وهي طائر اجتماعي كانس يقتات بالجيف والفضلات والأسماك النافقة أو الحية كما يفترس الطيور الصغيرة والمريضة. طول جسمها ٥٦سم، تطير ببطء مرفرفة بجناحيها، ولها جناحان طويلان، عادة مقوسان، وذيلها مختلف طول الريش حيث يطول في الأطراف ويقصر في الوسط فيبدو وكأنه مشقوق. اللون بني داكن، والرأس أفتح لوناً ومخططة خطوطاً عريضة. الأسطح البطنية حنائية صدئة اللون مخططة خطوطاً عريضة مسودة، والسطح السفلي للجناح بني أو صدئ اللون حنائي مع بقعة فاتحة اللون عند قواعد القوادم. الأرجل صفر، والمنسر أسود صغير نوعاً، وقد يكون أصفر في بعض السلالات. وتخطف هذه الحدأة غذاءها من فوق سطح الأرض أو فوق سطح الماء فتحمله بمخالبها وتأكله في الجو أثناء الطيران إذا كان صغير الحجم أو تقف به في مكان بعيد وتأكله. وتجثم فوق الأشجار العالية.

أما النوع الثاني فهو أقل وجوداً في المملكة، وهو الحدأة السوداء الجناح أو السوداء الكتف، التي كان يستخدمها قدماء البيازرة في الصيد مثل الصقور، وأطلقوا عليها مسمى «الزرق» وعدّوها من البزاة لصفرة عينيها. وهي أصغر حجماً من النوع السابق، إذ لا يتعدى طول الجسم ٣٣سم أي أنها أكبر قليلاً من العاسوق أو العوسق. ولونها فاتح

مع علامات سود، وظهرها رمادي مشوب بزرقة واضحة وقمة الرأس بيضاء. وتكثر في المناطق المفتوحة بالقرب من الأشجار ويمكنها التحويم والانزلاق والترفيف بالجناحين أثناء الطيران. وتتغذى بالقوارض الصغيرة والعظاءات والسحالي الصغيرة والطيور الصغيرة والسرطانات (السلطعون) والحشرات التي تصطادها منطلقة من مجثمها فوق مكان مرتفع، وتنقض عليها بسرعة أو تطاردها كما يفعل الصقر.

الذكر أحادي الزوجة. وقد يبقى الزوجان معاً لعدة سنوات، ويتعاون الأبوان على رعاية الصغار. تضع الأنثى بيضتين أو ثلاث بيضات مزركشة اللون تحضنها لمدة ٢٨ يوماً يطعمها خلالها الذكر.

عائلة الصقور

هي نحو ستين نوعاً من الطيور الصغيرة الجرم ومتوسطته، منها سبعة وثلاثون نوعاً من جنس الصقر، تتميز في أربع مجموعات: مجموعة العواسيق، التي تضم أربعة عشر نوعاً، ومجموعة اليآيئ، التي تضم نوعين، ومجموعة الكونج، التي تضم اثني عشر نوعاً، ومجموعة الصقور الكبيرة، التي تضم عشرة أنواع تنضوي تحت فئتين: فئة الصقور، وفئة الشواهين.

وتضم العائلة طيوراً جارحة نهارية متوسطة الحجم. وتتميز بأن رؤوسها مكسوة بالريش ومخالبها طويلة شديدة التقوس، وأجنحتها طويلة، والإناث غالباً أكبر من الذكور جرما. بعض أنواعها له قدرة على الحوم والترفيف، وتبني أعشاشها بين فروع الأشجار الكثيفة، وتضع الأنثى ما بين ٣ إلى ٥ بيضات، وهي التي تحضن البيض، وبعض أنواعها يستخدم في الصيد.

الصقر جمعه صقور، وأصقر، وصقورة، وصقار، ويسمى الأجدل والقطامي، والأنثى صقرة، وكنيته أبو شجاع، وأبو الأصبع، وأبو الحمراء، وأبو عمرو، وأبو عمران وأبو عون. والصقر على ثلاثة أنواع؛ الصقر، والصقر الأحمر الطوق (يؤيؤ أو جلم)، والصقر الأسود الجناح (كونج).

ويزعم البدوي أن الصقر الصغير يمكث أربعين يوماً جنيناً، وأربعين يوماً قبل تفقيسه من البيض، ولا يتبين أيطير أم لا إلا بعد أربعين يوماً أخرى، فقد قيل: أربعين يوماً فيض، وأربعين يوماً بيض، وأربعين يوماً يطير أو لا يطير.

وأطلق العرب القدامى كلمة الصقر على كل طائر يصيد بما في ذلك البزاة والشواهين، ما عدا العقاب والنسر. والصقر أحد أنواع الجوارح الأربعة وهي الصقر والشاهين والعقاب والبازي. وتنعت الصقور أيضاً بالسباع والضواري والكواسر، وورد ذكرها في القرآن الكريم في الآية الكريمة ﴿وما عَلَّمتُم من الجوارح﴾ (المائدة: ٤). والجوارح من الطير هي المفترسة.

ويتغذى الصقر باللحوم ولا يشرب الماء ولو أقام دهراً، وهو موصوف



الصقر

بالبخر، ولهذا قيل في المثل «أبخر من صقر»، وهو في ذلك يشبه الأسد، حيث قال الشاعر في هذا المعنى:

وله لحية تيسٍ
وله منقار نسر
وله نكهة ليثٍ
خالطت نكهة صقر

وقيل كذلك في المثل الشعبي «اللي ما يعرف الصقر يشويه» ويقصد به من لا يعرف قيمة الشيء لا يُحسن التعامل معه، لأن الصقر أغلى من أن يشوى لكي يؤكل. و«طارت الصقور وأعقب يا رخم» أي الذي يشبه الرخم في بطئه وغفلته يأتي دائماً متخلفاً، وأحياناً يطلق على الكسول.

ومن المعتقدات الساذجة أنه إذا نظر الشخص إلى عين الصقر مع التركيز وتكرار ذلك عدة مرات فإنه يصبح قوي التركيز ويرى أدق الأشياء.

والعرب من حبهم للصقر، يسمون أبناءهم بأسماء الصقور أو يلقبون القواد العظام بالصقر مثل قولهم لعبد الرحمن الداخل «صقر قريش». ومما هو مشهور بين الناس ومتداول ومذكور في بعض كتب التاريخ والأدب الفصيح والشعبي في المملكة، أن المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز كان لقبه «صقر الجزيرة»؛ قال

الشاعر الشعبي سياف بن محسن القحطاني:

عبدالعزيز ارسى الطريق ومشى به
وحد صفوف القوم وحّد خبرها
من ارض الجزيرة فض كل الطلابه
حتى استوت له ثم جوّد ظهرها
صقر الجزيرة حين جتها ركابه
استبشرت في شيخ قومٍ عمرها

وقال السيد محمد السنوسي شاعر الجنوب في رثاء الملك عبدالعزيز يرحمه الله:

صقر الجزيرة عاهل الإسلام
من ذا يكافح عنهما ويحامي
ضجت شعوب الأرض لما قيل قد
أودى المناضل عن حماها الرامي

وجاء ذكر الصقر كثيراً في الشعر العربي؛ يقول العباس بن مرداس:

بغاث الطير أكثرها فراخاً
وأم الصقر مقلاةٌ نزور

أما أبو فراس الحمداني فيقول:

والمرءُ ليس ببالغ في أرضه
كالصقر ليس بصائد في وكره

وقال صفوان الأسدي يصف صقراً:

حديد المخالب عاري الوظيف
ضار من الورق فيه قنا
ترى الطير والوحش من خوفه
جواحر منه إذا ما أغتذى

ومن الصقور التي تعيش في المملكة: الصقر الحر، والوكري، والشاهين، والصقر الأحمر الطوق (اليؤيؤ)، والعوسق، والصقر الأسود الجناح (الكونج).

الصقر الحر. يسمى صقر الغزال، وصقر الشرق، ويبلغ طوله ٤٦سم، وهو يشبه كثيرا الشاهين في شكل الأجنحة وطول الذيل، أجزاؤه العليا بنية قاتمة إلى فاتحة اللون، وأعلى الرأس أفتح لوناً، والأجزاء السفلية فاتحة اللون منقطة بنقط بنية غامقة. يعيش في السهول والسهوب في المناطق الزراعية وفي الغابات. وهو يحاكي الشاهين في القوة والبطش ولكنه أبطأ طيراناً. ويفضل مهاجمة فريسته على الأرض، أو اللحاق بها في الجو إن لم تكن سريعة الطيران. وقد يتبع الصيادين لينال نصيباً من الطيور الجريحة.

ويتميز بشجاعته وإقدامه ويهاجم حتى ما يفوقه حجما، ولذا يستخدم في الصيد. وغذاؤه الثدييات الصغيرة والطيور والسحالي والأرانب البرية، وتبيض الأنثى ما بين ٣ إلى ٥ بيضات. ويشترك الذكر والأنثى في حضن البيض وإطعام الصغار.

والصقر الحر الطائر المفضل في الصيد لدى العرب المعاصرين، ويليه الشاهين



الصقر الحر

ثم الوكري، ويصدق هذا التفضيل أنهم قالوا في المثل الشعبي «صقر يعرف علمنا بالإشارات». والصفات التي يطلبونها فيه هي طول الرقبة، وحدة البصر، وسعة الصدر، وضخامة الفخذ والساق، وأن يغطي الريش الساق ما أمكن أي يكون مسرولاً، وكبر اليد. ومنه الأبيض وهو أغلاها ثمناً، ثم الأحمر والأشقر والأشعل والأسود. والصقر الحر على ثلاثة أحجام؛ حر كامل وهو الأنثى عادة لأنها أكبر جسماً من الذكر، ومثلوث وهو الذكر، وربع وقد يسمى لزيز أو تبع. ومما يعرف عن الصقر الحر تجنبه الأشجار ذات الأشواك مثل العوسج، وبذلك ضرب المثل الشعبي «الحر ما ياقع على العوشزه» ويضرب في توقي مواطن الأذى والإهانة.

الوكري. يبلغ طوله ٤٣سم، أي أنه أقصر قليلاً من الشاهين ومن الصقر الحر. وبأعلى الرأس والقفا منطقة صفراء كستنائية اللون، الظهر والأجنحة بنية غامقة، والأجزاء السفلى فاتحة اللون عليها نقط بنية قاتمة، والذيل طويل عليه خطوط. يعيش في المناطق المكشوفة والسهول القليلة الأشجار، والصحارى، وكذلك في المناطق المرتفعة. ولدى العامة

ينقسم الوكري إلى نوعين: بحري مهاجر، وجبلي مقيم.

يستخدمه العرب في الصيد، وخاصة صيد الأرانب والكروان، وقد يصيد النادر منها الحباري. طعامه الطيور والدواجن والثدييات الصغيرة والسحالي وغيرها. وتبيض الأنثى ٣ أو ٤ بيضات، ويشترك الأبوان في حضن البيض ورعاية الصغار.

الشاهين. من سباع الطير ويسمى السوذنيق، والسّوذانق، وجمعه شواهين وشياهين. والشاهين عند البيازرة القدامى ثلاثة أنواع: شاهين وقطامي وأنيقي. والمعروف حالياً عند العرب المعاصرين هو الشاهين أي شاهين البحر، وهناك شاهين الجبل وهو من الطيور المقيمة وقد يكون هو المقصود بالأنيقي لدى البيازرة القدامى، أما القطامي فهو الصقر لدى العرب المعاصرين.

والشاهين جنس من الصقور، حركته من العلو إلى أسفل شديدة، ولهذا ينقض على صيده انقضاضاً من غير تحويم، وربما ضرب الأرض بجسمه فمات. والمحمود من صفاته أن يكون كبير الهامة واسع العينين رحب الصدر، ممتلىء الزور، عريض الوسط، جليل الفخذين، قصير الساقين، قليل الريش، قصير الذنب.



شاهين ذكر



أنثى شاهين

يبلغ طـول الطائر حوالي ٤٨سم، طويل الجناحين، وجسمه من الرأس إلى الذيل أسود ضارب إلى الزرقة، والرقبة والصدر والبطـن وأسفل الذيل تضرب إلى الأبيض، وعليهـا نقط قاتمة. الذكر والأنثى متشابهان غـير أنها أكبر حجماً منه. والعلامة المميزة للشاهين بقعة سوداء في خديه تمتد إلى ما تحت العين، ويحيط بها بياض من الأسفل والجانبين.

يعدّ الشاهين من أكثر الطيور تكيفاً، لأنه يعيش في مـعظم أرجاء المعمورة، وفي كثيـر من جزر المحيطات. يعـيش حول الـصدوع الصـخرية، وسـواحل البـحار، وفي الـغابات وفـي السهول المكشوفة والأحراش والمستنقعات. بعضه مقيم وبعضه مهاجر.

والشاهين من أنجح صقور الصيـد، يستطيع أن ينـقض على فريسته بسرعة ٢٣٠كم في الساعة، وهو شديد الفتك، وفيه قوة وشجاعة كبيرتان، يصطاد الطيور الكبيرة والصغيرة، والثدييات الصغيرة، والأرانب البرية. يبني أعشاشه من العيدان في الجروف الصخرية والأشجار العالية أو حتى على الأرض، وقد يستعمل عشه لعدة سنوات متتالية. تبيض الأنثـى من ٢ إلى ٥ بيضات، ويساعد الذكر الأنثى في حضن الفراخ ورعايتها.

وقد ورد ذكر الشاهين كثيراً في الشعر العربي. قال كشاجم:

مــؤدب الإطــلاق والإمــســـــاك
مـلــمـلــم الـهـامــة كـالمــداك
مثـل الكـمّي في الـسلاح الـشّاكي
ذي مـنـسـرٍ ضـخـم لـه شـكّـاك
ومــخــلــبٍ بــحــدّة تــبّــاك
لـلـحجـب عـن قـلـوبهـا هـتّـاك
حـــتــــى إذا قـــلـــت لــــه دراك
وحـلّـقـت تـسـمـو إلـى الأفـلاك
ممـــتـــدّة الأعـــنـــاق والأوراك
مــوقـنــةً بـعــاجــل الـهــلاك
غـادرهـا تـهـوي إلـى الـدكـاك
أسـرى بـكـفّـيـه بــلا فـكـاك
يـا غـدوات الــهـيـد مـا أحـلاك
ومُــنّــة الــشــاهــين مــا أقـواك
لـم تــكـذبـي فــراسـة الأمـلاك
إيّــاك أعـــنـــي مــادحــاً إيّــاك

وقال النـاشئ الأكبر (عـبدالله بـن محمد) في صفة الشاهين:

هـل لـك يـا قنّاص فـي شاهـين
ســـوذانـــق مـــؤدّب أمـــين
جــاء بـه سـابـيــه مــن درّيـن
ضـرّاه بـالـتـحـسـين والـتـبـيـين
حـتـى لأغـنـاه عـن الـتّـلـقـين
يـكـاد لـلـتـثـقـيـف والـتـمـريـن
يـعـرف مـعـنـى الـوحـي بـالجفـون

فظل من جناحه المزين
في قرطق من خده الثمين
مقوّقٍ في نعمة ولين
يشبه في طرازه المصون
برد أنوشروان أو شيرين
وشكّةٍ كزرد موضون
مضاعف بالنّسج ذي غضون
كدرع يزدجرد أو شروين
أحوى مجاري الدّمع والشؤون
ذي منسر مؤلّل مسنون
وافٍ كشطر الحاجب المقرون
مُنْعطفٍ مثل انعطاف النون
يبدي اسمه معناه للعيون

اليؤيؤ. هو الصقر الأحمر الطوق، ويسمى الجلم لخفة جناحيه وسرعتهما، والجلم هو المقص الذي يُجزّ به. يبلغ طوله ما بين ٢٧ إلى ٣٣سم. تميل الأجزاء العليا في الذكر إلى اللون الأزرق الرمادي الفاتح، وهي مخططة. طوق القفا حنائي، ونهاية الذيل سوداء، ومنطقة الحلق بيضاء، الصدر والبطن كستنائيان. الأجزاء العليا في الأنثى بنية تميل إلى اللون المحمر الفاتح، وطوق القفا مبيض، وكذلك الصدر والبطن، والذيل مقلم بأربعة خطوط ذات لون بني فاتح.

يعيش في المناطق المفتوحة والسواحل والغابات. وهو من أشجع الطيور وأنشطها. يتغذى بالقوارض الصغيرة والطيور الصغيرة والسحالي والثعابين والحشرات وغيرها، ولا يشرب الماء إلا عند الضرورة. تبيض الأنثى ما بين ٢ إلى ٥ بيضات. ويعاون الذكر الأنثى على حضن البيض ورعاية الفراخ.

ورد ذكر اليؤيؤ في الشعر العربي. يقول أبو نواس:

قد اغتدي والصّبح في دجاه
كطرة البرد علامتاه
بيؤيؤ يعجب من رآه
ما في البراري يؤيؤ شرواه
من سفعةٍ طرّ بها خدّاه
أزرق لا تكذبه عيناه
فلو يرى القانص ما يراه
فدّاه بالأمِّ وقد فدّاه
من بعد ما يذهب مملاقاه
لا يوئل المكّاء منكباه
ولا جناحان تكنفاهُ
منه إذا طار وقد تلاه
دون انتزاع السحر من حشاه
لو أكثر التسبيح ما نجّاه

العوسق أو العاسوق. يعرفه أهل البادية باسم الشبوط. يبلغ طوله حوالي ٣٤سم، الجناحان طويلان مذببان، والذيل طويل. وللطائر القدرة على الترفيف، ويمتاز الذكر بلون رأسه

الرمادي المائل إلى الزرقة، أما الظهر فلونه بني محمر وأطراف الجناح سود، والذيل أزرق رمادي، وطرف الذيل أسود، والبطن أفتح لوناً عليه نقط قاتمة، أما الأنثى فلونها بني فاتح، خالية من اللون الرمادي، وعلى ذيلها خطوط قاتمة.

يعيش أزواجاً أو مجموعات صغيرة العدد في المناطق المفتوحة وفي الجبال وأحياناً في المناطق ذات الأشجار، ويتغذى بالقوارض الصغيرة والطيور والسحالي والضفادع والحشرات. تبيض الأنثى من ٣ إلى ٥ بيضات. ويعاون الذكر الأنثى في حضن البيض وتربية الفراخ. بعض أنواعه مقيمة والأخرى مهاجرة.

الكونج. وهو الصقر الأسود الجناح. وطوله حوالي ٣٦سم، يشبه الشاهين ولكن جناحه أطول وذيله أقصر. العنق أبيض، والصدر ذو بقع سود، يمتاز باللون الأحمر الصدئ في فخذيه وفي كواسي ما تحت الذيل.

يعيش في المناطق المفتوحة وبين الأشجار والأحراج، ويصطاد العصافير والطيور الصغيرة والحشرات الطائرة، وأحياناً الخفافيش، وأكثر ما ينشط في الغسق في الوقت الذي تجثم فيه الطيور للراحة والمبيت، ولجناحيه ضربات سريعة متوالية يعقبها طيران شراعي انزلاقي، ويميل إلى العيش في مجموعات.

قال فيه الناشئ الأكبر:

إذ لم يكن صقرٌ فعندي كونج
كأن نقش ريشه المدرّج
بردٌ من الموشيّ أو مدبّج
فكم به للطير قلب تفرج
ممزّق بدمه مضرّج
بمثله عنّا الهموم تفرج

عائلة العقاب النسارية

تضم هذه العائلة نوعاً واحداً هو:

العقاب النساري. ويبلغ طوله ٥٦سم، يشبه النسر وله جناح طويل. لون الجهة العليا من الجسم بني قاتم باستثناء رأسه الأبيض وفيه بقعة داكنة عريضة تمتد من عينه إلى قفاه، والجهة السفلى بيضاء ذات بقع سود على الصدر. ينتشر في شبه الجزيرة العربية، وفي أفريقيا وأوروبا وأمريكا، ويعيش عادة بالقرب من الماء. يقطن هذا النوع الجبال المطلة على البحر بالقرب من المياه الساحلية، ويقتات بالأسماك ويغوص رأساً في الماء ويحمل فريسته بأرجله. تبيض الأنثى بيضتين أو ثلاث بيضات.

العائلة البومية

البوم مفرده البومة، وتسمى أيضاً الكندرة والهامة والقميسة، طيور من كواسر الليل، جمعه أبوام للذكر والأنثى. وتضم هذه العائلة عدة أنواع من البوم، وهي مستديرة الجناح وريشها ناعم الملمس، تتميز برؤوسها الكبيرة المدورة، وعيونها الواسعة المتجهة إلى الأمام، المحاطة بدائرة من ريش، وفتحات آذانها كبيرة مغطاة، ومناقيرها قصيرة مقوسة حادة، وذيلها قصير. ساقها مغطاة بالريش. وأرجلها ذات مخالب حادة، سمعها وبصرها الحادان يساعدانها على صيد القوارض الصغيرة والحشرات والخفافيش في ساعات الليل فتبتلعها. وبيضها أبيض اللون عادة.

وكنيتها أم الخراب، وأم الصبيان، ويقال لها الصوّاية لأنها تشتهر بكثرة نعيقها في الليل. ومن طبعها أن تدخل على كل طير في وكره وتأكل أفراخه، ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون في شراكهم طُعماً حتى يقع عليها الطير، وتعيش البومة في الأماكن المهجورة والخربة والبيوت المهدمة؛ يقول شاعر بدوي زار أقاربه ولم يجدهم، لأنهم رحلوا في طلب الكلأ والمرعى:

لفيت دارَ القومْ ما شفتَ انا حي
خالي مْنَ الاوناسْ يذّن به البوم



البومة

وقال ابن دويرج:

أرى الدار عقبَ الحي خالي جنابها
خليٍّ جناب الدار ينعقِ غْرابها
خلَت ما بْها منْ غاليَ الحي ساكن
سوى البومْ يلعي في ملاوي هضابها

ويقول شاعر آخر:

أياحرٍ ماكره في كل عالي
وايا فرخ البوم في جال الهبيه

ويقول شاعر آخر زار صاحبته واسمها مزنة فلم يجدها، ووجد الدار خالية:

لفيت ديار مزنة ذات يوم
فلم أتلقَّ غير البوم حيا

ومن أنواع البوم: الصدى، والبوهة، والبوه: يقال أيضاً البوءة والبوء، والثيج، والجمع ثيجان، يصيح طول الليل، وكأنه يئن، والخبل، يصيح طوال الليل، وكأنه يقول ماتت خبل، ماتت خبل، والضوع، (كصرر وعنب) جمعه أضواع وضيعان، والنُهام، وجمعه نُهُم، والهامة، وهي العظيمة الرأس والجمع الهامات، والهام. وكان بعض أهل الجاهلية يقولون: إنها «هام الناس»، إذا مات الإنسان خرجت من رأسه «هامة» تصيح عند قبره، وإذا قتل تظل تصيح مطالبة بثأره. وعن صياح الهامة قال أحد الشعراء:

يا عمرو إن لم تدع شتمي ومنقصتي
أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

ويقال في الأساطير إن البومة تظن نفسها أجمل الطيور وأحسنها صورة لذلك تختفي في النهار، وتظهر فقط في الليل خوفاً من العين ومن أن تغبط في جمالها. ومما يتناقله الناس من القصص الوعظية ذات المرامي البعيدة، قصة البومة مع النبي سليمان عليه السلام، فقد طلب النبي سليمان الذي علمه الله منطق الطير من البومة أن تذهب وتبحث عن أجمل طائر على وجه الأرض وتأتيه به. فذهبت البومة فوجدت كثيراً من الطيور الجميلة كالهدهد والطاووس وغيرهما من الطيور الملونة ذات الريش والشكل الجميل، ولكنها من فرط حبها لفرخها أشاحت عن هذه الطيور وعادت إلى النبي سليمان بفرخ عاري الجسم بشع العينين فسألها: هل هذا هو أجمل الطيور؟، قالت: نعم، قال: ولكني لا أراه إلا أبشع الطيور فما الذي جعلك تختارينه دون سائر الطيور الجميلة؟، قالت البومة: إنه ابني يا نبي الله. قال: لو لم تحضريه لذبحتك. وفي هذه القصة ما يدل على حب الأم لأولادها على أي صفة كانوا، فعلى الرغم من أن فرخ البومة من أبشع الطيور

هيئة وشكلاً ومنظراً إلا أنه في نظر أمه أجمل الطيور على الإطلاق.

وأكثر الناس يتشاءمون من البوم سواء أكان ذلك من صوتها أم من شكلها. قالوا في المثل الشعبي «مثل البومه ما تصيح إلا في الخراب». وكان كثير من الناس في الماضي ينصحون أولادهم بتجنب رجم البومة أو قتلها، لأنهم يعتقدون ساذجين أنها ضرب من الجن، وأنَّ من يرجمها أو يقتلها يصيبه مكروه بالموت أو الشلل. وكان بعض الناس إذا اصطادوا بومة يكحلون عينيها ثم يبعدونها لمسافة، ويطيرونها، لأنهم يعتقدون أنها شؤم عليهم. ومن المعتقدات أن البومة إذا صاحت في النهار يكون اليوم يوم حزن، أما إذا صاحت في الليل فسيكون الغَدُ يوم فرح، وإذا صاحت أول السنة كانت سنة شؤم، وآخرون يعتقدون أنها إذا صاحت ليلاً فوق أحد المنازل فإن مكروهاً سيصيب صاحب هذا البيت، أو أن أحد أهل بيته سوف يموت وكلها معتقدات زائفة. وتضرب بالبوم الأمثال الشعبية، فيقال «ما في البومة إلا صوتها» لأنها كثيرة الصياح، ويقال أيضاً «وجه البومة» للشخص قبيح المنظر، ويقال «فلان بومة» يضرب للغباء وللحمق ولؤم الطبع.

ولأنها طائر ليلي توهم الناس أنها لا ترى إلا في الليل حتى قالوا في المثل الشعبي «البومه ما تشوف إلا في الليل».

ويزعم بعض الناس أنَّ من خصائص البومة أنها تنام بإحدى عينيها، والأخرى مفتوحة، فإذا أُخذت العين المفتوحة ووضعت تحت فص خاتم، فإنّ من يلبسه لا ينام أبداً ما دام في يده، وعكس ذلك إذا وضعت العين المغمضة. وإذا أردت معرفة أي العينين للنوم أو اليقظة فألقهما في الماء، فالراسبة للنوم، والطافية لليقظة. وإذا أُخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى للمرأة وهي نائمة، تحدثت في نومها بجميع ما فعلته، أي جعلها تعترف بأسرارها، وكل هذه أوهام.

ومن القصص الشعبية التي تروى عن صوت البومة أنه كانت هناك بومة لها بنت وولد، وفي يوم من الأيام أرسلت البومة ولدها «قبوس» لقضاء حاجة لها، وفي الطريق عارضه الحصيني، وأخذ يستهوي الصغير لكي يفترسه، وانتهز فرصة غفلته وهجم عليه وأكله، ومن صفيره فهم الحصيني أن له أختاً تكبره مع أمها في الغار، فأراد الحصيني الفتك بأخته، انتظرت الأم ابنها الصغير إلى أن حان الليل ولم يعد

فأصبحت تنادي عليه «قبوس، قبوس»، فسمع الحصيني نداء الأم، فاقترب من البومة وابنتها، وكانت الأم تنادي على قبوس، فرد الحصيني عليها أن قبوس يريد أخته لتساعده ليعود معها بسرعة، وأحست الأم أن الحصيني يريد افتراس البنت، فرفضت ذهاب ابنتها لتبحث عن قبوس أو لتساعده حتى يعود بسرعة قبل اشتداد عتمة الليل. وقالت إذا كان قبوس حياً فسوف يعود، وأصبحت تنادي على قبوس إلى يومنا هذا.

وقد ورد ذكر البوم في الأمثال العربية فقيل «عداوة البوم للغراب»، ويضرب للعداوة الشديدة المستحكمة. ويقال «من كان دليله البوم كان مأواه الخراب»، أو «من دليله البوم، طاح في الخراب» كما جاء ذكر البوم في الشعر العربي.

يطلب امرؤ القيس، من صاحبته هند، ألاّ تتزوج ذاك الذي يشبه البومة طبعاً وشكلاً، وهو يحمل في رسغه سيراً عقدت عليه تعويذة تحميه من البلاء، راجياً أن تطول حياته، وأن يكون الموت بعيد المنال منه، فيقول:

أيا هند لا تنكحي بوهة ... عليه عقيقته أحسبا

مرسّعة بين أرساغه ... به عسم يبتغي أرنبا

ليجعل في كفّه كعبها ... حذار المنية أن يعطبا

البوهة: الكبير من البوم أو ذكر البوم، والأحسب: الذي في شعره شقرة، أو الذي ابيض جلده من داء، فصار شعره أحمر أو أبيض، وقيل هو الأبرص.

وقال مغلس الفقعسي مخاطباً أناساً قُتِل أخوهم بالقرب من قباء يخبرهم أن بومةً تنادي إخوان الميت لأخذ الثأر من القاتل:

وإنّ أخاكم قد عَلِمتُ مكانه ... بسفح قُبا تسفي عليه الأعاصر

له هامةٌ تدعو إذا الليل جنّها ... بني عامرٍ هل للهلاليّ ثائر

وفي المملكة عشرة أنواع من البوم، منها: البومة البيضاء، والبومة الصغيرة (أم قويق الصحراوية)، والبومة الإفريقية، والبومة النسارية، والبومة الطويلة الأذن، وبومة بتلر.

البومة البيضاء. طائر مقيم في أغلب مناطق المملكة، يبلغ طوله ٣٣سم متوسط الجرم شاحب اللون خالٍ من الخصل الريشية الأذنية، ويمتاز بطول ساقيه وسواد عينيه. ويعيش في الكهوف والآبار وبين الأشجار، يتغذى بالطيور والقوارض والخفافيش والزواحف.



البومة البيضاء



البومة الصغيرة

البومة الصغيرة. وتسمى أم قويق الصحراوية، وهي بومة صغيرة يبلغ طولها ٢٢سم. ذات رأس كبير مسطح وجناحين عريضين مستديرين وذيل قصير. لونها أسمر رمادي، عليه بقع شاحبة وطوق حول العنق، ويخلو كذلك من الخصل الريشية الأذنية. يعيش بين الجبال والأشجار والمباني، وفي أطراف البادية، وتجده صباحاً ومساءً جالساً محركاً رأسه. يصيد الحشرات واللافقاريات بعد الغسق. ويبني عشه في حفرة، يضع فيها ما بين ٣ إلى ٥ بيضات. ويطلق أصواتاً طويلة حزينة النغم.

البومة الأفريقية. تنتشر في غرب وجنوب المملكة. وهي كبيرة الحجم إذ يبلغ طولها ٤٣سم. لونها العام بني غامق، والصدر والبطن أشحب لوناً. لها خصل ريشية أذنية. تعيش بين صخور الجبال، وأشجارها، وكهوفها، وترتاح نهاراً وتصيد غسقاً في الأماكن البرية، وبالقرب من المزارع والمساكن، سعياً وراء

الحشرات الكبيرة والقوارض والطيور الصغيرة والزواحف.

عائلة أبو مطرقة

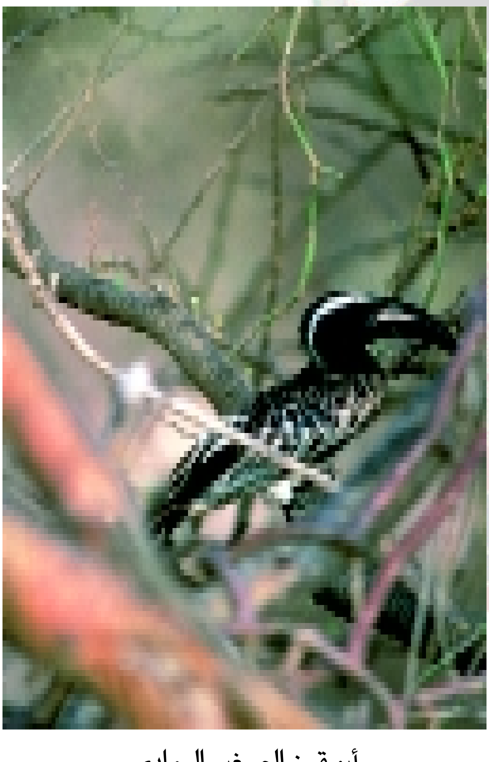
هذه العائلة نوع واحد هو:

أبو مطرقة. ويسمى محلياً طائر النحس، وهو طائر مائي يقارب بلشون البقر في الحجم. متوسط الجسم، أكبر من الحجل، ويصل طوله إلى ٦٠سم، ولونه العام بني قاتم، والذكر والأنثى متشابهان، وعنقه قصير، وله منقار طويل مذبب كالحربة يصطاد به الأسماك من المياه الجارية أو مياه السدود، ويقضي أغلب وقته ساكناً، يبني أعشاشاً كبيرة من الأعواد، ذات فتحة جانبية، عادة على الأشجار بالقرب من الماء. وسمّي بطائر النحس لأن المزارع عندما يراه يعتقد بأن مصير زراعته الهلاك، إما بسبب كثرة الأمطار أو قلتها، وهو لذلك طائر غير مرغوب فيه. يستوطن المنطقة الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية.

عائلة أبو قرن

تضم هذه العائلة طيوراً متوسطة أو كبيرة الحجم تتميز بمناقير كبيرة مقوسة. كما تتميز بعادات غريبة في موسم التزاوج حيث يتم حبس الأنثى في أغلب الحالات خلال فترة الحضانة في حفرة العش. ويعمل الذكر على إغلاق الفتحة بالطين وبراز الحيوانات تاركاً فتحة صغيرة لتقديم الطعام لها.

الصليّق. وهو أبو قرن أو أبو معول. وهو طائر نحيل الجسم، يصل طوله إلى ٤٨سم، والذكر والأنثى متشابهان في المظهر الخارجي. جسمه بني، وحواف الريش بيض، والمنقار قرني ضخم بعض الشيء مقوس قليلاً، وذيله طويل بني مسود، ونهاية الريشات بيضاء، ويستوطن مناطق تهامة في الجزء الغربي والجنوبي



أبو قرن الصغير الرمادي

الغربي من المملكة كما يستوطن اليمن، يبني أعشاشه في حفر في سيقان الأشجار.

العائلة السماكية

هذه العائلة ٨٧ نوعاً، سجل منها ستة أنواع مهاجرة، هي صياد السمك، والرفراف، والسماك رمادي الرأس، والسماك المطوق، والسماك أبيض الصدر، والسماك الأبقع. وهي طيور صغيرة أو متوسطة الحجم ملونة، رأسها كبير، قصيرة العنق والذيل والساقين، سريعة الطيران والتحليق، وتبني معظم الأنواع أعشاشها على الأرض، وتغوص في الماء سعياً وراء الأسماك حيث تصطادها بمناقيرها الطويلة.

صياد السمك. ويسمى الرفراف، وهو طائر رمادي الرأس، يسمى محلياً أم سبابيط، متوسط الجسم، وطوله ٢٠سم. الذكر والأنثى متشابهان في المظهر الخارجي، ولونه أزرق مخلوط بالرمادي الأبيض، والصدر أبيض والبطن بني غامق، والظهر وغطاء الجناح أزرق غامق مسود، والجناح والذنب أزرق فاتح، والمنقار أحمر وكذلك الأرجل، وهو زائر صيفي، يعيش في المنطقة الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية.

العائلة الغرابية

هذه العائلة ١١٦ نوعاً من الغربان منتشرة في جميع أنحاء العالم. وهي طيور حجمها متوسط أو كبير، ذكية جداً، وتمتاز بسوادها، وقوة منقارها وساقيها وأصابعها. وهي تقتات بالجيف والطيور والبيض والحبوب والثمار والحيوانات الصغيرة الدنيا، كما تشرب الماء يومياً. طيرانها قوي، ولها القدرة على الحوم، وتتجمع في أسراب أيام وضع البيض، وفي ساعات الليل. تبني أعشاشها الكبيرة من الأغصان وتضعها في قمة الأشجار والجبال. وتمتاز بتعدد نغماتها وأصواتها، ويطلق على صوت الغراب نعيق ونعيب، وإذا سمعته البادية قالت عنه إنه يغاغي.

والغراب طائر معروف، جمعه غربان وأغربة وأغرب وغرابين. وهو غراب إن كان أسود، وأبقع إذا اختلف لونه. وهو قوي البصر لذا قالوا عند خوفهم من عينيه: الأعور، وقيل إنهم سموه الأعور تطيراً منه وتشاؤماً، ويقال له ابن الأبرص، وابن بريح، وللغراب كنى كثيرة منها أبو جحادف وأبو الجراح وأبو حاتم وأبو زيدان وأبو الشؤم وأبو القعقاع وأبو المرقال. وهو على عدة أصناف، منها: الأعصم وهو أحمر الرجلين



الغراب الأصفر المنقار

والمنقار، ريشه فيه بعض البياض. والعقعق وهو أصغر أنواع الغربان وأطولها ذيلاً، صوته العقعقة، وهو ذو لونين أسود وأبيض، وفي طبعه الخيانة والخبث والسرقة، أما الغداف فهو غراب شديد السواد كبير الجرم. ومن أنواع الغربان أيضاً الأكحل والأزرق وغراب الزرع الذي يكثر في المزارع. وغراب البين وهو الأبقع وهو غراب صغير الجرم. وكثيراً ما يطلق غراب البين على جميع أنواع الغربان. وأرادوا به الشؤم، والعرب تتشاءم بالغراب، ومن معتقداتهم أنه إذا صاح ثلاث مرات فهو خير، وإذا صاح مرتين فهو شر.

وهو يسفد مواجهة، وفي طبعه الاستتار عند سفاده. والأنثى تضع ثلاث أو أربع بيضات، تخرج منها أفراخ قبيحة المنظر، ويقال: إن الأم تمتنع عن إطعام صغارها، فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به حتى ينبت لها الريش فتأتيها الأم وتطعمها. ويقول الشاعر في هذا المعنى:

يا رازق النعاب في عشه
وجابر العظم الكسير المهيض

ولقد ورد ذكر الغراب في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى فأصبح من النادمين﴾ (المائدة: ٣١). كما ورد ذكر الغراب أيضاً في الحديث الشريف: حيث نهى النبي ﷺ المصلين عن تقليد (نقر الغراب) في صلاتهم وفي رواية (نقرة الغراب) يريد بذلك تخفيف السجود في الصلاة.

ومما جاء في الأمثال عن الغراب «أبصر من غراب» تزعم العرب أن الغراب يبصر من تحت الأرض بقدر منقاره. و«أبكر من الغراب» لأنه أشد الطير بكوراً. و«أزهى من غراب» لأنه إذا مشى يختال وينظر إلى نفسه. و«ألص من عقعق» ويقصد به من كان طبعه السرقة والخيانة. و«طار غراب شبابه» أي ذهب شبابه وغزا الشيب رأسه. و«لا أفعل حتى يشيب الغراب» أي لا أفعل ذلك أبداً لأن الغراب لا يشيب أبداً. و«أصفى عيشاً من غراب» و«أشد سواداً من غراب» و«هو أشبه من الغراب بالغراب». وإذا وصفوا أرضاً بالخصب، قالوا «وقع في أرض لا يطير غرابها». وقيل أيضاً «وجد ثمرة الغراب»، وذلك أنه يتبع أجود الثمر فينتقيه.

وقد ورد ذكر الغراب كثيراً في الأمثال الشعبية. مثل «طار الغراب وحط بالوكر غرنوق»، الغراب: لونه أسود والغرنوق لونه أبيض. ويضرب هذا المثل للشيء يعقب الشيء، والضد يحل محل ضده كالضعف بعد القوة، والشيخوخة بعد الشباب، وبياض الشعر بعد سواده. ويقال أيضاً «غراب البين يصيبك»، ويعني أن الخسارة سوف تلحق بك أو أن الموت سوف يصيبك. وقالوا «غراب وعلى مرقاب»، و«غراب ما يختل» و«غراب وفوق شجره» وتضرب هذه الأمثال للحذر. وقالوا «عين للغراب وعين للتراب» ويضرب للمفلس من كل شيء. وقالوا «ياالله سنة ذباب ولا سنة غراب» كناية عن الرغبة في الخير.

ويقال إن الغراب من أذكى الطيور، فقد قيل إنه في يوم من الأيام وجد جرّة بها قليل من الماء، ولم يستطع الوصول إليه بمنقاره، فأخذ يملأ الجرّة بالأحجار الصغيرة، وصار الماء يرتفع شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى فم الجرة، فشرب الغراب حتى روي.

ومن القصص الشعبية التي تدل على ذكاء الغراب، قصة جمعت بين طائر الرخم والغراب والحصيني. يُحكى أنّ الرخمة كانت تعيش بالجال (حافة جبلية)

وتبيض في عشها، ويأتيها الحصيني ويقول لها: زتّي لي (أعطيني) بويضاتك لا ألف ذويلي من وراكِ إنت وجالك. فتخاف أن يهدّ الجال فترمي عليه فروخها. وفي أحد الأيام جاءها الغراب وقال لها: أشوف الطيور كثرت عيالها وانتِ ما عندك عيال. فقالت له قصتها مع الحصيني. فقال الغراب للرخمة: أنه لا يستطيع أن يصل إليك ولا يستطيع أن يهدّ الجال، وإنما يكذب عليك. وقال لها أيضاً إذا جاءك مرة أخرى قولي له هدّ الجال. وبعد ذلك جاءها الحصيني وقال لها: زتّي لي بويضاتك لا ألف ذويلي من وراك إنت وجالك. فقالت له: هدّ الجال. فعرف الحصيني أنه لن يستطيع أن يكذب عليها، ولكنه قال: أسائلك بالله: هل علمك الغراب هذا الكلام. فقالت له: نعم. فقال الحصيني: سوف أنتقم منك يا أبا المرخ. فذهب الحصيني إلى المراح (المكان الذي يرحل منه البدو)، وتظاهر بالموت، وعندما رآه الغراب قرب منه، وأخذ ينقره، ثم قرب أكثر وأراد الغراب أن ينقر عينه، وفجأة هجم عليه الحصيني وعض عليه، فعرف الغراب أنه خُدع. فقال الغراب: أنا أطلبك أن لا تأكلني إلا عند الرجم الفلاني «وسمى له الرجم»، والرجم مكان معروف بارز في الجبل تتجمع عنده الحيوانات. فقال له الحصيني: وليش الرجم هذا! فقال الغراب: حتى يقال هذا رجم أبو الغربان. فقال له الحصيني: هذا طلب هين. وذهب إلى الرجم، وعندما وصل الرجم كان هناك مجموعة من الكلاب، فهجمت على الحصيني، وأخذت تركض وراءه، ومن التعب فتح الحصيني فمه، فهرب الغراب، وتخلص من الموت». وهذه القصة تدل على أن الغراب أكثر ذكاءً من الثعلب.

ومن حيل الغراب أن غراباً وسنوراً (قط) كانا متآخيين فبينما هما تحت الشجرة إذ أبصرا نمراً مقبلاً نحو الشجرة التي كانا تحتها، فطار الغراب إلى أعلى الشجرة وبقي صاحبه السنور تحت الشجرة محتاراً ماذا يفعل، وقال للغراب ياصاحبي هل عندك حيلة في خلاصي كما هو الرجاء فيك؟ فقال الغراب: إنما تلتمس الأخوان عند الحاجة إليهم في الحيلة عند نزول المكروه بهم. وكان قريباً من الشجرة رعاة معهم كلاب، فذهب الغراب إلى الكلاب وضرب بجناحيه أحد الكلاب فسارت في أثره، ورفع الراعي رأسه فرأى طائراً يطير قريباً من الأرض، فتتبعه وصار الغراب لا يطير إلا بقدر التخلص من الكلاب حتى وصل



الغراب أسود المنقار، قصير الذيل

إلى الشجرة التي تحتها النمر، فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليه فولى هارباً ونجا السنور بحيلة الغراب.

ولكل حرف من حروف لفظ الغراب عند من يتشاءمون به دلالة ومعنى، فيقال: إن حرف الغين: تعني الغمّ، وحرف الراء: يعني الردى، أما الباء: فتعني البؤس. لذا ضُرب المثل في النحس بهذا الطائر. ويضرب بالغراب المثل في خراب الدور والمساكن فيقال إنه إذا اقترب أجل إنسان وصادف غراباً، نعق الغراب بصوت حزين، فكان ذلك النعيب دلالة على قرب موت ذلك الشخص. وقد أنشد أحد الشعراء على لسان الغراب قائلاً:

أنوح على ذهاب العمر مني
وحق أن أنوح وأن أنادي
وأندب كلما عاينت ركباً
حدا بهمو لوشك البين حادي

ويستطرد الشاعر قائلاً:

فقلت له أجبْ بلسان حالي
فإني قد نصحتك باجتهادِ
وها أنا كالخطيب وليس بدعاً
على الخطباء أثواب السوادِ
ألم ترني إذا عاينت ركباً
أنادي بالمنون لكل نادِ
لقد أسمعت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تناديِ

وقد ورد ذكر الغراب كثيراً في القصص العربي. فمن ذلك ما زعموا أن غراباً رأى حجلة تدرج وتمشي، فأعجبته مِشيتها وطمع في أن يتعلمها، فراض على ذلك فلم يقدر على إحكامها، وأيس منها، وأراد أن يعود إلى مشيته التي كان عليها، فإذا هو قد اختلط مشيه وتخلع فيه، وصار أقبح الطير مشياً، وفي ذلك يقول الشاعر:

وكم من غراب رام مشيةَ قبجة
فأنسي ممشاه ولم يمش كالحجل

ويسمى الغراب أيضاً بالباسق، لأنه لما أرسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء وجد في طريقه رمّة فسقط عليها وترك ما أرسل إليه. ويسمى أيضاً بالبين لأنه إذا رحل البدو من مكان نزل فيه وزعق في أثرهم. ومن الغرائب أن بين الغراب والذئب ألفة، فإذا بقر الذئب بطن

شاة سقط الغراب وأكل معه والذئب لا يضره. وقيل إنه سمي بالغراب، لأنه يرحل مع غروب الشمس متجهاً إلى عشه الذي يبيت فيه. وقيل إنه سمي بذلك لأنّ الجو بعد غروب الشمس يظلم ويزداد عتمة، فهو يماثل لون الغراب الأسود. وتصحب الغربان الإبل متوغلة في الخلاء، تلتقط من أجسادها القراد والحلم. كما أنها تحفر الدبرة (مكان الجروح) وضرب بذلك المثل الشعبي «غراب دبره»، وتقع تحت القتب، ولهذا يطردها الرعاة. فإذا رأوا غراباً على بعير صاحوا به «غرّب، غرّب» أي طر إلى المناطق غير المأهولة. وكان البدوي إذا عزم على القيام برحلة مهمة ورأى غراباً واحداً، فإنه يندب حظه قائلاً «ياقرد العين جاه الغراب وحيد» أي إن العين التي يأتيها الغراب وحيداً ستنهك من البكاء، وعلم أنه سوف يلاقي حظاً سيئاً في سفره، ولذا يفضل العودة من حيث أتى. أما إذا رأى غرابين فإنه يهتف «ياحظ من جونه الغرابين» أي ما أسعد العين التي يأتيها الغرابان. وكان البدو إذا أرادو الرحيل ورأوا غراباً قادماً من الجهة التي يقصدونها، يقولون: إن هذا الغراب قد هرب من هذه الجهة فلا ترحلوا إليها. ومن الأقوال الشائعة في نجد: يا الله سنة ذباب ولا سنة غراب، وذلك أن الذباب يتكاثر أيام كثرة الربيع أما الغراب فلا يأتي إلا عند القحط لأن جيف الحيوانات النافقة جوعاً تكثر. وإذا نزلوا بمكان ورأوا لحظة نزولهم طائر الغراب أو البومة فإنهم يعتقدون أن هذا المكان محل كوارث ومصايب فيهمون بالرحيل منه ويتركونه.

وكثيرون يكنون الكره للغراب، لأنه ورد في القصص أنه عندما كان النبي ﷺ، مع صاحبه في الغار، كان الغراب يحوم حول الغار، ويصيح غار، غار (قار، قار) ليعلم مطاردي الرسول وصاحبه بوجودهما لذا فإنهم يرون أن من يقتل الغراب له أجر كبير.

وكثير من الناس يتشاءمون عند رؤية الغراب في الصباح الباكر، لاعتقادهم أن يومهم هذا سوف يكون أسود، ويزيد تشاؤمهم إذا صاح الغراب أو اقترب من منازلهم حيث يرون ذلك نذيراً بأن أحداً سوف يموت من أهل القرية أو من أهل البيت. ومن أجل ذلك نجد لاسم الغراب عند بعض الناس وقعاً يدفع الشرّ، فقد كان بعض البدو عند ابتلائهم بكثرة موت أطفالهم، ينذر بتسمية وليده بأسماء غريبة، ومن هذه الأسماء، اسم الغراب، اعتقاداً منه بأن اسم الغراب يدفع الحسد عن طفله فيبقى حياً.

وإذا رأى البدوي غراباً يحوم على منطقة فإنه يستدل من ذلك على وجود ماء في هذا المكان. ويقال أيضاً إن الراعي إذا رأى غراباً يحوم حول ماشيته، فإن ذلك يدل على أن الذئب قد افترس إحداها، أما الفلاحون فيعتبرون الغراب صديقاً لهم، لأنه يساعدهم في نظافة أرضهم من الحشرات والديدان.

وقد ورد ذكر الغراب في الشعر العربي قديمه وحديثه، فمن ذلك قول عباس محمود العقاد تحت عنوان (شفاعة للغراب):

حيّا الغرابُ الفجرَ بالنعيب
تحيةَ التهليلِ والترحيبِ
وافترّ نور الفجر كالمجيب
في غير ما لوم ولا تثريب
لهاتف ناداه من قريب
ما ذنب ذاك الناعب المسكين
ألا يحيّ النور باليقين
تحية العصفور والشاهين
ألا تدين كلها بدين
فما له يعذل كالرقيب
شفاعة الأنوار والأحباب
في الأسود المهجور في الخراب
ما الصيدحُ الهاتفُ بالعجاب
أصدق حباً لك من غراب
فاعذره يا فجر على التشبيب

وقال أيضاً، تحت عنوان (عادات الغراب):

بئس الغراب وإن ذكرت بصوته
عطف الحبيب عليه كل صباحِ
أبداً يقاطع كل شاد حوله
كمعطلي الإنشاد في الأفراحِ
وإذا شدا الكروان أتبع شدوه
بصياح شؤم منه أو بنواح
وإذا ترنمت القماري انبرى
ما بين تنعاب وخفق جناحِ
حسداً ولؤماً أو غروراً لم يزل
دأب الحسود وديدن الملحاحِ

وقال أبو الشيص (محمد بن عبدالله الخزاعي) في الغراب:

أشاقك والليل ملقي الجران
غراب ينوح على غصن بان
أحم الجناح شديدُ الصباح
يبكي بعينين لا تهملان
وفي نعبات الغراب اغترابٌ
وفي البان بينٌ بعيدُ التداني

أما إبراهيم الموصلي فقد أنشد في العقعق:

إذا بارك الله في طائر
فلا بارك الله في العقعق
طويل الذنابى قصير الجناح
متى ما يجد غفلة يسرق

يقلب عينين في رأسه
كأنهما قطرتا زئبق

ومن أنواع الغربان الشائعة في المملكة: الغراب النوحي، والغراب المروحي الذيل، وغراب البيت الهندي، والعقعق العسيري.

الغراب النوحي. وهو الغراب البني العنق. يبلغ طوله حوالي ٥٠سم، ويتكاثر في شمال أفريقيا والجزيرة العربية، ويعد مقيماً شائع الانتشار في المملكة، ولونه أسود، وفي عنقه شيء من اللون البني القاتم، ويمتاز عن الغربان الأخرى بطول جناحيه وذيله، ويعيش في الصحارى، ويصل السواحل والجزر والجبال، وأطراف المناطق الزراعية، وتبيض الأنثى ما بين ٢ إلى ٥ بيضات.

الغراب المروحي الذيل. يبلغ طوله ٤٧سم، يتكاثر جنوب الصحراء الأفريقية الكبرى، وفي الشرق الأوسط، والجزيرة العربية. ويعد مقيماً شائع الانتشار في أراضي المملكة. ولونه أسود، ويمتاز بصغر حجمه، وعرض جناحيه، وقصر ذيله، ويعيش في الجبال، ويزور المزارع، ويحل على ظهور البهائم، ويصطاد الجراد في الهواء، وتبيض الأنثى ما بين ٢ إلى ٤ بيضات. وصوته عذب ولكن الناس تتشاءم منه.

العائلة الصردية

وهي ٧٢ نوعاً تشمل طيوراً جارحة تقتات بالحيوانات ولا تتجمع في أسراب، لها منقار قوي مقوس وسيقان قوية، والأصابع حادة المخالب. منها سبعة أنواع في المملكة، أهمها الصرد الرمادي الكبير، والصرد الأحمر الذيل، والصرد الأحمر الظهر، والصرد الأبيض الوجه. وهناك من البادية من يسميه الزُرَاطى وهو عند أهل نجد السَّرد.

السرد. وهو الصرد الرمادي الكبير ويسمى الدقناش أو النهس أو مدقي أو الزراطى، ويسمى أيضاً الجزار. يبلغ طوله ٢٤سم، ويمتاز الذكر ببقعة بنية على الرأس والرقبة، وبطنه أبيض، والأجنحة والذيل سود، كما يمتاز بأن منقاره قصير معقوف إلى أسفل، يشبه في ذلك منقار الصقر. وهو يتغذى بالحشرات، والديدان الصغيرة، والخنافس والقوارض أحياناً وصغار الطيور وغيرها. وسميّ بالجزار لأنه يجعل ما صاده على شوكة أو غصن، ثم يبدأ تمزيقه وأكله. يسهل اصطياده بالمناسب (المصايد) الحديدية. وبدو الشمال يصطادون هذا النوع بسهولة، وذلك بأخذ شعرة طويلة من ذيل الجمل أو الحصان، ثم يربطون بأحد طرفيها نعرة (حشرة صغيرة تعيش



الصرد

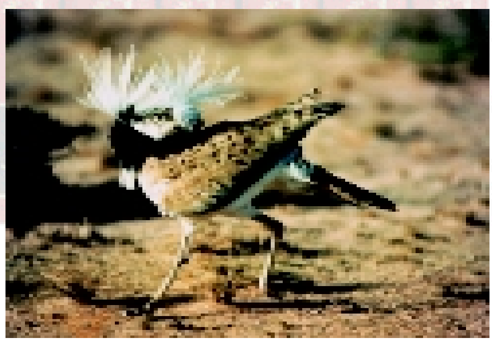
متطفلة على الجمال والخيول) وبالطرف الآخر بعرة جمل (زبل الجمل) ثم يرمونها، والنعرة كثيرة الحركة، فعندما يراها الصرد ينقض عليها ويأكلها، فيدخل جزء كبير من الشعرة إلى معدته ويظل الباقي مع البعرة إلى الخارج، ونتيجة لحركة منقار الصرد فإن الشعرة تلتف على جسمه أو على أرجله مما يؤدي إلى صعوبة طيرانه، ويسهل إمساكه. ويقول الصبيان إذا غضبوا من أحدهم «جعلك للسرد ينقر عينك!»، ويضرب بقوة بصره المثل الشعبي «أشوف من السرد».

العضاضة. وهو أيضاً الحدّاد. طائر في حجم الحمامة، ولونه رمادي، والصدر والرقبة لونهما أبيض، وحواف الجناح والذيل والمناقير والأرجل سود. ينتشر في كثير من مناطق المملكة، ويكون دائماً في أعلى قمة في الشجرة، ويتغذى بالحشرات والخنافس، وصغار الزواحف وغيرها، ويسهل اصطياده بالمناسب (المصايد) الحديدية.

الطيور آكلة الحبوب والحشرات

العائلة الحبارية

الحبارى، بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة، اسم يقع على الذكر والأنثى، وأهل مصر يسمونه الحُبْرج، وقالوا «الحُبارى خالة الكروان». والحبرج هو ذكر الحبارى، واليحبور ولدها، ومن أسماء الحبارى: الخَرَب (بفتح الخاء والراء) وهو ذكر الحبارى، والجمع أخراب وخِراب وخِربان، أما الحارض، والحبربر، الحبربور، الحبرور، النّهار، واليحبور فهي أسماء لفرخ الحبارى.



الحبارى

والحبارى أشهر الطيور البرية، وهي لا تأتي إلا في وقت الربيع ونزول المطر، وعند الجدب وانقطاع الأمطار تهاجر من بلد إلى آخر. وسميت بالحبارى لأنها لا تنزل إلا في الأراضي القفار الخالية من الحيوانات الداجنة كالغنم والإبل، وكان الناس قديماً يسمون الأراضي القفار بالأراضي الحبارى، أي الأراضي الخالية.

وتطير الحبارى قريباً من الأرض مسافة قصيرة ثم تنزل، وتطير ثانية، ثم تستكن مرة أخرى تحت شجيرة أو صخرة. وإنه لعسير على المرء الدنو إلى أن يصبح على قرب منها، لأنها تطير عندئذ طيراناً متواصلاً، ولا يستطيع إعياءها إلا راكب فرس أو حصان شديد التحمل، وتطير عادة في الليل عند الترحال. وعدو الحبارى اللدود الصقر الذي يراقب حركاتها وسكناتها من علٍ،

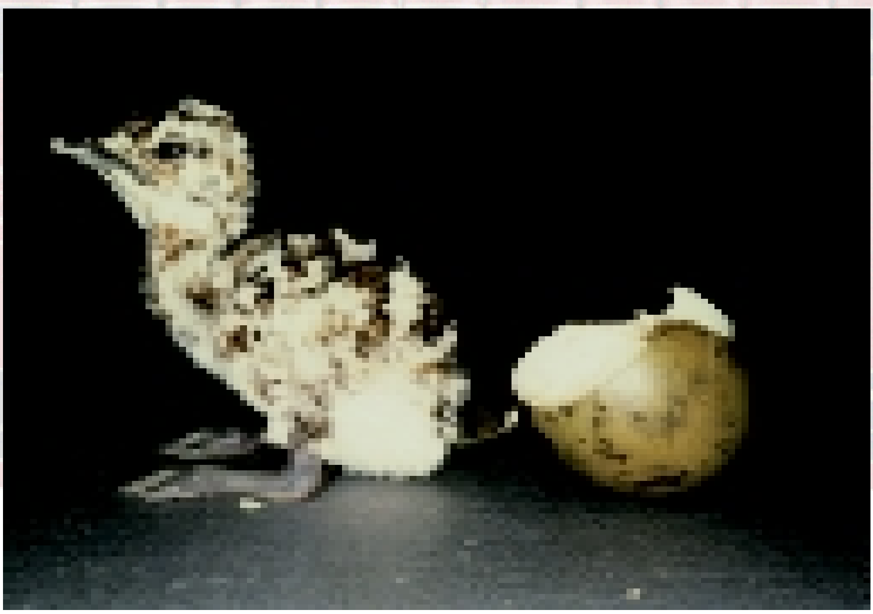


بيض الحبارى

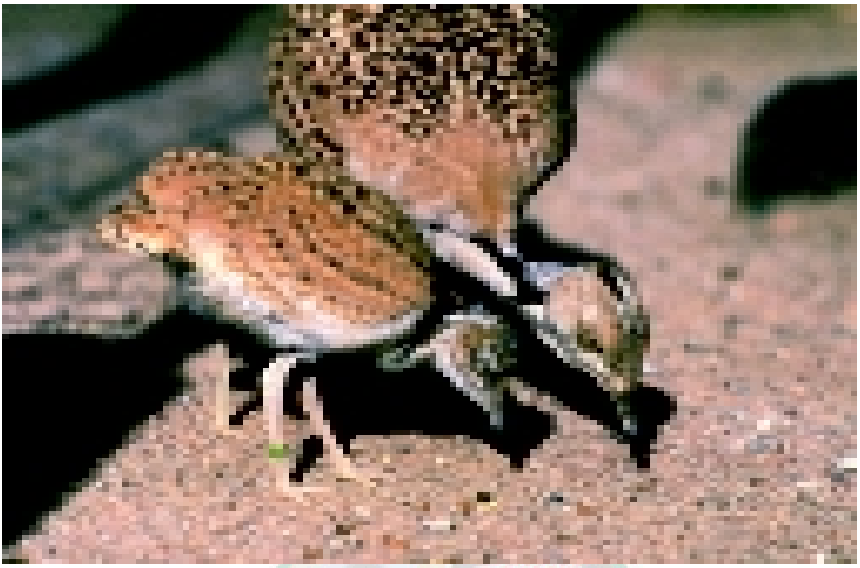
من أشد الطيور طيراناً وأبعدها شوطاً. تتغذى بالحبوب والبذور والثمار والنباتات والخضر، فضلاً عن الحشرات وبعض الزواحف. ونظراً لطيب لحمها، عدّت أفضل طيور الصيد. تبني أعشاشها على الأرض، وتحت الشجيرات وبين الأعشاب التي تخفيها عن أعدائها. تترك أفراخها العش، لكنها تبقى برعاية أبويها مدة طويلة، وتنتشر أنواع الحباري في كثير من دول العالم، خاصة دول أوروبا وآسيا وأفريقيا وأستراليا. ويستوطن بعضها في شبه الجزيرة العربية، بينما يأتي بعضها مهاجراً أثناء فترة الخريف والشتاء من أوروبا وأواسط آسيا.

فإذا استقر قرارها انقض عليها كالبرق الخاطف.

والحبارى من الطيور الكبيرة الحجم، لها رقبة طويلة ورجلان طويلتان، تتميز أقدامها بأن لها ثلاثة أصابع أمامية فقط، والذكور أكبر حجماً من الإناث، وهي



فرخ الحبارى خارج من البيضة



الحبارى وصغيرها

وتحكي الأسطورة أنّ الصقور كانت في بادىء الأمر تخشى الحباري، لأنها أكثر منها عدداً. وفي ذات يوم حل صقر جريح ضيفاً عليها فاستقبلته بترحاب وأطعمته وعالجته حتى شفي من دائه. وقد لاحظ الصقر أن الحباري لم تعقد أي اجتماعات معاً وسأل الصقر إحداها من أي قبيلة أنت؟ فقالت «نحن من قوم الزنارة»، وسألها من شيخكم؟ فقالت «أنا الشيخة»، ولكن جارة لها سمعت الحوار فهتفت «أبداً، أبداً، بل أنا الشيخة» فاعترض عليها طائر آخر كان في تلك اللحظة، صافاً جناحيه في الفضاء، قائلاً «ماذا؟ كيف يكون ذلك؟ بل أنا الشيخة!». فسعد الصقر بذلك، وقال في نفسه «حتماً لن أرهبَ هؤلاء، فلن يهاجمنني جميعاً أبداً، وسوف أقوى على افتراسهن واحدة بعد الأخرى، ومن ذلك الحين والصقر يأكل الحباري». وتدل الأسطورة على أن التفرق يذهب بالهيبة ويضعف القدر.

وشعراء البدو كثيراً ما ينشدون شعراً يصفون فيه الحباري، كقول أحدهم:

ياما حلى يا سعود شوف الحباري

في منطقة فيضة ويذن بها البوم

كما ورد ذكر الحباري في الأمثال العربية، فقيل «أذرق من حبارى»، و «أسلح من حبارى»، لأنها ترمي الصقر بسلحها إذا راعها ليصيدها فتلوث ريشه وتعطل طيرانه.

قال حميدان الشويعر :

مثـل جنس الحْـبارى تعرف الـطيور
حين مـا جا لهـا موحتٍ مـن سماه
نـادر الحر يـدعـي عـضاهـا لـهوم
والـتبـع تـطـرده مَرْشِـةٍ مـن خـراه

وقيل أيضاً «أطير من حبارى». ويشير هذا المثل إلى قوة طيران الحبارى، حيث تستطيع الطيران إلى مسافات بعيدة، بحثاً عن الغذاء. وقد أظهرت دراســات تتبع طيــران الحبارى المزودة بجـهاز إرسال لاسلكي عن طريق الاقمار الصناعية أن الطائر قد قطع ٧٠٠ كم طيراناً في يوم واحد (المركـز الوطني لأبحـاث الطيور بالإمارات العربية المتحدة). وقيل «أحمق من الحبارى»، وهذا المثل يشير إلى غباء الحبارى وحمقها لأنها تأخذ صغارها قبل نبات ريشها فتطير معارضة لها، لتتعلم منها الطيران، فتعـرضها للخطر. وقيل «سلاح الحـبارى»، ويضرب هـذا المثل للضعيف الذي يستعين بالآلة اللئيمة على مقاومة من هو أقوى منه. فالحبارى، إذا أراد الصقر أن يـصيدها، ترميه بـذرقها فيدبق جناحه، ويعطّل طيرانه حتى تهرب منـه. وقيـل أيضاً «وعـيد الحـبارى»، ويضرب هذا المثل للضعيف الذي يتوعد القوي. ومن أمثال العرب «وعيد الحبارى للصقر» قال الشاعر :

أقـلّ عـنـاءً عـنـــك إيـعـاد بـارقٍ
وعيد الحُبارى الصّقرَ من شدّة الرّعبِ

كمـا ورد ذكر الحبارى فـي الشعـر العربي، قال المتنبي :

فـلا تـنلـك الـلّـيالـي إنّ أيـديـها
إذا ضـربن كـسرن الـنّبـع بالـغرب
ولا يــعــنّ عـــدُواً أنـت قـــاهــرُهُ
فـإِنّهـنّ يـصدن الـصّـقـر بالخـرب

وقال قيس بن زهير صاحب داحس :

مـتـى تـتـحزم بـالمـنـاطـق ظـالمـاً
لـتجـري إلى شـأوٍ بعـيـد وتسـبح
تكـن كالحبارى إن أُصـيبت فمـثلها
أصيب وإن تفـلت من الصقر تسلح

ومن أنواع الحباري : الحبارى الكبيرة، والحبارى المتموجة، والحبارى العربية.

الحبارى الكبيرة. من الطيور الأرضية الكـبيرة، إذ طول هـذا الطائر حـوالي ١٠٣سم. يتميز بأن أطراف الجناح بيض



الحبارى

مع خطوط سود. الذكر أكبر جسماً من الأنثى، وله خصل طويلة من الريش على جانبي الخد تُسمى الغَلَب. وله حلقة بنية أسفل الرقبة وبعض أجزاء من الصدر، والصدر أبيض شاحب، وأعلى الظهر والذيل رملي مع خطوط سود، وتعيش الحبارى مجموعات صغيرة في المناطق المفتوحة والزراعية.

الحبارى المتموجة. وتتكاثر في شمال آسيا، وبعض مناطق الجزيرة العربية. تهاجر هجرة موسمية، وهي أصغر حجماً من الحبارى الكبيرة، يبلغ طولها ٦٤سم. وبها خطوط بيض وسود على أطراف الجناح تظهر أثناء الطيران، وبها خصل من الريش الأسود على جانبي العنق. وهي طريدة الصيد التراثية في شبه الجزيرة العربية. تعيش بين الأعشاب والشجيرات الصغيرة، وكذلك بين الرمال منفردة أو في أسراب. ومن الصعب رؤيتها على سطح الأرض عندما تكون لابدة خشية الصقور. ويصطاد الناس هذا النوع بالصقور والبزاة، ولكنها تدافع عن نفسها وهي على سطح الأرض، قاذفةً المعتدى بسائل لزج تطلقه من شرجها. وتبيض الأنثى من بيضة إلى ثلاث بيضات. وتتولى حضن البيض ورعاية الفراخ. تتغذى بالجراد والجندب وأنواع الحشرات الصغيرة والأعشاب الخضر والثمار والبذور. وقد كاد هذا الطائر



الحبارى في استعراض غزلي

أن ينقرض نتيجة الصيد الجائر ويسمى فرخ الحبارى (عثمان).

الحبارى العربية. وهي الحبرو، وهي طائر يلي الحبارى الكبيرة في الحجم. ويصل طوله إلى حوالي ٩٠سم. يعيش في شبه الجزيرة العربية في الربع الخالي وجنوبه في جهات حضرموت وشبوة، كما يعيش بكثرة في السودان، يتميز بخصلة من الريش تتجه إلى الخلف. يميل لون ريش الرأس والعنق وأعلى الصدر إلى اللون الرمادي، وأطراف الجناح مخططة بالأبيض والأسود. يعيش في المناطق العشبية المفتوحة، وكذلك في



الحبارى طريدة الصيد التراثية

الأماكن الجافة، والمناطق شبه الصحراوية. يتغذى بالأعشاب والجراد والجنادب إضافة إلى الحيوانات الصغيرة، ويعدّ طائراً مقيماً في المملكة. وهو مهدد بالانقراض حيث قل عدده قلة ملحوظة نتيجة الإفراط في صيده.

عائلة الكروان

تضم هذه العائلة طيوراً كبيرة الرأس، طويلة الساقين، ذوات مناقير ضخمة مستقيمة منتفخة قاعدتها. والمنقار أقصر بقليل من الرأس، والقدم ذو ثلاثة أصابع، تقطن البيئات الصحراوية والصخرية. يحاكي لونها البيئة التي هي فيها، وتنشط ليلاً، والجنسان متشابهان، وتضع الأنثى بيضة واحدة أو بيضتين على الأرض دون أن تصنع عُشّا. ومن هذه العائلة في المملكة نوعان هما كروان الصخر، والكروان المرقَّط.

السمق. وهو الكروان المرقط، ويطلق عليه أهل البادية اسم السمّق، وهو طائر زائر في الشتاء، شديد الشبه بالحبارى حتى في شكل أثره إلا أنه أصغر منها ولذلك يسمونه ربع حبارى. وهو يأتي في المرتبة الثانية من ناحية كثرة اللحم بعد الحبارى. والكروان المرقّط أكثر النوعين الموجودين في المملكة انتشاراً،

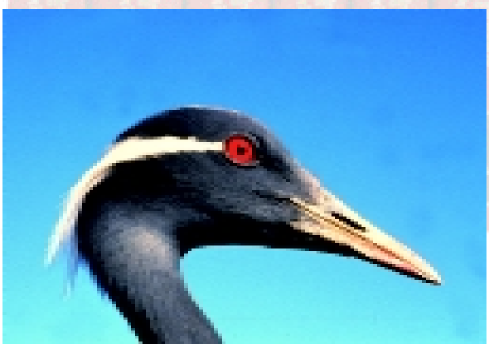


الكروان

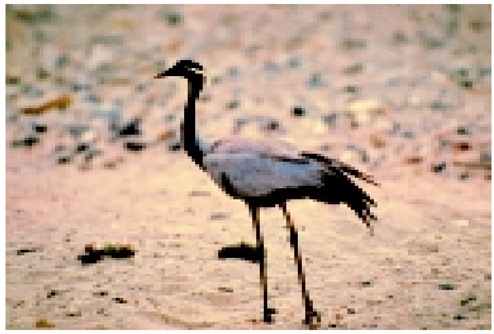
وهو طائر مغرد ذو لون بني إلى رمادي مع خط أبيض على جناحه، وساقاه طويلان صفراوان، يبلغ طوله ٤١سم.

العائلة الكركية

تتميز طيور هذه العائلة بأجسام مستطيلة منتصبة، وأعناق طويلة، ومناقير قوية مذبّبة، وسيقان طويلة. وهي تشبه اللقالق من حيث الشكل، إلاَّ أن أصابعها أقصر وأغلظ، والرسغ مع قسم كبير من الساق غير مغطى بالريش، والذنب قصير، والأسراب المهاجرة تطير في صفوف متوازية أو ملتقية على شكل رقم ٨. وأكثر ما تتغذى بالنباتات، كالبذور والحبوب والبراعم وأوراق الأشجار الغضة، وأحياناً الديدان والحشرات. ومن هذه العائلة في المملكة الكركي، ويسمى الغرنوق في نجد.



رأس الرهو



الرهو

الغرنوق. وهو الرهو أو الرها، وهو طائر كبير نسبياً، يصل طوله إلى ٩٥سم. يمتاز بخطين طويلين من الريش الحريري الأبيض النامي من خلف العينين، كما يمتاز بالريش الطويل الأسود المتدلي من مقدمة الصدر، وريش الجسم رمادي فاتح (سنجابي). وهو طائر مهاجر شتوي يمر في وسط المملكة، إلى الغرب والجنوب الغربي خلال هجرته إلى أفريقيا وخلال رحلة العودة.

العائلة النعامية

في هذه العائلة أكبر أنواع الطيور، إذ قد يصل ارتفاعها إلى أكثر من مترين. أجنحتها قصيرة لا تمكنها من الطيران، ولها قدمان بكل منهما إصبعان، ومخلبان قويان، يساعدانها على الجري. يغطي جسمها ريش مخلخل، وتعيش



نوع من الغرانيق



سرب نعام

في الأماكن الصحراوية أو شبه الصحراوية، ولكن أعدادها الآن قليلة جداً في العالم، بل انقرضت من بعض بيئاتها الطبيعية، خاصة في الجزيرة العربية، وبعض أجزاء من أفريقيا، حيث يقتصر وجودها الآن في هذه المناطق على حدائق الحيوان.

والنعام هو أكبر الطيور الحية، وقد يصل متوسط ارتفاع كتف الطائر عن الأرض إلى ١٤٠سم، ويصل وزن الذكر إلى حوالي ١٥٠كجم. يعيش النعام في مناطق الأعشاب المدارية (السفانا) في أفريقيا وفي المناطق الصحراوية القليلة الأشجار. وهو الطائر الوحيد الذي له إصبعان فقط في كل قدم، وأرجله طويلة قوية تكسبه مقدرة عالية على الجري السريع، وللطائر رقبة طويلة تناسب طول الأقدام، وله رأس صغير بالنسبة لجسمه. ولا ريش على الأقدام والرقبة، ولكن يكسو الجسم والجناحين الصغيرين ريش أسود في الذكور، وبني باهت في الإناث. وفي طرف جناح الذكر ريش أبيض. ولا يستطيع النعام الطيران ولكنه يجري جرياً سريعا، وتمكنه أرجله الطويلة القوية من الجري بخطوات قد تصل الخطوة الواحدة فيها إلى ٤ أمتار. يعدو النعام بسرعة ٥٠ كم في الساعة، وقد تصل إلى ٧٠ كم في الساعة، ولكنه لا يستطيع الجري لمسافة طويلة. وتمكنه سرعته العالية وقوة إبصاره من الهرب

من الإنسان وكذلك من الحيوانات المفترسة مثل النمور والضباع والذئاب.

النعامة العربية. طائر معروف في الجزيرة العربية، يرون أنه مركب من صورتي الطائر والجمل، أخذ من الطائر الجناح والريش والمنقار، وأخذ من الجمل العنق والوظيف والمنسم. وهو أكبر الطيور حجماً على الإطلاق، ولكن بعض العامة، الذين تستهويهم الحكايات الشعبية والقصص الغريبة، يزعمون أن الرخ هو أكبر الطيور، وهذا غير صحيح، لأن الرخ طائر لا وجود له في الواقع، بل هو خرافة ووهم.

جاء في اللسان «النعام اسم جنس مثل حمام، والنعامة تكون للذكر والأنثى، والجمع نعامات ونعائم ونعام، وقد يقع النعام على الواحد، والنعام أيضاً، بغير هاء، الذكر منها الظليم، والنعامة الأنثى».

وعلى الرغم من أن النعامة أكبر الطيور حجماً، حيث يبلغ ارتفاعها ٩ أقدام -حوالي المترين تقريباً- وتزن حوالي ١٣٠ كيلوغراماً، إلا أنها لا تطير، لأن جناحيها قصيران ضعيفان لا يمكنانها من ذلك، غير أنها عند الإحساس بالخطر تجري هي وصغارها البالغة شهراً واحداً بسرعة تقارب ٧٠ كم في الساعة، فلا يستطيع اللحاق بها إلا فرس أو جواد سريع، وقد تقطع عدة أميال في الرمال من دون تعب، ولذلك يمتدح الفرس السريع بأن له ساقي نعامة لسرعته في العدو، ويقولون «أعدى من نعامة». وفي المثل الشعبي «أسبق من الربدا».

وكان النعام من الطيور المستوطنة في الجزيرة العربية، عاش فيها لفترة طويلة من الزمن منتشراً في صحارى الجزيرة العربية عند أطراف الربع الخالي وفي بعض سهول نجد وهضابها



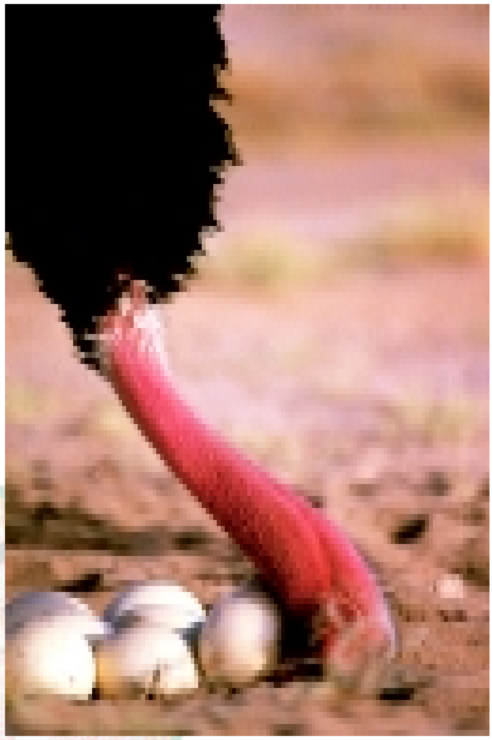
النعامة

المستوية، والمناطق الرملية المنبسطة ولا يعيش في الجبال أو المناطق الصخرية، وقد دلت الرسومات والصور المنحوتة على الصخور لصيادين يطاردون النعام بالسهام والمقلاع على سبق وجود هذا الطائر في الجزيرة العربية منذ فترة زمنية طويلة.

انقرض طائر النعام الجميل من أرض الجزيرة العربية منذ الستينيات من القرن الرابع عشر الهجري أي منذ الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي. وكانت بداية النهاية له عندما بدئ باستعمال البنادق التقليدية -بنادق الفتيل- في الصيد، إذ زاد صيد هذا الطائر وغيره من الطيور والحيوانات الأخرى، إلا أن شيئاً من التوازن ظل محفوظاً في تلك الفترة، نظراً لبطء الصيد بتلك البنادق، ولسرعة النعام وغيره من الحيوانات الفطرية مما مكن هذه الفرائس من النجاة، ولكن بعد أن عُرف الصيد بالبنادق متعددة الطلقات وهي أكثر حداثة وتطوراً، إضافة إلى تطور وسائل النقل والقنص بالسيارات، أدى ذلك إلى سرعة فناء عديد من الحيوانات الفطرية، وفي مقدمتها النعام، الذي ضاعف من بلواه ازدياد الطلب على ريشه الناعم خلال العشرينيات من القرن الميلادي الحالي لاستخدامه للزينة في الدول الأوروبية خاصة. ولعل النعامة سميت بهذا الاسم لنعومة ريشها.

وقد استخدم ريش النعام قديماً وحديثاً لأغراض متعددة، منها الزينة وذلك بوضعه في المزهريات الزجاجية، أو وضعه كالأكاليل على رؤوس الخيول والجمال إظهاراً للترف والأبهة، ومنها استخدامه للكتابة ولصنع الفراش ووسائد النوم. كما اعتاد بعض الناس وضع ريش النعامة داخل أوراق الكتب والمصاحف لمعرفة الموضع الذي وصلوا إليه في القراءة. وهناك بعض العامة يزعمون أن ريش النعام إذا وضع داخل المصحف الكريم فإنه ينمو ويكبر، ولا صحة لذلك أبداً.

ولم يكن الصيادون مغرمين بصيد النعام لريشه فقط، بل كانوا يجدون لحمه شهياً خصوصاً إذا كان صغير السن، وكان من عادتهم أن الذي يصطاد النعامة هو الذي يحق له أن يستأثر بالرأس ويبدأ في الأكل أولاً. كما كانوا يستخدمون شحمه لعلاج آلام المفاصل، وكان الناس قديماً، وخاصة في المناطق الشمالية من المملكة، يستخدمون بيض النعام أقداحاً لشرب الماء أو اللبن لسمك قشرته وكبر حجمه. كما كانوا يستخدمونه بعد ثقبه وتفريغه من المح وتجفيفه لخزن حبيبات البارود



النعامة حمراء الرقبة وبيضها

والجوف، حدث ذلك فيما بين سنتي ١٣٣٠-١٣٤٠هـ.

ومما يؤكد وجود النعام في الجزيرة العربية إلى وقت قريب ما جاء في معجم العالية لسعد الجنيدل: حدثني أشياخ من أهل الشَعْراء ممن أدريهم أن عبدالعزيز العتاتي قد عثر في برقة الأنصر على بيض النعام وكان لها مداحٍ فيه، فأخذ البيض معه إلى الشَعْراء. وذكروا أنه مرة عثر على فراخها فيه، وقد توفي هذا الرجل في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري عن عمر مديد. وذكروا أن بيض النعام كان معروفاً وأنهم كانوا يستعملون قشرته أواني لحفظ البارود دون غيره. والشعراء الذين عاشوا وسط نجد وصفوا النعام في شعرهم، ووصفوا بيضه وفراخه، ووصفوا الدحو وما يتساقط فيه من ريش النعام. ولا زال أهل البادية يجدون بيض النعام في الربع الخالي سليماً حيث تكشف عنه الرمال.

وقد اهتمت المملكة العربية السعودية اهتماماً شديداً بالحفاظ على ما تبقى من النعام العربي، حيث قامت الهيئة الوطنية للحفاظ على الحياة الفطرية وإنمائها بتربية النعام داخل محميات خاصة أو في منتزهات وطنية أو في حدائق الحيوان، لإنقاذ هذا النوع من النعام الذي أدى

الذي يستعمل لبنادق الفتيل، فضلاً عن الاستفادة من جلد النعام وعظامه لبعض الأغراض، علاوة على شحمه الوفير.

وكان آخر ما شوهد النعام في المملكة في منطقة القريات، ومن الأدلة على وجوده في الجزيرة العربية إلى وقت قريب ما ذكره زبن بن عمير أنه كان مع غزو بقيادة عمر بن ربيعان إلى جهة تبوك وإنهم حين عادوا من الغزو رأوا جهاماً من بعيد ظنوه إبلاً فانطلقوا إليه على خيولهم فإذا بالذي رأوه لم يكن سوى سرب من النعام في بسيطا بين تبوك

الصيد الجائر إلى انقراضه من بيئته الطبيعية منذ عشرات السنين.

يتغذى النعام بالنباتات والبقول والخضراوات والثمار التي يجدها في بيئته الصحراوية، ولكنه كبقية الطيور يأكل الحبوب والديدان والحيوانات الصغيرة والسحالي والجراد والحشرات، ويلتقط النعام الرمل والحصى ويخزنها في قانصته لمساعدته في طحن الغذاء الصلب قبل هضمه، وهو يحتمل العطش لمدة طويلة، ويزعم بعض العامة أن النعام كما الضب لا يشرب الماء، ولكن الحقيقة أنه يشرب الماء إذا وجده، أما إذا لم يجده فإنه يعتمد على الماء الذي يحصل عليه من النباتات الخضراء التي يتغذى عليها.

وجسم ذكر النعام مغطى بريش ناعم ذي لون أسود يسمى الخمل، أما الرأس والعنق والساقان فعارية من الريش، وريش الجناحين والذيل أبيض. أما ريش الأنثى فهو أغزر من ريش الذكر ويميل إلى اللون البني الباهت.

يعيش النعام في مجموعات صغيرة، ويتخذ الذكر أكثر من أنثى، وإذا تعددت الذكور وقع بينها صراع حتى ينتصر الأقوى، وهي تتصارع بالنقر بمنقارها والركل بالأرجل. ويقوم الذكر باستعراض ورقص رائع قبل عملية التزاوج، حيث يفرد جناحيه القصيرين بريشهما الجميل الأسود والأبيض، ثم يدور حول الأنثى، ثم يقف فارداً ريشه وماداً عنقه بشكل أفقي حتى يوازي ظهره، ثم يدير رأسه من جانب إلى آخر حتى تلامس فخذيه، ويصدر الذكر (الظليم) صوتاً أثناء ذلك يسمى العرار، بينما تصدر الأنثى النعامة أو الربدا صوتاً يسمى الزمار، ومما يجدر ذكره أن صوتي الظليم والنعامة عند الطرد يسمى النقع. ورقص النعام عند التزاوج من أجمل المناظر التي يمكن أن يشاهدها الإنسان.

وبعد أن يتم التزاوج بين الظليم والنعامة، يحفران عشاً ضحلاً للبيض يسمى الإدحي أو الدحو، الذي يصبح -بعد فقس البيض- عشاً للفراخ الصغيرة. وقد تضع مجموعة الإناث -لأن الذكر يتخذ أكثر من أنثى- البيض، الذي يتراوح عدده من ٢٠ إلى ٣٠ بيضة، في حفره واحدة، وتحضن الإناث البيض الذي وضعته بالتناوب مع الذكر. وبيضة النعامة كبيرة الحجم دائرية تقريباً يصل وزنها إلى ١,٥ كيلوغرام. ويسمى فرخ النعام الريل.

ويزعم العرب أن من عجيب أمر النعامة أنها تجعل بيضها أثلاثاً، ثلثاً تحضنه، وثلثاً تأكله أثناء حضنها له،

وثلثاً تكسره وتفتحه فيتعفن فيكون منه غذاء فراخها الصغار. ويفقس البيض خلال ٥ أو ٦ أسابيع، وتعتني الذكور والإناث بالصغار بعد الفقس، وعندما تبلغ الصغار شهراً من عمرها تكون قادرة على الجري بسرعة أبويها. وقد يعمر النعام إلى ٧٠ سنة تقريباً، ويطلق على مجموعة النعام التي تعيش معاً الخيط وجمعها خيطان.

ويدافع النعام عن صغاره بأرجله القوية ذات الأخفاف القاسية التي تشبه خف أو منسم الجمل، كل خف به أصبعان ولكن خف النعامة غير كامل الاستدارة كخف الجمل. ولكن النعام مع هذا الشبه بالبعير قالوا عنه في المثل الشعبي «ولد النعامة ياريها ولا يذوقها» فهو ليس كولد الناقة يرضع لبنها، ولكن يساعد النعام في الدفاع عن صغاره ركلا بسيقانه القوية وأخفافه والنقر بالمناقير القاسية المفلطحة غير الحادة وتشبه مناقير الأوز والبط. ويقال إن الذئب لا يتعرض لبيض النعام أو لفراخه ما دام الأبوان حاضريْن، لأنهما إذا رأياه يركله الذكر إلى أن يسلمه للأنثى التي تركله بدورها إلى أن تسلمه للذكر، ولا يزالان به حتى يقتلاه أو يعجزهما هرباً، وقيل إن أشد أعداء النعام -بعد الصيادين بالطبع- هي الريح. ويقال أن كل حيوان إذا كسرت رجله مشى بالأخرى إلا النعام فإنه يبرك إلى أن يموت.

وتوصف النعامة بشدة الحذر، ولذلك تُرى رافعة رأسها وعنقها أغلب الوقت، وقد منحها الله تعالى قوة الشم الحادة حتى قيل إنها تشم رائحة القناص على بعد نصف ميل. وعلى النقيض من ذلك تتهم النعامة بالصمم حيث يقال في المثل «أصم من نعامة» وذلك لأنها لا تلوي على شيء إذا جفلت. ويعتقد بعض أهل البادية أن النعامة إذا أدركها القناص دفنت رأسها بالعشب أو الرمل أو وراء حجر تظن أنها قد استترت منه وهو اعتقاد غير صحيح. وفي الواقع أنها لا تدفن رأسها، بل تقرب رأسها للأرض حتى تتسع مدى الرؤية عندها، لخاصية في عينيها، فتستطيع أن ترى الصائد في أي اتجاه يقدم منه.

وللعرب في النعامة الكثير من الأمثال والأشعار والتشبيهات، والشائع عنها عندهم أنها جبانة حيث ورد فيها المثل «أجبن من نعامة». ويضرب المثل لكل رعديد جبان من الناس. ويقال للمنهزمين «أضحوا نعاماً» ومنه قول بشر:



النعامة حمراء الرقبة

فأما بنو عامر بالنسار
فكانوا غداة لقونا نعاما

ومما قيل في هجاء الحجاج بن يوسف الثقفي:

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة
خرقاء تجفل من صفير الصافر

وقالوا في المثل الشعبي عن الجبان «نعامة ربدا».

ومن جملة العيوب التي ألصقت بالنعامة قولهم لمن يكثر من العلل ولا يأتي بخير: ما أنت إلا نعامة، ويعنون بذلك قول الشاعر:

ومثل نعامة تدعى بعيرا
تعاظمه إذا ما قيل طيري

وإن قيل احملي قالت فإني
من الطير المربة بالوكور

ولا غرو في ذلك، فإن أهل البادية يشبهون النعامة بالإبل أو الخيل لأن لها سيقاناً طويلة تشبه سيقانها ولكن النعامة لا تنفعهم نفعها. وتقول العرب للقوم إذا ظعنوا مسرعين: «خفّت نعامتهم» أو «شالت نعامتهم»، بمعنى تفرقت كلمتهم وزال عزهم وقل خيرهم وولت أمورهم. قال ذو الأصبع العدواني:

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا
فخالني دونه بل خِلْتُه دوني

وقد يضرب المثل «شالت نعامته» عند الموت، لأن الميت يكنون عن موته

بيبس ساقه وارتفاعها فيقولون: شالت نعامته.

وأنشد شاعر آخر في هجاء الفرزدق:

إني قضيت قضاء غير ذي جنف
لماّ سمعتُ ولما جاءني الخبرُ
أَنَّ الفرزدق قد شالت نعامته
وعضّه حيّة من قومه ذكَرُ

ويقولون في المثل «أشرد من نعامة» كما يقولون «أموق من نعامة» وموقها تركها بيضها وحضنها بيض غيرها. كما يقولون للذي يرجع خائباً: جاء أو عاد كالنعامة، لأن الأعراب يقولون أن النعامة ذهبت تطلب قرنين، فقطعوا أذنيها فعادت بلا أذنين وفي ذلك قيل:

أو كالنعامة إذ غدت من بيتها
لتصاغ أذناها بغير أذينِ
فاجتثت الأذنان منها فانتهت
هيماء ليست من ذواتِ قرونِ

وقال شاعر آخر في هذه القصة:

أو كالنعامة كانت وهي سائمة
أذناء حتى زهاها الحينُ والجُبُنُ
جاءت لتشْريَ قرناً أو تُعوضَهُ
والدهر فيه رِباحُ البيع والغبنُ
فقيل أذناك ظلم ثمة اصطلمت
إلى الصماخ فلا قرنٌ ولا أُذنُ

وتوصف النعامة بالغباء والجبن، لذلك يُشبه الإنسان الذي يتصف بالجبن والغباء بأنه نعامة، وهو الشخص الذي يختبئ من مواجهة الخصم.

وتقول العرب في أمثالها: أحمق من نعامة، لنسيان بيضها وحضن بيض غيرها كما ذكر آنفا. قال ابن هرمة:

وإني وتَركي ندى الأكرمين
وقدحي بكفيَ زندا شحاحا
كتاركة بيضها في العراء
وملبسةٍ بيض أخرى جناحا

ومن قوة النعامة أنها تستطيع أن تحمل الإنسان الخفيف الرشيق على ظهرها وتسير به وسط الرمال يساعدها في ذلك خفها الذي يشبه منسم الجمل، والفرس الأصيلة تدعى نعامة لسرعتها وقوة سيقانها، وحسب النعامة أن تكون عند العرب كالفرس أو تُسمى الفرس باسمها، فهذا الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة البكري، وهو حكيم جاهلي كانت في أيامه حرب البسوس، فاعتزل القتال حتى قتل المهلهل ولده بُجيراً، فثار الحارث ونادى بالحرب، وارتجل القصيدة المشهورة التي كرر فيها أكثر من خمسين مرة قوله «قربا مربط النعامة مني»، فلما جاؤوه بفرسه التي أطلق عليها اسم النعامة جز ناصيتها وقطع ذنبها، فأصبح ما فعله عادة للعرب في الجاهلية عند إرادة الأخذ بالثأر.

والواقع أن العرب وخصوصاً أهل البادية أحبوا طائر النعام وعنوا به، ومن أجل ذلك كان له نصيب وافر في الشعر العربي والأمثال العربية بالعامية والفصحى، سواء في التشبيه بلون النعام أو طباعه أو خوفه أو حمقه وضعف عقله. ومع كل ذلك فهناك من يرى أن النعامة جادة في أمرها حيث قيل في المثل «ركب فلان جناحيْ نعامة» إذا جد في أمره، كما قيل: أشم من هيق وأهدى من جمل، والهيْق أو الأهْيَق هو الذكر من فراخ النعامة.

ولعناية العرب الشديدة بالنعام أطلقوا عليه وعلى ذكوره وإناثه وصغاره أسماء تحدد صفاته تحديداً دقيقاً. فهم يسمون النعامة بالقلوص وهي الشابة، والقلوص عند أهل البادية هي المربوطة في أخرى. وهذا الاسم يطلق أيضاً على الناقة الشابة السريعة، ومن أسماء النعام الصعون، والزفزاف والأصلع -وهو دقيق العنق صغير الرأس- والرأل وهو الصغير، والجفان وهو ولد النعام، ويسمى كذلك الخاضب وهو الذي أكل الربيع فاختضبت أرجله بلون النبات، وقد ورد هذا في قصيدة ابن عثيمين يمدح المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز، قال ابن عثيمين:

كأنه خاضب يحدو سفنجة
والدو شاسعة والغيث ينسكب

ويدعى الصعل وهو صغير الرأس، والحتك: فرخ النعام، ويقال للذكر الظليم أي مقطوع الأذنين، وتدعى الأنثى أم البيض، وهاجة، ونعامة، ويقال للذكر نعامة كما أسلفنا، ومن أسماء الذكر الأحص وهو الذي تتساقط أطراف ريشه، والأسك أي صغير الأذن، والأربد أي منكسف اللون تعلو سواده كدرة، والأنثى ربداء، والأزعر الذي تحاتّ ريشه، والأنثى زعراء، والعصوف وهي النعامة السريعة، والهيق أو الأهيق وهو ابن النعامة، وهو كذلك الريل.

وعن الريل يقول محمد بن برجس الشاعر الشعبي:

يهوى كما يهوى من الجو بازي
إلى شهر من فوق واد لي على الريل

وعن الظليم قال الشاعر الشعبي عبدالله بن عويويد متغزلاً:

ياراكبٍ حرٍّ رعى في مشاهيه
ومربّعٍ ما بين مسكه ورامهْ
يشدي ظليمٍ جافلٍ من معاشيه
والا فدانوقٍ عبر له ولامهْ

وعلى المنوال نفسه في الغزل قال عبدالعزيز بن سبيل ذاكراً الربداء من النعام:

فاطري سمحه وممشاها سماحِ
زينة المقدم ومزموم قراها
كنها رَبْدا من الربد المداحي
روّحت للدحو والليل يحداها

والشاعر عروة بن أذينة يشبه في قصيدة له النعام الأربد بالخيام وريشه المخلخل الناعم بالثمام، وهو نبات ضعيف له خوص تسد به فتحات البيوت أو الخيام، وكيف أن صغار النعام تتبع الذكر الأزعر الذي انحتّ ريشه، وشبه هذه الحالة بالسحابة الضخمة التي لا ماء فيها، ويقصد أن الذكر يقود صغاره ولكنه مع ذلك موصوف بالحمق والغباوة:

وترى بها ربد النعام كأنها
جوف الخيام هوى الثمام خلالها
من كل أزعر نقنق ونعامة
تقرو برعلتها الصغار رمالها
مثل الجهامة كلما خلفت لها
أرج العشية راجعت إجفالها
زعر مخرجة الزفوف وربها
في الرأي خفة حلمها وضلالها

أما الشاعر الكميت بن زيد الأسدي فقد قال يخاطب قضاعة، ويشبهها بفراخ النعام:

كأم البيض تلحقه غدافاً
وتفرشه من الدمث المهيل
فلما قيض عن حتك لصوق
بأزعر تحت أهدب كالخميل
كأن القيض رعثه بودع
من التوشيح أو قطع الوذيل
أوين إلى ملاطفة خضود
لمأكلهن طفطاف الربول
تسبع دونهن لكل وحي
تعرض من أزل لها نسول
فلما استرسلت حسبت سواءً
مفارقة الرعيل إلى الرعيل

وأم البيض: النعامة، الغداف: الريش الأسود، الدمث: المكان اللين ذو الرمل، قيض البيض: كسرت قشوره فصارت فلقاً، الحتك: فرخ النعام، الرَعَثُ: القرط، الوذيل: قطع من الفضة المجلوة. يقول: علق في أذن الفرخ قطعة من قشر البيض فكانت كالقرط الموشح بالودع أو أنه من الفضة. الخضود: التي تكسر، الطفطاف: أوراق الغصون أو ما تدلى من الشجر، الربول: شجر شديد الخضرة، الأزل: الذئب، النسول: سريع العدو.

ويقال للنعام «الهراقيل»، وفي هذا المعنى يقول الشاعر محدى (من قبيلة عنزة):

حثّوا مناكب جيشكم بالعقابِ
قلايصٍ ما لاغمن المخاليل

إن روّحن مع سهلةٍ له سراب
عوصٍ يشادن روس ربد الهراقيل

العائلة التدرجية

تتميز أفراد هذه العائلة بأن مناخرها مكشوفة غير مغطاة بالريش، وأن الرسغ والأصابع عارية أيضاً والأقدام مهيأة لنبش الأرض.

وهناك حوالي ١٦٥ نوعاً من هذه العائلة منتشرة في العالم، منها في المملكة أكثر من خمسة أنواع، هي: الحجل، والسمان، والدجاج، والدجاج الحبشي، والطاووس، وغيرها. وأصغر هذه الأنواع طائر السمان الذي يهاجر هجرات موسمية، أما أنواع الحجل والدجاج الحبشي فمستوطنة تقيم في منطقة واحدة ولا تتجول إلا بحثاً عن القوت والماء، وترتاح خلال ساعات الليل، ولها أصوات عالية مميزة.

الحجل. طائر بري بحجم الحمام، جمعه حجلان، وحجلى، والواحدة حجلة. وقد ورد عن العرب القدامى أن الحجل صنفان نجدي وتهامي. فالنجدي أخضر أحمر الرجلين، والتهامي فيه بياض وخضرة. ومن أسمائه الدراج والقبج، وهي كلمة فارسية معربة (أصلها كبج أو كبك). والقبجة تدل على الذكر والأنثى، ومن أسماء ذكوره يعقوب أو اليعقوب، قال الأزهري: الحجل إناث اليعاقيب، واليعاقيب ذكورها. يقال لفرخ الحجل: السلف والسلفة، والسلك والسلكة.

ولحمها أبيض شبيه بلحم الدجاج، ويقال إنه جيد معتدل الهضم، ومرارتها تمنع الغشاوة في العين، وإذا سُعّط بها إنسان في كل شهر مرة جاد ذهنه، وقلّ نسيانه، وقوي بصره. وهو مما يصاد ولكن صيده يحتاج إلى فضل تأن ورويّه، وقالوا في المثل الشعبي «العجله ما تصيد الحجله».



الحجل الرمادي الرأس

قال الأزهري: سمعت بعض العرب يقول «قالت القطا للحجل: حجل حجل، تفر في الجبل، من خشية الوجل. فقالت الحجل للقطا: قط قطا، بيضك ثنتا وبيضي مائتا». وقد ورد ذكر الحجل في الشعر العربي، حيث قال أبو إسحاق الصابي في وصف قبجة (حجلة):

أنعت طارونيةَ الثياب
لابسةً خزاً على الإهاب
تصبغت تَصَبُّغَ التصابي
وأبرزت وجهاً بلا نقاب
ريان من محاسن الشباب
مكحولة العينين كالكعاب
مغموسة الحاجب بالخضاب
منقارها أحمر كالعُنّاب
كأنما تسقى دم الرقاب
محذورةً محميةَ الجناب
لها على الأرجل والأعقاب
حملات ليث من ليوث الغاب
أقفاصها كمحبس الحجاب
مدورات الشكل كالقباب
تسمعنا منها وراء الباب
تمتمة بالقاف في الخطاب
كأنما تقرأ من كتاب
مكرورة زادت على الحساب

وقال آخر مشبهاً مشية محبوبته بمشية القبج (الحجل):

لقاؤك يحكي قضاء الحوائجْ
ووجهك للغم والهم فارجْ
وفيك لنا فتنٌ أربع
تسل علينا سيوف الخوارجْ
لحاظ الظباء ومشي القباج
وطوق الحمام وزي التدارجْ

وقال أبو علي البصير في وصفه للقبجة:

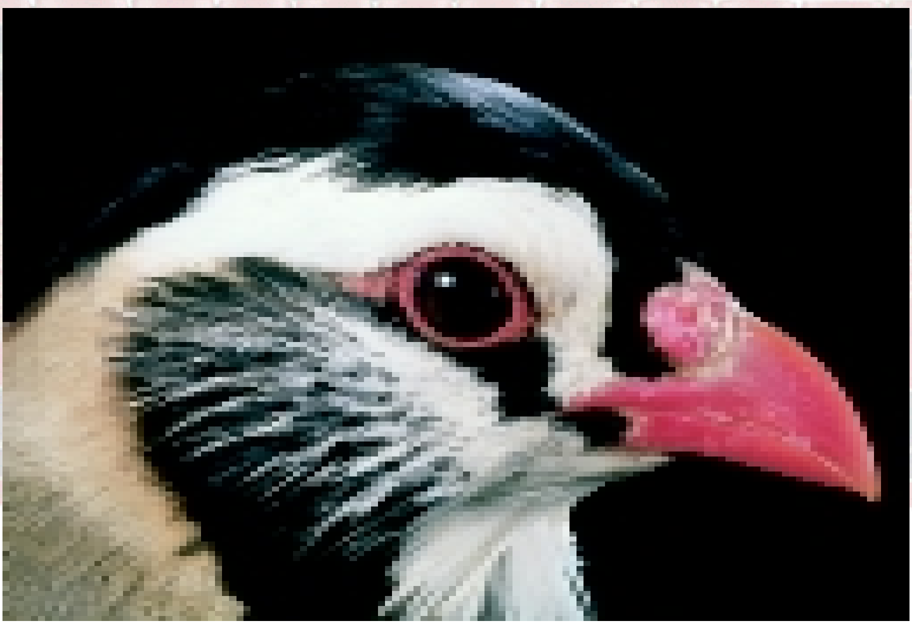
ولابسة ثوباً من الخز أدكنا
ومن أخضر الديباج راناً ومعجراً
مقلدة في النحر سبحة عنبر
على أنها لم تلتمس أن تعطرا
لها مقلتا جزع يمان تحملت
جفونهما من موضع الكحل عصفرا
مطرزة الكمين طرزاً تخالها
بتقويمها من حلكة الليل أسطرا

الران: حذاء كالخف، المعجر: ثوب تشده المرأة على رأسها، أو عمامة يتعجر بها الرجل.

الحجل العربي الأحمر الساق. ينتشر في كل المنطقة الغربية من المملكة، وفي بعض أجزاء من اليمن وعمان، وليس في منطقة نجد. وهو حجل كبير الحجم يبلغ طوله ٣٨سم. يتميز بسواد قمة رأسه وبياض رقبته، وبالخطوط السود، والرمادية، والبيض على جانبيه. ومنقاره وأرجله قرمزية. يعيش بين الجبال والوديان

والمرتفعات ذات الأعشاب والأشجار، وبين المزارع، ويتغذى بالحبوب والأعشاب والنباتات والرخويات، ويتجمع في أسراب صغيرة، تختفي بين الصخور والأعشاب. تبيض الأنثى ما بين ٥ إلى ٨ بيضات. ولهذا النوع أصوات متنوعة حسب الأحوال والظروف. ويتردد على الماء صباحاً أو مساءً. وهو شبيه بالحجل الرملي (الحجل الصغير الحجم) في ألوانه، ويسمى السفع لسفعة خديه، وهناك من يسميه العقب وجمعه العقايب.

الحجل الرمادي الرأس. ويسمى حجل فيلبي. كما يسمى القهبي (الشنار) ودجاج البر أو عير السراة، كما يسمى أيضاً العرفى لوجود عرف من الريش الأسود على رأس الذكر منه. وهو حجل كبير، فوق الحمامة حجماً ويقرب من حجم الدجاجة، يبلغ طوله ٣٤سم. يتكاثر في جنوبي شرق أوروبا والصين، والشرق الأوسط، والمنطقة الغربية والجنوبية الغربية من المملكة، وكذلك شمال اليمن. يتميز عن الحجل العربي بقمة رأسه الرمادية، ورقبته السوداء وبعرض الخطوط على جانبيه، وتلوينها باختلاف تلوين الوجه. يعيش في المناطق التي يعيش فيها الحجل العربي، ويقتات بنوع الغذاء نفسه، ويتردد على الماء.



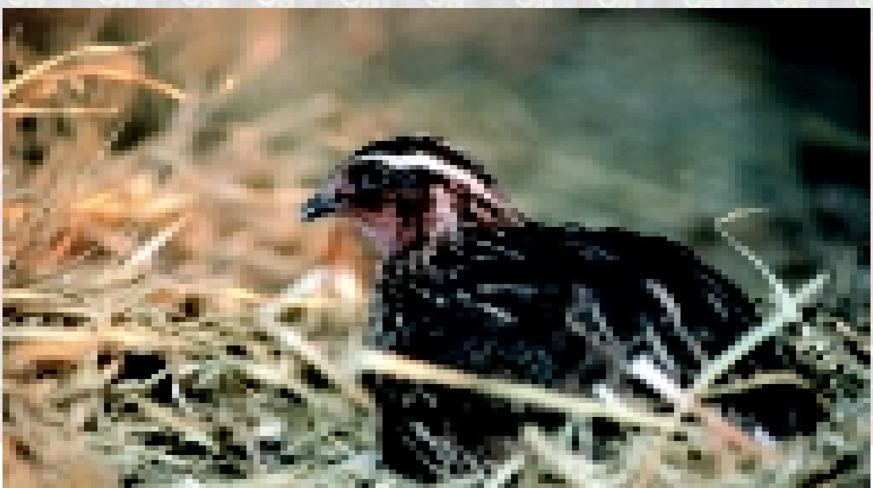
رأس الحجل العربي

وإذا تقاتل ذكران تبعت الأنثى الغالب منهما. وللقهبي شدة شبق، وأفراخه تخرج من البيضة كاسية، وتتبع أمها. ومن طبعه أنه يخدع غيره في قرقرته، لذلك يستخدمه الصيادون في شراكهم.

ويسكن القهبي عادة المناطق الجبلية والوديان، وعلى سفوح الجبال. ولحمه لذيذ جداً، لذلك يبحث عنه الصيادون في كل مكان. وقد أدى الصيد الجائر لهذه الأنواع إلى نقصان شديد في أعدادها.

الحجل الرملي. حجل صغير الحجم، يبلغ طوله ٢٤سم. يتكاثر في عدة مناطق من الجزيرة العربية ومصر والسودان. الذكر أحمر قاتم، وعلى جانبي الرأس خط أصفر، وعلى جانبي الجسم خطوط حمر وسود وبيض. ويعيش في التلال والوديان الصخرية وعلى منحدرات الجبال. يفضل الركض على الطيران، ولكنه سريع الطيران، ولطيرانه صوت غريب، ويطير في أسراب صغيرة. ويتغذى بالمواد النباتية مثل أوراق الشجر والحبوب والثمار. الأنثى معروفة بتظاهرها بأنها مجروحة عندما تحاول تحويل الانتباه عن عشها، وتتردد على الماء مساءً عند الغسق. وتبيض على الأرض ما بين ٤ إلى ٦ بيضات صفر.

السمَّان. طائر صغير الحجم، طوله حوالي ٢٠سم، يتكاثر في أوروبا وآسيا وأفريقيا. يهاجر هجرة موسمية منتظمة من الشمال إلى الجنوب وبالعكس. على



بيئة السمان



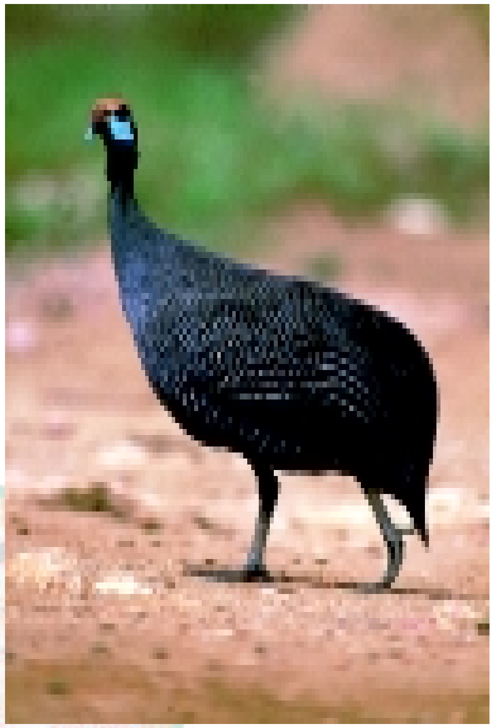
السمان

رأسه خطوط صفر وسود، وبه بقع صفر شاحبة على ظهره الداكن، ويفصل خط داكن على حلقه بين الذقن الشاحب، والصدر البني الأحمر، والبطن الشاحب والجانبين المخططين. يعيش بين الحقول والسهول والمزارع في أسراب، ويقتات بالحبوب والحشرات.

الدجاج الحبشي. وهو من الأنواع البرية من الدجاج، وينتشر في الشريط الغربي من المملكة، خاصة في المناطق الجبلية منها، وهو ذو ريش رمادي غامق مع نقاط بيض، وبعضه رمادي فاتح تشوبه خطوط بيض دقيقة. له عرف صلب الملمس على هامته كأنه القرن، مع جلد أحمر مستدير على خديه مما يلي المنقار من كل جانب. وعرف الذكر أطول من عرف الأنثى، وله هلب مبيَضّ في مقدمة الرأس. يعيش في جماعات، وهو سريع الركض عند مطاردته، وإذا طار فطيرانه سريع، ولكنه قصير المسافة. وفي أيام الحر يمكن الإمساك به بعد أن يطير مرة أو مرتين لمسافة قصيرة. غذاؤه الأبصال والجذور ونحوها وقليل من الحشرات. تبيض الأنثى ما بين ٦ إلى ١٤ بيضة. وهذا الطائر مهدد بالانقراض فقد قلت أعداده في السنوات الأخيرة، وتقلصت رقعة انتشاره نتيجة للصيد الجائر.



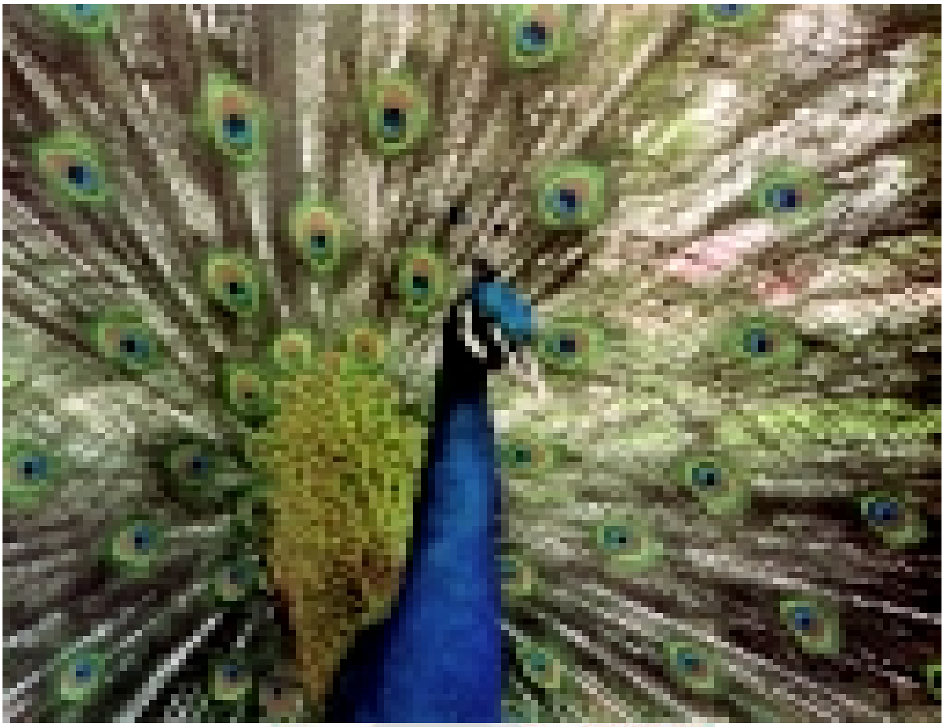
رأس الدجاجة الحبشية



الدجاجة الحبشية

الطاووس. من الطيور الدخيلة التي استوردت إلى المملكة، وكثرت أعداده فيها خصوصاً في المجموعات الخاصة في الحدائق والمزارع. وهو طائر هندي، حسن الهيئة والألوان. الذكر منه في غاية الحسن والجمال. وفي طبعه العفة، والخيلاء، والزهو، وهو من الطير كالفرس من الحيوان. كنيته أبو الحسن، وأبو الوشي، ويعدّ وسطاً بين الأليف والفطري. وهو طائر مشهور بجمال ريشه، خاصة ريش العنق والصدر والذيل، وله على رأسه قنزعة ريشية جميلة، ولون الذكر أزرق مخضر، وفي طرف كل ريشة من ريش الذيل بقعة أو عين ذهبية اللون، فإذا نفش ذيله انفرج على هيئة مروحة متعددة الألوان، وفي المثل الشعبي «أزين ما في الطاووس ذنبه» ولون الأنثى أقتم من لون الذكر وأقل جمالاً. يتغذى بالحبوب والثمار والسمك واللحم. وهناك أنواع كثيرة من الطواويس منها الطاووس الجاوي والطاووس الياباني.

والطاووس طائر خجول، سريع الركض، يطير أحياناً في أسراب صغيرة، يستوطن الغابات الجبلية في الهند وجزيرة سيلان، وفي بعض حدائق الحيوان، وبعض المنازل بالمملكة. ومن طباعه أن الذكر لا يكتفي بأنثى واحدة. والأنثى تبيض حين تبلغ من العمر ثلاث سنين. وفي ذلك الأوان يكمل ريش الذكر، ويتم لونه، وتبيض الأنثى من ٤ إلى ١٠ بيضات، ويقال إنها تبيض بيضة واحدة في كل شهر، فتبيض في السنة اثنتي عشرة بيضة أو أقل، أو أكثر، وتحضن البيض وحدها ولا يساعدها الذكر في ذلك ومدة حضنه ثلاثون يوماً. ويسفد الذكر في أيام الربيع، ويرمي ريشه في أيام الخريف كالشجر، فإذا بدأ طلوع الورق طلع ريشه.



الطاووس

وقد ورد ذكر الطاووس في الأمثال العربية فقيل «أحسن من طاووس» و«أزهى من طاووس». ويضربان مثلاً للإنسان الحسن الهيئة والخلقة. و«أضيع من طاووس في ناووس»، والناووس: مقبرة النصارى. وقد ورد ذكر الطاووس في الشعر العربي حيث قال أمية بن عبد العزيز الأندلسي يصف طاووساً:

أهلاً به عما بدا في مشيه
يختال في حلل من الخيلاء
ناديته لو كان يفهم منطقي
أو يستطيع إجابة لندائي
يا رافعا قوس السماء ولابساً
للحسن روض الحزن غب سماء
أيقنت أنك في الطيور مملّك
لما رأيتك منه تحت لواء

وقال في قصيدة أخرى واصفاً الطاووس:

أبدى لنا الطاووس عن منظر
لم تر عيني مثله منظراً
متوج المفرق إلاّ يكن
كسرى بن ساسان يكن قيصراً
في كل عضو ذهب مفرغ
في سندس من ريشه أخضرا

نزهة من أبصر في طيها
عبرة من فكر واستبصرا
تبارك الخالق في كل ما
أبدعه منه وما صوّرا

وقال آخر يصف الطاووس:

سبحان مَن مِن خلقه الطاووس
طير على أشكاله رئيس
كأنه في نفسه عروس
كأنما يحلو به التعريس
ديباجه تنشره سدوس
في الريش منه ركبت فلوس
تشرق من دراتها شموس
في الرأس منه شجر مغروس
كأنه بنفسج يميس
أو زهر من حزم ينوس

العائلة القطويّة

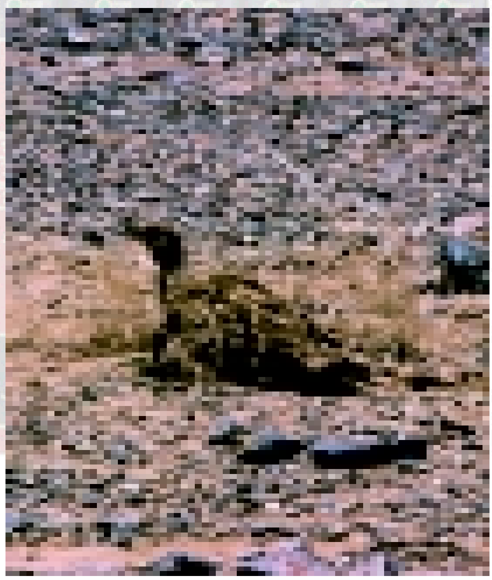
القطا طائر معروف، المفرد قطاة، والجمع قطوات، وقطيات. ولها مِشية مميزة تسمى الاقطيطاء، ويقال: الرجل يقطوطي في مِشيه، والقطوطى: الذي يقارب المشي. ويسمى أيضاً الصقّرد. وللقطا أنواع أشهرها الكُدري، والجوني ويسمى الغطاط. فالكدرّية غبر اللون، رُقش الظهور والبطون، صُفر الحلوق، قصار الذيول، وهي ألطف من الجون. والجونية سُود بطون الأجنحة والقوادم، وفيها طوقان أسود وأصفر، وظهورها غبر رقط تعلوها صفرة، وهي أكبر من الكدريّ. وفي العالم حوالي ١٦ نوعاً تتبع هذه العائلة. ويعيش في المملكة منها خمسة أنواع مقيمة.

وهي طيور متوسطة الحجم، لها رأس صغير، ومنقار قصير، وجسم متين، وجناح طويل ذو طرف أسود، وذيل طويل، ويغطي أرجلها ريش كثيف، وتقتات بالحبوب، وتطير مسافات طويلة في أسراب صغيرة، وترد الماء بانتظام في الصباح ووقت الغروب، وبعض أنواعه يحمل الماء في طيات ريشه ليسقي به فراخه، وتضع الأنثى بيضتين أو ثلاث بيضات على الأرض في واد



بيض القطا

بعيد تغطيه الأعشاب والشجر ولا تضعها قرب الماء. وتكنى القطا بأم ثلاث، لأنها لا تبيض أكثر من ثلاث بيضات. ومما ورد عنها في الحديث الشريف قوله ﷺ «من بنى لله مسجداً، ولو كمفحص قطاة بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة». ومفحص القطا: يراد به المكان الذي تضع القطا فيه بيضها، فهي لا تضعه على الشجر وعلى رؤوس الجبال، بل تضعه على بسيط الأرض. وهي تضع بيضها في الأرض السهلية في حفرة صغيرة تسمى الدحو حيث يجتمع القطا، ويضع بيضه في حفر متجاورة ولا تخطئ القطاة بيضها. ويقال للقطا أمهات الجوزال. والجوزال أفراخها.



القطا

وتوصف القطا بالهداية والعرب تضرب بها المثل في ذلك، وتصفها أيضاً بحسن المشي لتقارب خطاها، وتشبّه مشية النساء الخفرات بمشيتها، وتشجع الأم صغيرها على المشي بهدوء قائلة «هدا، هدا مشي القطا». وتعدّ هي والشاهين أسرع الطيور قاطبة. ويعبر البدو عن دهشتهم من أن القطاة حين تطير نحو الماء، حتى لو على بعد مئة كيلومتر، فإنها لا تتيه أبداً، ولا تنحرف عن الخط المستقيم، لذلك يقال للدليل الحاذق، الذي يعرف الطريق في الفلاة المنبسطة معرفة ممتازة، إنه «دليل قطاوي» أو أدل من قطاة. كما يقال «فلان قطاة» وذلك للرجل الذي يعرف المسالك والدروب ولا يتيه عنها.

والقطا مغرمة بدخول الأحياء، حيث تبحث عن الحبوب. ويعلم بوصولها مباشرة في طول الحي وعرضه، لأنه يسمع هتافها «قطا، قطا». ويقول البدو «جانا القطا له فرقطه» والفرقطة: الصياح الشديد.

وقد وردت القطا في أمثال العرب فقيل «أصدق من قطاة» لأن لها صوتاً واحداً لا تغيره، وصوتها حكاية لاسمها تقول: قطا قطا. و«أنسب من قطاة» لأنها تصوت باسم نفسها فهي تقول: قطا قطا. و«أهدى من قطاة» يضرب المثل بهدايتها

في المجاهل، لأنها تبيض في القفر، وتسقي أولادها من المياه البعيدة في الليل والنهار، فتجيء في الليلة المظلمة وفي حواصلها الماء، فإذا صارت حيال أولادها صاحت: قطا قطا، وهبطت إليهم. و«لو ترك القطا ليلاً لنام» يضرب مثلاً للرجل يستثار للظُلم فيظلْم.

كما ورد ذكر القطا في الشعر العربي، قال العِكَب التغلبي، وقيل المرَّار، في وصف القطا، ويقال إنها أجود قصيدة قيلت فيه:

بلادٌ مروراة يحارُ بها القطا
ترى الفرخ في حافاتها يتحرَّق
يظلُ بها فرخ القطاةِ كأنه
يتيم جفا عنه مواليه مُطرق
بديمومة قد مات فيها وعينه
على موته تغضي مرارا وترمق
شبيه بلا شيء هنالك شخصُه
يواريه قيض حوله متفلِّقُ
له مَحجِر ناب وعين مريضة
وشدق بمثل الزعفران مخلَّقُ
تُعاجيه كحلاءُ المدامعِ حُرة
لها ذنب وحف وجيدٌ مطوَّقُ
سِماكيَّة كُدريَّة عُرعُريَّة
سكاكية غبراء سمراءُ عَسلقُ
إذا غادرته تبتغي ما يُعيشه
كفاها رزاياها النجاءُ الهبنقُّ
غدت تستقي من منهل ليس دونه،
مَسيرة شهر للقطا متعلق

المروراة: المكان الذي لا شيء فيه، الديمومة: المكان الواسع، القيض: قشرة البيضة، المحجر: ما دار بالعين، مخلق: الزعفران، تعاجيه: تعلله، سماكية: علوية ويقال إنه اسم كوكب في السماء، عرعرية: نسبة إلى العرعرة وهي أعلى الجبل أو أعلى كل شيء، السكاكية: نسبة إلى السكاك وهو الجو والهواء بين السماء والأرض، العسلق: الخفيف، الهبنق: السرعة الحمقاء.

وقال أحد الشعراء متلهفاً إلى لقاء الأحبة:

أسرب القطا هل من يعير جناحه
لعلّي إلى من قد هويت أطيرُ

وقال ابن ميادة في تشبيه مشي النساء بمشي القطاة:

إذا الطّوال سَدَونَ المشي في خَطَل
قامت تريك قواما غير ذي أود
تمشي ككدرية في الجوّ فاردةٍ
تهدي سروب قطاً يشربن بالثمد

السدو: ركوب الرأس في السير، الأود: العوج، الكدري: نوع من القطا، الثمد: مكان يجتمع فيه الماء؛ وقال الأخطل من قصيدة له واصفاً بيض القطا:

شفى النفس قتلى من سليم وعامر
ولم يشفها قتلى غني ولا جسر
ولا جشم سر القبائل إنها
كبيض القطا ليسوا بسود ولا حُمر

سليم، وعامر، وغني، وجسر: أسماء لقبائل عربية.

ومن الشعر الشعبي الذي ورد فيه ذكر القطا قول عبدالمحسن بن ناصر الصالح يصف رحلة صيد:

يانهار بالمصيّه يابو خالد جرى
يوم خبرك للفشق بالشوازن دندنه
تضرب السربه وتصبح جنايزها قطا
من يمينك مثل وصف الدبى بالمحذنه
المرام ان الايدام الملوكي ارتهى
زهّدونا في لحوم الغنم والمدهنه
خابرين الحرب من عصر جدتنا هيا
كم طريح من سببنا مصط بالمغرنه

وفي المملكة ستة أنواع من القطا أهمها: القطا المخططة، والقطا الكستنائية البطن، والقطا المرقطة.

القطا المخططة. طائر صغير الحجم طوله ٢٥سم. يتكاثر في أفريقيا، وبعض أجزاء من الجزيرة العربية، وفي إيران والهند، ويقيم في منطقة واحدة، أو يهاجر في رحلات موسمية. ظهره مخطط، وله ذيل مربع، وعلى صدره خطان بارزان. يعيش بالقرب من الجبال والوديان، ويقتات نهاراً، ويردُ الماء يومياً صباحاً ومساءً. وتبيض الأنثى بيضتين أو ثلاث بيضات، وله صوت جميل.

القطا الكستنائية البطن. يسميه بعض أهل البادية الغطاط. طائر يبلغ طوله ٣٢سم، ويتكاثر في أفريقيا وآسيا، وبعض أجزاء من الجزيرة العربية، ولون الظهر بني قاتم، ولون البطن قاتم عند الطيران، كما يلاحظ خط قاتم على صدر الذكر. رأس الذكر أصفر وكذلك الجناح. يعيش على سفوح الجبال، وفي المناطق الصحراوية المفتوحة، يتجمع في أسراب كبيرة، ويشرب الماء يومياً، وله صوت عميق.

القطا المرقطة. ويسمى أيضاً الكدوري أو الكداري. ويبلغ طوله ٣٣سم. على ذيله ريش طويل. ويعدّ هذا النوع أفتح لوناً من بقية أنواع القطا. رقبة الذكر صفراء مع منطقة رمادية زرقاء على العين والصدر، والأنثى منقطة، وفي رقبتها



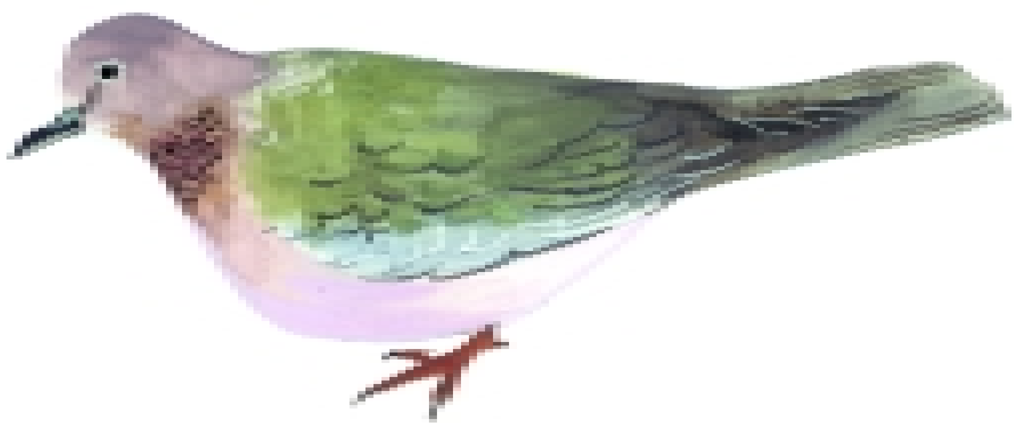
القطا المرقطة

بعض البياض، وهنـاك بقعة سوداء في الجنـسين عـلى الـبطـن. يعـيش فـي الصحاري المفتوحة، ويشرب الماء يومياً.

العائلة الحمامية

الحمام طائر حسن الصوت والهديل والترجيع، ويمتـاز عن غيره من الطيور أنه عنـدما يشرب الماء لا يـرفع رأسه. الحمام مفرده حمامة، وتجمع الحمامة على حمامات، وحمائم. ويطلق على الحمام عند العـرب أسماء كثيرة منهـا الفاختة وجمعها فواخت، وهي ضرب من الحمام المطوق. وقـيل إن الفاختـة مشتقة مـن الفـخت وهو ظـل القمـر. والقـمري وجمعها قماري، والأنثى قمرية. ويسمى الهجف، والكُبُد، والذري (ساق حر)، وورشان. وكنيته أبو زكري، وأبو طلحة، وأبو الأخضر، وأبو عـمران. واليمامة قيل إنها الحمامة البرية. والورقاء الحمامة التي يضرب لونها إلى السواد في غبرة.

وأنواع الحمام كثيرة، فما ألف البيوت منها قسمان: أحدهما بري، وهو الذي يوجد في القرى. والآخر أهلـي، وهو أنـواع وأشكـال، فـمـنه الـرواعـب، والمـراعيـش، والـشداد، والـقـلاب، والمنسوب. ومن طبعه أنه يطلب وكره، ولو كان في مسافة بعيدة، ولأجل ذلك يحمل الأخـبار. ومنه ما يقـطع عشرة فراسخ في يوم واحد، وربما صيد وغاب عن وطنه عـشر سنين وهو على ثـبات عقله، وقوة حفـظه، حتى يجد فرصة فيطيـر ويعود إلى وطنه. وسباع الـطير تطلبه أشد الطلب، وخوفه من الشاهين أشد من غيره، وهو أطير منه، لكن إذا



الحمام الطويل الذيل أو الحمحم

أبصره يعتريه ما يعتري الحمار إذا رأى الضبع، والشاة إذا رأت الذئب، والفأر إذا رأى الهر.

ومن طبعه أنه يبقى مع ذكره إلى أن يهلك أو يُفقد أحدهما، ويحب الملاعبة والتقبيل، ويسفد لتمام أربعة أشهر، ويبيض بيضتين تفقسان بعد أربعة عشر يوماً، ويحضن عشرين يوماً، ويخرج من إحدى البيضتين ذكر، والأخرى أنثى. واتخاذها في البيوت لا بأس به، غير أنه لا يجوز تطييرها والاشتغال بها، والارتقاء بها على الأسطحة، فإن لم يحصل شيء مما ذكر جاز اتخاذها. ولا شيء أبله من الحمام، فإنه تؤخذ أفراخه فتذبح في مكان، ثم يعود في ذلك المكان ويبيض فيه ويفرخ. ولذلك يعتقد بعض عامة الناس خطأ أن الحمامة ليس لها مرارة لكثرة حزنها على فقد فراخها.

في العالم حوالي ٢٥٥ نوعاً من الحمام واليمام، منها حوالي عشرة أنواع في المملكة بعضها مقيمة وبعضها مهاجرة. ومن هذه العائلة أنواع الحمام البري والأهلي والقماري، وكذلك أنواع اليمام، وهي طيور متوسطة الحجم، كثيفة الريش، صغيرة الرأس، قصيرة العنق، لها مناقير قصيرة ضعيفة مستقيمة، وأجنحتها طويلة قوية، وغذاؤها الحبوب والثمار، ونادراً ما تأكل الحشرات، ومعظم أنواعها تأوي إلى البساتين، تتجمع في أسراب، وطيرانها قوي، وتصفق بجناحيها تصفيقاً قوياً، وتبني أعشاشها بين الأغصان في أعالي الأشجار، وتضع بيضتين، مرتين أو ثلاث مرات في العام.

ومن أنواع الحمام، حمام الزاجل. وذكر المؤرخون أن العرب قد استخدموه أثناء الفتوحات الإسلامية، التي امتدت من فارس إلى الأندلس في نقل الرسائل من مكان إلى آخر. واتخذت مصر في القرن الثاني عشر حمام الزاجل بنظام منقطع النظير من حيث الدقة والسرعة، وكان أول من اهتم بحمام الزاجل في نقل الرسائل الحكومية السلطان نور الدين والي مصر عام ١١٤٦م، فأنشأ محطات له في أهم طرق السلطنة، في كل محطة من محطات بريد الحمام برج أو أكثر، وكانت المسافة بين كل محطة وأخرى لا تتجاوز ١٢ ميلاً. وكان اسم السلطان ينقش على منقار الحمامة، أما الرسائل فتكتب بإيجاز وتطوى على شكل أسطواني، وجرت العادة، لزيادة الاطمئنان، أن تكتب الرسالة من صورتين ترسلان مع حمامتين مختلفتين، وتطلق إحداهما بعد ساعتين من إطلاق الأولى.

ساعد حمام الزاجل المسلمين في حروبهم ضد المغول والتتار في سوريا وبغداد، وكان ذلك في عهد العباسيين، وكذلك المماليك، كما استُخدم في نقل عينات الدم من مكان إلى آخر.

ولقد ورد ذكر الحمام واليمام في الأمثال العربية فقيل «آمن من حمام الحرم» لأنها لا تثار ولا تصطاد فهي تألف وتأمن، و«أحمق من حمامة» لأنهم يزعمون أنها لا تصلح عشها، فربما سقط بيضها وانكسر، و«أكذب من فاختة» رموها بالكذب زوراً لأنهم توهموا أنها تقول في هديلها، وهي فوق النخلة، والنخلة لم يخرج طلعها بعد: «هذا أوان الرطب»، فقال شاعرهم:

أكذب من فاختة
تقول وسط الكرب
والطلع لم يبد لها
هذا أوان الرطب

و«أهدى من حمامة» يريدون حمام الزاجل الذي يستعمل لنقل الرسائل إلى مختلف الأقطار. و«كن مع الناس يمامة» يعني كن وديعاً مع الناس وعاملهم بالرفق. كما تغنى كثير من شعراء العرب بالحمام بسبب ما للحمام من قيمة اجتماعية لدى كثير من الناس. فمنهم من يصف الحمام، ومنهم من يشبهه بمحبوبته، ومنهم من يخاطبه، ومنهم من يتخذه صديقاً، ليبوح له بأسراره.

وقد أكثر الشعراء الشعبيون أيضاً من التغني بالحمام. فهذا شاعر شعبي يطلب من الحمام أن يأتي له بأخبار محبوبته، ويرسل أخباره إلى صاحبه:

حمام ياللي بالهوى تكثر الحوم
عطني خبر خليّ وودّه علومي

وشاعر آخر ضاقت به الدنيا من شدة تحمله للدين، فأراد أن يشتكي ظروفه إلى حمامة كانت بجواره فيقول:

قالوا علامك ياالحمامه تونين
تجر صوتٍ يزعج النايمينا
قالت عذابي من عذاب الديايين
والمال خلّص فارغاتٍ يدينا

اشتهر الحمام بين الناس بشدة الوفاء بين الذكر والأنثى، ومن أمثالهم «أوفى من قمرية»، فإذا فقد الذكر أنثاه، حزن حزناً شديداً، وكذلك الأنثى، فإنها تزعج أهل الدار بالنياح. يقول الشاعر نمر بن عدوان في هذا المعنى:

ونيت ونة راعبية حماما
غادٍ ذكرها والقوانيص يرمون
تسمع لها بين الجرايد حطاما
ومن نوحها تدعي المواليف يبكون

وهو قول غير صحيح، فسرعان ما يتخذ الذكر ألـيفةً أخرى بعد فقده أنثاه.

قال عبدالله بن المعتز يصف حمامة:

هـيّجت حُـزنـه حـمامـةُ غـصـن
فـهـو بـاكٍ يـنُـوحُ وهـي تُـغـنـي
زيُّـنت بـاكـتـسـاء وشـيٍ من الـريـ
ـش وطـوقٍ في جـيـدها مُـطـمئـن
واسـتـعـاد الـهـدير مـنـهـا ارتياحٌ
لـجّ حـتـى حـسـبـتـه مـسّ جـنّ
ثـم طـارت وسـافـرت بـجـنـاحٍ
خـلـفـهـا إلـفـهـا كـبـرقـة مُـزن

وقال أعرابي في أصوات الحمام:

ألا يا حـمامـات اللّوى عُـدن عودةً
فـإنّـي الـى أصـواتـكـن حـزيـنُ
فـعدن فـلـمّا عـدن كـدن يمـتـنـنـي
وكـدت بـأسـراري لـهـن أبـين
دعـون بـأصـوات الـهـديـل كـأنما
شـربـن حُـمـيّا أو بـهـن جـنـون
فـلم تـر عيـني مـثـلهن حـمائـماً
بـكـين ولـم تـدمـع لـهن شُـؤون

أما أبو فراس الحمداني فقال يخاطب حمامة وهي تنوح على شجرة، ويتعجب لأمرها، كيف تبكي وهي طليقة فكيف به وهو أسير في السجن:

أقـول وقد نـاحت بـقربـي حـمـامةٌ
أيـا جارتـا هل تـشعـريـن بحـالي
معـاذ الهوى ما ذقـت طارقة الـنوى
ولا خـطـرت مـنـك الهـموم بـبـالِ
أيا جـارتا مـا أنصـف الدهر بـيـنـنا
تـعالـي أُقاسـمك الـهـمـوم تعـالي
أيضـحك مـأسُور وتـبـكـي طـليـقـةٌ
ويـسكـت محـزون ويـندب سـالِ؟
لقد كـنت أولى منـك بالدمع مـقلةً
ولـكـن دمعـي فـي الحـوادث غالِ

وقال النابغة الذبياني في قصيدته:

واحكم كـحكم فتاة الحـي إذ نظرت
إلـى الحـمـام شـراع وارد الـثـمـدِ
يـحـفّـه جـانـبـا نـيـق وتـتـبـعـه
مثل الـزجاجة لم تكـحل من الرّمـد
قـالت ألا لـيـتـما هـذا الحمـام لـنـا
إلـى حـمامـتـنـا أو نـصفـه فـقـدِ
فـحسَّـبـوه فألـفوه كـمـا حسـبـت
تسـعا وتسـعين لم تنقص ولم تـزدِ
فـأكمـلت مـئـةً فيـهـا حـمامـتـهـا
وأسرعـت حسـبةً فـي ذلك الـعددِ

الثمد: الماء القليل، فتاة الحي: هي زرقاء اليمامة، النيق: الجبل، فقد: فحسب؛ وقال عبدالله بن الدمينة، وقيل مجنون ليلى في الورقاء، وهي الحمامة:

ألا يا صبـا نجد متى هجـت من نجد
لقد زادنـي مسراك وجداً علـى وجدِ
أإن هتفـت ورقاء في رونق الضـحى
علـى فنن غـضٍّ النبات من الـرّندِ

بكـيت كما يـبكي الولـيد ولم أكـنْ
بجـلد وأبديـت الذي لم أكنْ أبـدي

ومن الأساطير ما يُحكى أن حمامتين ذكراً وأنثى ملآ عشهما من حبوب الحنطة. فقـال الذكر للأنـثى: إنا إذا وجدنـا في الصحارى ما نعيش به فلسنا نأكل مما معنا هنا شيئاً. فإذا جاء الشتاء، ولم يكن في الصحارى شيء، رجعنا إلى ما في عشنا فأكلناه. فرضيت الأنثى بذلك وقالت له: نعمّا رأيت. وكان ذلك الحَب نـديّا حين وضعاه في عشهما، فانطلق الذكر فغاب، فلما جاء الـصيف يبس الحب وتضمر. فلما رجع الذكر رأى الحب ناقصاً. فقال لها: أليس كنا أجمعنا رأينا على ألا نأكل منه شيئاً فلم أكلتِه؟ فجعلت تحلف له أنها ما أكلت منه شيئاً، وجعلت تتنصل إليه فلم يصدقها، وجعل ينقرها حتى ماتت. ولما جاءت الأمطار، ودخل الشتاء تندى الحب، وامتلأ العش كما كان. فلما رأى الذكر ذلك ندم، ثم اضطجع إلى جانب حمامته وقال: ما ينفعنـي الحَبُ والعيش بعدك، إذا طلبتك فلم أجدك، ولم أقدر عليـك، وإذا فكرت في أمرك وعـلمت أني ظلمتك، لا أقدر على تدارك ما فات، ثم استمر في حزنه حتى مات.

ومن أنواع الحمام المعروفة في المملكة ما يـلي: حـمام الصـخر، والحـمامة المطوقة، وقمرية النخل، والحمام الطويل الذيـل، والحمامة الخـضراء. وفي كل منطقة أسماء لهذه الأنواع، ففي نجد عدة أنواع من الحمائم البرية، وهي: القوسي أو القوقـسي وهي من حمائـم النخيل وتشتهر بشدة الحذر، والخضاري وتعيش في الجبال والآبار المهجورة، والدردري.

حمام الصخر. يسمى أيضاً السوادي والولع. طوله ٣٣سم، ويتكاثر في كثير مـن البـلـدان الأوروبيـة والآسيـويـة والأفريقية، ويعدّ طائراً مقيماً في كثير من مناطق المملكة، يتميز بريشه الرمادي الضارب إلـى الزرقة، وتحيـط بمؤخرة العنـق ومقدمة الـصدر بقع أرجـوانية مخضرة لامعة، ويكثر وجوده في الآبار وأحقاف الجـبال. ويعيـش بين الجبال وعلـى السـواحل والجـزر والبسـاتين والبيوت المهجورة، وأصبح الآن يألف



حمام الصخر (الولع)

الناس، وازدادت أعداده. ويضع أعشاشه في أعلى أسطح المنازل، وفي الجسور، وفي كهوف الجبال، ويكثر في الآبار والبيوت المهجورة، ويصاد ليلاً بوضع شبكة على مخرجها ثم يضاء النور فيمسك به.

القوقسي. وهي الحمامة المطوقة، وهي طائر طوله ٣٢سم، يتكاثر في معظم البلدان الآسيوية، والأوروبية والأفريقية، كما أن بعض أفراده تتكاثر في كثير من مناطق المملكة، خاصة في المنطقة الوسطى. وهو حمام كبير رمادي أسمر إلى شاحب اللون، له طوق أسود على ظهر الرقبة، ويعيش بين الأشجار، فيبني أعشاشه على الأشجار الصغيرة وأشجار النخل ويقتات بالحبوب في المزارع.

القميري. وهي قمرية النخل، وهي طائر طوله ٢٧سم، ويتكاثر في كثير من بلدان العالم. ويعد طائراً مقيماً في المملكة شائع الانتشار في أغلب مناطقها. بدأت بعض أفراده تغزو المدن والمنازل. وهو طائر صغير الحجم خفيف الجسم، يسوده اللون الوردي الأسمر. لون العنق وأعلى الصدر بنفسجي باهت، وأرياش الذيل الخارجية لها أطراف بيض. يتغذى بالحبوب، ويضع بيضه على النخيل، والأشجار الأخرى.



الحمامة المطوقة (قوقسي)

وتصدر القماري أصواتاً جميلة، ويقولون إنها بصوتها تنادي العشاق فتقول «يا قيس، قم يا قيس قم». ولهذا ناجاها الشعراء الشعبيون. فمن ذلك ما قال رضا -وهو عبدالعزيز الفايز- على المربوع:

اشجار مختلف الثمر والنبانيب
وهافت من اطراف الشباب النبانيب
غنى الحمام بناعمات النبانيب
وجاوبت من هجر النيا ورق الاطيار

ولغيره:

غنى القميري على هدب الجريد وناح
بالصوت يزعج لمن سمعه إلى ناحي

وقال آخر:

حمام ياللي بقيفان الطرب غنى
من فوق حدب الجرايد طوح اصواته
بالله يالقميري تنتزح عنا
خل الطرب والولع ما ذي بحزاته

وهناك معتقدات لدى أهل الأرياف، أنه إذا وقع القمري على بيت أحدهم أو قريب منه وتغنى بصوته، فإنهم يتوقعون قدوم ضيف أو غريب أو عودة غائب من بلاد بعيدة.

الحمحم. وهو الحمام الطويل الذيل. وهذا اسمه عند أهل البادية، وفي الحجاز يسمى السيسبان. يبلغ طوله ٢٨سم، ويتكاثر في أغلب الدول الأفريقية، وفي جزيرة العرب. وهو صغير الحجم، وذيله أسود طويل، ويمتاز الذكر بسواد وجهه، وبياض أسفله، ومنقاره برتقالي، أما الأنثى فذات منقار داكن، ووجهها ليس أسود. يظهر هذا النوع بسرعة ويختفي بسرعة، ويعيش في الأماكن البرية الجافة.

الحمامة الخضراء. طائر يبلغ طوله ٣٢سم، ويتكاثر في أفريقيا، وبعض أجزاء من جزيرة العرب. ويمتاز بأن أعلاه أخضر، وأسفله أصفر، وعلى كتفه رقعة بنفسجية. يفضل العيش على الأشجار، ويعيش في المناطق الجنوبية الغربية من المملكة.



الحمامة الخضراء

العائلة الهدهدية

تضم هذه العائلة نوعاً واحداً في المملكة وهو:

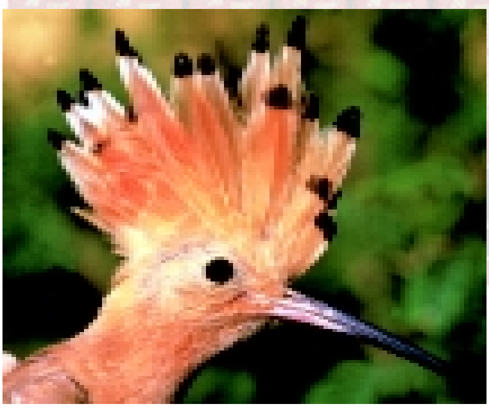
الهدهد. ويسميه أهل الجزيرة العربية الودْ ود يبلغ طوله حوالي ٣٠سم. يتكاثر



الهدهد

في أوروبا وآسيا وأفريقيا. ويهاجر هجرة موسمية، ويتكاثر في كثير من مناطق المملكة، خاصة الجنوبية الغربية منها. وهو طائر يسهل التعرف عليه، ذو لون بني فاتح مع خطوط سوداء وبيضاء على الأجنحة والذيل، ومنقاره طويل، وله عرف طويل على رأسه، ويعيش في الأماكن البرية والمزارع وحول البيوت، وطيرانه متموج، ويقتات بالحشرات على الأرض، ويبيت على الأشجار، ويبني عشه من الأعشاب النباتية والريش، بين الصخور أو في البيوت القديمة، وتبيض الأنثى ما بين ٤ إلى ٦ بيضات. وينسب اسمه إلى صوته المشهور. وعشه كريه الرائحة بسبب تراكم فضلاته وفضلات أفراخه فيه. كما يفرز الهدهد من غدته الزيتية إفرازات كريهة الرائحة، حماية لفراخه من الضواري والجوارح.

وقد ورد ذكر الهدهد في الأمثال العربية حيث قيل «أبصر من هدهد» لأنه كما يزعمون: يرى الماء في باطن الأرض كما يراه الإنسان في باطن الزجاجة وذلك لحدة بصره. و«أنتن من هدهد»: لأنه منتن البدن من ذاته. وتزعم العرب الأوائل في قصصها أن القنزعة التي على رأس الهدهد هي ثواب من الله تعالى له على ما كان من برِّهِ لأمه. لأنه جعل قبرها على رأسه بعد موتها، فهذه القنزعة عوض تلك الوهدة. ويروى أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام: أريد أن تكون في ضيافتي. قال أنا وحدي؟ قال بل معك جنودك في جزيرة كذا، في يوم كذا. فحضر سليمان بجنوده هناك.



القنزعة على رأس الهدهد

فاصطاد الهدهد جرادة ثم خنقها ثم رماها في البحر. وقال كل يا نبي الله، ومن فاته اللحم نال من المرق، فضحك سليمان وجنوده من ذلك.

وهو من رسل سليمان عليه الصلاة والسلام. وسبب غيابه، حين سأل عنه النبي سليمان ولم يجده، أن هدهداً من سبأ أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا، فذهب لينظر، فدخلت الشمس من مكانه، فرآها سليمان عليه الصلاة والسلام، فتفقده وطلبه فلما حضر قال: يا نبي الله إني رأيت كذا وكذا، وقص عليه القصة. وقد وردت هذه القصة في القرآن الكريم في سورة النمل (٢٠-٢٤) ﴿وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين. لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين. فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبأ يقين. إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم. وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدونَ...﴾. وكان الهدهد سبباً في هداية بلقيس وقومها. ويقال إنه قال لسليمان عليه الصلاة والسلام لما أراد تعذيبه: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى. فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه.

وقد ورد ذكر الهدهد في الشعر العربي. قال الشاعر أبو الشيص الخزاعي (محمد بن عبدالله بن رزين) في وصف الهدهد:

لا تأمنن على سري وسركم
غيري وغيرك أو طيِّ القراطيس
أو طائراً سأحليه وأنعته
ما زال صاحب تنقير وتدسيس
سُود براثنه ميل ذوائبه
صفرٍ حمالقه في الحسن مغموس
قد كان هم سليمان ليذبحه
لولا سعايته في ملك بلقيس

أما الشاعر أمية بن أبي الصلت، فقد زعم أن النتن في الهدهد، هو بسبب نقله لجنازة أمه:

غيم وظلماء وغيث سحابةٍ
أزمان كفّن واستراد الهدهد
يبقي الفرار لأمه ليجنها
فبنى عليها في قفاه يمهد
مهداً وطيئاً فاستقل بحمله
في الطير يحملها ولا يتأود
من أمه فجزي بصالح حملها
ولداً وكلف ظهره ما يعقد
فتراه يدلج ماشيا بجنازة
بقفاه ما اختلف الجديد المسند

والمسند هو الدهر. وقال شاعر آخر في وصف الهدهد مشيراً إلى حدة بصره وأنه يستطيع أن يرى الماء في باطن الأرض، كما يراه الإنسان داخل الزجاجة:

كأنه إذ أتاه من قرى سبأ
مبشراً قد كساه تاج بلقيس
يبدو له فوق ظهر الأرض باطنها
كما تبدت لنا الأقذاء في الكوس

ومن الخرافات الشعبية عند البدو أن الهدهد قتل أمه وأباه. لذا فإنهم يسمونه «ذباح أمه وأبوه». وهم لا يأكلون لحمه بأي حال من الأحوال. وبعض البدو يتشاءمون منه، فإذا رأوه قادماً من جهة الغرب مثلاً، قالوا سوف تأتيكم رياح شديدة من هذه الجهة. وآخرون يتفاءلون به ويحترمونه، لأن اسمه ورد في القرآن الكريم في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام. ويقولون: إذا بَخَّر البيت بريشه طرد الهوام عنه. وعينه إذا علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه، وريشه إذا حمله إنسان وخاصم، غلب خصمه، وقضيت حاجته، وظفر بما يريد. ولحمه إذا أكل مطبوخاً نفع من القولنج، وإن بخر بمخه برج حمام لم يقربه شيء يؤذيه، وعظامه تستخدم في معالجة السحر.

عائلة البطيات

هي أنواع دخيلة كلها، ليست أصلاً في المملكة وإنما استوردت إليها ليستمتع بمرآها في البيوت فهرب بعضها وتكاثر في الطبيعة وأصبحت من الأنواع الموجودة في المملكة.

جاء ذكر البط والإوز في بعض كتب العرب القديمة فقيل إن الإوز طائر مائي واحدته إوزة. وقد جمعوه بالواو والنون فقالوا إوزون. ويسمى أيضاً البط، ويقال الوز، والبطة اسم للذكر والأنثى جميعاً، وقيل إنها سميت بذلك حكاية لأصواتها. وقد ذكر البط في الأمثال حيث قيل «أو لـلبط تهددين بالشط»، وهذا المثل ورد في رسالة لأبي الحسن سنان بن سليمان بن محمد، صاحب قلاع الإسماعيلية، أرسلها إلى السلطان نور الدين محمود بن زنكي يَرد فيها على تهديدات السلطان.

تضم هذه العائلة أنواعاً كثيرة من البط والإوز، معروف منها في المملكة حوالي ١٢ نوعاً. تعيش الأفراد من أنواع هذه العائلة في أسراب، وتهاجر هجرة موسمية منتظمة خلال فصلي الخريف والربيع، ولا ينقطع تصفيقها أثناء الطيران. وهي طيور مائية ذات ساقين قصيرتين، وأصابع مكففة، وعنق



البط الرمادي

طويل، ومنقار يتميز بعرضه. وعلى أطرافه صفائح رقيقة، على هيئة فرشاة، يصفي بها الطائر غذاءه من الماء.

والبط أصغر حجماً من الإوز وأقصر منه ساقاً. ويختلف لون ريش البط من وقت إلى آخر، خاصة أثناء فترة التزاوج، وذكور البط أزهى لوناً من الإناث. وللبط، في أغلب الأحيان، بقعة زاهية اللون على الجناح، تعرف بالشريط الجناحي. وبعضها يتغذى بما يطفو على سطح الماء، أو يغوص للغذاء، وبعضها الآخر يتغذى بالنباتات البرية.

أغلب طيور الإوز تعيش على هيئة زوجين، خاصة في فصل التزاوج. ويعود السبب في ذلك إلى أن الأنثى تجد صعوبة كبيرة في بناء العش، وحضن البيض، ورعاية الصغار وبعض المتطلبات الأخرى، ويظل هذان الزوجان أحدهما مع الآخر من دون أن يفترقا، وإذا مات أحدهما فإن الآخر يبقى وحيداً إلى أن يموت، وخلال فصل التزاوج، يدافع ذكر الإوز عن عشه بكل قوة. وغالباً ما يهاجم الدخلاء، وإن فاقوه حجماً، كالإنسان مثلاً، مستخدماً أجنحته التي يضرب بها بشدة، وعندما يفقس البيض، تترك الصغار العش وتتبع أبويها.

ولقد ورد ذكر الإوز في الشعر العربي، كقول أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني في وصف فحل إوز:

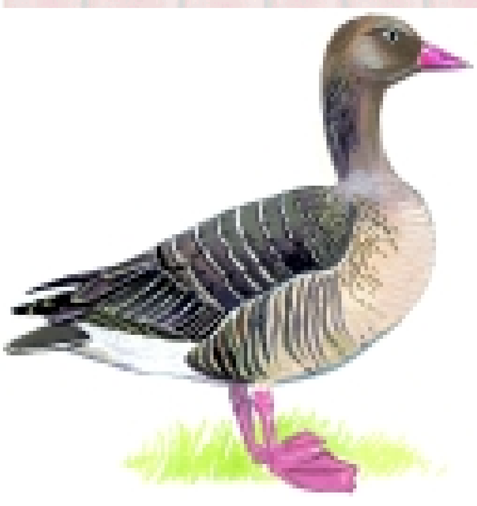
نـظرت إلـى فـحل الإوزّ فـخـلـتـهُ
من الثّقل فـي وحلٍ وما هو بالوحل
يـنقـل رجـلـيه عـلـى حـين فتـرةٍ
كمنـتعل لا يحسنُ المـشي في النّعل
لـه عنـق كـالـصولجـان ومـخـطمٌ
حكى طرف العرجون من يافع النّخل
بـداخلـه زهـوٌ فـيلـحـظ من عـلٍ
جـوانـبـه ألحـاظ مُـتّهـم الـعـقـل
يـضم جـنـاحـيه إلـيـه كمـا ارتدى
رداءً جديداً مـن بني البدو ذو جـهل

يصف الشـاعر مشية فحـل الإوز، فهو حينما يمشي يتثاقل، كمن يمشي في أرض موحلة، حيث ينقل رجليه واحدة بعـد الأخرى، وقد شـبَّه تلـك المشيـة بشخص يلبس نعالاً لكنه لا يحسن المشي فيها، ويستطرد الشاعر في وصف ذكـر الإوز وأن له عنقاً طويلاً رفيعاً يشبه عصا الملـوك، وله نهـاية معـقوفة (مـقبض العصا)، كما شبه رأسه بطلع النخل في بدايته، ولاحظ الشاعر حركات الغرور والاعتزاز بالنفس على فحل الإوز، فشبه هذه الحركات بشخص فَقَدَ عقله وأخذ ينظر إلـى نفسه يمنة ويسـرة، ويستطرد الشاعر في وصف فحل الإوز حيث يقول إنه يضم جناحه تارة ويفردها تارة أخرى، وقد شبَّه هذا النوع من السلوك بشخص بدوي يلبس لباساً جديداً لأول مرة.

تعيش طيور الإوز والبط في الخلجان والمستـنقعات والأوحـال والرمال علـى شواطىء البحار، وفي السدود والبحيرات والأنهار، كمـا تعيش في المياه الدائـمة والحقول الخضر.

وتضـم هذه العائـلة حوالـي ١٤٢ نوعاً، شائعة الانتشار في أوروبـا وآسيا وأفريقيا وأمريكا، ويزور عدد كبـير من أنواعها أراضي المـملكة كل عام، ومن هـذه الأنـواع الإوز الرمـادي، والإوز العراقي، وطائر البِرْكَة، والبط الأخضر العين، والبط الطويل الذيل.

الإوز الـرمـادي. طـولـه حـوالـي ٨٩سم. يتكاثر في أوروبا وآسيا، حيث يعيـش بالعراق وإيران وشمـال الهند، ويهاجر هجرة موسمية إلى شمال أفريقيا



الإوز الرمادي

والخليج العربي والجزيرة العربية، وهو طائر كبير الجسم لونه رمادي بني، وقوادم الريش شاحبة، ومنقاره غليظ وردي، طرفه أبيض، وأقدامه وردية ذات أصابع محاطة بغشاء جلدي تساعده في السباحة. ويتغذى بالأعشاب المائية والبرية.

الإوز العراقي. طوله ١٢٢سم، ويتكاثر في المملكة وفي كثير من أقطار أوروبا وأفريقيا وآسيا، ولون الطائر العام أبيض. ومنقاره أصفر وله قاعدة وأطراف سود، ورقبة طويلة منحنية، ورجلاه قصيرتان سوداوان، ويتغذى بالأعشاب المائية والبرية.

طائر البرْكة. طوله ٥٨سم، ويعرف في مصر بالبط الخضيري، وفي الشام بالشريف الخضري، وفي العراق بالخضيري، ويتكاثر في أوروبا وشمال غرب أفريقيا وفي فلسطين وإيران، وهو طائر مهاجر يزور كثيراً من مناطق المملكة، خلال فصلي الشتاء والربيع. يتميز الذكر برأس أخضر، وطوق أبيض حول العنق، جسمه رمادي، وذيله أبيض وأسود، ومنقاره عريض أصفر، وهناك منطقة صغيرة زرقاء على حواف الجناحين، أما الأنثى فلونها العام بني مبرقش ببعض البقع السوداء، ومنقارها رمادي، يعيش هذا الطائر في المناطق ذات الخلجان والمستنقعات والسواحل والسدود والأنهار، ويتغذى بالأعشاب المائية والأسماك الصغيرة.

البط الأخضر العين. طوله ٣٦سم، ويتكاثر في أمريكا وأوروبا وآسيا، ويقوم برحلات موسمية إلى أفريقيا والجزيرة العربية، للذكر رأس بني فاتح به شريط أخضر حول العين، وطرف أصفر ممتد على جانبي الرأس، ولون الذكر رمادي، وعلى أطراف الجناح بقعة خضراء، وصدره أصفر، وبطنه أبيض، وذيله أسود مصفر، أما الأنثى فهي بنية، عليها بعض البقع السود، وبطنها مبيض ضارب إلى الصفرة، ويعيش قرب الجداول والأنهار والمستنقعات ومياه الوديان الضحلة والسدود. ويتغذى بالأعشاب والنباتات.

البط الطويل الذيل. طوله ٦٠سم، ويتكاثر في أمريكا الشمالية وآسيا وأوروبا، وله هجرة موسمية إلى الجزيرة العربية، وهو أكبر الأنواع التي تعيش على سطح الماء، له عنق ومنقار طويلان، وذيل طويل مسنن، ويمتاز الذكر بخط أبيض على جانبي العنق يمتد إلى بطنه الأبيض، وبقعة خضراء على حواف الجناح، أما الأنثى فهي بنية شاحبة

مبرقشة، ولهـا بطن أبيض. وتمتاز عن غيرها من أنواع البط بطول عنقها، وذيلها المسـنن، ويعيـش قريـباً من الخـلجان والمستنـقعات ومياه السـواحل والسدود وغيرها، ويتغذى بالأعشاب الطافية على سطح الماء.

عائلة الببغاوات

وتضم أنواعاً دخيلة ليست أصلاً في المملكة، بل استوردت من الخارج للتمتع برؤيتها في البيوت، فهـرب بعض منها إلى البرية وتكاثر فيها، وأصبحت بذلك من بين الأنواع الدخيلة في المملكة.

طيور معـروفة دمثة الطبـاع سريعة الفهم، لـها قابلية كـبيرة على محاكـاة الأصوات، وقبول التلقين. قال الزبيدي في تاج العروس البَبْغاء بفتح فسـكون، وقد تشدد الباء الثانية. وقال الشيخ محمد رضا في معجم متن اللغة الببغاء دخيلة هندية. جمعه «ببغاوات» ويعرف بالدرة. وقال الشرتوني في أقرب الموارد الببغاء، وتفتح الباء وتـشدد مفتوحة، طائر من أشهـر أوصافه أنه يـسمع كلام الـناس فيعيـده، ويشبه به من حـفظ كلاماً لا يدري مـعناه. والبـبغاء، طـائر هندي وحبـشي. في لونـه الأخضر والأغـبر والأسود والأحمر والأصفر والأبيض.

وهذه الألـوان كلهـا قليـلة نـادرة، إلا الأخضر والأغبر.

في العـالم حوالي ٣٣٠ نوعـاً من الببغاوات، تستوطن الغابات الاستوائية، وهي متبـاينة الحجم. لها منـقار قصير معقوف قوي للغاية، وجناحاها قصيران مستـديران، وبعضـها له ذيل طـويل. وساقاها قصيرتان، ولها أصبعان أماميان، وأصبعان خلفيان، تساعدها في الجـثوم والتعلق بالأغصان وتناول الطعام. تتجمع في أسراب صاخبة وتبني أعشاشهـا في الفجوات بين الأشجار، وطيرانها قوي سريع، وبعضها يرحل رحلات موسمية. ولبعض الأنواع أصوات جميلة، تدخل البهـجة والسرور إلى النـفس، كما أن لبعضها القـدرة على محاكاة ما تسمعه من كلام بأي لغة كانـت. ولذا سميت المقلِّدة. ويقال إن بعضاً منها يقرأ القرآن. وكثرت تربية هذا النوع بالمنازل، وحدائق الحيوان، وبعض الأنواع لها أصوات حادة صاخبة.

والببغاوات طيور دخيلة على المملكة تكاثرت في بعض مناطقها، خاصة في واحات الأحـساء، حيث تـكثر زراعة النخيل والفواكـه. وأصلها طيور هاربة من المـنازل الـتي أحضـرت إليهـا من الخارج. وأوجدت مشكلة للمزارعين لما

تسببه من ضرر بإتلافها لكثير من الثمار، خاصة التمور.

وقد ورد ذكر الببغاء كثيراً في الشعر العربي. من ذلك الأبيات التي وصف فيها الشاعر أبو إسحاق الصابي الببغاء حيث يقول:

أنعتها صبيحة مليحة
ناطقة باللغة الفصيحة
غدت من الأطيار، واللسان
يوهمني بأنها إنسان
تنهي إلى صاحبها الأخبارا
وتكشف الأسرار والأستارا
سكاء إلا أنها سميعةْ
تعيد ما تسمعه طبيعةْ

وفي هذه الأبيات يقول الشاعر، أن لسان الببغاء يوهم بأنها إنسان، لما تميزت به من فصاحة في النطق وقدرة على ترديد ما تسمعه من كلام، وما تنقله من أخبار وتكشف من أسرار. على الرغم من أن فتحة أذنها صغيرة إلا أنها شديدة السمع.

ويستطرد الشاعر في وصف الببغاء حيث يقول:

زارتك من بلادها البعيدة
واستوطنت عندك كالقعيدة
ضيف قراه الجوز والأرز
والضيف في أبياتنا يُعَزُّ

وهذا الشاعر يشبه الدرة الآتية من بلاد الهند بالمرأة القعيدة في البيت، ويشير الشاعر أيضاً إلى مكانة الببغاء حيث شبهها بالضيف، الذي لا بد أن يكرم وأن يقدم له أطيب الطعام.

ويستطرد الشاعر في وصف الببغاء فيشبه منقارها المقوس باللؤلؤة المزدانة بحجر العقيق، وأن عينها تشبه الفصوص الصغيرة، التي تضيء في الظلام:

تراه في منقارها الخلوقي
كلؤلؤ يلقط بالعقيق
تنظر من عينين كالفصين
في النور والظلمة بصاصين

أما الشاعر أبو الفرج فقد كتب عدة أبيات في وصف الببغاء، نورد منها:

أهدي لها من كل نعت أحسنه
وصفتُ من حلي المعاني أزينه
تميزت في الطير بالبيان
عن كل مخلوق سوى الإنسان
تحكي الذي تسمعه بلا كذب
من غير تغيير لجد أو لعب

والشاعر هنا يؤكد أن الببغاء تميزت عن سائر المخلوقات، خلاف الإنسان، بأن لها القدرة الفائقة على النطق، وترديد ما تسمعه من كلام سواء أكان هذا الكلام يصدر عن جِدٍّ أم هزل. يكنى بعض الأشخاص بالببغاء، وهم الذين ينطقون

الكــلام ولا يعرفــون معنــاه. والببغــاء مشهورة بأنها تُقتنى في البيوت، من أجل أدخال السرور والبهجة إلى النفس.

ومن أنواع الــببغاوات الشــائعة في المملكة: الببغاء الأخضر المطوّق، والببغاء الأسترالي، والببغاء الرمادي الإفريقي. وكلها أنواع دخــيلة مستوردة هاربة من البيوت.

البــبغاء الخضــراء المطوقــة. وتسمــى الدرة الخضراء. وهي طائر متوسط الجرم يبلغ طوله ٢٤سم، لونه أخضر ضارب إلى الصفرة وله منقار أحمر وذيل طويل، وللــذكر ذقــن وطوق أسودان، ورقــبة وردية، ومنــقار الأنثى وردي. يتــغذى الحبوب والثمار الجافــة والرطبة، ويبنى



الببغاء الأخضر

أعشاشــه في بداية فــصل الربيــع على الأغصــان أو في البيــوت القديمة وبــين صخور الجبال أو في الأقفاص. تبيض هذه الببغاء من ٣ إلى ٦ بيضات صغيرة، ولها القدرة على محاكاة النطق إذا أعطيت العنايــة الصحيحة. ويــفضل أن تؤخذ صغيرة وأن تبعد عن الطيور الأخرى.

الببغاء الأســترالي. ويسمى العاشــق والمعشــوق. وهو نوع أسترالي الأصــل والموطــن، ويربى في المــنازل وحدائــق الحيوان العامة. ويتدرج لونه من الأصفر إلى الأزرق والأخضر، وهو طائر ذكي نشط من السهل العنايــة به، وهو ناطق جيد إذا درب بعناية، ويتغذى على خليط من البذور وبعض الخضراوات الطازجة. تبيض الأنثى ما بين ٤ إلى ٦ بيضات.

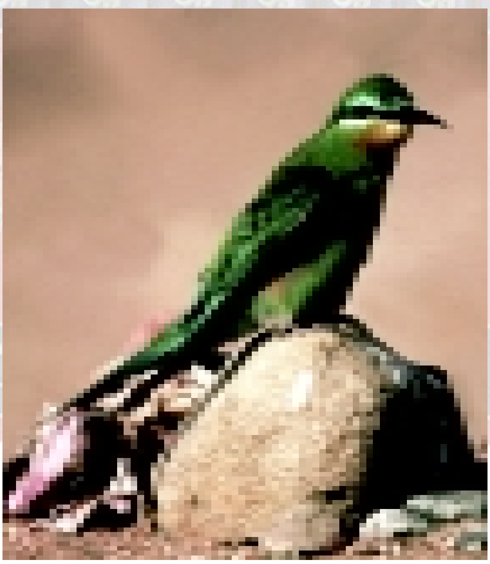
الببغاء الرمادي الأفريقي. يعيش في وسط غرب أفــريقيا، ويقــطن الغابات والحقول. لون الجسم العام رمادي، مع بعض البقع السوداء على الرقبة، وأطراف الجناح سوداء، أما الذيل فأحمر، والبطن والصدر مائلان إلى البياض، ومنقاره قوي مقــوس أسود. ويعدّ الــببغاء الــرمادي الأفريقي أحد أفضل الطيور النــاطقة إن لم يكن أفضلها على الإطلاق. ويبدي مهارة فائقة في ترديــد الكلمات وتقليد الأصوات. وكثيراً ما يرى في حياته البرية

في أسراب صغيرة تبحث عن غذائها في حقول الحبوب. تضع الأنثى من ٣ إلى ٤ بيضات، ومدة الحضن ٣٠ يوماً، وتبقى الفراخ في العش ٨٠ يوماً. ويربى الببغاء الرمادي للزينة طائراً أليفاً في المنازل، ولكن تكاثره صعب في الحبس، ويتغذى ببذور دوار الشمس والقمح الأسود وبعض الفواكه والخضراوات الطازجة.

العائلة الوروارية

هذه العائلة ٢٤ نوعاً، منها أربعة أنواع سجلت في المملكة، هي الخضيري أو آكل النمل الصغير، ويسمى أيضاً القارور، وآكل النمل الأوروبي، وآكل النمل الأزرق الخد، وآكل النمل الأبيض الزور. وهي طيور ملونة صغيرة الحجم، تتغذى بالحشرات التي تصطادها أثناء طيرانها، ولون الذكر يشابه لون الأنثى. الجناح طويل مسنن، والمنقار طويل مقوس حاد الطرف. والساقان قصيرتان، والذيل طويل له ريشتان طويلتان في وسطه، وتطير هذه الأنواع في أسراب، خاصة الأنواع المهاجرة منها، وتبني أعشاشها في حفر على الأرض، وتضع الأنثى من ٢ إلى ٦ بيضات مستديرة بيضاء.

القارور. وهو الخضيري، ويسمى القواري أو آكل النحل الصغير، كما يسمى العُوّار، والصقرقع، والصماء. ويعرف أيضاً بالوروار أو ورر. وجاء هذا الاسم من نبرة صوته، كما سمّي الصماء فلعلّ من الشائع أنه لا يسمع، حتى أن الشخص قد يقترب منه فلا يطير. يبلغ طوله ٢٣سم، ويمتاز بلونه الأخضر، والرقبة والخدان زرق، ومنقاره أسود طويل بعض الطول، ويصطاد الحشرات، خاصة النحل في الهواء وعلى الأرض، ويبني أعشاشه عادة على الأرض، إذا رآه البدوي اعتقد أن أمطاراً غزيرة سوف تهطل، ويعيش في المناطق الغربية والوسطى من المملكة.



الخضيري (الوروار)

عائلة نقار الخشب

هذه العائلة ٢٠ نوعاً، منها نوعان في المملكة، أحدهما مهاجر يسمى اللواء، والآخر مقيم متناسل، وهو نقار الخشب العربي، وتتميز طيور هذه العائلة بمناقير إزميلية ثاقبة للخشب. أقدامها قوية، في كل قدم أربعة أصابع، اثنان أماميان واثنان خلفيان، وريشات الذيل قوية تساعده على تسلق الأشجار، وطيرانها متموج، وتبني أعشاشها في حفر تحفرها في جذوع الأشجار.

أبو منقار. وهو نقار الخشب العربي، ويسمى محلياً أيضاً البقّار، أو النجار، وهو من الطيور المتوطنة في جنوب غرب الجزيرة العربية، ويقطن المناطق الشجرية، وخاصة أشجار الطلح والعرعر، ويصل طوله إلى ١٨سم، ويمتاز الذكر عن الأنثى ببقعة حمراء على الرأس، وأجنحته مقلمة بالأبيض والأسود، ولون البطن زيتوني-بني، والذنب أسود، وهو يعشش في حفر يحفرها بمنقاره في جذوع الأشجار.



نقار الخشب

العائلة البلبلية

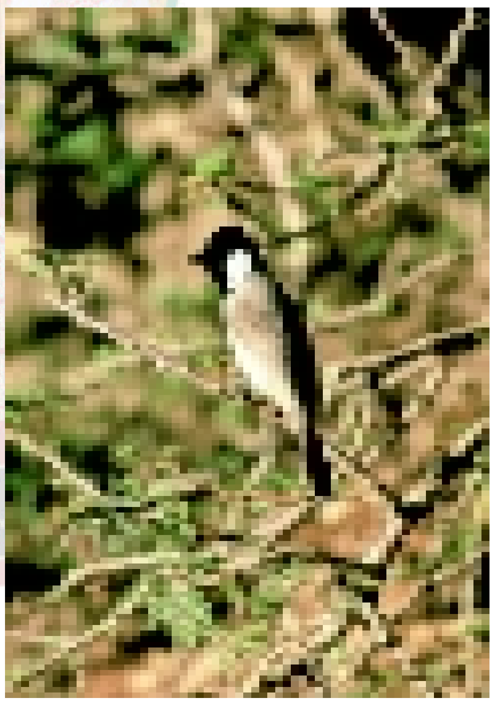
يقال للبلبل الكُمَيْت والجُمَيْل، وهو من الطيور المغردة الحسنة الصوت، ومن شأنه إن كان غير حاذق أن يطارحه إنسان قادر على تقليد صوت البلبل، فيتدرب ويحسّن صوته، ومن أسمائه الشائعة العندليب، وجمعها عنادل، ويسمى العندليل، والعندبيل. والعرب تقول البلبل يعندل إذا صوّت. ويسمى أيضاً القُرع أو البلبول، والكعتبي، وأم سويد.

والبلابل طيور قاتمة اللون عدا أسفل الجناح ففاتحٌ، ويشبه الذكر الأنثى، وهي قصيرة المنقار مسننة الجناح قصيرته، مستديرته، أكبر قليلاً في الجسم من العصفور المنزلي. والبلابل من طيور البساتين، تألف الناس، وتبني أعشاشها في النخيل والأشجار الأخرى. وتضع الأنثى ما بين ٣ إلى ٥ بيضات، وهي حسنة الصوت. بعضها يربى في المنازل داخل أقفاص للاستمتاع بأصواتها

الجميلة. تعيش في أسراب قليلة العدد. وتقتات بأنواع الثمر والحبوب والحشرات ورحيق النباتات.

ويطلق اسم البلبل محلياً على طيور أخرى ليست من أنواع البلابل، منها الهزار أو العندليب، وهو من العائلة السمانية أو الشحرورية. وتمتاز أنواع هذه العائلة بأنها ذات أصوات عذبة جداً.

وقد ورد ذكر البلابل في الأمثال العربية حيث يقال «يصيد ما بين الكركي إلى العندليب» يضرب لمن يقول بالصغار والكبار. كما ورد ذكرها في الشعر العربي الحديث، ومنه ما ذكره الشاعر



البلبل

أحمد الصافي النجفي واصفاً البلبل، وهو يشدو بأحلى الألحان كل صباح، ليدخل البهجة والراحة والسرور إلى النفوس. وهو بعمله هذا لا يريد أجراً أو يبغي مدحاً من أحد:

ألا يا بلبلاً في الصبح يشدو
فيسكب في المسامع كأس راح
تُصَلي في غنائك كل صبح
فما أحلى صلاتك في الصباح
أتيت لتطرب الدنيا بلحن
بلا أجرٍ ولا أمل امتداح
رأيتك شاعر الدنيا جميعاً
بأوزانٍ وأسجاع ملاح
نظرت الكونَ في هم وغم
فجئت رسول بشر وانشراح
حريٌّ بالطيور غداة تشدو
سكوت لا ولوع بالصّياح
ألست خطيبها الفَذَّ المُجَلّي
بميدان الفصاحة والصّداح
فليت الناس مثل الطير صبحاً
ترتل في أغانيها الفصاح

ويضيف أحمد الصافي في قصيدة أخرى مطالباً البلبل بأن يستمر في الغناء، وقد عدّ الشاعر البلبل أعقل المخلوقات، لأنه ينطلق في غنائه عن سجية صادقة، ويقضي حياته كلها في مرح وسرور، لا يشكو هماً ولا غماً:

غـرد ونـاج الـغـصـن والـورقـا
فـلأنـت أعـقـل كـل من خـلـقـا
تـقـضي حـيـاتـك كـلـها مـرحـاً
لا تـشـتـكـي سـأمـاً ولا رهـقـا
ونـطـقـت بـالألحـان صـادقـة
فـغـدوت أبـلـغ كـل مـن نـطـقـا
لـسـت المـلـحـن فـي تجـاربـه
وتـقـول لحـنـك كـيـفـمـا اتـفـقـا
إن المـعـلـم فـي وسـاوسـه
قـد أكـثـر الـتـشـويـش والـقـلـقـا
لـيـس المـعـلـم غـيـر خـالـقـنـا
بـالحسّ يـهـدي الـعـقـل والخـلـقـا
لـلّـه ديـنـك مـا ألـطـفـه
يـا من عـشـقـت الـغـصـن والورقـا

وفي العالم ١٢٠ نوعاً من البلابل، يستوطن المملكة منها نوعان متكاثران فقط، هما: البلبل الأسود الرأس، والبلبل الأبيض الخد.

البلبل الأسود الرأس. ويسمى قابور، وهو أكبر حجماً من العصفور قليلاً، ويبلغ طوله حوالي ١٩سم، ورأسه أسود، وله منقار قصير مسود، والأنثى غبراء اللون وتدعى غبارة، أما الذكر فلونه أسود فاتح والرأس أكثر سواداً، ولون العجز في الجنسين أصفر، والأرجل سوداء، ويفضل لمعيشته الجبال والوديان والمزارع حيث يتجمع ضمن أسراب صاخبة، ويقتات بأنواع الفواكه والأوراق والحبوب ورحيق النباتات، والحشرات التي قد يصطادها في الهواء. وتبيض الأنثى ما بين ٣ إلى ٥ بيضات وردية وعليها بقع سُمْرٌ وبنفسجية. له صوت جميل جداً، ويعيش في أغلب مناطق المملكة، خاصة المنطقة الجنوبية الغربية منها.

البلبل الأبيض الخد. يبلغ طوله حوالي ٢٠سم. وهو ذو لون قاتم عدا بقعة بيضاء على جانبي الرأس. أطراف الذيل بيضاء والمنقار أسود وكذلك الأرجل والعجز. يعيش في المناطق الوسطى من المملكة والخليج العربي. وهو طائر مقيم له صوت جميل جداً.

العائلة الشحرورية

تضم هذه العائلة طيوراً مغردةً، صغيرة ومتوسطة الحجم، مربعة الذيل، والمنقار مدبب متكيف لتناول ديدان الأرض والرخويات واللافقريات الأخرى، ومنها ما يأكل الثمار البرية. ومن هذه العائلة عدد من الأنواع الشائعة في المملكة، منها الشحرور، والهزار، والكناري، والشحرور الأبيض الصدر، والشحرور الأسود الرقبة، وعدة أنواع من الأبالق، والقليعي الأحمر، وطائر الحناء.

الشحرور. يبلغ طوله حوالي ٢٥سم. الذكر أسود ومنقاره برتقالي، أما الأنثى فلونها بني مسود ومنقارها بني مصفر، وهو ذو صوت جميل جداً. ومن جنس الشحرور أنواع عديدة تختلف في ألوانها وأحجامها. وقد سجلت ثمانية أنواع منها في المملكة أغلبها مهاجرة أو زائرة.

الكناري. نسبة إلى جزر الكناري، ويسمى أيضاً نفر الكناري. من الأنواع الدخيلة التي استوردت إلى المملكة وهربت واستوطنت في الطبيعة، وأهل الحجاز يطلقون على البلبل اسم نفر، أما أهل المدينة فيسمونه البلبل، ويختلف الكناري اختلافاً تاماً عن النفر.

الهزار. ويسمى أيضاً العندليب، وهو أصغر من البلبل حجماً، وله صوت جميل جداً، والهزار تعريب لمصطلح (استان هزار) بالفارسية، أي يتكلم بألف حكاية، من باب المبالغة.

أم سويد. وهي طائر أبو موسى، هكذا تسمى في بعض مناطق وسط المملكة ويقولون «أم سُوَيد على عويد». ويسمى أيضاً الكويّري، وهو الهزاز الأسود، وهو أكبر من العصفور قليلاً لونه أسود ورمادي، وسمي بالهزاز لأنه كثير الهزّ لذيله. وقد سمي بأبي موسى، لأنه يضع غالباً في عشه (موسى) ولا يعرف السبب في ذلك.

الدُرُج. هي طيور الأبالق بصفة عامة. منها الأغبر، والرمادي، والأسود. وتمتاز بأن أطراف الذيل والأجنحة سود، والبطن مائل إلى الأبيض. تتغذى بالحشرات والديدان الأرضية، وتمتاز بركضها السريع على الأرض، وتقف من فترة إلى أخرى، على الصخور الصغيرة والكبيرة، لذا سميت بالدُرُج، لأن لفظة (يدرج) تعني يمشي مشياً متقطعاً يتخلله وقفات كثيرة. ويسهل اصطياد هذا النوع باستخدام المناسب (المصايد) الحديدية. فتوضع خنفساء حية منزوعة قشرتها الخارجية، أو دودة حية، في المنسب، وعندما تراها الدرجة، فإنها تنزل إليها بسرعة كبيرة، وتلقط الخنفساء أو الدودة فتقع في الفخ.

الزّحاف. الهزاز الأحمر، لون جسمه رمادي، وذيله أحمر يهزه باستمرار، ويعيش بين الشجيرات الصغيرة.

الحمرّة. وهي الحمرية أو الحميراء. هكذا تسمى في بعض مناطق نجد، ويقول الراجز الشعبي في السخرية ممن يؤثر زوجته على أخته:

يا الحمَّره .. يا الدِّمَّره

يا بايع أخته بالمره

والمرة هي المرأة، وهي أيضاً عند قدماء أهل نجد الزوجة، والحمرة طائر ضعيف ليس كالنسور والعقبان ولذا ضرب بضعفه المثل الشعبي «ما ينقنص بالحمره وام سالم». والحمرة طائر أكبر من العصفور قليلاً، يصل طوله إلى ١٤سم، ولونه رمادي أسود، والبطن أحمر، ويعيش بالقرب من جذوع الشجر، ويتغذى بالحشرات، وكثيراً ما يرفع ذيله وجناحيه.

أم الصلّي. هو نوع من أنواع الأبالق، وسميت بهذا الاسم لأنها تبني عشها من الحصى (الصليّي) الصغيرة.

أبو صقاعة. أو أبو سعيد، ويسمى أبلق الحداد، يصل طوله إلى ١٣سم، ولونه أسود، وبرأسه شيء من البياض، والبطن أبيض ومنطقة العجز برتقالية، ويعيش على المنحدرات الصخرية.

القليعي الأحمر. يسمى محلياً الجبلي وعلي طباشير، وهو طائر مهاجر صغير الجرم يصل طوله إلى ١٣سم. ولونه لافت للنظر، رأسه وظهره أسودان، وصدره برتقالي مع شيء من البياض حول الرقبة، وذيله قصير، والأنثى أفتح لوناً من الذكر. وهو يتغذى بالحشرات، ويطارده أبناء القرى دائماً لاصطياده، ويقف عادة في أعلى غصن من الشجرة.

فكيرة. وهو طائر الحناء أو طائر التين، ويسمى محلياً أم جعفر. وهو طائر صغير يصل طوله إلى ١٤سم. وجهه وصدره أحمران، يبني عشه على الأشجار الصغيرة المتوسطة الحجم كالحمضيات والعنب، وهناك مقولة بأنه شؤم على الصيادين عند سماع صوته.

العائلة السنونوية أو عائلة الخطاف

هذه العائلة ٧٨ نوعاً تشمل طيوراً صغيرة نشطة، صغيرة المنقار، قصيرة العنق والساقين، بعضها مهاجرة، وتقتات بالحشرات أثناء طيرانها، ومنها في المملكة سبعة أنواع، وهي السنونو، والخطاف الأحمر العنق، وخطاف الرمال، وخطاف الصخور.

الخاطوف. وهو السنونو أو الرقيعي أو مسحانه، وهو الخطاف. وهو على أنواع كثيرة، فمنه نوع أصغر من العصفور رمادي يسكن ساحل البحر. ومنه ما لونه أخضر يسميه أهل مصر الخطار، ومنه نوع طويل الأجنحة، رقيق يألف الجبال، ونوع يألف المساجد يسميه الناس السنونو. يبلغ طوله ١٩سم، والجزء العلوي من جسمه كحلي وجبينه كستنائي، وكذلك حلقه الذي يفصل بينه وبين أسفله الأبيض خط داكن على صدره.

وطيرانه سريع وكذلك انقضاضه ولذلك سمي بالخاطوف، وبه ضرب المثل الشعبي «وقعة خاطوف» ويضرب لسرعة حدوث الشيء وانقضائه.

وزعم بعضهم أنه الطير الأبابيل. ويقال إن آدم عليه الصلاة والسلام لما هبط إلى الأرض حصل له وحشة فخلق الله هذا الطير ليؤنسه، فلأجل ذلك تجدها لا تفارق البيوت، وهي تبني عشها في أعلى مكان بالبيت، وتحكم بنيانه وتطيِّنه، فإن لم تجد الطين ذهبت إلى البحر فتمرغت في التراب والماء وأتت فطيَّنته، وتبيض من ٣ إلى ٦ بيضات، وهي لا تزبل داخل العش بل على حافته أو خارجه. ومن غريب طبعه أنه وإن ألف البيوت، لا يشارك أهلها في أقواتهم، ولا يلتمس منهم شيئاً. ولقد أحسن واصفه حين قال:

كن زاهداً فيما حوته يد الورى
تبق إلى كل الأنام حبيبا
وانظر إلى الخطاف حرم زادهم
أضحى مقيماً في البيوت ربيبا

ومن شأنه أن لا يفرخ في عش عتيق، بل يجدد له عشاً. وحوله أساطير كثيرة، منها أنّ أصحاب اليرقان يلطخون أفراخه بالزعفران، فيصفّر لونها فيذهب فيأتي بحجر اليرقان، ويلقيه في عشه لتوهُّمِه أن اليرقان أصاب فراخه. وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس. فعند ذلك يأخذه من به اليرقان، ويحكه ويستعمله. ومن عجيب أمره أنه يكاد يموت من صوت الرعد، وإذا عمي ذهب إلى شجرة يقال لها (عين شمس) فيتمرغ فيها فيفيق من غشوته ويفتح عينيه.

ومن الأساطير التي تحكى عنه أن خطافاً وقف على قبة سليمان، وتكلم مع خطافةٍ، وراودها عن نفسها، فامتنعت. فقال لها: تتمنعين مني، ولو شئت قلبت هذه القبة. فسمعه سليمان فدعاه وقال: ما حملك على ما قلت؟ فقال: يا نبي الله إن العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم.

وكانوا يستخدمونه قديماً في العلاج يقولون إن مرارته تسوّد الشعر، ولحمه يورث السهر، وقلبه يهيج الباءة، إذا أكل جافاً، ودمه يسكن الصداع.

العائلة الذعرية

وهي ٤٨ نوعاً تشمل طيوراً صغيرة أو متوسطة الحجم، ذيولها طويلة، ومناقيرها دقيقة ومخالبها طويلة. معروف منها في المملكة ١١ نوعاً، أهمها الصعو أو الذعرة، وطائر السعد أو جشنة المروج، والجشنة الباهتة الصدر، والجشنة

الطويلة المنقار، والذعرة البيضاء، والذعرة الرمادية، والذعرة الصفراء.

الصعو. والمفرد الصعوة، وهي الذعرة أو أبو فصادة، وتسمى أيضاً أم عجلان، وهي طائر يعيش بالقرب من المياه أو في الأراضي الموحلة، وهو طائر مهاجر، والذكر أصفر مع بعض الريش الأسود، أما الأنثى فبيضاء الصدر رمادية الظهر مع بعض الريش الأسود، وألوانه متغايرة ما بين الأبيض والأزرق، والأسود والأصفر. طوله حوالي ١٨سم، وهو كثير الحركة، يحرك ذيله باستمرار ويكثر في المزارع وبين الدواب حيث يلتقط الديدان والحشرات. قالوا في المثل الشعبي «مثل الصعوه دايم حول الحمار». ويوصف الشخص كثير الحركة بأنه مثل



الذعرة الصفراء سوداء الرأس

الصعوة، ويقال ذلك أيضاً للشخص نحيل الجسم، كما يقال «صعوه لا معنا ولا مع القوم». ومن الأمثال التي تقال عن اختفاء الشيء دون أن يرى مع ذكره قولهم «مثل بيض الصعو يطرى ولا يشاف». ومن كناياتهم «لسانه تزلق به الصعوه» أي أملس ويكنى به عن حسن المجاملة لفظاً.

طائر السعد. وهو أيضاً جشنة المروج. ويسمى محلياً عصفور الحلال. طائر صغير يشبه العصفور الدوري، يصل طوله إلى ١٤سم. أجزاؤه العليا بنية مبرقشة بالبندقي، أما العجز فمتجانس تقريباً، والأجزاء السفلى مبيضة مخططة بالبني في الصدر وجانبي الزور والخاصرتين، والذنب بني، وهناك بياض في ريشة الذيل الخارجية، وسمي هذا الطائر عصفور الحلال لأنه يتبع المواشي، ويمشي تحتها ويستأنس بها. ويطلق اسم الحلال على المواشي بأنواعها. قال الشاعر يشبه نفسه عصفور الحلال:

ليت قلبي خالي من الهموم

أمشي مع الناس مثل طير الحلال

عائلة العصافير

وهي ٣٧ نوعاً. وهي طيور صغيرة، ثقيلة المنقار، كثيرة التجمع في أسراب،

واسعة الانتشار في العالم. معروف منها في المملكة أربعة أنواع هي: العصفور الدوري، والعصفور الأسباني، وعصفور الصخور الباهت، والعصفور الذهبي العربي.

العصفور المنزلي أو الدوري. ويسمى الفرفر وفي الحجاز الوجي، ويسمي بعض أهل نجد الذكر بالكحالي والأنثى أميّه أو أميمية والحريرا. وهو مؤذ للفلاحين في زروعهم وفي أكل الأنواع الجيدة من التمر وفي أكل العنب. والعصفور إذا أكل من الرطبة جزءاً يسيراً وترك الباقي فإنه يسمى نقاد أو نقادة وقد تسقط في الأرض أو تبقى في العذق ومن الغريب أنها تكون ألذ طعماً من الرطب الذي لم يمسه العصفور، يقول راشد الخلاوي:

واحلى من اللي ينقد الطير راسها

ينوشها من بين الجريد نواش

يعيش في جماعات صغيرة. ويمتاز الذكر عن الأنثى بأن أعلى الرأس رمادي، والحلق أسود، والظهر بني داكن، أما الأنثى فهي أفتح لوناً. يعيش على الأشجار وفي المنازل والآبار والبيوت القديمة، وكانوا يصطادونه على هيئة مجموعات، بوضع شبكة على فوهة البئر ليلاً. وطيور الفرفر كثيرة الحركة والأصوات، وتعيش في كل مكان. ويمكن أن تكون تسميته «بالفرفر» نتيجة لحركته الدائبة طوال اليوم من مكان إلى آخر، من دون كلل أو ملل. وفي الأساطير الشعبية المعروفة لدى كبار السن الكثير من ذكاء الكحالي. ومن ذلك قولهم إنه في الشتاء يطلب من أنثاه أن تكون في وجه العش، أي بيته حتى تحميه من البرد، وفي الصيف يطلب منها أن تكون بالداخل ويستأثر هو بالبراد. ومن الأمثلة الشعبية عن العصفور «أكبر الطيور النسور، واذهنهن العصفور» و«ما بالفخ أكبر من العصفور»، «مثل عصفور المحل»، «وش العصفور ومرقته»، «العصفور يهزع الرشا» و«زق العصفور على القلقلة»، و«وزن العصفور عن جزور» «ومثل عصافير السدره»، عند اختلاط الأصوات في مجلس.

عائلة العصافير النساجة

هذه العائلة ٩١ نوعاً تشمل طيوراً صغيرة تشبه العصافير، تعيش في مجموعات، وتبني أعشاشاً كروية الشكل. يعيش نوع واحد منها في المملكة هو:

النساج. وهو الصفراء، طوله حوالي ١٤سم. يمتاز الذكر بلونه الأصفر الذهبي

ووجهه الكستنائي، أما الأنثى فتشبه العصافير لوناً. يقطن بين الأشجار وفي الوديان، ويقتات الحبوب. تبيض الأنثى من ٢ إلى ٤ بيضات في عش يبنيه الذكر من التبن والأوراق على شكل كروي، له مدخل من الأسفل ويعلقه بشجرة. يعيش في مجموعات، ويطلق أصواتاً غريبة مختلفة. ويستوطن المناطق الجنوبية الغربية من المملكة.

العائلة القنبرية

وهي ٧٥ نوعاً من الطيور الصغيرة التي تماثل ألوانها ألوان الأرض. يختلف شكل المنقار بين الطويل المُسَنَّن والمخروطي الثقيل، وتبني أعشاشها على الأرض. معروف منها في المملكة ١٥ نوعاً، منها: القنبرة المتوجة، وقنبرة الصحراء، والقنبرة السوداء الرأس، والقنبرة المخططة الذيل، والقنبرة الهدهدية.

القوبع. والمفرد القوبعة، وهي القنبرة المتوجة وتعرف بأم عريف، وأم سالم، أو الغبيري، وهي طائر أكبر من العصفور قليلاً، تمتاز بأن لها عرفاً يشبه عرف الديك لكنه من الريش، ولونها بشكل عام أغبر، فيها نقط سود خفيفة، ولها نشاط ملحوظ خلال فصلي الشتاء والربيع، حيث ترتفع إلى أعلى مع التغريد ثم تنزل فجأة إلى الأرض، ولها أصوات جميلة تدخل البهجة والسرور إلى النفس، ولذا يضرب بها المثل



القوبعة (القنبرة ذات العرف)

الشعبي قالوا «أم سالم ملهية الرعيان» ويضرب لمن يشغل غيره بلطف وحسن حديث. ولكن إذا جاء فصل الصيف والجفاف تلاشت تلك الأصوات التي كانت تسمع منها، وهناك مثل شعبي يقول «صاف الصيف على أم عريف». ويضرب هذا المثل لِما يعقب أوقات الرخاء والبهجة والسرور من أوقات الجدب أو الحزن أو الأسى؛ يقول الشاعر على لسان المزارع:

يـالقوبعة يـامّ عريفْ
كَـلْتي زرعي قبل الصيفْ

ويقال: إن أم سالم جاءت مرة إلى النملة وسألتها أن تعطيها عشاء لأطفالها. فقالت النملة «إليك عني! أنا همي الحصايد وأنت همك القصايد» أي: حين كنت أنا مهتمة بجمع الحبوب من الحقول الخصبة كان همك الغناء وترديد القصايد. فأجابتها أم سالم: «أنا يوم من أيام طربي يسواك يا محزوقة الذنب». أي: إن يوما واحداً من أيام أنسي خير منك ياذات الذنب المشدود.

ويعتقد الأعراب في أم سالم الفال الطيب إذا عرضت صباحاً؛ قال أبو زيد الهلالي عند رحيلهم من نجد:

يـانجد لـو ان الجـفا منـك مرّه
صبرت لكن الجفا منك دايم
سرنا على هجنٍ قد انقاد حيها
وعرض لنا طير الفلاح ام سالم

العائلة الثرثارية

تضم هذه العائلة ٢٣٠ نوعاً. وهي طيور متوسطة الحجم، الذيل طويل والجناح قصير، والسيقان قوية ذات مخالب مقوسة. ويمثل هذه العائلة في المملكة نوع واحد هو الثرثار العربي.

الشوّله. وتسمى أيضاً الشوّيلا، وهي الثرثار العربي. يبلغ طولها ٢٨سم. غبراء تكثر في الأودية، وهي أصغر من الحمام البري، وذيلها طويل، ولها أصوات مزعجة، خاصة عندما تشاهد كائنات حية غريبة كالكلاب والقطط، والذئاب والثعابين وغيرها. وكثيراً ما تبقر أوعية المياه المصنوعة من الجلد.



الثرثار العربي

عائلة الهوازج

وهي ٣٤٠ نوعاً من طيور صغيرة الحجم متماثلة في مظهرها. ألوانها غير زاهية. بعضها عريضة المنقار، وتقتات باللافقريات وأحياناً بالثمار، تكثر بين الأشجار والشجيرات والأعشاب. معروف منها في المملكة ٣٥ نوعاً، منها الفقاقة والدخل.

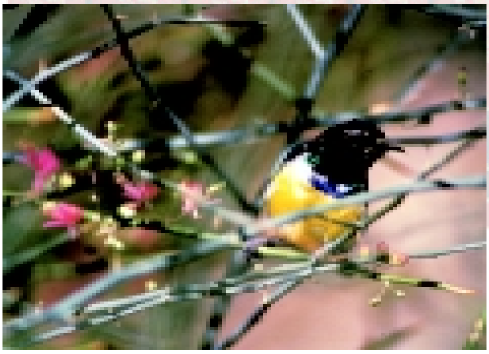
الفقاقة. يمكن أن تكون هي أبو قلنسوة، وهو طائر صغير الجرم، وعلى رأسه دائرة سوداء، ويأكل الخضراوات خاصة الخيار، لذلك يحيط الفلاحون نبات الخيار ببعض الحشائش.

الدخّل. والواحدة الدخّلة وهو أبو الزّعر، وهو يسمى أيضاً المغرد الرشيق. وملّقب بشيخ الطيور، وهو أصغرها جرماً، يصل طوله إلى ١٣سم. وهو نصف العصفور جسداً، لكن ذيله طويل وعليه تقليمات وتنتهي ريشاته بالبياض فوق قاعدة سوداء، والأجزاء العليا بنية رمادية، ومراكز الريش بنية قاتمة، ويعيش في الأشجار الصغيرة. وسبب تسميته شيخ الطيور قصة شعبية تروى أن السباق صار يوماً بين الطيور على أعلى من يطير. فحددوا نقطة في الفضاء، ومن يصلها أو يفوقها، يكون أولهم. فعجزت كل الطيور عن الوصول إليها، ولكن أبو الزّعر اختفى تحت أجنحة أبي نعيج الماء، فلما قاربها الأخير تقريباً لم يقدر أن يواصل فهبط، وخرج أبو الزعر من تحت جناحه، وطار فوق النقطة المحدودة، فأطلق عليه من ذلك الحين اسم شيخ الطيور.

وهناك طائر يشبهه ولكنه أكبر منه ويسمى شيخ الدخل. ويكثر الدخل في موسم الصيف في منطقة نجد ويعيش في البساتين ووسط حقول الذرة ويصيده بعض الناس بوضع شبكة بلاستك دقيقة الخيوط توضع في وسط الحقل ويقوم الصياد بملاحقة الطيور ودفعها إلى الشبكة وهناك من يصيد يومياً قرابة ألف دخلة في وقت كثرته.

عائلة التمير

وهي ١٠٥ أنواع، وتشمل طيوراً صغيرة. تتميز بمناقير طويلة دقيقة



التميرة

أسطوانية مقوسة، وألسنتها طويلة رفيعة تستطيع أن تمدها بعيداً خارج المنقار. ألوان الذكور زاهية بديعة، وأمّا ريش الإناث فباهت مخضر أو مائل إلى الرمادي، وتتغذى برحيق الأزهار، وتعيش في أزواج أو في جماعات صغيرة. يستوطن المملكة ثلاثة أنواع، هي: طائر الشمس الفلسطيني، والتمير الحبشي، والتمير المصري.

طائر الشمس الفلسطيني. هو التمير، ويسمى محلياً البلاصي وأم سعيد. وهو طائر صغير جداً يشبه الطنان. يصل طوله إلى ١١سم، له منقار طويل بعض الطول مهيأ لامتصاص رحيق الأزهار. لون الجسم مائل إلى السواد، يغشاه لمعان أزرق، ويكثر في المنطقة الغربية والجنوبية الغربية من المملكة، وهو سريع الحركة والتنقل، ويعيش بين الأشجار، وعشه طويل متدلٍ من الأشجار.

الزواحف والبرمائيات

الزواحف

كانت الزواحف تملأ الدنيا منذ زمن بعيد، وقد احتلت مكان الصدارة بين جميع الحيوانات الفقارية، في عصر كان يطلق عليه (عصر الديناصورات). وهي زواحف كبيرة ضخمة الجثة ، سواء أكانت تدب على الأرض، أم تسبح في البحار، أم تخفق في الجو بأجنحتها الكبيرة الشبيهة بأجنحة الخفافيش، وقد انقرضت هذه المخلوقات كلها، أما الزواحف التي نعرفها اليوم فجرمها أصغر كثيراً، حتى أن أكبر التماسيح اليوم يبدو قزماً بجانب تلك الهياكل الضخمة لبعض الديناصورات التي نراها في المتاحف. وسميت الزواحف بهذا الاسم لأن كثيراً منها يزحف على بطنه عند انتقاله من مكان إلى آخر، إما بسبب ضعف أطرافها التي لا تقوى على حمل أجسامها، أو لأن بعضها لا أطراف له كالثعابين.

والزواحف أكثر من ٦٠٠٠ نوع تنتشر في كل بقاع العالم، عدا القطب الشمالي، حيث لا تلائم البرودة الشديدة هذه الحيوانات. وتنحصر أنواع الزواحف في أربع رتب، هي رتبة الحرشفيات؛ وهي حوالى ٦٠٠٠ نوع، نصفها من السحالي ونصفها من الثعابين، ورتبة السلاحف وهي حوالي ٢٠٠ نوع، ورتبة التماسيح، وتضم حوالي ٢٠ نوعاً، ورتبة الزواحف المذببة الرأس، وهي نوع واحد يعيش في نيوزيلندا.

وفي المملكة العربية السعودية أنواع من الزواحف من رتبة الحرشفيات، التي تضم الثعابين والسحالي، ورتبة السلاحف. وسوف نتناول في هذا الفصل هذه الزواحف والبرمائيات، إلا أننا سوف نخص الثعابين بفصل مستقل هو الفصل اللاحق نظرا لأهميتها وتعدد

الأنواع الموجودة منها في الصحراء العربية.

السحالي

يعيش على كوكب الأرض عامة حوالي ٣٠٠٠ نوع من السحالي. وهي أكثر انتشاراً، من حيث عدد أفرادها وأنواعها في المناطق الاستوائية الدافئة، بينما يقل عددها وأنواعها في المناطق الباردة. وعلى الرغم من أن بعض هذه الأنواع لديه القدرة على خوض الماء عند الضرورة، وبعضها ينزلق في الهواء، فليس من السحالي نوع مائي خالص، ولا نوع قادر على الطيران كالطيور.

يتأثر شكل السحالي وتركيبها بظروف البيئة التي تعيش فيها، لذا فإن بينها اختلافات في الحجم والشكل والتركيب، وأكثر ما تبدو تكيفاتها التركيبية في الجلد والأطراف واللسان والأسنان، وفي تركيب القناة الهضمية، فالجلد عادة مغطى بحراشف كايتينية، وفي بعض الأنواع يكون تحتها صفائح عظمية، ويطرح هذا الغطاء القرني في فترات غير منتظمة، كما في الحيات والثعابين، إلا أنها في السحالي تنسلخ في عدة أجزاء منفصلة، بعكس الثعابين التي ينسلخ جلدها كاملاً، وقد تكون هذه الحراشف صغيرة على شكل حبيبات، أو مبسوطة متراكبة. ويكبر بعضها مكوناً درنات أو أشواكاً. ومنها ما تكون أطرافه نامية، مزوداً كل منها بخمسة أصابع مخلبية، ومنها ما تكون فيه معدومة تماماً. وبين هذين النوعين نوع ذو أطراف فيها للأصابع حراشيف تكوّن حوافَ مشرشرة، وقد تكون مكففة في الأنواع الصحراوية. وقد تكون الأصابع ذات وسائد لاصقة في الأنواع المتسلقة وخصوصاً «الأبراص»، أو تكون الأصابع ملتصق بعضها ببعض في مجموعات متقابلة.

والذيل في السحالي مختلف شكلاً وحجماً. وهو سهل الانفصال عن الجسم عند تعرض الحيوان لهجوم من عدو، كما أن لدى الحيوان القدرة على تجديد هذا الذيل على نظام أبسط من الذيل الأصلي، لأنه خال من الفقرات الحقيقية، أما إذا كان انفصال الذيل غير كامل، فإنه ينمو مرة أخرى من الجرح، وربما تُشاهد بعض السحالي وهي تحمل ذيلين أو ثلاثة. ولانفصال الذيل فائدة أخرى فعند تعرض الحيوان لهجوم من عدو، يظل الذيل المنفصل يتحرك حركة عضلية قسرية لفترة قصيرة، تكفي لأن تشغل العدو المهاجم حتى يتمكن الحيوان من الفرار.

ولسان السحالي مغطى بحلمات تشبه الحراشف، قد تكون مرتبة في صفوف متوازية. وفي معظم الأنواع يكون اللسان مفلطحاً يحمل ثلمة عضلية صغيرة عند طرفه، وفي نهايته لعاب لزج. وتستطيع السحالي إخراجه فجأة فتلتصق به الفريسة ثم تعيده حاملاً إيَّاها إلى داخل الفم. وأحياناً يكون اللسان أسطوانياً مشقوقاً إلى شعبتين يمكن سحبه إلى الداخل في غمد قاعدي، كما في الحيات، أما أسنانها فهي متماثلة وهي مذببة مخروطية، ونادراً ما تكون مفلطحة أو مسننة أو مجوفة، والقناة الهضمية من السحالي فم ثم مريء، وهو أنبوبة طويلة متسعة متجهة إلى الخلف في فراغ الجسم، حيث ينتهي بمعدة مغزلية، وتتصل بالمعدة أمعاء دقيقة مميزة إلى اثني عشري ولفائفي وتنتهي بالأمعاء الغليظة، ثم بمستقيم متسع تفتح نهايته الخلفية في المجمع، وهو غرفة تفتح للخارج بفتحة مستعرضة، ويوجد أعور صغير عند طرف المستقيم الأمامي قرب موضع التقاء اللفائفي به. والكبد ذات فصين، كما توجد حوصلة صفراوية تصب قناتها في الاثني عشري، وبنكرياس صغير أيضاً. وتتغذى السحالي بالحشرات والعقارب وذوات مئة الرجل، وغيرها من اللافقريات الصغيرة.

وقلب السحالي مجمع وريدي، على السطح الظهري للقلب، يتجمع فيه الدم الوارد من أجزاء الجسم. وله أيضاً أذينان، الأيمن منهما يتلقى الدم من المجمع الوريدي، أما الأيسر فيتلقى الدم المؤكسج الوارد من الرئتين. كما أن له بطيناً ينقسم جزئياً، بحاجز وسطي ناقص، إلى قسمين أيمن وأيسر، مما يؤدي إلى اختلاط الدم المؤكسج بغير المؤكسج في البطين، ويصدر منه ثلاثة أوعية دموية رئيسية أو شرايين، يحمل أحدها الدم إلى الرئتين، أما الآخران فيوزعان الدم على جميع أجزاء الجسم.

وللسحالي حاسَّتا شم وذوق مرتبطتين إحداهما بالأخرى. وقد تكون حاسة الشم في بعض الأنواع أكثر نمواً منها في أنواع أخرى، مما يجعلها تلفظ الطعام غير المستساغ. فإذا ما ابتلعت إحدى أنواع السحالي حيواناً من ذوات الألف رجل فإنها سرعان ما تلفظه بسبب إفراز هذه الحيوانات لمادة مهيجة تسبب إثارتها، وللسحالي كذلك قدرة على السمع، مع أن بعضها لا يلقي بالاً إلى الأصوات المنطلقة حوله، كالورل العملاق الذي لا تزعجه الأصوات ولا

توقفه عن تناول طعامه، ولكنه إذا رأى إنساناً أو حيواناً غريبـاً ترك طعامه ولاذ بالفرار.

ولبعض السحالي قوة إبصار توازي، في بعض الأحيان، قوة إبصار كثير من الثدييات. وبعد كثير من التجارب اتضح أن السحالي، بل الزواحف عامة، لـها قدرة عـلى تميـيز الألوان. وكثـير من السحالي لها جفون تغلقها عند النوم، أو عندما تـريد حماية العـين. ومع أن كثيراً من السحالي الليلية والأبراص ليس لها جفون، إلا أن عينها مغطاة بحرشفة شفافة. وهذه السحالي عادة نشطة أثناء الليل، ومعظمها له إنسان عين يشبه إنسان عين الـقط، فهـو مستـدير واسع فـي الظلام، وينقبض ويصبح شقاً طولياً في الضوء السـاطع. كما أن لبعض أنـواع السـقنقـور نافذة شفـافة في جـفونهـا السفلية.

ويتكون الجهاز البولي في السحالي من كليـتين صغيرتين تقعـان في مؤخر فراغ البطن، ومـثانة بولية يختـزن فيها البـول. أما المناسـل فتقـع داخل فراغ الجسـم، وهي مـبيضـان في الأنـثى، وخصيتـان في الذكر. وتحمل القنـوات التناسلية البويضات أو الحيوانات المنوية إلى المجمع، ومن ثم إلى خارج الجسم.

والسحالي في المملكة خمس عوائل: الحـراذين والـسـقنـقـورات والحرابـي والأبراص والأورال. ويبلغ عدد أنواعها حـوالي ١٠٠ نـوع، ومـعظـم أنـواع السحالي بيوضة، وتترك الأنثى الـبيض ليفـقس دون رعاية أو عـناية، ويكـون بيضها مذبباً من الطرفين، قشرته جلدية أو كلسيـة، وهناك أنواع من السـحالي يفقس البيض داخل جسمها فتبدو وكأنها ولودة. وهناك نوع أو نوعان من السقنقور تختفي فيه قشرة البيـضة تماماً، فيستمد الجنين غذاءه من الأم مباشرة بعضو مشابه للمشيمة في الثدييات.

وفيما يلي أهم عوائل السحالي في المملكة العربية السعودية.

عائلة الحراذين (الأجامات)

تضم هـذه العائلة سـحالي العالـم القديم التـي يتركز وجودها فـي قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا فقط. يتغذى معظم أفرادها بالحشرات المختلفة، وأهمها النمل بأنواعه، بعض أنواعها عشبية التغذية، مثل الضب الذي يتغذى بالنباتات العشبية وهناك عدة صفات تميز أفراد هذه العائلة من حيث الشكل الخارجي، من أهمها الرأس الذي يأخذ الشكل المثلث القصير العريض، أمـا الجسم فهو مفـلطح في

أغلب الأنواع أو أسطواني في أقل الأنواع، ويختلف شكل الذيل وطوله بين أفراد هذه العائلة، ولهذه العائلة قدرة على الجري السريع، حتى ليصعب اللحاق ببعض الأنواع منها.

وتعيش الحراذين في بيئات مختلفة، فمنها ما يعيش في المناطق الرملية، ومنها ما يعيش في المناطق الجبلية، ومنها ما يعيش في مناطق السهول، والبيئات المفتوحة، ومنها ما يعيش في المناطق الزراعية. وهي واسعة الانتشار في المملكة العربية السعودية، حيث يوجد أكثر من عشرة أنواع منها تعمر بيئات مختلفة، فهناك أنواع تعيش في المناطق الباردة مثل الوحر الذي يعيش في مرتفعات عسير، ويتخذ من الشقوق التي بين الصخور مأوى له، وبعضها يعيش في المناطق الصحراوية، وهذه إما أن تعيش في المناطق الرملية، مثل قاضي الجبل وهو أم حبين أو الحبيبانية، أو في المناطق السهلية المفتوحة، مثل الضب. ودرجة حرارة أجسامها عالية، ولذلك نشاهدها دائماً في فترات الظهيرة عند اشتداد درجة الحرارة. ومن عائلة الحراذين الضب وعباد الشمس.

الضب. من أهم أنواع الحراذين التي تعيش في المملكة. وهو حرذون واسع الانتشار في كل أنحاء المملكة تقريباً، ويستوطن الجزيرة العربية أربعة أنواع منه، أكثرها شيوعاً (الضب المصري) الذي يمتد انتشاره عبر سيناء إلى مصر، إضافة إلى



رأس الضب

انتشاره في العراق والأردن. وسبب تسميته بذلك أن أول اكتشاف لوجوده كان في مصر، فسماه الذي اكتشفه بهذا الاسم نسبةً لمكان وجوده.

يقول الدميري: الضَّب، بفتح الضاد، حيوان بري معروف يشبه الورل. وكنيته أبو حسل، والجمع ضباب وضبان وأضب مثل كف وأكف. والأنثى ضبة. وتسميها العامة المكون.

والضب من أكثر الزواحف المعروفة للناس في المملكة، إذ إنه من بين الحيوانات المأكولة اللحم في بعض المناطق، خاصة في المنطقة الوسطى. ويمتاز الضب عن غيره من الحرادين بأطراف جيدة التكوين، مزودة بمخالب قوية، وفي كل طرف خمسة أصابع. ولونه يميل إلى الصفار، وأحياناً يكون داكناً. ورأسه مثلث، مزود بفكين قويين جداً. وذيله طويل، مزود بأشواك قوية، يستخدمه أحياناً في ضرب العدو أثناء تعرضه للخطر، ويسمى العكرة وهو أطيب ما يؤكل منه. وجسمه كبير، ويعد من أكبر أنواع الأجامات تقريباً، إذ يبلغ طوله حوالي ٦٠ إلى ٧٠ سم في الضباب الكبيرة، والصغيرة قد لا يتعدى طول الواحدة منها ٢٠ سم، ويسمى الوحر.

ويمتاز الضب بقدرته على تحمل العطش والجوع، ونادراً ما يشرب الماء ويكتفي بالحصول عليه في غذائه، مثل



الضب، لونه يميل إلى الصفار



الضب

الأعشاب وأوراق النباتات التي يتغذى بها، لكنه يشرب الماء إذا وجده. ويلاحظ عند التشريح الداخلي للضب طبقة سوداء اللون مبطنة للجلد من الداخل، ولهذه الطبقة فوائد كثيرة، منها منع تبخر أي كمية من ماء الجسم، ولو قليلة جداً، كما أنها تمنع أشعة الشمس من الوصول إلى داخل الجسم، وتبخير الماء منه. ويمتاز الضب بقدرته على تغيير لونه من حين إلى آخر، فأحياناً يبدو لونه زيتونياً مائلاً للصفرة، أو مخضراً عليه مسحة زرقاء مخضرة، وذلك لما في جلده من صبغات، ويخرج الضب غالباً من جحره عندما يحس بسقوط الأمطار خوفاً من الغرق داخل نفقه، ولذلك فإن كثيراً من الناس يستخدم الماء لإخراج الضبان من جحورها. ويعدّ صيد الضبان من الهوايات لدى كثير من الشبان في منطقة نجد خاصة، وهذه العملية بلا شك من العوامل التي تهدد هذا النوع من الزواحف بالانقراض من المملكة.

وجنس الضب هو الجنس الوحيد الذي يتغذى بالنباتات من بين أجناس عائلة الحراذين، وقد يتغذى بالحشرات أو الحيوانات الصغيرة، إذا اضطر إلى ذلك. ويعيش الضب في البيئات الصحراوية المفتوحة، المستوية، حيث يحفر أنفاقه بنفسه. ويتراوح طول الجحر من متر إلى مترين، وتمتاز جحور الضبان بكثرة التراب الذي يحيط بها.

وتعيش الضباب فرادى وأزواجاً. وإذا أدخلت أطرافها الأمامية في الجحر صعب سحبها إلى الخارج، وهي ثقيلة الوزن، بطيئة الحركة، تحرك رأسها يمنة ويسرة حين تسير، وفي الشتاء تلزم جحورها ولا تخرج منها إلا عند اشتداد حرارة الشمس. ويشاهد الضب دائماً واقفاً عند باب جحره، رافعاً رأسه إلى الشمس، للحصول على الدفء والطاقة. وعندما يحس بأي خطر حوله فإنه سرعان ما يدخل جحره، كما أن الضب حذر جداً، قلما يعمد إلى الأذى أو العض إلا عند تعرضه للخطر الشديد.

تعيش الضباب في أنفاق متقاربة، فقد يكون هناك من ٣ إلى ٥ أنفاق قريبة، أما الصغار فتنتشر أنفاقها بين أنفاق الكبار في اتجاهات مختلفة. وتتجه معظم فتحات الأنفاق إلى الشرق، ويلاحظ أن هناك علاقة بين حجم الضب وبين عمق الجحر وعرض فتحته، فالكبار تحفر أنفاقاً أعمق وأعرض من أنفاق الصغار، وفتحاتها ذات أشكال هلالية. وقد يحفر الضب جحره تحت النباتات، أو تحت الصخور، ولتوفير الحماية والغذاء المناسب له.

يبدأ الضب بالخروج من جحره في الصباح الباكر، ويكون لونه داكناً، ويبقى ساكناً دون حراك عند فتحة الجحر، متجهاً نحو الشمس، لكي يرفع من درجة حرارة جسمه، بعدها يبدأ في التحرك مبتعداً عن الجحر لفترة وجيزة، ثم يقترب من النباتات ويقضم الأجزاء اللينة منها



يرفع الضب جسمه عن سطح التربة اتقاءً لحرارتها

كالأزهار والبراعم والجذور والأوراق ثم يبلعها، وقد يتوقف عن هذه العملية لفترة بسيطة، ويتلفت في اتجاهات مختلفة، ثم يعاود التغذية، وهو يتغذى بالنباتات القريبة من جحره، ثم يبتعد قليلاً إلى النباتات الأبعد فالأبعد، ومن أهم النباتات التي يتغذى بها العرفج، والثمام، والسعدان، والنقد. ومن شأنه في الشتاء أن لا يخرج من جحره. وقد أشار إلى ذلك أمية بن أبي الصلت لما جاء إلى عبدالله بن جدعان مسترفداً:

يباري الريح تكرمة ومجداً
إذا ما الضب أجحره الشتاء

والضب من أكثر الزواحف ذكراً في التراث العربي. فقد جاء ذكره في أشعار العرب في الجاهلية، كما جاء ذكره في أحاديث الرسول ﷺ.

وهو من الزواحف المأكولة اللحم عند العرب قديماً وحديثاً، ولحمه حلال تشهد بذلك أحاديث صحاح، منها ما أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الصيد والذبائح من صحيحه قال: «حدثنا يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عبدالله بن عباس قال: دخلت أنا وخالد بن الوليد مع رسول **الله** ﷺ بيت ميمونة، فَأُتي بضب محنوذ، فأهوى إليه رسول **الله** ﷺ بيده، فقال بعض النسوة اللاتي في بيت ميمونة: أخبروا رسول **الله** ﷺ بما يريد أن يأكل، فرفع رسول **الله** ﷺ يده، فقلت: أحرام هو يا رسول **الله**؟ قال: لا، ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه، قال خالد: فاجتررته فأكلته ورسول **الله** ﷺ ينظر». وقال أيضاً: «حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا علي بن مسهر، عن الشيباني، عن يزيد بن الأصم، قال: دعانا عروس بالمدينة، فقرب إلينا ثلاثة عشر ضباً، فآكل وتارك. فلقيت ابن عباس من الغد فأخبرته، فأكثر القوم حوله حتى قال بعضهم: قال رسول **الله** ﷺ: لا آكله، ولا أنهى عنه، ولا أحرّمه، فقال ابن عباس: بئس ما قلتم، ما بُعث نبي **الله** ﷺ إلا محللاً ومحرماً، إن رسول **الله** ﷺ بينما هو عند ميمونة، وعندها الفضل بن عباس وخالد بن الوليد وامرأة أخرى إذ قُرّب إليهم خوان عليه لحم، فلما أراد النبي ﷺ أن يأكل قالت له ميمونة: إنه لحم ضب، فكف يده، وقال «هذا لحم لم آكله قط، وقال لهم كُلوا» فأكل الفضل وخالد بن الوليد، والمرأة، وقالت ميمونة: لا آكل إلا شيئاً يأكل منه رسول **الله** ﷺ».

وتستطيب العرب أكل الضب، لا سيما كشيته وذنبه أي العكرة، ولذلك قال شاعرهم يذكر أن بلية الضب جاءته من طيب كشيته ولذَّة ذنبه:

فلو كان هذا الضب لا ذَنَبٌ له
ولا كشية ما مسه الدهرَ لامِسُ
ولكنه من أجل طيب ذُنَيْبِه
وكشيته دبت إليه الدهارس

والدهارس هي المصائب والدواهي، أما الكشية فهي شحمة صفراء من أصل ذنبه. ويعدّ أكل الضب علامة على خشونة العيش وشظفه. قال أبو عثمان:

بشر يرابيع الملا وضبابها
أن قد هوى شكل بن قيس ثاويا
قد كان يذلقها ويرهق بعضها
غَنْظ المنية رائحاً ومغاديا

والغنظ هو الهم. ومن الأشعار التي جاءت في استطابة أكل لحم الضب قول أبي الهندي عبد المؤمن بن عبد القدوس، من مخضرمي الدولتين:

أكلت الضباب فما عفتها
وإني اشتهيت قديد الغنم
ولحم الخروف حنيذاً وقد
أتيت به فاتراً في الشبم
وأما البِهَضُّ وحيتانكم
فأصبحت منها كثير السقم
وركبت زبداً على تمرة
فنعم الطعام ونعم الأدم
ومَكْن الضباب طعام العريب
ولا تشتهيه نفوس العجم

قوله الحنيذ: أي المشوي، والشبم بفتح الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة: البرد، والبهض بكسر الباء الموحدة وفتح الهاء: الأرز باللبن، والمكن بفتح الميم وإسكان الكاف وبالنون في آخره هو بيض الضب.

وما يزال الضب من أكثر الزواحف ذكراً في أوساط العامة، خصوصاً أهالي نجد والشمال حيث يكثر في تلك المناطق، ويعتقد كثير من الناس أن لحم الضب، خاصة العكرة (ذيل الضب)، من المقويات جنسياً وبدنياً للرجل. وكان يوجد قديماً أسواق للضباب، منها سوق في المربد مشهور، وكان يقال: سوق الضباب خير سوق في العرب. وفي عدد من مدن المملكة حتى يومنا هذا أسواق تباع فيها الضباب، من أشهرها سوق الديرة في الرياض، ويزور هذا السوق كثير من الناس، وتختلف أسعار الضباب حسب العرض والطلب وحسب المواسم، فنجد أن الأسعار ترتفع في الشتاء، لقلة العرض، إذ تصل الأسعار بين الخمسين والسبعين ريالاً للضب

الواحد، وعندما يكثر العرض في الصيف تقل الأسعار لتصبح بين عشرة ريالات وأربعين ريالاً. ومعظم رواد السوق يشترون الضباب للأكل، فهم يتلذذون بلحمها، بل إن بعضهم يفضلونه على السمك والدجاج. يقول أحد الشعراء في ذلك:

لعَمْري لضبّ بالعنيزة صائف
وأضحى عَرَاداً فهو ينفخ كالقرم
أحب إلينا أن يجاور أرضَنَا
من السمك البني والسلجم الوخم

ويحرص البدو حرصاً شديداً على طبخه وأكله، وإذا صادوه قلبوه على ظهره ليذكوه، فيرفع يديه ليحمي نفسه، ويظل لحم الضب الذبيح يرتعش لفترة طويلة.

كان أجدادنا يصطادون الضب قديماً للغذاء ولكن في الآونة الأخيرة، بعد أن فتح الله على هذه البلاد بخير وفير ورزق أهلها من حيث لا يحتسبون أصبح صيده ترفاً وهواية فقط، وليس من أجل الحصول على الطعام، وهو أمر نهى عنه الدين. وتتنوع الطرق المستخدمة لصيد الضب، فمنها حفر الجحر حتى إخراج الضب، وهذه الطريقة متبعة خصوصاً عندما تكون الأرض سهلة فإن الضب يعمق جحره ولذلك قالوا «الفسقان يحفر ضب» وقالوا «ثمن الضب حفره».

ومن طرائق صيده الجري خلفه فإذا لحق به حاول أن يقلبه على ظهره سواءً برجله أو بعصا وإذا انقلب أمكن الإمساك به بسهولة، فإذا كان الشخص راكباً سيارة فإن عليه أن يسبقه إلى جحره ويسده ومن ثم ينزل للإمساك به، ومنها (الشركة) وهو أن يأتي الصياد إلى الجحر والضب خارجه ويقوم بوضع حبل أدخل بعضه في بعض بحيث يترك فجوة يدخل فيها رأس الضب، ويربط طرفي الحبل بعصا أو مسمار ويحاول أن يدفن ما أمكن من الحبل وأن يزيل أي أثر يدل عليها، وحينما يعود الضب ويدخل رأسه في فجوة الحبل الضيقة فإنه سيقوم بالضغط على وسطه، وحينئذ لن يستطيع الفكاك حتى يأتي الصياد ويسحبه.

ومنها أدخال مخلفات الإبل أو الغنم في الجحر فإذا ما حاول الضب الخروج فإنه يدفعها خلفه ثم يدفن جحره بنفسه حتى يصبح قريباً من باب الجحر ويمكن الإمساك به.

أما الآن فقد اختلفت طرق الصيد فمنها إغراق الجحر بالماء تدريجياً، حتى يخرج الضب نظراً لخوفه الشديد من الماء، وتصوره بأن هذا الماء سيلٌ. وهذه

الطريقة أكثر الطرق شيوعاً لصيده. ومنها استخدام الغازات المتصاعدة من عادم السيارات (من شكمانات السيارات) بوضع أنبوبة في جحر الضب موصّلة (بشكمان) السيارة وإدارة المحرك، وبعد فترة وجيزة يخرج الحيوان من جحره متأثراً بالغازات السامة. ومنها استخدام أسطوانات الغاز، وهذه الطريقة شبيهة بالطريقة السابقة حيث يوصل الغاز إلى جحر الحيوان مما يدفعه للخروج. ومنها استخدام الشبك. ويكون ذلك بوضع شبكة على فتحة الجحر، فعندما يخرج الضب تمسك به الشبكة فلا يستطيع الرجوع ثانية إلى جحره. ومنها استخدام الأسلحة النارية، عندما يكون الحيوان بعيداً عن جحره أو بالقرب منه. وأخيراً استخدام ما يسمى بالمكناس، وهي آلة حادة مدببة تستخدم في إخراج الضب «المكانس» من جحره بسحبه بها من الجحر أو الحفر بها عليه. والضب «المكانس» هو الضب الذي يدخل رأسه في الجحر ويجعل ذيله إلى الخارج قريباً من بابه رغبة في البراد. وتفعل الضبان ذلك خلال فترة معينة من السنة. ويأتي الشخص الذي يريد صيد الضب بهدوء يمشي الهويني حتى لا يشعر به الضب فيمسك به.

ومن الطرق الأخرى الحديثة التي تستخدم في صيد الضب خلال الليل من جحره، صب قليل من الماء في الجحر مع إحداث إضاءات قصيرة متوالية قوية باستخدام مصباح كهربي يدوي دون إحداث أي جلبة أو ضوضاء مما يجعل الضب يظن سقوط المطر وحدوث البرق فيخرج من جحره خشية أن يغرقه السيل فيسهل الإمساك به.

وتعتقد العرب أنّ الضب لا يشرب الماء، ومن أقوال العرب: «لا أفعله حتى يرد الضب»، لأن الضب لا يرد الماء. ويقال: إنه يبول في كل يوم قطرة، ولا تسقط له سن. ويقال: إن أسنانه قطعة واحدة ليست مفرقة. ومن كلامهم الذي وضعوه على ألسنة البهائم، قالت السمكة: «رِدْ ياضب» فقال:

أصبح قلبي صرداً
لا يشتهي أن يردا
إلا عرادا عردا
وصليانا بردا
وعنكشا ملتبدا

ولماّ كان بين الحوت والضب هذا التضاد، أشار إليه حاتم الأصم بقوله:

وكيف أخاف الفقر والله رازقي
ورازق هذا الخلق في العسر واليسر

تكفل بالأرزاق للخلق كلهم
وللضب في البيدا وللحوت في البحر

وللضب عضو تناسلي على هيئة قضيبين اثنين يشتركان في أصل واحد. قال الشاعر في هذا الخصوص:

تفرقتم لا زلتم قرن واحد
تفرق أير الضب والأصل واحد

ويشترك مع الضب في هذه الصفة، وهي وجود قضيبين من أصل واحد، كثير من أنواع الزواحف كالثعابين والسحالي، ولإناثها فتحتان أي حران. ولما سئل أبو حنيفة عن ذكَر الضب قال: إنه كلسان الحية أصل واحد له فرعان. وقد تمنت «حُبَّى المدنية» في زوجها ما عبرت عنه فقالت:

وددت لو أنه ضب وإني
ضبيبة كدية وجدا خلاء

وحُبَّى هذه هي التي ضُرِبَت مثلاً في الشبق فقيل: «أشبق من حُبَّى».

ومن القصص التي ترويها العامة على ألسنة الحيوانات أن الضب أراد الزواج وخشي ألا تكون لديه القدرة الجنسية الكاملة فسأل الديك أن يقرضه (أيره) لما رآه من قوة الديك وحسن بلائه في هذا الشأن، وذلك حتى يستخدمه إذا دعت الحاجة وخانته قواه، فوافق الديك على أن يرد الضب إليه أمانته فور الانتهاء منها. ولما تزوج الضب وجد أنه لا يمكنه أن يعيد للديك أمانته فأنكرها عليه. لذلك فإن الديك حين يصيح فإنه يقول: «يا أبا حمد (يعني الضب) ردَّ الأ ما ااا نه» منذ ذلك اليوم حتى الآن.

وإذا أرادت الضبة أن تضع بيضها، حفرت في الأرض حفرة ورمت فيها البيض، وطمتها بالتراب، وتعاهدتها كل يوم حتى يخرج صغارها، وذلك في أربعين يوماً. وهي تبيض ٧٠ بيضة، وأكثر. وبيضها يشبه بيض الحمام.

ولا يتخذ الضب جحره إلا في كدية حجر، خوفاً من السيل والحفر. ولذلك توجد براثنه ناقصة كليلة لحفره بها في الأماكن الصلبة. والضب لا يتخذ مسكنه حيثما اتفق له، ولا يحفره حيث كان، ولكنه يحتاط في ذلك لنفسه، ويدبر الأمر فيه تدبير الكيِّس الحازم، ويختار له أنسب الأمكنة وآمنها من الأخطار والآفات. وذلك ما وصفه به شاعر فقال:

سقا الله أرضاً يعلم الضب أنها
بعيد من الآفات طيبة البقل
بنى بيته فيها على رأس كدية
وكل امرئ في حرفة العيش ذو عقل

وتقول العرب «أعَقُّ من الضَّبِّ»، لأنه يأكل حُسُولَه، فلا ينجو منها إلا ما

هرب؛ وأشار إلى ذلك عَملَّس بن عقيل لأبيه بقوله:

أكَلتَ بَنِيك أكلَ الضَّبِّ حتى
تَركتَ بَنِيك ليس لهم عَديد

وقال أيضاً:

أكَلتَ بَنِيك أكل الضَّب حتى
وَجَدت مَرَارَة الكلأ الوَبيل

العديد هو العدد، والاعتقاد بأن الضب يأكل حسوله غير صحيح، لأن معنى صحة ذلك فناء نوعه، وأما قول الجاحظ: «إن الضباب إذا جاعت اكتفت ببرد النسيم غذاء لها» (١٩٨٨، ج٦:٥٦)، ففيه شيء من الصواب، لأن الحيوانات ذات الدم المتغير الحرارة (ومنها الزواحف) تصوم وتسبت عند اشتداد البرد، أو عند شيخوختها وهرمها.

وجاء في كتاب الحيوان عن عداوة الضبة للحية ما نصه: «والضّبّة تقاتل الحية وتضربها بذنبها، وهو أخشن من السَّفَن (وهو جلد خشن يوضع على قوائم السيوف)، وهو سلاحها، وقد أعطيت فيه من القوة مثل ما أعطي العقاب القوة في أصابعه، فربما قطعتها بضربة، أو قتلتها، أو قدتها، وذلك إذا كان الضب ذيالاً مذنباً وإذا كان مرائساً قتلته الحية». الجاحظ (١٩٨٨، ج٦:١٢١) القد: القطع، الذيال: طويل الذيل، المذنب: الذي أخرج ذنبه من الجحر ورأسه في داخله، المراءسة: أن يخرج الرأس ويدع الذنب داخل الجحر. وكان بعض الأعراب يستخدمون جلود الضبان الكبيرة عُكَّة (وعاء يحفظ فيه السمن).

والضب موصوف عند العرب بطول العمر. اشتهر عندهم بذلك، وصار مضرب المثل فيه، فقالوا: «أحيا من ضب»، أي أطول عمراً، و«أعمر من ضب»، مثلما قالوا: «أعمر من نسر»، و«أعمر من حية»، و «أعمر من قراد». وقدر بعضهم عمره بثلاث مئة سنة، ورفع بعضهم سني عمره إلى سبع مئة سنة فأكثر، بل زعم آخرون أنه لا يموت حتف أنفه، وإنما يموت بآفة نازلة كأن يقتل أو يصاد. وهو زعم فاسد لأنه لا يوجد مخلوق لا يموت حتف أنفه.

وذكر رؤبة بن العجاج طول عمر الضب في رجز أجاب به امرأة، تقدم لخطبتها، فقالت له: ما سنك؟ ما مالك؟ ما كذا؛ فقال:

تسألني عن السنين كم لي
فقلت: لو عمّرتُ عُمْرَ الحسل
أو عمر نوح زمن الفِطَحْل
والصخر مبتل كطين الوحل
كنت رهين هرم أو قتل

الفطحل وهو زمن ابني نوح أو هو الزمان الذي كانت فيه الحجارة رطبة.

ومن أمثالهم عن طول العمر قولهم: لا أفعل ذلك، ولا يكون هذا عمر الضب، وسن الحسل. ويقولون: فلان أعمر من الضب. ومن طبعه أنه يرجع في قيئه كالكلب، ويأكل رجيعه. وهو طويل الذماء بعد الذبح، وهشم الرأس. يقال: إنه يمكث بعد الذبح ليلة، ويلقى في النار فيتحرك.

ومن أمثال العرب في الضب قولهم «أبله من ضب»، والبله الغفلة، ومنها قولهم «أجبن من ضب» وذلك لأن المعروف عن الضب أنه جبان سرعان ما يهرب إلى جحره بمجرد أن يسمع أيَّ صوت. ومنها قولهم «أحْيَرُ من ضب»، لأنه يضل عن جحره فيصبح حيرانَ تائهاً يصعب عليه الرجوع إلى مسكنه ومأواه. ومنها قولهم «أروى من ضب»، لا تريد العرب بذلك أن الضب امتلأ ريا، وأنه شرب من الماء الكفاية، وإنما تعني أنه لا يرد الماء أصلاً. وتذكر عنه أنه إذا عطش استقبل الريح ثم استروحها فيكون ريه من ذلك. ومنها قولهم «أسمع من ضب». و «أصبر من ضب» و «أضل من ضب». ومنها قولهم «أعقد من ذنب الضب» وذلك لأن عقد ذنبه كثيرة. وزعموا أن حضريا كسا أعرابياً ثوباً، فقال: لأكافئنك على فعلك بما أُعلّمك، كم في ذنب الضب من عقدة؟ قال: لا أدري، قال: فيه إحدى وعشرون عقدة. ومن أمثالهم «أقصر من إبهام الضب»، و«أقصر من فتر الضب»، و«لا تحسد الضب على ما في جحره».

وقد جاء في التراث العربي كثير عن أصدقاء الضب من الحيوانات التي يأنسها ويألفها، وعن أعدائه التي يتقيها ويحذر شرورها. ويأتي الظربان في مقدمة أعداء الضب، المتربصة به السوء. والظربان، من الثدييات، منتنة الريح كريهته، وأنتن ما فيها فسوها. والظربان يعدو على الضب بالهجوم على بيته، ثم يقف بأضيق مكان منه فيسده ببدنه سداً مطبقاً. وهو مستدبر جهة الضب، ثم يرسل عليه الفسوة بعد الأخرى، فما يلبث إلا قليلاً حتى يخر مغشياً عليه من ذلك، ثم يتقدم إليه فيأكله. ثم يقيم بعدها في الجحر فلا يبرحه حتى يأتي على آخر الحسولة أكلاً. والورل عدو آخر من أعداء الضب، المتسلطة عليه بالشر والأذى، ومن عدوانه عليه أنه يقتحم عليه بيته، فلا يغادره حتى يقتله، ويأكل حسوله. والعقرب، فيما تزعم العرب، صديقة الضب وحميمته، وهو يؤويها في جحره

لتلسع المتحرش به، إذا أدخل يده لأخذه؛ يقول الشاعر:

وأخدع من ضب إذا خاف حارشا
أعد له عند الذنابة عقربا

ويمسك هو عن أذيتها في أولادها، وتمسك هي من جانبها عن لدغه، وفي أُنْس الضب بالعقرب وأنسها به يقول الشاعر:

أتأنس بي ونجرك غير نجري
كما أنس العقارب والضباب

وقال الشريف الرضي مشبهاً به رجلاً مطبوعاً على الإساءة:

إساءته شهوة ثرة
وإحسانه درة الأرنب
وقد زيد شرا إلى شره
كما استثفر الضب بالعقرب

وذكر القزويني والدميري عن القدماء من أطباء العرب والمسلمين منافع الضب، ومنها: أن بعره ينفع من بياض العين اكتحالاً، وربما نفع من نزول الماء فيها، ومن البرص والكلف طلاءً، وشحمه بكبده ينفع من الهدبد (قيل: هو الخفش، وقيل: إنه العشا الليلي، وقيل: إنه كل ما يصيب العين). ومن سجع الأعراب في ذلك قولهم: دواء الهدبد شحمة ضب بكبد. وقالوا يؤكل قلبه لعلاج الخفقان. وأكل طحاله نافع من وجع الطحال، وأخبروا عن الأعراب أنهم كانوا يتداوون بأكله من أوجاع الظهر، كما أنهم عرفوا له فوائد خاصة بتقوية الباءة، فقالوا عن شحمه: إنه إذا أذيب، وطلي به القضيب هيج شهوة الجماع. وجاء



الضب بينه وبين العقرب صداقة فيما يزعمون

عنهم في لحمه أنه إذا أكل مقلياً هيّج الشهوة، وقوّى على الوقاع. وذكروا في جلده أنه إذا اتخذ ظرفاً للعسل، ولُعِق منه حرك أيضاً شهوة الجماع. وتقول العرب: «إذا خرج الضب من بين رِجْلَي إنسان لا يقدر على مباشرة النساء». وقد يرجع ذلك إلى الفزع والجفول مما فاجأه على غير توقع، فيحتبس بوله، ويصاب بعجز جنسي لفترة قد تقصر أو تطول، فلا يقدر على مباشرة النساء. ومن أكل قلب الضب أذهب عنه الحزن والخفقان، ومن أكل منه لا يعطش زماناً طويلاً، وخصيتاه من استصحبهما معه يحبه الخدم محبة شديدة، وكعبه يشد على وجه الفرس لا يسبقه شيء من الخيل عند المسابقة، وجلده يجعل منه غلاف للسيف يشجع صاحبه. وكل هذه المعتقدات لا يقوم عليها دليل علمي صحيح.

والضب فألٌ سيئ في كتب التعبير والتأويل، ورؤياه لا تخرج عن القبيح والمكروه، وتُفسر رؤياه بشبهة في اكتساب الرزق، كما تدل أحياناً على مرض يتوقع لرائيه. وقيل: الضب في المنام رجل عربي خداع في أموال الناس ومال صاحبه. وقيل: إنه رجل ملعون لأنه من الممسوخ، وقيل: من رأى الضب في المنام فإنه يمرض.

ويذكر أن قبيلة الرولة، شمال المملكة العربية السعودية، تبدي اهتماماً كبيراً بالضب، وكنيته عندهم أبو حمد. كما يعرف عند غيرهم، وبخاصة عند أهالي المنطقة الوسطى، الذين يداعبون الضب بقولهم: «يا بوحمد.. وين يمناك من يسراك» وعند تكرار هذه العبارة يرفع الضب يده اليمنى. ويداعبه الصغار بقولهم «يا ضبيب الحرش امش امش» ويقولون ذلك وهم يدغدغون خلف رجليه لحثه على السير. وكثيرون منهم لا يعدونه من الزواحف، لأن له أربعة أقدام يستطيع استعمالها جيداً. وتحكي إحدى أساطيرهم عن الضب أنه كان في الأصل رئيس الزواحف قاطبة، لأنه أول من دعاها إلى الصلاة، وعلمها كيف تركع وتسجد في صلاتها. ولما بدأ البشر في التكاثر بث الضب عيونه في أوطانهم ليعرف ما لديهم من عتاد حربي، وما الطريقة المثلى لخوض الحرب معهم؟ فأبلغته العيون، الذين لم يكونوا غير أبنائه الحقيقيين، ما رأت وسمعت. فأدرك أن ليس في استطاعته محاربة بني آدم، وأن من الخير له الاختباء عنهم، فطفق يحفر جحوراً عديدة لنفسه، ولأسرته الكثيرة العدد، ولم يخبر سائر رعيته بشيء من ذلك. وكان جبينه كله، حين

يعود من عمله إلى المجلس، أورق اللون لما عـليه من طـين وغبار. فلـما سأله صحابه: ما الذي جعل جبينك رمادياً؟ أجاب: الصلاة.

كذلك ورد ذكر الـضب في الشعر النـبطـي، في قول الـشاعـر حميـدان الشويعـر، (توفي عام ١١٦٠هـ)، في قصيدة، خص بأحد أبياتهـا بلد الخيس بمنطقة سدير:

والخـيـس بـويـلـيـد مـسـقـى
ضـبـيـب لاجٍ لـه بـوعـره

وقال في قصيدة أخرى عام ١١١١هـ وجههـا لعثمان بـن نحيط يحـذره من الخداع، ويذكر بها احتماء الضب بجحره (صلته):

مثـل راعي جلاجل مـع ابن نحـيط
أدركـه مـن زمانٍ وهـو يـسحـره
يـسحـره مثـل ضبٍّ هـوى صـلتـه
والمـلا لـو تجي الجـحـر مـا تقدره
قـال يـاضـب هـذا جـراد ضـفـى
والـسـبـايـا ثـقالٍ تـبـي جـرجـره

وله أيضاً:

يـاضبـيب الـصفـا ما تجـي الا قفـا
ما تجـي الا مع النـخش والنـخجره

والنخش إدخـال العصا في الجحـر ووخزه بها، أما النـخجرة فهي سحبها قليلاً وإعادتها بقـوة وتكرار ذلك. كما يذكر الشاعر مزيـد بن حسن السريحي المطيري الضب في قصيدة جاء فيها:

والخبـل ينـفخ مـثل ضـب التشيلـه
قلـبه مـن اطراف الخـطر مرجـهنّـي
مـتـعـادل رايـه وراي الحـلـيـلـه
تـلقـاه يـركض بـامرهـا مـا يونِّـي

وقال شـلعان بـن فهيـد بن ظافـر الجماعـين في قصيدة عدد فـيها بعض صفات الرجال:

واحْـد كمـا شـعـبٍ كثيـر غْبـاره
يموت ضبه مـا لقـى عيـشـةٍ فيـه

كما ورد فـي شعر رشيـد الزلامي وصف لـلضـب بأنه حـيوان مسـكين يستسلم عندما يُمسك به، حيث يقول:

ياعبـيد انا ما نـيب ضبٍّ ولد ضـب
يـسكـت لما يـسمـع وينـفخ ذروبـه

و«نفخ الذروب» هو انتفاخ الـضب للتـخويف عند الإمـساك به. وكذلـك وصف شاعر آخر التواءات جحر الضب حيث يقول:

الـرجل لازم عـلاماتـه يـجَرْهِـدْها
لا يلـتوي مثـل ضب ملـيج ونطـاعِ

والضب وجـبة دسمة، وورد ذلك في كثير من الشعر حيث قال أحدهم:

واليـا لقـى بيض ام صـالح تـعشـاه
واليـا كدش لـه ضب زانـت وفوقه

وقال آخر:

ياحليَّ الضب أبو عكرةٍ تومي
روح في شانك وشان العرب خله

وقال الشاعر أحمد الدامغ مشفقاً على حال الضب بسبب اصطياده وما يتعرض له من أذى الإنسان:

يامجمّع الضبان الله يمدك
بصوت ينافح ظالم جاك غازيك
هيضتني ياضب من يوم شفتك
من حول جحرك قاصرات هقاويك
ياضب والله يوم تشكي نعذرك
مار الجهل من بعضنا قد عثا فيك

ويصف هذا الشاعر طرق صيد الضب بإغراق جحره بالماء فيقول:

أشوف مع هالوقت ناس تضدك
صارت هوايتها تتبع خطاويك
جو بالمواتر والروي عند حدك
والويَّت اللي حملوها بمواذيك
وصبوا من أزرق ما بها وسط جحرك
وخلوك تطلع ثم شدوا علابيك

المواتر: جمع موتر أي سيارة والويّت: جمع وايت وهو سيارة هي صهريج ماء. ويزيد الشاعر بذكر صفات الضب، وسلوكه في الصيف والشتاء قائلاً:

ياضب انا تراي درست طبعك
وليلات صيفك أبخصه مع أشاتيك
ونجم على المرزم تقدم يهجرك
وتجعلك رمضا القيظ فى اقصى موازيك
أانت الذي برد الاشاتي يضرك
ومن الكسل تأكل جعورتك هاذيك

وقال يصف حال الضب بعد أن أصبح صيده سهلاً:

ياضب قالوا عنك ناس تخبرك
«ثمنك حفره» والمثل صادق فيك
قالوه يوم انك تحصَّن بحفرك
واليوم ما شَيّ عن الناس حاميك

والضب من أكثر السحالي شعبية، وقد اقترن في معتقدات الناس بالجن، فيقال: إن الجن موجود في جميع الضباب، وخاصة السوداء منها، أو المقاربة للون الأسود. ويذكرون في ذلك أن شخصاً ذهب للقنص واصطياد الضباب، فوجد ضباً كريه الشكل، فاصطاده وأخذه معه. وعند وصوله إلى البيت تكلم الضب، وقال له: أعدني إلى المكان الذي أتيت بي منه، فجن جنون الرجل ولم يملك إلا أن حقق رغبة الضب، وأعاده إلى مكانه. وهناك قصة أخرى يرويها أحد كبار السن بأنه كان آتياً من الرين إلى الرياض، ووجد ضباً على جبل قريب من الخط العام، بعد الرين بخمسة كيلو مترات، فأمسك الرجل بالضب، وحمله لأولاده، فلماّ وصل إلى البيت، وأراد أن ينام أيقظه الضب، وقال له: الآن ترجعني إلى

مكـاني، وإلا سـيذبحـك أهلـي قبل الصباح، فعاد به مسافة ٢٦٠ كم ووضعه في مكانه، ونجا بروحه، ولم يعد لصيد الضباب مرة أخرى، وهذه كلها أساطير باطلة.

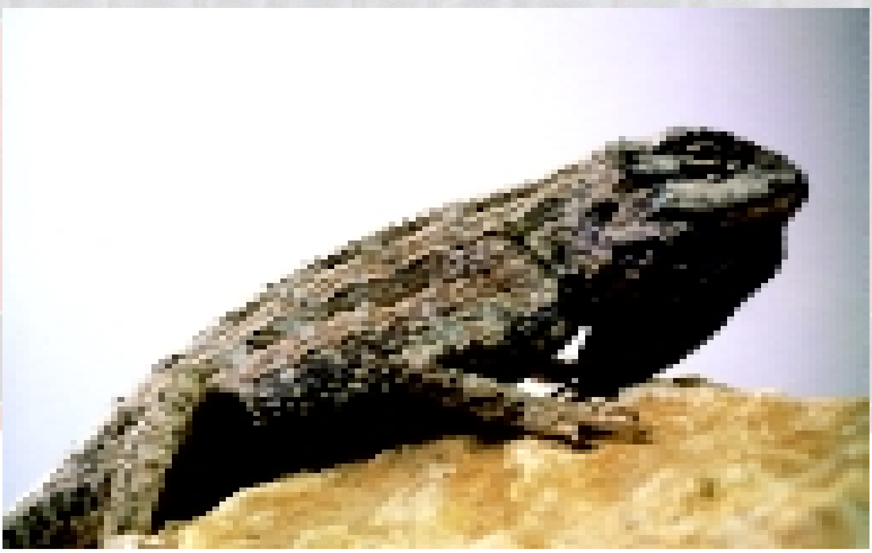
ويحكـى أن رجلين من البدو قـاما ليلاً بصيد ضب من جحره وعند إخراجه فوجئا بـأن رأس الضب ويديه ورجليه تشعان بضوء غريب، واعتقدا أن الضب جني متشبه بضب حيث تكثر القصص والاعتقادات بـذلك لدى البادية، ومع شعور كل واحد منهم بالخوف من ذلك الضب الغريـبً إلا أن خوفه من رفيقه أكبر من أن ينعته بالجبن فقـاما بالتسمية وذبحه وطبخه وبعد أكله لم يشعرا بشيء وتأكدا أن وراء جحر الضب سر، وبعد السؤال اكتشفـا أن المنطقة التي يقع بها جحر الضب بها عنصر الكبريت، وهو يعكس الضوء مما سبب لمعان رأس ويدي ورجـلي الـضب، ولـيس الأرواح أو الجان.

وهنـاك قصص كثـيرة عن الضـب تحكى فـي الأوساط الشعبيـة، منها أن الضب عندما يعض إنساناً لا يطلقه إلا إذا قُطع رأس الضب. يـحكى أن رجلاً جاء بضـب إلى منزله، فاقـترب طفله بأصبعه من فـم الضب، فعضه الضب وأمسك بأصبعه، فصرخ الطفل وحاول أهله أن يفتـحوا فم الضب، ويخرجوا أصبع الطفل، ولكنهم فشلوا في ذلك. فاستل الأب سكينه، وقطع فكي الضب. وعند ذلك استطاعوا تـخليص الطفل، بعد أن ترك الـضب آثار أسنانه عمـيقةً بأصبع الطفل. ويقال: إنه عندما يعض لا يـفك أسـنانـه، إلا حـين يحـمـى الرصـاص، ويصب فوق رأسـه. ومن الناس من يقول هذا عن الورر أي الورل لا الضب وأنه يحمى الدهن ويصب على رأسه

وقد قلَّت أعداد الـضبان في الآونة الأخيرة. وأهم ما أدى إلى ذلك سببان، هما الصيد الجائر بـهدف وبغير هدف، فليـس كل من دخل مـواطن الضبـاب مصطاداً يريد الانتفاع بهذا الحيوان للأكل أو غيـر ذلك، بل إن هنـاك فئات مـن الصـيادين يصـيدون أعداداً كـبيرة من الضباب لمجـرد التسلية وممـارسة هواية الصيد، وهو أمر نهى عنه الدين الحنيف. ويؤكد ذلك ما أفاد به أمير منطقة المزيرع بأنه، في موسم صيد الضباب، صادت مجموعة من الأشـخاص حوالي ٥٠٠ ضب خلال خمسة أيام أي بمعدل ١٠٠ ضب في اليوم الواحد! ونظراً لهذا العبث وما يترتب عليه من خطر عـلى التوازن

البيئي وإخلال به فإن هذه الكائنات بدأت تودّع مكامنها الطبيعية وأخذت أعدادها في النقص الملحوظ. والسبب الثاني هو تدمير المواطن الطبيعية لهذه الحيوانات نتيجة التوسع العمراني والزراعي غير المرشد، حيث أدى ذلك إلى احتلال مواطن الحيوانات الفطرية، ومنها الضباب، ومصادرة مواقع تكاثرها ومعيشتها الطبيعية. ومن صور التدمير أيضاً إقامة الطرق السريعة عبر مواطن هذه الحيوانات مما أدى إلى التضييق عليها تضييقاً شديداً. وتعمل الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها على تنظيم صيد الضب في المملكة بتحديد موسم معين للصيد، وتحديد عدد الضباب التي يسمح بصيدها للشخص الواحد بما لا يؤثر في النهاية على أعدادها في الطبيعة ويعرضها لخطر الانقراض.

عباد الشمس. هي سحلية قاضي الجبل، ويطلق عليها في معظم أجزاء المنطقة الوسطى «صباب عين الشمس». وسميت «عباد الشمس» لأنها تُشاهد وهي واقفة على بعض الأحجار أو غيرها، رافعةً رأسها متجهةً به نحو الشمس للحصول على الطاقة، وقد تسمى أيضاً «أم حبين أو الحبيني أو الحبيبانية أو أم جيلان». وبها ضرب المثل الشعبي «صيدة أم الحبين جراده». قد يصل طول هذه السحلية إلى ٢٥ سم. ويتميز جسمها بخطوط طويلة



سحلية عبّاد الشمس (قاضي الجبل)

مقطعة ذات لون بني داكن، متناوبة مع خطوط طولية بيض مفصصة. وعلى الذيل حلقات بنية داكنة، وعيونها صغيرة تساوي في حجمها تقريباً فتحتي الأذن، والرأس مثلث مثل الأنواع الأخرى في هذه العائلة. وأطرافها قوية جداً، ينتهي كل طرف منها بخمسة أصابع، وكل أصبع بمخلب قوي جداً، مما يسمح لها بارتقاء الصخور المرتفعة من أجل الحصول على الطاقة بالتعرض للشمس. ولا ترى هذه السحلية في أوقات الصباح الباكر، ولكنها تخرج عندما ترتفع درجة الحرارة نوعاً ما خلال ساعات الضحى.

وعندما تستثار السحلية تستطيل منطقة العنق وتنتفخ قليلاً ويزرق لونها، وقد يكون لهذا التلون علاقة بالهرمونات، وربما يكون له أيضاً علاقة بالجهاز العصبي نظراً للسرعة الفائقة التي يحدث التلون بها. وهذه السحلية كثيراً ما تشاهد واقفة على الصخور دون أن تتحرك. وهي ذات تغذية حيوانية، فهي تتغذى بالحشرات الأرضية والطائرة. وتحصل على غذائها بالجلوس والانتظار في مكانها دون أدنى حركة، فإذا مرت أمامها فريسة صادتها لا تبذل جهداً كبيراً في اللحاق بها.

عائلة السقنقورات

وهي من أكبر عوائل السحالي وأوسعها انتشاراً، فهي عالمية المواطن، وتنتشر أكثر أنواعها في المناطق الاستوائية من العالم القديم. ويختلف بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً في طبيعة حياتها، فبعضها له القدرة على تسلق الأشجار، وبعضها يقضي معظم وقته مختبئاً عن الأنظار، وبعضها من النوع الدفان الذي يعيش في الرمال، ومجموعة أخرى تعيش في جذوع النخل والأشجار.

تمتاز حيوانات هذه العائلة بجسمها الأسطواني، ورأسها القمعي، ويلاحظ اختفاء العنق في معظم أنواعها. وأطرافها الأمامية والخلفية إما أن تكون نامية، كل منها مزود بخمسة أصابع، وإما أن تكون قصيرة ضامرة غير متناسقة في حجمها مع حجم الجسم، وأجسامها مغطاة بحراشف ملساء متطابقة لامعة، ومعظم أفراد هذه العائلة من النوع البيوض الولود، وتعدّ السحلية ذات اللسان الأزرق أكبر أنواع السقنقورات في العالم، إذ يبلغ طولها حوالي ٦٠سم، ولها أطراف قصيرة.

وفي المملكة العربية السعودية حوالي ١٣ نوعاً تابعة لهذه العائلة.

السقنقور. تشيع تسميته بالسقنقور في أكثر مناطق وجوده في المملكة. كما



السقنقور (الصقنقور)

يسمى أيضاً «القِطَار» في بعض المناطق، مثل حائل، بسبب بقع على جانبيه تشبه نوافذ القطار. وتمتاز هـذه السحلية بأن جسـمها أسـطواني ممـتلىء أملس. بلا عـنق مـثل بـاقـي حيـوانات عـائلـة السقنقورات. كما تمتاز ببقع من ٦ إلى ٨ بنية على كل جانب من جانبي الجسم.



السقنقور ويسميه أهل حائل القطار

ولون الجسم من الناحية الظهرية أصفر مائل إلى البني الفاتح، أما من النـاحية البطنية فيميل إلى البياض. وتتغذى هذه السحلية بالحشرات، ويرقاتها، وبعض العـنكبيـات، وبعض أجـزاء النبات. ويعتقد بعض الـناس، خصوصاً الذين يأكلون الـسقنقور، أنه يتـغذى بالرمل فقط، وهو موطن معيشته، حيث يدخل فيـه ويخـتفـي. وهذا الاعتـقاد غـير صحيح، إذ يتغذى السقنقور ببقايا نباتية وحشرات مختلفة من خنافس ويرقـات وغيرها، وقد يتناول الرمل مع غذائه، خصوصاً خلال فتـرات الصيف، حين يقل الغذاء بـشكل ملحوظ. فنجد أن السقنقور يتناول الرمل ليحصل منه على

بعض المواد العضوية أو اليرقات التي بداخله.

وتعيش هذه السحلية في الكثبان الرملية، خاصة على حوافها التي يكون فيها الرمل سائباً جداً، في عكس اتجاه الرياح، وهي الأماكن التي يفضلها السقنقور لأنه يغوص ويسبح في هذه الرمال بسهولة، ويساعده على ذلك أن مقدمة رأسه تأخذ شكل بروز مستعرض، وأن الأطراف الأمامية والخلفية صغيرة، مقارنة بحجم الجسم، والأصابع قاسية عريضة تحتوي على زوائد تساعدها في المشي على الرمال والغوص والسباحة فيها. تقضي هذه السحلية معظم وقتها داخل الرمال، وتنشط خلال فترات الصباح الباكر، وخلال ساعات النهار الأخيرة، حيث تكون حرارة الجو معتدلة. والسقنقور من السحالي ذات السمعة الشعبية الواسعة في بعض مناطق المملكة قديماً، مثل الزلفي وحائل والشمال ومناطق الربع الخالي. ويسميه قبائل الربع الخالي الدميسة لأنه يندمس بجسمه تحت الرمال، حيث تكثر الكثبان الرملية، وهي مواطن مناسبة لمعيشة السقنقور. ويأكل البدو الرحل في تلك المناطق السقنقور بعدة طرق، فمنهم من يأكله مشوياً، ومنهم من يأكله مطبوخاً، ومنهم من يأكله مقلياً بالزيت. والسقنقور من السحالي الجميلة الشكل لذا يصيده الأطفال في مناطق انتشاره، مثل الزلفي وغيرها، من أجل تربيته في البيوت، وقد أصبح ذلك من هواياتهم المفضلة. ويسمى السقنقور في نجد «الصقنقور»، وذكر في الأمثال الشعبية، منها «صقنقور ما ينمسك» كناية عن السرعة.

ويباع السقنقور اليوم في محلات العطارة في مناطق كثيرة من المملكة، خصوصاً في مكة المكرمة، مسحوقاً مجففاً بالأملاح. ويصل سعر مسحوق السقنقور الواحد إلى ١٥ ريالاً. كما يباع على شكل معجون، بعد طحنه وإضافة شيء من العسل إليه وتعبئته في علب خاصة مكتوب عليها بالخط الكبير «مقوي للباءة»، وتحمل العلبة صورة السقنقور، وصورة لرجل ضخم الجسم، دلالة على أن هذا المعجون مقو للرجل. ويصيد أهالي حائل أعداداً كبيرة من السقنقور، ويصدرونه إلى العطارين في مكة المكرمة لتجفيفه وسحقه وبيعه هناك. كما أن العطارين يعصرون السقنقور لاستخراج شحمه لبيعه دهناً يستخدم لعلاج بعض الأمراض مثل الروماتزم وأمراض المفاصل وغيرها، بجانب بيعه على هيئة «سقنقور

مجفف» لتقوية القدرة الجنسية فيما يزعمون.

السعودّة. وهي سحلية تعيش في المناطق الزراعية، في جذوع الأشجار خاصة النخيل، أو تحت بعض الأشجار المختلفة في الأودية، خصوصاً أشجار الطلح؛ ولذلك فهي معروفة جيداً لدى أهالي المناطق الزراعية في المملكة. وتعرف في بعض مناطق نجد باسم السحبلّة بتشديد اللام، ورد ذكرها في المثل الشعبي «تولد ابان، والى سحبله» وهو بمعنى المثل القديم «تمخض الجبل فولد فأراً». وأكثر ما ترى في بيوت الطين القديمة، وبالذات في مسوّى القهوة وهو مكان إعداد القهوة، حيث الرماد في الوجار (الموقد).

وتمتاز بأن جسمها أسطواني ضخم ممتلىء قليلاً بلا عنق متميز. وذيلها متوسط الطول، مستدق بالنسبة لحجم الجسم، وأطرافها قوية، ويختلف لونها باختلاف البيئة، لكنه يميل إلى السواد بشكل عام من الناحية الظهرية مع نقط بيض، أما الناحية البطنية فتميل إلى اللون الأبيض المحمر قليلاً. والمنطقة السفلية في الذكور أكثر احمراراً منها في الإناث. وتمتاز هذه السحلية بنشاطها وحركتها السريعة. وهي من النوع البيوض مثل أكثر أنواع السقنقورات. وتتغذى بالحشرات المختلفة خاصة الصغيرة منها.

ويتوهم كثير من الأهالي في البادية أن السعودّة (تتجنس) أي أن الجن تتشكل بصورتها خصوصاً أن لونها مائل إلى اللون الأسود. ومن ذلك ما تناقله أحد كبار السن من منطقة نجد حيث قال: إن سحلية تسمى السعودّة كانوا يجدونها أمامهم، كلما أرادوا الطبخ في مكان، فيتعوذون منها، ويخرجونها. حدث ذلك لمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع وجدها الرجل مذبوحة بالسكين أمام باب النخل، ووجهها ناحية الشمال؛ فأخذها ودفنها. وفي المساء أتاه رجل غريب وقال: له «لو أنك لم تقبر ولدنا، لقبرناك نحن»، وفي بضع ثوان اختفى عن الأنظار. وهذه من الأساطير التي لا أساس لها.

عائلة الحرابي

وتضم أنواعاً عديدة منتشرة في جنوب أوروبا وأفريقيا وآسيا الصغرى والهند وسيلان. وفي المملكة نوعان متشابهان من الحرابي يصعب أن يفرق بينهما غير المتخصصين، نظراً للتشابه الكبير بينهما، وقد اشتق الاسم اللاتيني الشائع للحرباء وهو «كاميليون» من اسم أطلقه الإغريق عليها ومعناه (أسد

صغير). وكان أرسطو، الفيلسوف الإغريقي القديم، قد وصف الحرباء وصفاً على جانب كبير من الدقة والتفصيل. والحرباء من أغرب المخلوقات شكلاً، فجسمها مفلطح من الجانبين، والظهر نحيف جداً، يبرز عليه عرف من الجلد به حزوزٌ بارزة، وجلد العنق مجعد، والرأس مثلث الشكل ذو قمة هرمية، والعينان كبيرتان، تنظران في اتجاهين مختلفين حيث تتحرك كل منهما مستقلة عن الأخرى، والعين مغطاة بالجلد سوى جزء صغير في مركزها، والآذان غير ظاهرة على سطح الجلد، والفم شق كبير يحيط بمقدم الرأس، وللحرابي ذيل طويل منضغط، تلفه غالباً حول فروع الأشجار فيساعدها على التشبث بها، والأصابع، في كلا الطرفين الأمامي والخلفي، متجمعة في مجموعتين، إحداهما تضم أصبعين أما الأخرى فتضم ثلاثة. ووسيلة الحرابي في القبض على فروع الأشجار تشبه، إلى حد كبير، الأسلوب الذي تستخدمه بعض أنواع الطيور.

والجلد أملس في بعض أنواع الحرابي، ولكنه يحمل نتوءات أو تدرنات في أنواع أخرى، وهو دائماً مترهل على جسم الحيوان، ويتغير لونه تغيراً واضحاً جداً بتغير عدة عوامل منها كمية الضوء الذي يتعرض له، ولون الوسط الذي يوجد فيه. وتغيير لون الجلد من أهم الصفات التي تمتاز بها الحرابي حتى أصبحت ذات شهرة ذائعة في ذلك. وهي تفوق في هذه القدرة الزواحف الأخرى، وكذلك البرمائيات. على أن هناك حيوانات أخرى مثل بعض أنواع الأسماك، تفوقها في هذا. ويبدو أن تغير لون الحرباء يكون، إلى حد ما، بإرادتها وحسب حالتها النفسية أو العصبية، وقد يكون قسريا فيكتسب الحيوان لوناً يشبه إلى حد كبير، لون البيئة الطبيعية التي يستقر عليها. ولتغير لونه أيضاً علاقة بأشعة الشمس في بعض الحالات. وعلة قدرة الحيوان على التلون هي وجود أصباغ مختلفة داخل خلايا صبغية موزعة في أدمة الجلد، وبعضها في البشرة قرب السطح، وتغير الحبيبات الصبغية أوضاعها في داخل هذه الخلايا، كما أنها تغير أيضاً أوضاعها بعضها مع بعض مما يؤدي إلى تغير لون الحيوان، ويتحكم في حركة الخلايا الصبغية نوعان من الأعصاب يعمل أحدهما على حركتها نحو سطح الجلد، ويعمل النوع الآخر على حركتها في الاتجاه المضاد.

والحرابي ساكنة بطيئة الحركة جداً، وأنشط عضو فيها هو اللسان، وهو عضو أسطواني لحمي بالغ الطول يشبه الدودة، ينتهي عند طرفه بجزء سميك يشبه الفنجان، وللحرباء القدرة على دفع لسانه إلى الخارج فجأة لاقتناص فرائسها من الحشرات وغيرها من الحيوانات الصغيرة، وبإمكان اللسان أن يمتد إلى مسافة تساوي طول جسمه مرة ونصفا، ولذلك فالحرباء في غير حاجة إلى مطاردة فرائسها، بل تختفي تحت أوراق الأشجار، أو على الفروع حيث يحاكي لونها ذلك الجزء من النبات الذي تقف عليه، وتتربص بفريستها حتى تصبح على مسافة مناسبة منها، ثم تدفع بلسانها الطويل فجأة إلى خارج فمها، ليمسك بالفريسة التي تلتصق عليه بإفراز لزج في طرفه ثم يتقلص اللسان ثانية فيعود بالفريسة إلى الفم ليدفع بها إلى تجويف في سقف الحلق وتُبْلع.

رئتا الحرابي كبيرتان جداً، ولهما تركيب خاص يمكنه من التحكم في اتساعهما فيتسعان أو يضيقان. وإذا اتسعت الرئتان جداً فإن الهواء يمر منهما في أوعية هوائية منتشرة في أنسجة الجسم المختلفة مما يؤدي إلى انتفاخ الحيوان، فيبدو على درجة من البدانة، ويتمدد جلده فيصبح رقيقاً شفافاً، وإذا ما طُرد الهواء من تلك الأوعية انفش الحيوان وعاد إلى حجمه الطبيعي. وأهم أنواع عائلة الحرابي في المملكة الحرباء.

الحرباء. تعرف أيضاً باسم الحربائية ودعد والفاشة. وتسمى في بعض المناطق أبو الشقيق. وكنيتها عند العرب أبو جحادب، وأبو الزنديق، وأبو قادم. ويقال لها جمل اليهود. وهي ذات هيئة غريبة وبنية عجيبة. ذنبها بطول جسمها فتلفه حول فروع الأشجار، وتستعين به في التسلق عليها والتعلق بها. وتعيش في أعالي المرتفعات التي قد تصل إلى أعلى من ٢٠٠٠ متر عن مستوى سطح البحر، ومن النادر أن تعيش على ارتفاع أقل من ١٠٠٠متر فوق مستوى سطح البحر. وتنتشر في المناطق الجنوبية الغربية من المملكة، وتنتشر في معظم مرتفعات جبال السروات من الطائف شمالاً حتى أبها جنوباً. كما تعيش أيضاً في شمال المملكة حيث جمعت بعض الأفراد من منطقة حائل.

يصل طول الجسم من المقدمة حتى آخر الذيل إلى حوالي ٣٠ سم. ويوجد ٦ إلى ٧ أشرطة عمودية على كل جانب من جانبي الجسم، لون الحرباء رمادي

داكن، والعرف منحن إلى الخلف، والذيل على شكل حلزون، وهي تعيش على الأشجار وتتسلق الأغصان، وقد يرجع بطء حركة الحرباء إلى وجود عينين قويتين جاحظتين في رأسها، حيث تدور كل عين منهما وحدها مستقلة بحركتها بزاوية قدرها ١٨٠ درجة. وهي تستطيع أن تحول إحدى عينيها إلى أعلى، والأخرى إلى أسفل، أي تنظر باتجاهين متضادين في وقت واحد مما يعطي للحيوان فرصة بأن يكتشف أكبر مساحة ممكنة حوله دون الحاجة إلى أن يتحرك من مكانه. بعضها بيوض ولود والآخر



الحرباء

يضع بيضاً. وتعيش الحرباء غالباً على الأشجار، ولكن قد تشاهد على الأرض في حالة بحثها عن الغذاء.

والحرباء مشهورة بأنها تتلون بلون بيئتها، إما بغرض الاختفاء من الأعداء، أو وفاقا لمزاجها عندما تنزعج. تقتات بالحشرات، التي تقتنصها بلسانها الطويل المغطى طرفه بمادة لزجة تلتصق بالذباب والبعوض والفراش والجنادب. كما شوهدت، وهي تتغذى ببيض أنواع السحالي الصغيرة. وهي من أكثر الزواحف فائدة للمزروعات، لا تؤذي أبداً. ويضرب المثل في التلون بها، فيقولون «فلان يتلون تلون الحرباء» أو «فلان حرباء»!. وهناك تفاوت كبير في ألوان أجسامها، فهي تتغير من الأصفر إلى الأخضر إلى الرمادي إلى البني الداكن، كما أن بعضها أسود وأصفر ومختلط الألوان. وأورد الدميري قول الإمام القزويني في كتاب عجائب المخلوقات: لما كان الحرباء خلقاً بطيء النهضة، وكان لا بد له من القوت، خلقه الله على صورة عجيبة؛ فخلق عينيه تدور إلى كل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة نحوه ولا قصد إليه. ويبقى كأنه جامد أو كأنه ليس من الحيوان ثم أعطي مع السكون



الحرباء ذنبها طويل يعينها على تسلق الأغصان والتعلق بها

خاصية أخرى وهي أنه يتشكل بلون الشجرة التي يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها، ثم إذا ما اقترب منه ما يصطاده من ذباب وغيره أخرج لسانه ويخطف ذلك بسرعة كلحوق البرق ثم يعود إلى حاله كأنه جزء من الشجرة. وخلق الله لسانه بخلاف المعتاد ليلحق ما بعد عنه بثلاثة أشبار ونحوها يصطاد به على هذه المسافة. وإذا رأى ما يروعه ويخوفه تشكل وتكون على هيئة وشكل يفر منه كل ما يريده من الجوارح ويكرهه بسبب ذلك التلون.

والحرباء أكبر من العظاية، وهي تتلون بحرارة الشمس ألواناً مختلفة؛ فتتلون إلى حمرة وصفرة وخضرة، وما شاءت. والجمع الحرابي والأنثى حرباءة. قال رجل: خاصمت ابن أخي إلى معاوية فجعلت أحجه، فقال أنت كما قال الشاعر:

أنَّى أتيح له حرباء تَنْضُبَةٍ
لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقا

أراد بالساق هنا الغصن من أغصان الشجر. والمعنى أنه لا تنقضي له حجة حتى يتمسك بأخرى شبيهاً بالحرباء. قال الجوهري ويقال حرباء تنضب، كما يقال ذئب غَضَى. والتنضب شجر يتخذ منه السهام. وجاء في المثل أيضاً: «فلان مثل الفاشة لا يترك عوداً حتى يمسك الآخر»، والفاشة من أسماء الحرباء.

ويستخدم بعض الناس في الجزيرة العربية دهون الحرباء (الأجسام الدهنية) علاجاً لبعض الأمراض، ومن أهمها البرص، يستخرجون الأجسام الدهنية من بطن الحرباء ويذيبونها. وبعد ذلك يمسحون الجزء المصاب بالبرص من جسم الإنسان بهذا الزيت السائل، ويقولون إنه علاج ناجح، وجرب على عدد من الناس.

عائلة الأبراص

وهي من الزواحف التي تعيش مع الإنسان، في الجزيرة العربية، حياته اليومية، في منزله، سواء أكان قديماً أم حديثاً، كما أنها تعايشه في مزرعته، وفي أماكن تنزهه، من البراري أو المناطق الزراعية من حدائق وغيرها، ولذلك كله اتهم الإنسان هذه الأبراص بتسميم أغذيته فكرهها، خاصة أن الإسلام أمر بقتلها ورتب على ذلك الأجر العظيم؛ روى البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن أم شريك $ أنها استأمرت النبي ﷺ في قتل الوزغان فأمرها بذلك، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ أمر بقتل الوزغ وسماه فُوَيْسِقاً. وقال: كان ينفخ النار على إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكذلك رواه الإمام أحمد في مسنده، وفي الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة # قال إن النبي ﷺ قال «من قتل وزغة من أول ضربة فله كذا وكذا ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة دون الأولى، ومن قتلها في الثالثة فله كذا وكذا حسنة، دون الثانية وفيه أيضاً أن من قتلها في الأولى فله مائة حسنة وفي الثانية دون ذلك وفي الثالثة دون ذلك». وفي حديث عائشة $ أنه كان في بيتها رمح موضوع فقيل لها: ما تصنعين بهذا؟ فقالت: أقتل به الوزغ، فإن النبي ﷺ أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقي في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه النار غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه النار، فأمر ﷺ بقتله. وكذلك رواه الإمام أحمد في مسنده.

حيوانات هذه العائلة ليلية المعيشة لكنها قد تشاهد خلال فترات النهار، خصوصاً في المناطق الباردة. ولعل السبب في ذلك ملاءمة الظروف المناخية لنشاطها. تتغذى الأبراص غالباً بالحشرات. ومعظمها بيوض، ولبعض الأبراص تركيبات في أطرافها في نهاية الأصابع تساعدها على التسلق على الأسطح الملساء، تسمى بالحلمات أو المصات، والرأس عريض مثلث مغطى

بحبيبات أو حراشيف صغيرة، والعين واسعة، وفتحة الأذن واضحة على هيئة شق، واللسان إما قصير أو متوسط الطول، والعنق قصير غليظ، وأغلب الأبراص حرشفية شفافة اللون، وبعضها ذات ألوان داكنة، وتعدّ الأبراص الوحيدة من عوائل السحالي التي لها القدرة على إصدار أصوات، وذلك بضرب اللسان ضربات بسقف الفم. وتخزن الأبراص الدهون في الذيل. وظاهرة انفصال الذيل عند السحالي واضحة جداً في الأبراص.

وجاء في كتاب حياة الحيوان الكبرى أن الوزغة بفتح الواو والزاي والغين المعجمة تطلق على دويبة معروفة. واتفقوا على أن الوزغ من الحشرات المؤذيات، وجمع الوزغة وزغ وأوزاغ ووزغان وأزغان.

والحشرة في اللغة واسعة الدلالة تشمل الهوام وغيرها، وبهذا المعنى الواسع وردت عند الدميري أما عند علماء الحيوان المحدثين فالوزغ ليس من الحشرات لأن الحشرات غير فقرية التركيب، بل هو من الزواحف الفقرية التركيب. وذكر أصحاب الآثار أن من طبع البرص أن لا يدخل بيتاً فيه رائحة الزعفران، وتألف الحيات البرص كما تألف العقاربُ الخنافسَ. والاعتقاد الشعبي السائد في بعض مناطق وسط المملكة أن البرص هو الذي يمد الثعابين بالسم (يسقيها) وأن ذلك يكون كل ليلة إثنين من كل أسبوع، وهو من الأساطير الساذجة. ويبيض البرص كما تبيض الحيات، ويقيم في جحره زمن الشتاء أربعة أشهر لا يطعم شيئاً حيث يدخل في سبات شتوي.

وهناك أنواع كثيرة من الأبراص، منها ما يعيش داخل المنازل القديمة، ومنها ما يعيش في الرمال. ومنها ما يعيش في المناطق الجبلية بين الصخور، وأنواع أخرى تعيش على الأشجار. وفي الجزيرة العربية ٤٨ نوعاً من الأبراص، الفروق المميزة بينها دقيقة جداً لا تستهوي سوى المتخصصين في مجال دراستها. وأكثر أنواع الأبراص انتشاراً في المملكة نوعان، هما البرص المنزلي، والبرص البري أو الصحراوي.

البعرصي. هو البرص المنزلي. يطلق عليه أسماء كثيرة، منها: الأبرص والبعرصي والبعيرصي والوزغ والبُرص والفويسق والبصاق والضاطور وغيرها. ينتشر هذا النوع في جميع مناطق المملكة، ولا يكاد يخلو منزل من وجوده، فهو بذلك واسع الانتشار جداً. وجسم هذا البرص شفاف، لونه بني مصفر مع نقط أو بقع بنية فاتحة على الناحية الظهرية،

وأما الجهة البطنية فلونها أبيض مصفر، ولون جسم هذا الحيوان أقرب ما يكون إلى لون جلد الأبرص، حتى ليبدو وكأنه مصاب بمرض البَرَص، ومن هنا اتخذ اسمه تقريباً على أن منه ما يكون رماديا. وفي نهايات الأصابع حلمات تسمى بالممصات تساعد البرص على الالتصاق بالأسقف والأسطح الملساء، وله ذيل إذا قطع ظل يضطرب فترة من الزمن ثم يسكن. ويعيش هذا البرص في المناطق الصخرية وفي المنازل، وهي الموطن المفضل لديه.

ويتغذى البرص المنزلي بالحشرات المختلفة. وينشط خلال الليل، أما خلال النهار فإنه يظل مختفياً عن الأنظار في شقوق جدران المنازل. وقد يصدر البرص في بعض الأحيان، ليلاً أو نهاراً، صوتاً عالياً متقطعاً، ويحدث الصوت بضرب اللسان في سقف الفم. وغالباً ما يشاهد في الليل بجوار مصابيح الإضاءة، للحصول على الدفء منها والغذاء من الحشرات التي تحوم حولها.

وعند الناس اعتقاد بأن هذا البرص سام، وهو اعتقاد غير صحيح إذ ليس له أي غدد سامة. ويتوهم كثير من الأهالي أن الأبراص تلعق الطعام داخل المنازل، خصوصاً في المطابخ حيث تكثر هذه الأبراص من أجل التغذي بالحشرات المختلفة التي تعيش فيها. ولهذا اللعق فإن الأبراص، كما يقولون، «تزوع» أي تتقيأ في المواد الغذائية المختلفة، خصوصاً الألبان ولذا تتسمم؛ فإذا شرب أو أكل أحد من هذه المواد الغذائية (الملحوسة) فإنه يموت أو يتسمم، ولكنهم يعتقدون أن التمر لا يتأثر باللحس، قالوا في المثل الشعبي «تمرة ما تقدر عليها اللواحيس» ويضرب المثل في من لا يضره شيء. كما اشتهر عند الناس أيضاً أنّ البرص إذا مس جسم إنسان فإنه يسبب له مرض البَرَص، وهو اعتقاد باطل ليس له أساس من الصحة، وقد نشأ هذا الاعتقاد من شكل البرص ولون جسمه الذي يميل إلى البرص، لأن جسمه شفاف خال من الصبغات، فيوحي لمن يراه كأن به بَرَص. وهم من أجل ذلك حريصون على قتله ويعتقدون أنهم مأجورون على ذلك بل منهم من يرى قتله باليد أجر، ويتسلى الصبية بقتله بالنباطة وهي مرجامة من خشب وسيور مطاط تقذف حصاة تقتل ما تصيب من طيور أو زواحف صغيرة.

وتعتقد قبيلة الرولة أن البرص سحلية سامة من سحالي النفود، فإذا عض إنساناً بات الإنسان ضجراً، فلا يستطيع اللبث

في مكان واحد، فإن كان مضطجعاً في الظل حن إلى الشمس، فإذا حُمل إلى الشمس أراد العودة إلى الظل. ومن هنا يقولون فيمن يعدو من مكان لآخر: «أهو قريص البريصي؟» أي: هل لدغه بريصي (سام أبرص). وهذا أيضاً غير صحيح نظراً لخلو البرص من الغدد السامة، ولكي يكون الحيوان ساماً لا بد أن يحتوي على جهاز للسم.

ويتوهم العامة أيضاً بأن البرص إذا لحس شخصاً بلسانه ترك وراءه في مكان اللحس حساسيةً وجروحاً، وللتداوي من هذه الجروح يؤخذ بـعيرصي (برص)، ويشوى حتى يـتناقط دهنه، ثم يوضع الدهن المتناقط على الجروح، وبعد مدة قصيرة يشفى الشخص ويتعافى بإذن الله.

البرص البري. ويسمى أيضاً البرص الصـحراوي أو الـوزغ كما يـسمـى أم صالح. ويسمى الذي يعيش في الرمال الطحيـحي لأنه يدفن نفسه فـي الرمال ولا يظهر سوى رأسه لصيد الحشرات. وقد تطلق عليه الأسماء نفسها التي تطلق على البرص المنزلي. يعيش في المناطق الصحراوية، رملية وسهلـية، ويكتسب جسمه لون البيئة التي يعيش فيها. وعلى ذيله حلقات بنية تمتد من بداية الذيل إلى نهايته، وله بروزات حبيبية على جانبي الجسم، وليس له حلمات (ممصات) على



البرص (رافعاً أرجله وذنبه اتقاء لحرارة سطح التربة)



برص بري

الأصابع، لأنه غير متسلق، خلافاً للبرص المنزلي. ويشاهد في البراري دائماً رافعاً رأسه وطرفيه الأماميين بوضوح.

ويعتقد عامة الناس أن الأبراص سامة حتى يزعم بعضهم أنها تسقي الحية من سمها، وأنهم يشاهدون الحية والبرص البري كل منهما واضع فمه في فم الآخر، ولذلك يقولون إن البرص يسقي الحية من سمه، وهو اعتقاد غير صحيح.

العضوي. ومن أسمائه أيضاً الخصوي، وهو قريب الشبه من البعرصي غير أنه يختلف عنه في شكل الرأس وانسياب الجسد وأنه لا يتسلق الجدران إذ ليس لأصابعه وسائد ماصة فأصابعه طويلة، وأما لونه فهو بني فاتح وقد يميل إلى اللون الرمادي ويعيش في البيئة الزراعية ومنه بريّ يعيش في الرمال لذلك يتلّون بلونها وهو سريع الحركة، ولا يكرهه الناس؛ لأنهم لا يعدونه ساما كالبرص ولا خطر منه، ولذلك لا يقتلونه، بل ينهون صغارهم عن قتله، ولا يرى في البيوت كالبرص.

عائلة الأورال

يتبعها جنس واحدٌ فقط يضم ثلاثين نوعاً من الأورال، وتتصف بأن لها أطرافاً قويةً جداً، ورأسها متطاول وكذلك الرقبة، والذيل طويل قوي جداً، تستخدمه في الدفاع عن نفسها، ولها أسنان واضحة قوية جداً، ولسانها

مشقوق، لذلك يظن بعض الناس أنها سامة وهذا غير صحيح، وأطرافها ذات خمسة أصابع قوية جداً تنتهي بمخالب قوية أيضاً.

تتغذى الأورال بأنواع عديدة من الفقريات الصغيرة مثل السحالي والقوارض وغيرها، كما تتغذى بأنواع من اللافقريات المختلفة، وتعيش في بيئات متباينة، فبعضها يعيش على اليابسة، وبعضها يعيش بالقرب من المياه، وهو قادر على السباحة. ويعدّ الورل المسمى «تنين أندونيسيا» أكبر أنواع الأورال على الإطلاق، إذ يبلغ طوله حوالي ٣ أمتار. وجميع الأورال نهارية المعيشة، إذ تخرج وتنشط خلال فترات النهار، وتختفي في فترات الليل، إما في أنفاق أو جحور، أو تحت الصخور. وفي الجزيرة العربية ثلاثة أنواع من الأورال تتشابه في كثير من الصفات، والاختلافات بينها لا يمكن أن يدركها غير المتخصصين، وهناك نوع واحد فقط منها هو أكثرها انتشاراً في الجزيرة العربية.

الورر. هو الورل، وورد في التراث العربي أن الورل حيوان من الزاحفات، جمعها ورال وورلان وأورال، والأنثى ورلة، أما اسمه عند العامة فهو الورر، وأبو كخة، ويعرف بهذا الاسم في معظم مناطق المملكة. وهو يعيش في بيئات مختلفة، مثل المناطق السهلية ذات التربة



الورل

المتماسكة، والكثبان الرملية. ويشاهد أيضاً في الأودية والشعاب والمزارع.

ويمتاز الورل بأن له رأساً وعنقاً متطاولين، كما أن عينيه واضحتان جداً، ولسانه طويل مشقوق، وله القدرة على إخراجه من الفم، وهو في ذلك يشبه لسان الثعابين، ممَّا ألبس على كثير من الناس، خاصة العوام منهم، فجعلهم يعتقدون أن الورل حيوان سام بسبب لسانه المشقوق. وهذا الاعتقاد لا أساس له من الصحة، فلا علاقة بين انشقاق اللسان وبين سمية الحيوان. فالحقائق العلمية تنفي سمية الورل إذ ليس لديه أي غدد سمية، مثل غدد في بعض أنواع الثعابين، ولا أنياب له، ومع ذلك فعضة الورل قوية جداً لقوة أسنانه.

اللون العام لجسم الورل رملي، مع بعض النقط المميزة على سطح الظهر، وعلى الذيل حلقات بنية، وعلى العنق خطوط بنية تمتد على جانبيه وتصل إلى الرأس، أما من الناحية البطنية للرأس والعنق ففيهما بعض النقاط البنية، والناحية البطنية ذات لون رملي فاتح، وهو ذو ذيل قوي. ويعتقد بعض الناس أن الورل إذا أصاب شخصاً بذيله، فإنه يكسر رجله، وهذا خطأ. مثل الاعتقاد



مقدمة جسم الورل

الشائع عند البدو والحضر أن ضربة ذيل الورل تكسر رجل البعير وهو أيضاً غير صحيح.

وقيل إن الورل على خِلْقة الضب، ولكنه أطول منه، ولا عقد في ذنبه كعقد الضب. وهو طويل الأنف والذنب، لونه من فوق أصفر فاتح تتخلله بقع مربعة صفر ضاربة إلى الخضرة. ويأكل الحراذين والحيات والعقارب والخنافس. وصفه القزويني بأنه العظيم من الوزغ، سام أبرص، طويل الذنب سريع السير خفيف الحركة. وقال عبد اللطيف البغدادي: الورل والضب والحرباء وشحمة الأرض والوزغ كلها متناسبة في الخلق.

والورل من السحالي البيوضة، شأنه في ذلك شأن معظم أفراد جنسه، ويتراوح طوله من ٦٠ إلى ١٣٠سم. ويتغذى بالقوارض الصغيرة، وعلى بعض أنواع السحالي الصغيرة، وهو يمزق فريسته بالمخالب القوية في أطرافه الأمامية والخلفية، ثم بعد ذلك يبتلعها دون مضغ، فهو بذلك يشابه الثعابين في طريقة التغذية.

ويعتقد العرب أن الورل ليس في الحيوان أكثر سفاداً منه. وبينه وبين الضب عداوة، فيغلب الورلُ الضبَ ويقتله، ولكنه لا يأكله كما يفعل بالحية. وهو لا يتخذ بيتاً لنفسه ولا يحفر له جحراً، بل يُخْرِج الضب من جحره صاغراً ويستولي عليه، وإن كان أقوى براثن من الضب لكن الظلم يمنعه من الحفر؛ ولهذا يضرب بالورل المثل في الظلم، ويكفي من ظلمه أنه يغصب الحية جحرها ويبتلعها، وربما قُتِل فوُجِد في جوفه الحية العظيمة. وهو لا يبتلعها حتى يشدخ رأسها. ويختلف عن بقية أنواع السحالي في أنه ليست له القدرة على تعويض ذيله عند فقده.

والورل حيوان نهاري المعيشة، ويلاحظ نشاطه خلال فترات منتصف النهار، أي حين اشتداد الحرارة، حيث يفضل درجات الحرارة العالية؛ لأن لديه القدرة على تحملها، وأطراف الورل الأمامية والخلفية متساوية تقريباً في الحجم، وتبدو الأطراف الأمامية في وضع قائم (رأسي)، أما الأطراف الخلفية فتأخذ وضعاً مائلاً، وأصابع الأطراف الأمامية أطول من أصابع الأطراف الخلفية. ويشاهد الورل عند حركته رافعاً جسمه عن سطح التربة؛ ولعل ذلك يرجع إلى خروجه ونشاطه خلال أوقات ارتفاع درجة الحرارة، حين يكون سطح التربة حاراً جداً، فلذا يمشي رافعاً جسمه عن سطح التربة تلافياً للحرارة العالية المنبعثة من سطح الأرض.

وللورل بعض المواقف المشهورة، خاصة مع الأفعى المقرنة (أم جنيب)، عندما تدور بينهما معركة يكون الورل غالباً هو الطرف المنتصر فيها. إذ يستخدم ذيله القوي لضرب الأفعى بقوة، وتستخدم الأفعى سمومها للدفاع عن نفسها. ويذكر الأهالي في بعض مناطق المملكة، خصوصاً المنطقة الوسطى، أنهم شاهدوا مثل هذه المعارك، وأن الورل، بعد أن تلدغه الأفعى يذهب بسرعة ويحك جسمه على شجيرة صغيرة يقال لها الرمرام، ثم يعود مرة أخرى لمصارعة الأفعى حتى يتغلب عليها، ثم يأكلها بعد أن يقطع رأسها. وعندما تصاب بعض الأورال بالهلع والخوف تنقلب على ظهرها، وتتصنع الموت، وتضع إحدى قدميها في فمها، وتبقى على هذه الحالة لفترة من الزمن، حتى تشعر أن الخطر قد زال عنها، فتعود بعد ذلك إلى وضعها الطبيعي وتنجو بنفسها. ويصف الجاحظ الورل بأنه دابة، تكون غالباً بناحية مصر، مليحة موشاة بألوان كثيرة. ولها كف ككف الإنسان، مسومة أصابع إلى الأنامل. والورل يقوى على الحيات، ويأكلها أكلاً ذريعاً ويخرجها من جحرها ويسكن فيه، وهو أظلم ظالم.

وهذا الحيوان من أخطر الحيوانات لأن له عزيمة على مطاردة فريسته. وهناك قصص كثيرة تقال عن أنّ الورل إذا طارده إنسان على قدميه، فإن الورل يتحول مباشرة من هارب إلى مطارد، فيتجه إلى الشخص الذي يطارده ويقوم بمهاجمته. ويحكى أن هناك شخصين ذهبا إلى البر فوجدا ورلاً فتحرشا به، فنفخ صدره وطاردهما، وكان سريع الجري، وحاولا الوصول إلى السيارة، ولكنه كان أسرع منهما فقفز في غمارة السيارة. وابتعد الشخصان عن السيارة وانتظرا حتى هدأت نفس الورل، وابتعد. لأنه ضعيف النظر فلا يستطيع رؤية الشخص إلا عن قرب. ولذلك يفضل للإنسان تجنبه حين مشاهدته وعدم مضايقته لأن عضته مؤذية.

السلاحف

يعيش أكثر من ٢٢٥ نوعاً من السلاحف في مناطق مختلفة من بقاع العالم. بعضها أرضي المعيشة، كالسلحفاة المصرية التي تقطن المناطق الصحراوية، وبعضها يعيش في الماء العذب، كالسلحفاة النيلية، وبعضها يعيش في البحار، كالسلحفاة الخضراء، التي تعيش في مياه الخليج العربي. وأهم

ما يميز السلاحف جسمها القصير العريض، الذي يحيط به صندوق عظمي، ويتركب هذا الصندوق من درعين، أحدهما ظهري مقوس يسمى الدّبل، والآخر بطني مسطح يسمى الجوشن، وهما ملتحمان معاً عند جانبي الجسم، وبهما فتحات يخرج منها الرأس والذنب والطرفان الأماميان والخلفيان، وأجسام السلاحف من أقصر أجسام الفقاريات سوى الضفادع. وتدخل السلحفاة رأسها وأطرافها إلى داخل الصندوق عندما يداهمها الخطر، ولا تخرجها إلا بعد زواله. وتمتاز السلاحف بأنها تُعَمَّر طويلاً، فقد تعيش مئات السنين، وهي في هذا المضمار تفوق معظم الفقاريّات الأخرى، ويعزى البطء الذي تتميز به حركة السلاحف إلى ثقل الصندوق العظمي الذي يحيط بجسمها ويحميها من المخاطر، وحاسة البصر في السلاحف قوية، أما حاسة السمع فتكاد تكون معدومة، ولا تصدر السلاحف أصواتاً، وليس لها أسنان، ولذكور السلاحف عضو تلقيح، كما أن لها مثانة بولية وفتحة تناسلية بولية مشتركة. وجميع السلاحف تضع بيضاً، حتى الأنواع المائية منها، وتدفنه في الأرض إلى أن يفقس.

والسلاحف المعروفة في المملكة ثلاث عوائل، هي: عائلة السلاحف البحرية، وتضم نوعان. وعائلة سلاحف المياه العذبة، وتضم نوعاً واحداً، وعائلة السلاحف الجانبية العنق، وتضم نوعاً واحداً يعيش في المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة.

السلاحف البحرية. تعدّ شواطئ المملكة وجزرها مواطن مناسبة جداً لتكاثر السلاحف البحرية. وقد سجلت ثلاثة أنواع منها في مياه المملكة، منها نوعان مهددان بالانقراض هما السلحفاة الخضراء والسلحفاة ذات منقار الصقر، أما النوع الثالث فهو نادر وقد سجل وجوده في مياه المملكة مرتين، مرة في الخليج العربي، ومرة في شمال البحر الأحمر. وتبيض إناث كلا النوعين، بعد التزاوج، البيض على شواطىء البحر الأحمر وجزر الخليج العربي. وتعدّ جزيرتا (جانا) و(كاران) بالخليج العربي من أفضل الأماكن لتكاثر هذين النوعين.

السلحفاة الخضراء: سلحفاة كبيرة، يصل طولها إلى المتر تقريباً، وتزن في المتوسط ٢٥٠ كجم. وبلغ طول أكبر عينة سجلت من هذا النوع حوالي ١٤٠سم، وبلغ وزنها ٤٥٠ كجم. وهي ذات لون بني مخضر به بعض



السلحفاة الخضراء تضع بيضها في حفرة في رمال الساحل

البقع الصفر، الـرأس كبير جداً، ولا يدخل فـي الدرقة، والأطراف تتخـذ شكل مجاديف لتساعد السلحفاة على السباحة. وتسبح هذه الـسلاحف في مياه البحار والمحـيطات بمهارة فائقة، وقد تصـل سرعتها إلـى ٣٠ كم في الساعة لمسافات قصيرة. وقد تنام أثناء سباحتها، إلا أنها حذرة جداً، ويمكنها السباحة تحت الماء لمدة ساعة كاملة دون استنشاق الهواء. تتغذى بالنباتات المائية وبعض القشريات وقـناديل البحر من الحيوانات اللافقرية. وتغادر الماء لوضع البيض على رمال الشواطىء. وتتردد السلحفاة الخضراء على عدة مواقع في شمال وجنوب البحر الأحمر، وكذلك على شـواطيء عدة جزر في الخلـيج العربي.

تسبح أنثى السلحفاة الخضراء برشاقة ناحية الشاطىء مع طلوع القمـر، وبعد أن تصله تـسير ببطء في خـط مستقيم على الرمال غير مهتمة بما يصدر حولها من أصوات، ربما لأنها ضعيفة السمع، أما سيرها البطيء على الأرض فهو بسبب الدرقة الثقيلة التي تحملها على جسمـها وقصر أرجلـها، وببطئهـا يضرب المثل حيث يقال: أبطأ من السلحفاة.



السلحفاة الخضراء، عائدة للبحر بعد أن دفنت بيضها في رمال الساحل

وتحفر هذه السلحفاة على الشاطئ الرملي عدة أعشاش وهمية كل منها حفرة عميقة، للتمويه على الأعداء دون أن تضع بيضها فيها. بعد ذلك تحفر عشها الحقيقي، وتضع فيه بيضاً، ذا قشور جلدية مرنة بحجم كرة تنس الطاولة، ثم تدفنه بالرمال، وتخفيه عن الأعداء، بإحداث بعض الآثار التمويهية، وهي في طريق الرجوع إلى البحر. وتحرص هذه السلاحف على إنهاء عملية وضع البيض قبل طلوع الفجر، لأنها تصاب أثناء النهار باضطرابات في تحديد الاتجاهات، خاصة اتجاه البحر. ويتراوح عدد البيض الذي تضعه الأنثى من ٧٥ إلى ٢٠٠ بيضة في المرة الواحدة. ويفقس البيض في مدة زمنية قد تصل إلى عشرة أسابيع. وعندما يفقس البيض تتوجه الصغار إلى البحر. ويموت عدد كبير منها نتيجة للأخطار التي تواجهها من الأعداء الطبيعية لها مثل سرطان الشبح والفئران والثعالب وطيور البحر، وقد تهاجم حتى بعد وصولها إلى مياه البحر، تهاجمها بعض الأسماك والحبَّار.

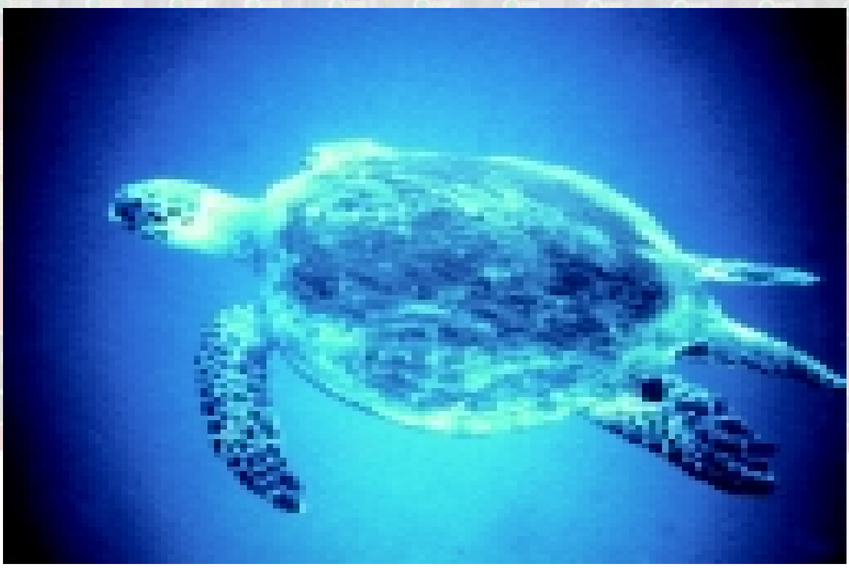
وتتغذى الصغار بالقشريات والديدان والحيوانات اللافقرية الأخرى. ويمكنها أن تلتهم بعض الأسماك. وعند

بلوغ الصغار الثلاثين سنة من العمر تعود إلى أماكن ولادتها لتضع بيضها على شواطىء جزر الخليج العربي والبحر الأحمر.

السلحفاة ذات منقار الصقر: يصل طول هذه السلحفاة إلى ٩٠ سم. تعيش في مياه المناطق الدافئة من العالم. وهي سلحفاة متوسطة الحجم ذات جسم متطاول مضغوط. وأنواعها في مياه الخليج العربي أصغر من تلك التي في بحار العالم الأخرى، الدرقة طويلة بيضية في الأفراد البالغة، وقلبية الشكل في الأطوار غير البالغة. الفك العلوي مذبب وهو أطول من الفك السفلي بحيث يشبه في تكوينه منقار الصقر في مقدمة الرأس، ولهذا السبب أطلق عليها ذات منقار الصقر. أطرافها تتخذ شكل زعانف للسباحة. وتضع الأنثى حوالي ٢٠٠ بيضة داخل أنفاق تحفرها على رمال الشاطىء. وتتغذى ببعض الحيوانات الرخوية والقشرية وبعض الأسماك.



السلحفاة منقار الصقر



السلحفاة ذات منقار الصقر، سابحة في الماء

سلاحف المياه العذبة. وتضم نوعاً صغير الحجم يستوطن مياه الري والصرف بالمنطقة الشرقية من المملكة، درقتها بيضية، متقوسة قليلاً، ذات لون بني أو بني مخضر. وقد يصل طولها في الذكور إلى ١٠٠ملم، وفي الإناث إلى حوالي ١٥٤ملم. وتمتاز باحتوائها على صفائح عظمية متوسطة الحجم، مربعة، بها بقعة دائرية في وسط الصفيحة، ورأسها مثلث يحمل خطوطاً صفراً تمتد من الفم إلى الرقبة وعددها أربعة أزواج تقريباً، الظهري منها يمتد على حافة الرأس، والثاني يمتد بحيث يمر بمنتصف العين. وعيونها كبيرة، وفكها العلوي أسمك من الفك السفلي، وفي مقدمة الفم فتحتان أنفيتان أعلى الفك العلوي، والطرف الأمامي يحمل خمسة أصابع، ينتهي كل منها بمخلب. أما الطرف الخلفي فيحمل أربعة أصابع تنتهي أيضاً بمخالب. والذيل طويل نسبياً ويماثل طول الجذع.

تتغذى هذه السلحفاة بالضفادع والأسماك الصغيرة وبعض يرقات الحيوانات المائية، وتضع الأنثى عدداً يصل إلى ١٥ بيضة في العام الواحد. وتتعرض بيئة هذا النوع من السلاحف إلى تغيرات كبيرة سريعة، مما ينذر بتعرضه لخطر تناقص أعدادها تناقصا شديداً، ومن ثم التهديد بالانقراض. ومن هذه التغيرات الصيد الجائر إما لمجرد التسلية، أو لتتغذى بها بعض الجاليات الأجنبية في المملكة.

السلاحف الجانبية العنق. تعيش في المنطقتين الغربية والجنوبية الغربية من المملكة، وتستوطن المياه العذبة وتسمى السلحفاة الجانبية العنق. وهي نادرة، ويمكن مشاهدتها قرب الآبار في مواقع قليلة.

البرمائيات

الحيوانات البرمائية من أقدم الحيوانات الفقرية التي عرفت على اليابسة، ويعتقد أنها أول الحيوانات الفقرية التي عمرت الأرض قبل ملايين السنين، وفي ذلك الزمن السحيق كانت المستنقعات المائية محاطة بالنباتات، إلا أنها غير مأهولة، وقد جعلها المناخ الرطب بيئة مناسبة لمعيشة هذه المجموعة من الحيوانات، غير أن ارتباطها الوثيق بالماء أثناء التبييض، وكذلك أثناء مراحل نموها الأولى، التي تبدؤها على شكل يرقات تعيش في الماء وتتنفس الأوكسجين المذاب فيه بالخياشيم، جعل هذه الحيوانات تسكن شريطاً ضيقاً بين الأرض والماء، وتتبادل الحياة بينهما. لذلك سميت الحيوانات التي تنتمي لهذا الصنف البرمائيات.

وترجع التسمية (البرمائيات) إلى طريقة المعيشة التي تسلكها هذه الحيوانات، فالحيوان اليافع يعيش على اليابسة، ولكنه يضطر للرجوع إلى الماء في موسم التزاوج سوى قليل منها مثل بعض السلمندرات المائية، وفي الماء تضع الأنثى البيض الملقح، لأن المبيض غير متكيف لوضع البويضات في الظروف الجافة، ثم يفقس البيض الملقح عن يرقات صغيرات، تعرف بأبي ذنيبة أو الشراغيف، تشبه الأسماك، وليس لها أطراف، تسبح في الماء، وتتنفس بالخياشيم، ثم تصير بعد ذلك يافعة فتختفي خياشيمها، وتتكون بدلاً منها رئات تتنفس بها الهواء الجوي، كبقية الحيوانات الأرضية أو ببطانة الفم أثناء الأطوار البالغة، أو عن طريق الجلد، وفي هذه الأثناء تظهر الأطراف الخلفية ثم الأمامية ويستمر الذيل في الضمور، وتعرف عملية الانتقال من طور أبي ذنيبة إلى الطور البالغ بخاصية التحول أو الاستحالة.

تتميز أجسام البرمائيات بأنها مكسوة بجلد أملس رطب، غني بالخلايا الغدية المخاطية أو الشمية، يؤدي وظيفة سطح تنفسي. وهو مزود لذلك بأوعية دموية كثيفة، وليس به أي قشور أو تراكيب صلبة أو حراشف عدا الحراشف الدقيقة الموجودة بالأقدام، وليس للبرمائيات زعانف، بل لها زوجان من الأطراف، الأمامية رباعية الأصابع والخلفية خماسية الأصابع لا تحمل مخالب، وليس لها آذان خارجية، ولكن لها أذن وسطى، حيث يصل العويميد الأذني بين طبلة الأذن وبين الأذن الداخلية، وقلبها أكثر من قلب الأسماك ملاءمة لاستقبال الدم المؤكسج وغير المؤكسج. ويتكون القلب من خمس حجرات، ويمتزج الدم المؤكسج وغير المؤكسج امتزاجا شديدا داخل القلب. وتعتبر البرمائيات من الحيوانات المتغيرة درجة الحرارة، أي أن درجة حرارة أجسامها تتبع درجة حرارة الوسط الذي تعيش فيه. ففي فصل الشتاء عندما تنخفض درجة الحرارة كثيراً، يلجأ الحيوان إلى السبات الشتوي فيتباطأ نشاطه الأحيائي كثيراً، وهي بهذا السلوك تشبه الزواحف، ويلاحظ بوضوح أن مخه صغير، وتفتح الأكياس الشمية في الفم بفتحات الأنف الداخلية. وللبرمائيات بعض الآليات الدفاعية التي تكفل لها حماية أنفسها وذريتها من أعدائها التي تفترسها.

ينتسب إلى البرمائيات أكثر من ٢٥٠٠ نوع من الضفادع والعلاجيم

والسلمندرات. وقد تكيفت جميع هذه الأنواع للعيش في بيئات مختلفة، تشمل الأراضي الرطبة، والغابات المدارية، والمروج والصحارى.

الضفادع. هي من أكثر أنواع البرمائيات كلها انتشاراً. وفي بيئات المملكة سبعة أنواع من الضفادع، موزعة في ثلاث عائلات هي: عائلة ضفادع الشجر، وعائلة العلاجيم، وعائلة الضفادع. ويصعب على غير المتخصصين التمييز بين بعض أنواعها نظراً للتشابه القويّ بينها.

يبدأ موسم تزاوج الضفادع خلال فصل الربيع، وحينئذ يكون حجم الإناث أكبر من الذكور. وذلك لتضخم مبايض الأناث، وتكوين أعداد هائلة من البيوض، التي قد تملأ تجويف الجسم تقريباً. وتتجمع الذكور عادةً حول البرك، حيث يدعو الذكر الأنثى بأصوات عالية تسمى النقيق، ثم يمتطي الذكر ظهر الأنثى بمساعدة وسادة قرنية على الأصبع الأول ليده، وتسمى هذه العملية بعملية التطويق، وغايتها القصوى هي تمكن الذكر من قذف الحيوانات المنوية مباشرة فوق البيوض التي تقذفها الأنثى من مبايضها ليتم إخصابها في الماء. وهناك بعض الضفادع، مثل الضفدع الزجاجي الذي يعيش في غابات كوستاريكا بأمريكا الوسطى، تحمي بيوضها من الأعداء المفترسة من الثعابين والدبابير والعناكب. ويرطب الذكر البيض ببعض الماء الذي يخزنه في مثانته.

ولهذه الضفادع الزجاجية طقوس تزاوج غاية في الغرابة، فبعد هطول الأمطار، تتجمع الذكور ذات الألوان الذهبية اللامعة حول البرك والمستنقعات مكونة بقعةً مشرقة، تضيء كمنارة عن بُعْد، على أرضية الغابة الداكنة، لتهتدي إليها إناث الضفادع بسهولة. وتبدأ طقوس التزاوج الممتعة باستعراضات غزلية واسعة النطاق في مكان واحد مفتوح، تطلق فيه الحرية للجميع، بعد ذلك يخرج ذكر واحد من كل مجموعة منتصراً، فيطوق الأنثى بذراعيه، ومن ثم تبدأ الأنثى بوضع شريطين مزدوجين من البيوض اللؤلؤية الشكل، فيلقي الذكر، وهو على ظهر الأنثى بحيواناته المنوية فوق هذه البيوض لتخصيبها، وبعد أيام قليلة تفقس هذه البيوض إلى يرقات صغيرة، تخرج متسللة إلى حواف البرك. وبعد ثلاثة أشهر تصبح هذه اليرقات أي الشراغيف، ضفادع فتية.

وقد ورد ذكر الضفادع في كتاب الله الكريم حيث قال سبحانه وتعالى:

﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ...﴾ (الأعراف: ١٣٣). قيل لأبي إسحاق: انظر كيف قرن الضفادع، مع ضعفها، إلى الطوفان مع قوة الطوفان وغلبته. قال أبو إسحاق «الضفادع أعجب في هذا الموضع من الطوفان، وإذا أراد الله تعالى أن يُصيِّر الضفادع أضرَّ من الطوفان فعل».

وقد ورد أن النبي ﷺ، نهى عن قتل الضفادع. فقد جاء في حديث شريف عن إبراهيم بن يحيى، عن سعيد بن أبي خالد بن فارض، عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي «أن النبي ﷺ نهى عن قتل الضفدع»، وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب أن طبيباً ذكر الضفدع عند النبي ﷺ، ليجعل في دواء، فنهى النبي ﷺ عن قتل الضفدع.

وتزعم الأعراب أن الضفدع كان ذا ذنب، وأن الضب سلبه إياه، وذلك في خرافة من خرافات الأعراب. والجزء الأول من هذا الاعتقاد صحيح، فللضفدع الصغير ذنب سرعان ما يختفي أثناء عملية تحوله إلى الطور اليافع.

ويقال للضفدع إذا صات: نق: ينق، وهدر: يهدر؛ وقال الراعي:

فأوردهن قبيل الصباح
عيناً ضفادعها تهدر

وتقول العرب «لا يكون ذلك حتى يجمع بين الضب والنون» و «حتى يجمع بين الضفدع والضب»؛ وقال الكميت:

يؤلف بين ضفدعة وضب
ويعجب أن نَبِرَّ بني أبينا

كما ورد ذكر الضفادع في الشعر حين حَكَم الصلتان العبدي بين الفرزدق وجرير، عندما حكَّماه بينهما، فيقول من قصيدة مطولة له:

فإن يك بحر الحنظليين زاخراً
فما تستوي حيتانه والضفادع

والحنظليان هما جرير والفرزدق لأن كليهما يرجع إلى حنظلة.

والضفادع ليلية المعيشة، ويسهل صيدها ليلاً؛ كما قال الأخطل شعراً يصف المعيشة الليلية للضفادع وسهولة صيدها إذ يدل عليها صوتها:

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت
فدل عليها صوتها حية البحر

والضفدع لا يمكنه الصياح حتى يدخل حنكه السفلي في الماء؛ ويقول الشاعر في ذلك:

يدخل في الأشداق ماء ينصفه
كيما ينق والنقيق يتلفه

وكانت العرب قديماً تستخدم الضفادع في علاج الملدوغ، حيث يشق بطن الضفدع ثم يرفد به موضع لدغة العقرب. ولقد ضرب العرب المثل بالضفدع في كثير من المواقف، فيقال «أرسح من الضفدع». والرسح هو خفة لحم العجز والفخذين. ويضرب هذا المثل للشخص الضعيف القبيح المنظر. كما يقال «أنق من ضفدع» وهو يضرب للشخص كثير الكلام. وكذلك «يحمي جوابيه نقيق الضفدع» والجوابي جمع جابية، وهي الحوض الذي بجانب البئر ليجمع به الماء، ويضرب هذا المثل للشخص الثرثار الذي لا يفعل شيئاً سوى الثرثرة.

وجاء ذكر الضفادع في الأمثال الشعبية، قالوا «الما ما سمّن الضفادع» كناية عن قلة نفع الشيء لصاحبه، وهم يقولونه حين يعزفون عن شرب الماء لأي سبب، أما إن رغبوا في الماء قالوا «الما ما يعرض على عاقل ويعافه».

وهناك بعض الشعوب تأكل الضفادع، أشهرها الفرنسيون، وقد نقلوا أكل الضفادع إلى بعض بلاد العالم العربي، مثل لبنان، فانتشرت في أرقى مطاعمه، وقد دعا الشاعر اللبناني أمين نخلة زميله الشاعر المصري أحمد رامي لأكلة ضفادع لبنانية. وبعد معرفته بطبيعة الطعام في هذه الوليمة نظم أحمد رامي هذه الأبيات:

دعاني إلى أكلة ممتعه
وقال سيطعمني ضفدعه
وكيف تكون الضفادع قوتا
ومسكنها الليل في منقعه
لها مشية مثل زحف القعيد
إذا دب يسعى على أربعه
وجلد كجلد الحذاء القديم
تهرأ، صاحبه رقَّعه

واستطرد الشاعر يصف صديقه وهو يقرش لحم الضفدعة وعظامها:

وراح بعنف يقضقض منها
عظاما لها بيننا فرقعه
فخيِّل لي أن أمدَّ ذراعي
وطاب لكفي أن تصفعه
فلا كان ذاك الغذاء الكريه
ولا كان يومك ياضفدعه

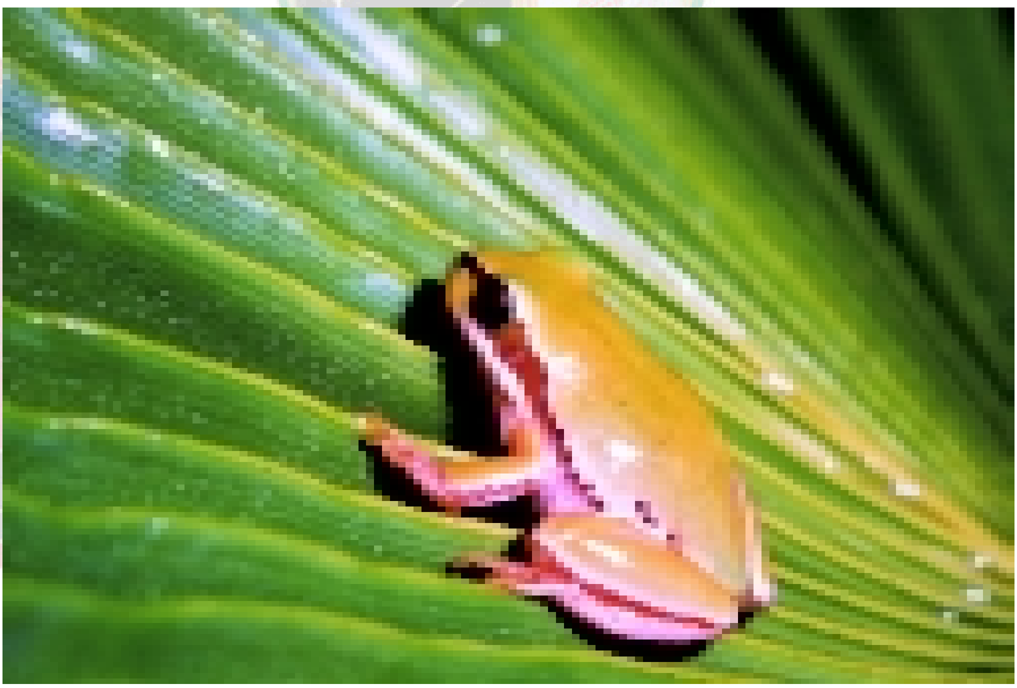
وتتغذى الضفدعة بما في الماء من كائنات صغيرة ومن ذلك يرقات البعوض وهي بهذا تحافظ على توازن البيئة. وكان لكثرة صيد الضفادع في بنغلاديش لتصديره إلى أوروبا أثر واضح في زيادة البعوض وازدياد مرض الملاريا هناك.

ومن أكثر أنواع الضفادع الموجودة في المملكة الضفدعة الشجرية وضفدعة البرك والمستنقعات.

الضفدعة الشجرية. تتبع عائلة ضفادع الشجر. وهي ضفادع صغيرة يصل طولها إلى ٤٧ ملم ذات لون أخضر زيتي براق، ويمتد خط بني محمر على جانبي الجسم، ابتداء من فتحة الأنف حتى مفصل الفخذ. يتميز هذا النوع بممصات على نهايات الأصابع، يستخدمها للالتصاق بالأوراق الشجرية.

والضفدعة الشجرية من أكثر الضفادع تكيّفاً في الحياة بسبب مقدرتها على القفز بين الأشجار، وكذلك لقدرتها على السباحة وصيد الحشرات الطائرة، ولونها الأخضر يحاكي لون أوراق الأشجار، مما يساعدها على التمويه والاختفاء من المفترسات. تعيش هذه الضفدعة في المملكة متسلقة للشجيرات المحيطة بالتجمعات المائية في أودية منطقة عسير. وهي تقطن عادة الأماكن التي يزيد ارتفاعها على ١٤٠٠م فوق مستوى سطح البحر، حيث المياه الدائمة أو شبه الدائمة، ودرجات الحرارة المنخفضة نوعاً ما، والغطاء الخضري الجيد. وهي تنشط خلال الليل والنهار.

وتحدث عملية التزاوج في الليل حيث تضع الأنثى من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠



الضفدع الشجري الأخضر



الضفدع الشجري الأخضر لونه يحاكي لون الأشجار

بيضة في أنبوب جيلاتيني يشبه المسبحة. وبعد أن تفقس البيوض تعيش اليرقات في الماء لعدة أسابيع حتى يكتمل نموها. وما أن تصبح قادرة على مغادرة الماء حتى تتسلق الأشجار.

ضفدع البرك والمستنقعات. تتبع عائلة الضفادع، وهي ضفدعة متوسطة الحجم يتراوح طول جسمها بين ٤٠ و٧٦ مم ذات معيشة مائية وملمس غروي، ولون الظهر مائل إلى البني المخضر، وعليه بقع غير منتظمة مائلة للسواد. وعلى الأذرع والأرجل أشرطة مستعرضة، والبطن ذو لون أبيض، وفي الذكور زوج من الأكياس الصوتية الخارجية ذات لون رمادي.

ويصدر عن هذا الضفدع بعد غروب الشمس خاصة صوت مرتفع لا ينقطع حتى بعد منتصف الليل يسمى «النقيق»، ولذا يوصف الكلام الكثير والثرثرة بالنقيق، كما يطلق على الثرثار كثير الكلام بأنه ضفدع. والشيء الغريب هو أن الضفدع لا ينق إلا وفمه مغلق مليء بالماء، ومن هنا يقال للمرء الذي لا يستطيع النطق بسبب الخوف أو الحرج «في فمه ماء»؛ قال أحمد شوقي:

قالت الضفدع قولاً
فسّرتهُ الحكماءُ
في فمي ماء وهل ينطق
من في فيه ماءُ

وتعيش الضفادع بأعداد كبيرة في التجمعات المائية العذبة بالمنطقة الشرقية للمملكة، خاصة تجمعات مياه الصرف، التي تنتشر بين المزارع في الأحساء والقطيف، كما يعيش هذا النوع في منطقة الخرج، وكذلك بالقرب من أبها والنماص في مرتفعات عسير. تضع الإناث عدداً كبيراً من البيض. ويبدأ فصل النمو في تشرين ثاني (نوفمبر)، ويمتد حتى كانون ثاني (يناير)، ويبلغ الذروة في أواخر شباط (فبراير)، ويستمر حتى فصل الصيف، حيث يكتمل نمو اليرقات.

الثعابيـــن

الثعــابين أكثر أنواع الحـيوانات في العالم إثارة للعجب والخوف والاهتمام. فهي تـستطيع أن تزحـف على اليابسـة بسرعة الإنسان لمسافة قصيرة، ويستطيع بعضها تسلق الأشـجار بسرعة القرود، كما يسـتطيع بعضــها أن يسبح بسرعـة الأسماك.

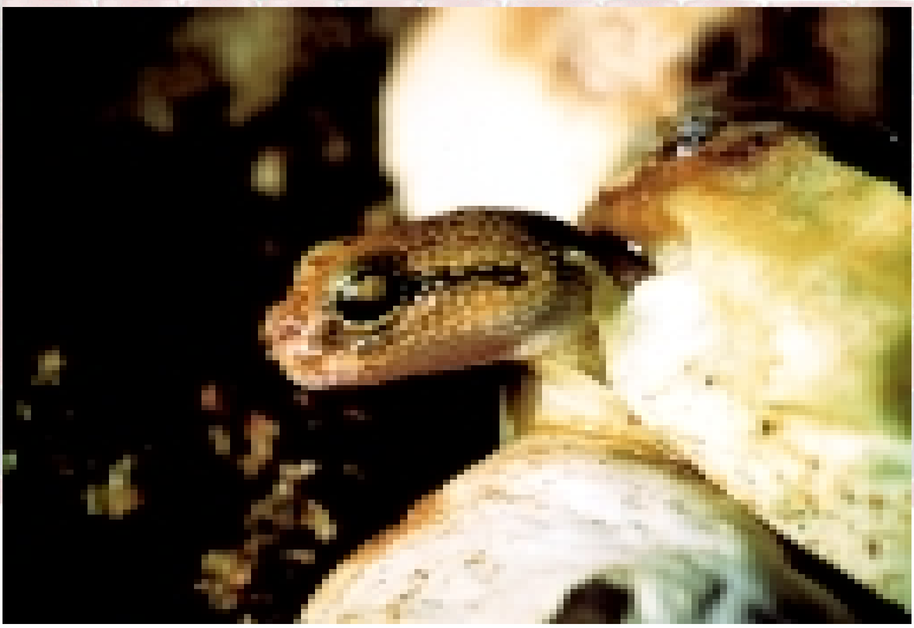
وتعد الثـعابين من أكثر الحـيوانات الزاحفة انتشاراً في العالم. وهي معروفة بأشكالها وأحجامها منذ أقدم العصور، وأنواعها كثيرة يقدر عددها بحوالي ثلاثة آلاف نوع، معظمها غير سام. وينحصر العدد السام منها فـي حوالي ثلاث مئة وخمسين نوعاً فـقط، تفرز من غددها اللعابية سماً تستعمله سلاحاً تهاجم به فريستهـا للتغلب عليهـا أو للدفاع عن نفسها. وأذاها للإنسان إما عضويٌّ عند لدغه وحقن السم في جسده مما قد يفضي به إلى الموت، أو نفسيٌّ نـتيجة الرعب الذي يصيبه عند مفاجأتها له. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم بطريقة توحي بحدوث الخوف عنـد رؤيتها مثل قوله تعالى في سورة طه ﴿فـألقاها فإذا هي حية تسعى﴾ (طه: ٢٠) وقوله تعالى في سورتي الأعراف والشعراء ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين﴾ (الأعراف: ١٠٧)، (الشعراء: ٣٢). وما زالت الأفاعي تعد رمزاً لـلرهبـة والموت، ويُجـعل رسم الأفعى وتحت رأسها كأس، شعاراً على خـزانة الـسموم فـي الـصيـدلـيات والمستشفيات تعبيراً عن هذا الخطر، وربما تعبيراً عن إمكانية استـخراج الدواء من سم الأفاعي. قال شوقي «ومن السموم الناقعات دواءُ».

ويعود خـلق الثعـابين على سطـح الأرض إلى حـوالي ٢٠ مـليون سـنة خلت. وتعيش في كل بقاع الأرض عدا المنـاطق الشـديدة البـرودة، لأنهـا من

الحيوانات التي تتغير حرارة جسمها فلا تتحمل البرودة الشديدة، ويزداد عدد هذه الحيوانات كماً ونوعاً، كلما اقتربنا من خط الاستواء، حيث تتوافر مستويات الحرارة الملائمة لنشاطها، وتقل أعدادها كلما ابتعدنا عن خط الاستواء. وتعيش الثعابين في جميع البيئات، في الصحارى والجبال والوديان، وعلى الأشجار وفي البحار وتحت الأرض. ولكل بيئة من البيئات أنواع ثعابينها الخاصة التي تعيش فيها، وقد تكيفت معها واكتسبت صفات وخصائص تلائم المعيشة فيها. فالأنواع التي تعيش في المناطق الرملية تكون رملية اللون. أما تلك التي تعيش بين الصخور فإنها تكتسب لوناً مشابهاً للون تلك الصخور، ويساعدها هذا التمويه على الاختفاء من أعدائها وتجنب الأخطار.

وكل الثعابين تبيض، وإن كان قليل من أنواعها يبدو وكأنه يلد. وتعدّ جزيرة العرب من أكثر المناطق ملاءمة لمعيشة الثعابين، لما تحويه من ظروف مناخية، وبيئات مناسبة لحياة هذه الحيوانات.

يتكون جسم الثعبان من ثلاثة أقسام، هي الرأس والجذع والذيل. وتختلف أشكال الثعابين اختلافاً بيناً يصعب معه تحديد شكل خاص بها. فقد يكون الجسم أسطوانياً، وقد ينبسط، وقد يكون طويلاً ضخماً، أو رفيعاً، أو يكون سميكاً



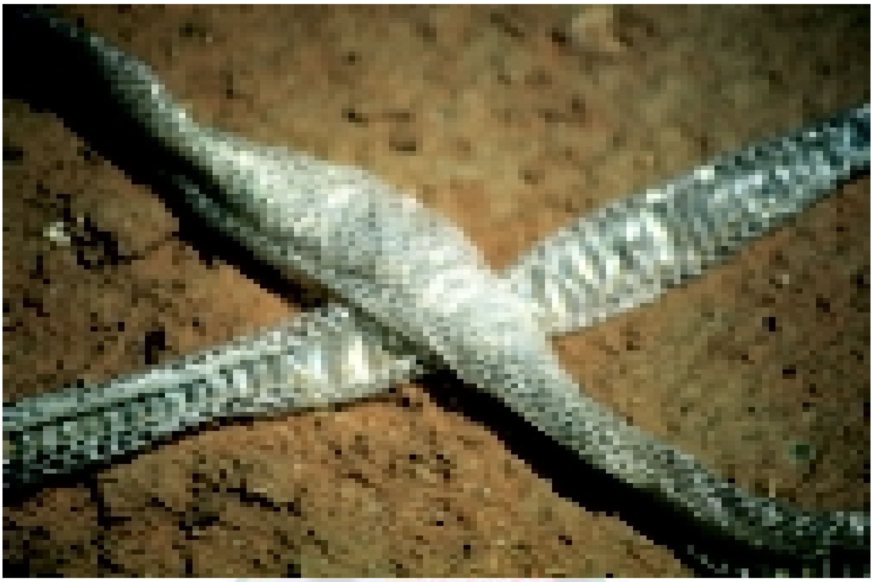
أفعى أم جنيب تخرج من البيضة

قصيراً، وقد يصغر لدرجة يصعب معها تمييزه من دودة الأرض. والثعابين زواحف عديمة الأطراف، تخلو أجسامها من الحزامين الصدري والحوضي عدا أنواع قليلة بها آثار لحزام الحوض، ويتراوح طولها من بضع سنتيمترات إلى عدة أمتار. ولا تشاهد الثعابين باستمرار لأن معظمها تختبىء في جحورها أثناء النهار فهي ليلية المعيشة، ولأن معظم أنواعها سريع الحركة مما يصعب معه ملاحظتها. كما أن لبعض الثعابين المقدرة على القفز لمسافة قصيرة، وذلك من خلال ارتكازها على الذيل ثم القفز مما يوهم بأنها تطير، بل بعضها يقفز من شجرة لأخرى، إذ تنتفخ ثنيات جلدية خاصة في منطقة البطن تكون كجناحين، يساعدانها على القفز فتبدو كأنها تطير.

وللثعابين قلب ومعدة وكليتان وأمعاء ورئة واحدة غالباً. ولما كان جسم الثعبان دقيقاً أسطوانياً جاءت أعضاؤه أيضاً دقيقة متطاولة لتناسب الشكل الانسيابي لجسمه. ولا بُدّ أن تنحشر الأعضاء في هذا الحيز الطويل الضيق حشراً، ولهذا نجد ترتيب الأعضاء عجيباً، فالأعضاء الثنائية مثل الكليتين لا يوجد الواحد منها بجانب الآخر كما في أجسامنا، ولكن أحدهما تحت الآخر، ومخ الثعبان ليس كبيراً، فهو ليس في ذكاء القطط أو



رأس الثعبان مثلث الشكل وجسمه أسطواني



جلد الثروان (ينسلخ الثعبان من جلده القديم)

الكلاب، ولا يكسو أجسام الثعابين ريش أو فراء يحميها من تقلبات الجو، ولكنها مغطاة بحراشف قوية ذات أشكال مختلفة. فمنها المستدير، والبيضي، والمثلث، والمتعدد الجوانب، وقد تكون الحراشف الظهرية مختلفة عن الحراشف البطنية شكلاً. ويكسو جسم الثعبان فوق هذه الحراشف القوية طبقة خارجية من الجلد الرقيق تنسلخ كلما ضاقت. وعند أهل نجد يسمى انسلاخ جلدها اسلاب، فيقال: أسلبت الحية، ويطلق على الجلد الذي تخلعه سِلْب، فكلما نما الثعبان أصبح الجلد ضيقاً عليه، ولا بد له من خلعه واستبدال جلد جديد ذي حجم مناسب لجسمه به. والثعابين الصغيرة تغير جلدها عدة مرات في السنة، أكثر مما تغيره الكبار، نظراً لنموها السريع. وينسلخ الثعبان من جلده القديم بعملية فيها الكثير من الدقة والمهارة، فهو يحك فكه على سطح خشن، كصخرة مثلاً، وبهذا يصبح الجلد حول أطراف فمها حراً، ويستمر الثعبان في الحك ودفع جسمه ضد الصخرة، ليبدأ الجلد في الانسلاخ، ويتحرك الثعبان إلى الأمام، ويزحف خارجاً من جلده القديم، ويرى جسمه لامعاً كأنما قد فرغ تواً من الاستحمام. أما عن سلب الثعبان وهو جلده القديم الذي تركه خلفه، فله أربع فتحات، هي فتحة الفم، وفتحتا الأنف، وفتحة المجمع، وهي فتحة مشتركة

للجهاز الهضمي والجهاز البولي-التناسلي. ولأن السلب على هيئة الثعبان قد يخاف منه للوهلة الأولى، قالوا في المثل الشعبي «سلب داب يخوّف ولا يقرص».

وليس للثعابين آذان خارجية أو طبلة سمعية بل تستقبل الأصوات بعظامها. أما حاسة البصر فيها فهي ذات كفاءة عالية في رؤية الأشياء القريبة جداً منها، وعينها مزودة بعدسات ذات قدرة على التركيز على الأشياء القريبة والبعيدة على السواء، أما جفون الثعابين فشفافة غير متحركة. وللثعابين عمود فقري طويل، قد يصل عدد فقراته في بعض الأنواع إلى ٤٠٠ فقرة، وأضلاعها سائبة لا يمسكها عظم قَصِّي كما في الثدييات. ويساعد الثعابين في سرعة حركتها إلى الأمام تقلص عضلاتها القوية وانقباضها، وكون أضلاعها سائبة، حيث ترتكز على أطراف الأضلاع السائبة وتندفع إلى الأمام. ومعظم الثعابين خرسٌ لا صوت لها، ولا تستطيع أن تحدث أصواتاً مثل الطيور أو الحيوانات الأخرى. ويعتقد الناس أن لسان الثعبان سام حيث يوحي شكله المشقوق بذلك. والحقيقة أن الثعبان يخرج لسانه لتلمس الأشياء المحيطة به، حيث تنتقل عن طريقه الرائحة إلى عضو آخر في سقف الفم يسمى عضو جاكوبسون. وأغلب الظن لدى العلماء أن اللسان يعطي إحساساً خليطاً بين اللمس والذوق. فمثلاً تستطيع الأفعى أن تميز بين البيضة الفاسدة والبيضة السليمة دون أن تكسرها، ومن هذا الحس يعلم الثعبان الشيء الكثير عن البيئة حوله فلعلها فريسة نافعة يظل يتعقبها، أو لعلها أنثى له يمضي وراءها يطلبها.

والثعابين حيوانية التغذية لا تأكل النباتات. وهي تقتل فريستها إما بلدغها وحقن السم فيها أو بالالتفاف حولها وخنقها ومن ثَمَّ بلعها. ولكل نوع من الثعابين غذاؤه الخاص به، فالثعابين المائية تتغذى بالأسماك والضفادع، وتتغذى الثعابين التي تعيش بالصحراء باليرابيع والفئران. أما الثعابين التي تدفن نفسها في الأرض فأكثر ما يكون غذاؤها من الديدان والحشرات، مثل الجراد، قالوا في المثل الشعبي «حية الجراد ما تدري وش تقرص». والثعابين تأكل فرائسها حية، ولا تتغذى بالحيوانات الميتة، وهي تبتلع غذاءها ابتلاعاً دون تقطيع أو مضغ. وللثعابين المقدرة على ابتلاع فرائس أكبر منها حجماً نظراً لمرونة الاتصال بين فكيها العلوي والسفلي وخلو جسمه من عظم القص. ويستغرق البلع وقتاً طويلاً، ويبدأ

الهضم بعد أن يستقر الغذاء في المعدة، وقد تكفي وجبة واحدة الثعبان عدة أيام أو أسابيع، وقد تمتنع بعض أنواع الثعابين عن تناول الطعام لفترة طويلة قد تصل إلى سنتين، وهي تشرب الماء إذا وجدته.

ويعتقد بعض الناس أن الحية أو الأفعى هي الأنثى، وأن الثعبان هو الذكر. وهذا اعتقاد خاطئ حيث يطلق، من الناحية العلمية، اسم الثعبان على كلا الجنسين الذكر والأنثى. أما الحية أو الأفعى فمصطلح علمي يطلق على أفراد عائلة معينة من عائلات الثعابين تتصف بأن لها رأساً مثلثاً وذيلاً قصيراً وجسماً سميكاً. والأصل أن كلمة حية ليست اسماً لهذه الأنواع من الكائنات، وإنما هي كناية يستغني بها المتكلم عن النطق باسمها الحقيقي الأفعى لما يقترن به من رهبة. ولأن الناس يعتقدون بأن من ينطق باسمها الحقيقي كان كمن يناديها لتأتي إليه، وهو ما يحاول المتكلم أن يتحاشاه. وهذا شبيه بقولهم «البسم الله» بدل كلمة «الجن». أي أن الحية في الأصل تعني هذا الكائن الذي منحه خالقه الحياة. وبعض فقهاء اللغة يقول: إنها سميت حية لأنها لا تموت حتف أنفها، وإنما تموت بعَرَضٍ يعرِضُ لها، أما إذا لم يصبها شيء فإنها تبقى حيَّة أبداً. وهذا الكلام لا يقره الدين ولا العلم إذ إن هذه الحيوانات مخلوقة لها عمر وأجل مثل كل الكائنات الحية الأخرى.

واسم الحية تطلق على الذكر والأنثى. فإن أردت التمييز بينهما قلت: هذا حيةٌ ذكر وهذه حية أنثى. وقد روي عن بعض العرب قوله: رأيت حيةً على حية، أي ذكراً على أنثى. والنسبة إلى الحية حيوي، والحيوت ذكر الحيات وقد أنشد الأصمعي.

ويأكل الحية والحيوتا

ويخنق العجوز أو تموتا

وعلاقة الإنسان بالثعبان علاقة قديمة. فقد سيطرت الثعابين بكل غموضها على مخيلة الناس على مر العصور، وقال الرواة إنها ملعونة لأن أبليس طلب منها أن تخفيه في جلدها، ليوسوس لآدم وحواء في الجنة. وهذا القول من الإسرائيليات. وقد انعكس صدى المعتقدات حول هذه الحيوانات عند العرب في أشعارهم وأمثالهم، فذكروها في قصائدهم. كما أنها من أكثر الحيوانات وروداً في القصص. ولعل اهتمام الشعراء بهذه الحيوانات نابع من طريقة حياتهم التي كانوا يعيشونها. فأغلب هؤلاء الشعراء عاش في وسط الصحراء، ورأى هذه الكائنات، وعايشها، وعرف

أوصافها الدقيقة، لذا جاءت قصائدهم تصفها وصفاً حسياً.

وقد نهى ﷺ عن قتل الثعابين ما عدا نوعين استثناهما ﷺ، هما ذو الطُفيتين والأبتر. وهما نوعان من الحيات الخطيرة. وجاء في الحديث النبوي «أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل الجنان في البيوت، إلا ذي الطُفيتين والأبتر، فإنهما يخطفان البصر ويطرحان ما في بطون النساء». وفي رواية أخرى: أن عبدالله بن عمر #، سمع رسول الله ﷺ، يخطب على المنبر يقول «اقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطُفيتين والأبتر، فإنهما يطمسان البصر ويسقطان الحبل».

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: قوله ﷺ «ذو الطفيتين» بضم الطاء المهملة وإسكان الفاء، قال العلماء هما الخطان الأبيضان على ظهر الحية. وأصل الطُّفية خوصة المقل، وجمعها طُفَى. شبه الخطين على ظهرها بخوصتي المقل. قال الزمخشري:

وهم يذلونها من بعد عزتها
كما تذل الطُّفَى من رقية الراقي

وأما الأبتر فهو ثعبان قصير الذنب. قال النّضر بن شميل: هو صنف من الحيات أزرق مقطوع الذنب لا تنظر إليه الحامل إلا ألقت ما في بطنها. وهذا الكلام يحتمل الصحة. وذلك لأن المرأة عموماً، كما أثبتت التجربة، إذا سمعت أو رأت ما يفزعها ويروّعها وهي حامل قد تسقط جنينها. ومن الممكن أن الفزع الذي يحدث للمرأة الحامل عند مشاهدة الحية في صورة فجائية يسبب سقوط حملها. ومن المعروف أن نظر المرأة إلى حيوان صغير مثل الفأر قد يسبب لها إرباكاً فكيف بثعبان أو حية ذات منظر مخيف.

ووصف الثعبان ذي الطفيتين لا ينطبق على أي أنواع من الحيات السامة المعروفة في جزيرة العرب ولكنه أكثر ما يوافق أفعى السجاد الشرقي، وهي أفعى خبيثة جداً، لبعض أصنافها خطان أسودان متعرجان على ظهرها، جاء في تاج العروس: ذو الطفيتين حية خبيثة على ظهرها خطان أسودان كالطفيتين. وقد يتبادر إلى الذهن أن ذا الطفيتين هو الثعبان المعروف عند العامة بالزاروق، ولكن هذا الثعبان غير سام أو أن سمه من النوع الضعيف الذي لا يؤثر على الإنسان، وظن بعضهم أن ذا الطفيتين هو ثعبان الناشر الهندي، إلا أن هذا الثعبان لا يعيش له في جزيرة العرب، وليس على ظهره خطان، بل على عنقه ورأسه حلقتان سوداوان، لذلك يسمى الحية ذات

النظارة، وتجدر الإشارة إلى أن الخطين الأسودين يريان دائماً في أفعى السجاد الشرقي، فقد تكون رقشاء منقطة بالسواد، وربما اجتمعت النقط على جانبي ظهرها فكان منها هذان الخطان، كما جاء في كثير من كتب الحيوان، أما الأبتر فيطلق على بعض أنواع الأفاعي القصيرة الذنب مثل الأفعى المقرنة وهي أفعى لها نتوءان صغيران في رأسها كأنهما قرنان، وهي من أخبث الحيات تندس في الرمال فإذا مر بها أحد لدغته، قال الشاعر.

وذات قرنين طحون الضرس

تنهس لو تمكنت من نهس

تدير عيناً كشهاب القبس

وأما قوله ﷺ «يخطفان البصر» ففيه معنيان ذكرهما الخطابي وآخرون. أحدهما بمعنى يخطفان البصر ويطمسانه بمجرد النظر إليهما لخاصية جعلها الله تعالى في بصرهما إذا وقع على بصر الإنسان. أما الرواية الأخرى فهي أنهما يلتمسان البصر أي يقصدانه باللسع والنهش. وكلام الزهري «أنه يرى ذلك من سمهما» فيه كثير من الصحة، أي أن إسقاط الحمل من النساء، وطمس البصر، كله بسبب سموم هذه الحيات، حيث إن السم عندما يقذفه الثعبان على عين الإنسان يفقده بصره، وكذلك عند لدغ المرأة قد يسبب لها هذا السم إسقاط حملها، لأن هذه السموم تسبب ارتخاءً لعضلات الرحم مما يسبب إسقاط الجنين. وهناك أنواع من الثعابين لديها القدرة عن قذف سمها على عين الإنسان حتى ولو كان على بعد أمتار عنها. ومن هذه الأنواع البزاقة، أو الناشر المصري، أو البخاخ. وهي الحية التي قتلت بها الملكة المصرية القديمة كليوباترا نفسها، وذكرها بلينوس الروماني وسماها البزاقة، وسماها ابن سينا أيضاً بالبزاقة لأنها تنفث السم عن بعد، وقال في وصفها: إنها تقدر أن تمج بزقها وتزرقه بعصر أسنانها بعضها على بعض فتقتل من يقع عليه بصاقها، وطولها ذراعان، ولونها رمادي يميل إلى الصفرة.

وقد تعددت أسماء الثعابين عند العرب. وأكثر ما يذكرونه منها الرقشاء وهي التي فيها نقط سود وبيض. وقد أشار النابغة إليها عندما صور قلقه، مثل قلق من لدغته أفعى رقشاء اللون، فقال:

فبت كأني ساورتني ضئيلة

من الرقش في أنيابها السم ناقع

وأضاف النابغة يقول:

تبادرها الراقون من شر سمها

فتطلقه يوما ويوما تراجع

وهناك أنواع مـن الثعابين يقال لهـا «الرقطاء». وهـي من أخبث الأفاعي. وقد ذكرها الشاعر في قوله:

هُمُ أيـقظـوا رقط الأفـاعي ونـبهـوا
عـقارب لـيـل نام عـنهـا حـواتهـا
وهُمْ نـقلـوا عنـي الذي لـم أفه بـه
ومـا آفــة الأخـبــار إلا رواتــهـــا

وهناك الأرقم الذي أشار إليه الشاعر في حديثه عن تشبيه آثار الديار فقال.

لمـن الـديار غـشـيـتـهـا بالأنـعـم
تـبـدو مـعـالمـهـا كـلـون الأرقـم

وتعتقـد العامة في بلاد الشـام أن الحية ذات القرنين تكون عظيمةً جداً، ومتى بلغت ألف سنة من العمر نبت لها قرنان. ولا شيء من الـصحة في ذلك، بل القرناء أفعى قصيرةٌ جداً لا يتجاوز طولها نصف المتر ولا تبلغ هذا العمر أو حتى تقارب عشر مـعشاره. ومن أسماء الأفعى القرناء (الحارية)، قال الدميري: الحارية نوع من الأفاعي قال عنها النابغة الذبياني:

داهـيـةً قـدْ صـغَرتْ مـن الـكِـبَـرْ
صِلّ صـفـاً مـا يـنـطوي من الـقِـصَـر

وفي تاج العروس «الحـارية الأفعى التي كبرت، ونقص جسمها، ولم يبق إلا رأسها ونفسها وسمها» ويقال «رماه الله بأفعى حارية».

تتزاوج الـثعابين فـي الربيع حيـث ينجذب الذكر إلى الأنثى بمادة ذات رائحة خاصة تفرزها الأنثى من غدة في جسمها فيتعرف عليها الذكر ويهتدي إلى مكانها ويظل يتحبب إليها حتى يتهيأ لهما اللقاء، ويلتف الذكر حول الأنثى بإحكام لدرجة أنه لولا مشاهدة رأسيهما لخيل إلى الرائي أنهما ثعبان واحد، وذلك من أجل التقاء الفتـحتين التـناسليتـين لكلا الثـعبانين وتقابلهما تماماً لإتمام عملية التلقيح التي قد تستمر يوماً كاملاً أو أكثر، وقد يتعارك الذكران حـتى يفوز أحدهمـا بالأنثى، فيهرب الآخر.

والثعابين حيوانات بيوضة فهي تبيض بيضها في مكان رطب وتتركه، وبعض أنواعها، مثل البوا أو الأصلات، ترقد عليه وتحضنه لرفع درجة حرارته، وتضع معظم الثعابين بيـضها في شقوق حيث تستمد البيوض الحرارة من الجو والنباتات المحيطة بها. وبعد أن يفقس البيض تخرج منه الفـراخ وتعتمد على نـفسها، دون رعاية من الأم، حيث تتغذى بالحشرات والديدان حتى تبلغ ومن ثم يبدأ غذاؤها العادي. ومن الثعابين مالا يخرج البيض من جسمها إلا بعد فقسه وخروج الفراخ منه، وعندما تخرج أولادها من جسمها يظن الناظـر إليها أنها تلد ولا تبيـض،

والواقع أنها تبيض كسائر الثعابين، ولكنها تحتفظ ببيضها داخل جسمها في قناة البيض حتى يكتمل الجنين خَلْقاً. وهو أثناء ذلك يتغذى من صفار البيض وما تحتويه البيضة من طعام، أي أنه لا يشارك أمه طعامها. وعند اكتمال تكوين الثعبان المولود فإنه يخرج من البيضة لحظة خروج البيضة من فتحة الأم التناسلية، فيظهر وكأنه مولود. والحقيقة أن الأم لم تلده بالمعنى المعروف في الثدييات. ويطلق على هذا النوع من الثعابين، الثعابين البيوضة الولودة. ويختلف عدد المواليد التي تضعها هذه الثعابين باختلاف النوع، إذ تلد بعض الأنواع من ٦ إلى ٨ فراخ، وهنالك أنواع تضع من ٨ إلى ١٢ صغيراً. وهذه الصغار مزودة بكافة الغرائز والبواعث التي تمكنها من التحرك السريع من مكان إلى آخر كما أنها مزودة بسلاح تدافع به عن نفسها وهو إما السم أو التمويه أو الهرب، وتستطيع أن تفعل كل ما تفعله الثعابين البالغة ما عدا التناسل، وكل ذلك بالفطرة دون سابق تلقين أو تدريب.

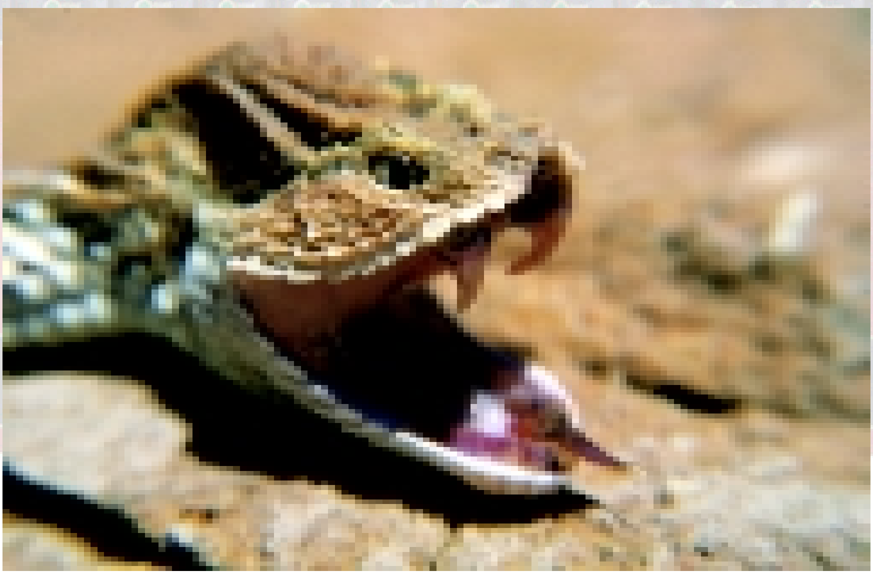
ومن الصعب تقدير العمر الذي تعيشه الثعابين في مواطنها الطبيعية، إلا أن العلماء يقدرون عمر الأنواع الكبيرة منها بحوالي عشرين عاماً، وتصل أعمار الأنواع الصغيرة إلى ما بين عشرة أعوام، وخمسة عشر عاماً، وتشير بعض التقارير إلى أن الثعبان الذي عاش أطول مدة في الأسر هو ثعبان الأنوكوندا الذي يعيش في حوض الأمازون، حيث قضى ثمانياً وعشرين سنة في الأسر.

ودرجة حرارة أجسام الثعابين متغيرة، تعتمد إلى حد كبير على درجة حرارة الوسط الذي تعيش فيه، فإذا كان الهواء حولها بارداً هبطت درجة حرارتها، وإذا كان ساخناً ارتفعت درجة حرارتها، ولهذا لا تستطيع أن تعيش في أقصى الشمال والجنوب، كما تلجأ هذه الحيوانات إلى ما يسمى السبات الشتوي هرباً من برودة الشتاء إذ يصعب عليها الحركة عندما تنخفض درجة الحرارة، ولذا تنسحب لتبحث عن مكان تحت الأرض، أو شق بين الصخور، أو تحت فروع الأشجار العفنة، وتقضي فترة سباتها الشتوي دون حراك، وعندما ينتهي الشتاء ويطل الربيع ويدب الدفء، سرعان ما تعاود نشاطها، وتخرج إلى سطح الأرض لتزاول حياتها العادية بعد أن تمكث في سباتها ما يقارب أربعة أشهر.

ويمكن تقسيم الثعابين من حيث سُمِّيتها إلى ثلاثة أنواع، هي «ثعابين غير سامة»، لا تمتلك جهازاً سمِّيّاً وليس لها

غدد سامة ولا أنياب للسم، ومن أنواعها الأصلة، وثعابين ضعيفة السمية، لها أنياب شبيهة بالمحقن، وبها قناة للسم، وبعضها أنيابه خلفية، ويحتاج إلى فتح فمه على اتساعه، حتى يستطيع غرسها بالفريسة، مثل ثعبان أبو العيون (الحنش)، وغدة السم لدى بعض هذه الثعابين ضئيلة ويكون سمها من الضعف بحيث لا يؤثر على الإنسان، والثعابين شديدة السمية لها جهاز سم متطور يتكون من غدد سامة وأنياب حادة، كما أن لمعظمها، كما هو الحال في أنواع الأفاعي، أنياب أمامية متحركة تتصل بغدة السم في أعلى الفك العلوي، حيث يسيل السم خلال أخاديد مفتوحة على سطح الأنياب أو بقناة داخل الناب لحقن السم في جسم الفريسة. ويخرج سم الثعبان من أنياب في فكه العلوي، ويجري من غدة عند زاوية الحنك، وهذه الأنياب تكون دائماً في مقدم الفم لتكون أقرب إلى الفريسة، وقد تكون في مؤخرة الفم وعندئذ يكون السم أقل فعالية. والثعابين الأخيرة لا خطر منها على الإنسان لأنها لا تستطيع أن تتمكن من جسمه حتى يصل إلى الأنياب.

ومن الثعابين ما ليس له أنياب للسم، إلا أنَّ السم يوجد مخلوطاً بلعابها، وهو يكفي لشل حركة الحشرات التي تتغذى بها. وهذه الثعابين لا خطر منها على الإنسان، والواقع أن كثيراً من أنواع



الفك العلوي لأم جنيب وتظهر فيه الأنياب



الأرقم ويسمى (ثروان) أو (حنش)

الثعابين لا يضر الإنسان، وأن منها الأليف المستأنس، كما أن هناك فئة من الثعابين لا تقتل بالسم، لأنها غير سامة ولكنها تقتل بالالتفاف والضغط على الفريسة ،فتشد جسمها على لحم الفريسة وعظامها حتى تتحطم ولو كانت كبيرة الحجم، ومن هذه الأنواع ثعبان البايثون، وثعبان البوا، وهما نوعان ضخمان ذوا جسم عضلي قوي.

وعلى الرغم من كثرة أنواع الثعابين وتعدد فصائلها، إلا أن عدداً قليلاً منها هو الذي يعد خطيراً، وفي الوطن العربي عدد غير قليل من أخطر أنواع الثعابين، وفي بيئات المملكة العربية السعودية ما يقارب ٥٥ نوعاً من الثعابين السامة وغير السامة، منها ٩ أنواع من الثعابين البحرية السامة، و١٤ نوعاً من الثعابين البرية السامة، وبذلك تبلغ نسبة الثعابين السامة حوالي ٤٢٪ منها. وتختلف درجة سمية هذه الأنواع من نوع إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى، تبعاً لمؤثرات عديدة منها درجة الحرارة والظروف المناخية الأخرى.

وسم الثعبان سائل أصفر، يتكون من مزيج من البروتينات وبعض الإنزيمات، ويدخل عبر الجلد إلى الأنسجة، ومنها إلى الدم فينتشر في الجسم كله، وتؤثر مواده البروتينية في الدم مباشرة في كراته الحمر والبيض، كما أنها قد تؤثر على الجهاز العصبي فتصيب الضحية بالشلل، ويترجح التأثير في الدم على التأثير في العصب أو العكس، وفقاً لنوع الثعبان، ولكل سم

ترياقه الخاص به، والترياق في اللغة دواء يضاد السموم ويوقف تأثيرها.

ويستحضر ترياق سم الثعبان من الثعبان نفسه، فبعد تفريغ السم في كأس خاص يعالج بما يخفف من وطأته، ثم يحقن في أجسام الخيول بطريقة خاصة، فتقوم الخيول بتكوين أجسام مضادة له تتكون في مصل الدم، وهي الترياق ضد هذا السم، فيؤخذ قليلٌ من دم الحصان، ومنه يحضر المصل الواقي أي الترياق الذي يحقن به الشخص الملدوغ فيُبطل تأثير السم عليه.

ويختلف أهل البادية من حيث معرفتهم للثعابين، السام منها وغير السام، فبعضهم يعرفون السام من شكل عضته على العضو المصاب، حيث يظهر جرحان كبيران غائران في الجلد. أما غير السام فيكون أثر عضته متجانسا، فلا يظهر سوى الجروح التي تسببها الأسنان. وبعد التأكد من أن الثعبان سام تبدأ محاولة العلاج والتخلص من هذا السم بما لدى الناس من خبرة ومعرفة وعلم، وهنا نرى اختلافاً في طرق العلاج ومدى فاعليتها، فهناك من يكتفي بالرقية، وهناك من يستخدم الكي بعد مص الدم، حيث يُحدث شقاً في الجرح مكان اللدغ ويأخذ بمص الدم من الجرح حتى يسحب أكبر كمية من السم قبل أن تنفذ إلى الجسم وهذا يتطلب شفتين سليمتين من الجروح، وجوف سليم ليس به أي تقرحات.

ويرى بعض المعالجين لعضة الثعبان ضرورة وضع قليلٍ من زيت الفرامل أو البنزين على الجرح، لمنع السم من الانتشار في الدم، إن تأخر وصول المصاب إلى المستشفى، لتلقي العلاج. وذكر آخرون أنهم يحرقون الثعبان بعد قتله ورمي رأسه، ثم يضعون الرماد الناتج على الجرح. فإن ورم موضع الجرح بعد فترة دل على أن الثعبان سام، أما إن لم يحدث ورم فالثعبان غير سام. ومنهم من يلاحظ السم الداخل إلى الجسم، فإن شاهد الدم مختلطاً بمادة صفراء دل ذلك على أن السم قد دخل إلى الجسم، ولابد من إخراجه بشق الجرح ومص الدم، أو بوضع قليلٍ من البنزين على الجرح لسحب السم من الدم. وفي مناطق أخرى، خاصة القريبة من ساحل الخليج العربي، يستخرج البحارة نوعاً من الأصداف يسمى «لافور فورا» يحرقونه ويجعلون رماده على هيئة عجينة يطلى بها العضو المصاب بعد إزالة السم، لمعالجة الطفح الذي على الجلد، ويستمر العلاج لعدة أيام حتى تزول هذه الآثار.

وذكر أشخاص في مدينة القويعية، أن الملدوغ يُسْقى لبناً وعسلاً لأقصى مدة يستطيع أن يتحملها، ويجب ألا تقل عن يومين متواصلين، لا يقطعهما نوم أو حتى غفوة. وفي هذه الحالة يتناوب عليه أصحابه وأهله من أجل إبعاد الرعب والخوف عنه، إذ ربما يكون الخوف سبباً في وفاته حتى ولو كان الثعبان غير سام. والأهم من ذلك هو عدم إعطائه فرصة بأن يغلب عليه النوم خلال هذه الفترة، وحتى يظل جسمه نشطاً لمقاومة السم. ويسهر أصحابه طوال الليل بجانبه، يقرعون الطبول ويغنون، ويبقون على هذه الحال، حتى يشفى، بإذن الله، من اللدغة، أو حتى يقضي عليه السم.

كانوا في نجد يعالجون من لدغة الأفعى بدفن العضو الملدوغ في الأرض بطريقه خاصة بحيث يتبقى هذا العضو المدفون معلقاً في الحفرة، ولا يدعونه ينام حتى لا يسري السم في جسده؛ يقول حميدان الشويعر:

من تجوّز عجوز فهو نادمٍ

لو يفرّش ويلحَّف ثمين الذهب

ما خبرنا يساهر ياكُوْد القريص

جعلها الله تساهر على أيَّة سبب

ما خبرنا: ما علمنا، كود: سوى، القريص: المقروص أي الملدوغ.

ويذكر أحد المسنين، ممن يقطنون شمال المملكة، أنهم كانوا قديماً يعالجون الملدوغ بأن يخرج شبريته ويقطع الجزء الملدوغ قطعاً جزئياً، لكي يسيل الدم بغزارة، حتى ينزف منه ما يعادل لترين أو أقل من ذلك، وتكون النار جاهزة، حيث يقوم بِكَي الجزء المقطوع، وبهذا يُقْضى على ما تبقى من السم. وهناك طريقة أخرى لعلاج الملدوغ، صفتها أن تُذبح شاة، فتؤخذ الكرش وتفرغ من محتوياتها، ثم توضع على مكان اللدغة، حيث تمتص السم وتزيله من الجسم، ولايزال بعض الناس، إلى وقتنا الحاضر، يضع كرش الشاة على موقع الإصابة. أما بعض أهل البادية فعلاجهم لعضة الثعبان يتلخص في أنهم يهرسون الثوم ويربطونه على موقع العضة، كما أنهم يسكبون البنزين والكاز على مكانها. وقيل إن ثعباناً عض رجلاً في أحد أصابعه، فبتر الرجل أصبعه، وفئة منهم تقوم بتشريط موقع العضة.

وابن البادية يحذر دائماً كل من تربطه به صلة من ثلاثة أمور، فيقول «يا بني لا تنطح ثلاثة: الداب والسيل والجمل. فهذه الثلاثة لا يُنْطَحن، فلو واجهتها، فسوف تجد حتفك». ولذلك يوصف المتهور بأنه «يدخل على الحيايا

بجحورها»، وينصح رجل البادية كذلك ابنه بأن لا يؤذي (داباً) إن لم يؤذه، فإن آذيته قبل أن يؤذيك فسوف يؤذيك مثل ما آذيته، ولو لم يكن هو فسوف تؤذيك أنثاه أو أبناؤه. كما يقوم رجل البادية بدفن (الداب) في التراب إذا قتله حتى لا يجده أحد من أولاد الداب أو أقاربه فيؤذيه. وهذا اعتقاد خاطىء مصدره ما شاع عند بعض الناس أن الثعابين السامة تتحرك في أزواج، وعند مقتل أحدهما فإن الآخر ينتقم لمقتل شريكه. وهذا اعتقاد غير صحيح، فلا حياة أسرية عند الثعابين ولا ارتباط زواج يجمعها، بل يلتقي الذكر والأنثى في موسم التزاوج للتلقيح، وينفصلان بعد ذلك ويمضي كل منهما في سبيله.

وهناك ما يسمى خرزة الداب، يستعملها أهل البادية لعلاج عضة الثعبان، ويتداولون في شأنها رواية تقول إنك إذا شاهدت ثعبانين أو حيتين في عراك ضع عليهما بطانية أو غطاء واتركهما لفترة من الوقت، ثم ارجع إلى مكانهما وارفع الغطاء، فإنك ستجد خرزة تسمى «خرزة الداب»، وربما كانت الخرزة نابا أو سنا سقط من أحد الدابين. ويقال إن طريقة علاج لدغات الثعابين بالخرزة، هي أن توضع الخرزة على مكان اللدغة، وتغطى ولا يظهر منها شيء، فتقوم بسحب السم من الجسم، فيخرج السم من مكان اللدغة، ولا يزال كثيرٌ من أهل البادية يملكون مثل هذه الخرزة ويعتقدون اعتقاداً جازماً بأنها تشفي من لدغات الثعابين بإذن الله، كما يقولون أيضاً بأن نوعاً من الحجارة يستخدم علاجاً ضد لدغات الثعابين، ومما يدعم هذا الاعتقاد القصة التي يتناقلها سكان المنطقة الشمالية مجموعة خرجت للقنص في مكان يدعى القرية في مدينة سكاكا في منطقة الجوف، ولدغ ثعبان أحد رفاقهم، فقصدوا أحد بيوت البدو القريبة وطلبوا من أهله مساعدتهم في علاج لدغة صاحبهم، فجاءتهم عجوز، وأعطتهم حصاة، وقالت لهم: خذوا هذه الحصاة وضعوها على مكان اللدغة، حيث تقوم بسحب السم من الجرح، وقد طلبت منهم أن يعيدوا لها الحصاة. وربما كان لهذه الحصاة أثر كبير في إنقاذ حياة صديقهم إلى أن أسعف. والشيء الذي يذكره هؤلاء الناس أن تلك الحصاة نادرة الوجود، ولا يعرفها إلا البدوي الخبير بهذه الأمور. وذكر بعض الأشخاص أنهم يعرفون واحدة من تلك الحصيات عند طبيبة شعبية موجودة في مدينة عفيف حربية الأصل، وحصيات

أخرى لدى طبيبة شعبية من أصل شمري في منطقة حفر الباطن، ولـكن العلاج لا يتوقف عـند هذا الحد فقط، حيـث يظهر أثر اللدغ عـلى شكل طفح على الجلد، إضافة إلى احتمـال عدم القدرة على إخراج السم بالكامل من الجسم، لهذا يضع بعض الناس أنواعاً معينة من الأعشاب لغرض مـعالجة تلك القروح والطفوح، وإزالة النسبة الباقية من السم إن وجدت.

أما عن الـطرق المتبعـة عند سكان المنطقة الشـرقية في علاجهم للشخص الملـدوغ، فإنـهم يـطبخـون الحرمـل، ويعطون حساءَه للمصاب، كما يستخدم نبات الشـنان، وهو نبات بري يجـفف تحت أشعة الشمس لفترة طويلة، ثم يغلى مع الملح، ويوضع على مكان اللدغة.

ويروي كثيـر من أهالي المملكة أنَّ حيوان الورل إذا دخل في عراك مع الحية، فإنه يذهب إلى شجيرة قريبة من جحره ويتمرغ عـلى هذه الشجيـرة، ثم يعود لمزاولة العراك فتلدغه، ويعضها ثم يذهب بين فترة وأخرى إلى هذه الشجيـرة إلى أن يقتل الحية. ويُروى أن أحد الأشخاص قطع هذه الشجيرة من مكانها، فلما جاء الورل بعد أن لدغـته الحية، لم يجدها وظل يبحث عنها، ثم ما لبث أن سقط علـى الأرض ومات. ويقال إن الـورل يحفر جحره بالقرب من هذه الشجيرة.

وتعددت أسماؤها فهي الحمة عند سكان المناطق الشمالية، ويعتقد سكان المنطقة الـشرقـية بـأنهـا الرمـرام، لذا كـانوا يستعملونها ضد لدغة الحية، وذلك بغلي أوراق هذه الشجيرة وجذورها في الماء، ثم تبرد ويسقى منها الشخص الملدوغ.

وينصحـك أهل البادية إذا حاولت قتل الـداب أن لا تأتيه من الأمام فـهو أسرع منك، وسوف يلحق بك وكذلك لا تأتيه من الخلف، لأنه سريع الالتفاف والرجوع إلى الخلف، ولكن عليـك أن تأتـيه مـن الجنب وبـهذا تـلاحظ كل تحركاته، وتأخذ حذرك منه، مع تركيز النظر عليه، وعدم الغفلة عنه. ويحرص أهل البادية على إبعاد كل شيء ميت، قد يحتـوي على لحوم أو شحوم، من مكان نزولهم حتى لا تجلب إليهم الثعابين والحيوانات المفترسة، كما يحرصون على حفظ الأطعمـة خاصة اللحوم لكي لا تأتـي إليها الـثعابين وتـنفث فيـها من سمومها.

أما أهالي المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة فيعـتقدون أن الحية قصيرة ذات بطن عريضة ولـون أبيض أو أغبر، أما الحنـش فهـو أطول وأنحـف. وكانـوا

يخشون على مواشيهم من الثعابين أكثر من خوفهم على أنفسهم لأنها تسبب خسارة اقتصادية لهم. ويقتلونها بسهولة إذا كانت في بيوتهم، أو حول الآبار التي يسقون منها دون خوف، بعصا طويلة قوية، وكانوا لا يحسون بها أحياناً إلا وقد سلخت جلدها في سقوف البيوت القديمة. حينئذ يرونها ويقتلونها. وكانت الثعابين تسقط على رؤوس الرعاة، وعلى أكتافهم، وهم يرعون الغنم فيهربون منها سريعاً ويدعونها، ولا يحاصرونها أبداً، ويحذر الأهل أطفالهم إذا رأوا الحية تبيض أن يبتعدوا سريعاً عنها، لأنهم يعتقدون بأنها سوف تؤذيهم آجلاً أو عاجلاً.

وقد تلدغ الثعابين الثيران مما يسبب خسارة كبيرة جداً لسكان القرى، وهم يعتقدون أن الثعبان الذي له آذان ما هو إلا جن، ويقولون إنه حارس على كنز يوجد في ذلك المكان، ولا يقربونه أبداً. وكانوا إذا أرادو طرد ثعبان من مسكنه أخذوا روث البهائم، ودخنوه على الجحر، فيهرب الثعبان من الجحر ولا يعود إليه.

ويقال إنه في قرية تنومة بني شهر، في جبل يسمى جبل منعاء، يوجد ثعبان وحية دعا عليهما الرسول ﷺ حتى تحجرا في مكانهما. وهما موجودان على صخرة كبيرة، وجسداهما بارزان من على الصخرة. ومن المعتقدات حول الثعابين أنه إذا شرب الرجل من ماء سبق أن شربت منه الحية، فإن بطنه تنتفخ، ويبقى على قيد الحياة أياماً ثم يموت. وكان الرجل إذا أخذ نبات الشذاب، ودقه واغتسل به، بعد أن يلدغه ثعبان أو عقرب أو دبور يشفى الجلد والجرح معاً. وكانوا يدخنون بيوتهم بحرق ورق الشذاب فيها وقت الشتاء، لكي تهرب منها العقارب والحيات. ومن المعتقدات الشعبية عن الثعابين والعقارب أنها تتخلص من سمومها ليلة الجمعة، كما أن بعض الناس يعتقد خطأً أن العقارب تأخذ سمومها من الثعابين، وقد استخدمت بعض أنواع الحيات في العلاج، فهناك رجل كان يصطاد هذه الحيات ويضعها في إناء به زيت يغلي، وبعد أن تذوب الحيات في الزيت، يطلي أبله المصابة بمرض الجرب بهذا الزيت.

ويطلق أهالي المنطقة الشرقية اسم الحية على معظم الثعابين مهما كان نوعها. ويعتقدون بأن هناك ثعبان يسمى المخيط، وهو من الثعابين القافزة وله عدة ألوان منها الأخضر والرمادي. وهو يثقب أي جسم يواجهه في طريقه إلا النخلة

فإنه لا يستطيع اختراقها ويموت منها. وهو اعتقاد خاطئ لا أساس له. وهذا النوع يعيش في المزارع، ويحذره الفلاحون حذراً شديداً.

وهناك حية يطلق عليها أهالي المنطقة الشرقية اسم راعية البيت، ويتداول أهالي القطيف وبلدة القديح قصصاً كثيرة عن هذه الحية، فهي أفعى غير سامة، ذات لون أغبر بها نقط سود، ولم يحدث أن اعتدت هذه الحية على أحد، وهم يتركونها وشأنها، ولا يؤذونها اعتقاداً منهم بأنها تحرس البيت. ويستخدم سلب الأفعى، وهو الجلد القديم الذي تسلخه بين فترة وأخرى، في علاج مرض التابعة، وهذا المرض، على حد قول بعض أهالي الشرقية، يشبه مرض الصرع وأكثر ما يصيب الإناث.

ومن الأمثال الشعبية التي يتداولها سكان القرى في المملكة عن الثعابين «إذا قرصك البثن فَوَلّم الكفن». ويعتقد بأن البثن من أخطر الثعابين الموجودة في المملكة على الإطلاق وقد يكون هو الأفعى المقرنة حسب وصف بعض الأهالي له. وكذلك مثل آخر يقول «اللي يقتلني ولا يدفني، عظامي تكفي عني» وهو تحذير لمن يقتل الحية، ولا يدفن عظامها لأن العظام، خاصة الأنياب، قد تصيب القدم بالتسمم إذا وُطِئ عليها. و«من قرصته الحية خاف من الحبل» أو «القريص يخاف من جرّة الحبل» وهذا دلالة على أن الشخص الذي لدغته حية وعانى من آلام اللدغ يخاف من أي شيء يشبه الحية شكلاً حتى الحبل. و«تموت الأفاعي وسمها في نحورها»؛ يقول حميدان الشويعر:

تموت الافاعي سمّها في نحورها
وكم قريصٍ مات ما شاف قارصه

يضرب المثل لموت الأعداء بحقدهم وغيظهم دون أن تتاح لهم الفرصة للانتقام. وقالوا «أبعد عن الداب وشجرته» ويضرب لطلب السلامة. وقالوا «حيّة راسها عند ذنبها» ويضرب لمن لا يؤمن شره لأن من عادة الحية أن تجعل رأسها عند ذنبها لتحمي نفسها.

يعتقد العرب أن ليس في الحيوان شيء أصبر على الجوع من الحية، فإن هرمت صغرت في بدنها، ولم تشته الطعام، فلها في الصبر في أيام الشتاء ما ليس بالقليل؛ وقد قال الشاعر:

فابعث له من بعض أعراض اللمم
لميمة من حنش أعمى أصم
قد عاش حتى هو لا يمشي بدم
فكلما أقصد منه الجوع شم

ويقول الشاعر قولاً آخر يصف انقطاع الحية عن الطعام:

داهية قد صغرت من الكبر
صل صفا ما ينطوي من القصر
طويلة الإطراق من غير خفر
كأنما قد ذهبت بها الفكر
جاء بها الطوفان أيام زخر

وربما كان الخوف من الحية أكثر وقعاً من عضتها؛ يروى أن رجلاً نام تحت شجرة، فتدلت منها حية فعضت رأسه فانتبه، وحك رأسه وتلفت، فلم يجد شيئاً فوضع رأسه واستمر في نومه، وقال له بعض من رأى الحية وهي تعضه في رأسه: إن حية نزلت عليك من الشجرة حتى عضت رأسك، فلما جلست تقلصتْ وتراجعتْ عنك. ففزع فزعةً، وصرخ صرخةً كانت فيها نهايته.

والعرب تضرب المثل في الظلم بالحية فيقولون «أظلم من حية»، لأنها لا تحفر لنفسها جحراً، فكلما قصدت جحراً هرب منه ساكنوه من الدواب الأخرى، وتركوه لها. قال مضرس بن لقيط يشكو من ظلم قومه له:

لعمرك إني لو أخاصم حية
إلى فقعس ما أنصفتني فقعس
إذا قلت مات الداء بيني وبينهم
سقى حاطب منهم لآخر يقبس

كما أن شكل الأفعى وما تحمله من السم الزعاف يثير الهلع والخوف في النفوس، لذا فقد استخدمت لفترة من الزمن رمزاً للقوة. وكانت العرب تصف الرجل المنيع الجانب الداهية، بحية الأرض؛ قال ذو الأصبع العدواني يصف ما وقع بين قومه من بأس وقتل بعضهم بعضاً:

عذير الحي من عدوا
ن كانوا حية الأرض
بغى بعضهم بعضا
فلم يبقوا على بعض

وضرب العرب المثل في الحذر بالحية، وأنها لا تهزم بالقوة بل بالرفق واللين، ومما أنشده الأصمعي:

لم أر مثل الرفق في لينه
أخرج للعذراء من خدرها
من يستعن بالرفق في أمره
يستخرج الحية من جحرها

ومما رواه أحد المسنين: أنه جاء يوماً لإيقاظ ابنه الوحيد وهو نائم بعد الظهر تحت شجرة العنب قرب البئر، ولما أقبل رأى ثعباناً قد تسلل بين ثوب الابن وجلده ورأسه خارج فوق الصدر، وصعق الوالد ولم يدر ماذا يفعل إذ أن أي حركة من الابن معناها هلاكه، وهداه تفكيره إلى أن يتسلل برفق ويحضر بعض أوراق الشجر التي تخرج دخاناً ولا تشتعل،

واختار أقرب نقطة من الثعبان لا تثيره في اتجاه الريح وأحرق الأوراق، ولما تسلل الدخان إلى الثعبان تسلل الثعبان تاركاً الولد، وقام الوالد بإيقاظه وهو غير مصدق لما حدث.

وكانت العرب عندما تتهيأ للحرب تصف لباسها بلباس الأساود، وهي نوع من الثعابين؛ يقول قيس بن الخطيم في ذلك:

متى تلقوا رجال الأوس تلقوا
لباس أساودٍ وجلود نمر

وقال خداش بن زهير في هذا المعنى:

ونحن إذا ما الخيل أُدرك ركضها
لبسنا لها جلد الأساود والنمر

وكان أهل البادية يشوون الحيات ويأكلونها، إلا أنهم قد يتهاجون بأكلها في بعض الأحيان؛ كما قال الشاعر:

فإياكم والريف لا تقربنه
فإن لديه الموت والحم قاضيا

هم طردوكم عن بلاد أبيكم
وأنتم حلول تشتوون الأفاعيا

أما عن ضرورة استئصال شأفة الشر فيقول فيها الشاعر:

لا تقطعنْ ذنب الأفعى وترسلها
إن كنت شهما فأتبع رأسها الذنبا

ومن معتقدات العرب القديمة أن الحية شديدة الحقد، لا تترك ثأرها أبداً؛ أورد الدميري حكاية تقول: إن أخوين خرجا مسافرين، فنزلا في ظل شجرة بجنب صفاة، فلما دنا الرواح خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل ديناراً، فألقته إليهما، فقالا: إن هذا لمن كنز هنا، فأقاما ثلاثة أيام، وهي في كل يوم تخرج لهما ديناراً، فقال أحدهما للآخر: إلى متى ننتظر هذه الحية؟ ألا نقتلها ونحفر عن هذا الكنز فنأخذه؟ فنهاه أخوه، وقال ما تدري لعلك تعطب ولا تدرك المال! فأبى عليه وأخذ فأساً ورصد الحية حين خرجت، فضربها ضربة جرح رأسها ولم يقتلها، فبادرت إليه الحية فقتلته، ورجعت إلى جحرها فدفنه أخوه، وأقام حتى إذا كان الغد خرجت الحية معصوباً رأسها، وليس معها شيء فقال: يا هذه والله إني ما رضيت ما أصابك، ولقد نهيت أخي عن ذلك فلم يقبل، فهل لك أن نجعل الله بيننا على أن لا تضريني ولا أضرك وترجعي إلى ما كنت عليه أولاً؟ فقالت الحية: لا، قال: ولم؟ قالت: لأني أعلم أن نفسك لا تطيب لي أبداً وأنت ترى قبر أخيك، ونفسي لا تطيب لك أبداً وأنا أذكر هذه الشجة. وفي رواية أخرى أنها قالت له «كيف أعاودك وهذا أثر فأسك» فأصبح مثلاً يضرب لمن لا يفي بالعهد.

وقبيلة الرولة تأكل الحيات الطوال، وهم يقسمون الأفاعي إلى حية وداب؛ والأولى قصيرة، أما الداب فهو كل أفعى طويلة سامة كانت أو غير سامة، والحيات عندهم أنواع، إلا أن أهمها: البترا والحضف، اللتان تستوطنان الصحراء الرملية. ويستخدم الجلد الرقيق (السلب) الذي تخلعه الحية في علاج أمراض العيون.

ومن أشهر الحيات في التاريخ: الحية التي وضعتها كليوباترا ملكة مصر القديمة على صدرها فلدغتها فماتت، حتى لا تقع أسيرة بيد عدوها أوكتافيوس الذي أصبح الأمبراطور أوغسطس فيما بعد. ومما يذكر أن كليوباترا كانت تزين تاجها بالحية، ويعتقد أنها ثعبان الكوبرا. أما عن سبب اختيارها لهذا الثعبان رمزاً للقوة، فلما يعرف عنه من الأنفة والكبرياء؛ فهو من الثعابين التي لا تزحف بكامل جسمها على الأرض، بل ترفع رأسها وتنفخ عنقها مكونة ما يعرف بالقلنسوة، مما يضفي عليها منظراً مهيباً مخيفاً، لذا أطلق عليها لقب ملكة الثعابين.

ويروى أن جعفر بن الفضل بن الفرات، كان يهوى النظر إلى الأفاعي والحيات والعقارب وما يجري مجراها من الهوام، وكان في داره قاعة لطيفة مرخمة فيها سلل الحيات ولها قيِّمٌ وحاوٍ من الحواة ومعه مستخدمون، وكان كل حاوٍ في مصر يصيد له ما يقدر عليه، والوزير يشجعهم ويبذل لهم العطاء الجزيل حتى يجتهدوا في تحصيلها. ويذكر التاريخ أن سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام قد خاطب قومه اليهود بقوله: ياأولاد الأفاعي كما وصف اليهود كثيراً من أنبيائهم بأنهم أبناء الأفاعي. ومما قيل عن سبب إطلاق لقب تأبط شراً على الشاعر الجاهلي الفحل ثابت بن جابر أن أمه قالت له يوماً: كلُّ أخوتك يأتيني بشيء إلا أنت، فقال لها سآتيك الليلة بشيء، ومضى فصاد أفاعِيَ كثيرة، وأتى بها أمه في جراب متأبطاً له وألقاه بين يديها، ففتحته فتساعين في بيتها، ففزعت وخرجت، فسألتها جاراتها: ماذا أتاك به ثابت؟ قالت أتاني بأفاع في جراب، فقلن كيف حملها؟ قالت تأبطها، قلن: لقد تأبط شراً. فلزمه ذلك.

الثعابين الأرضية خطر على الإنسان، خاصة على أولئك الذين يعيشون في محيطها من أبناء البادية. وقد ظل الصراع مستمراً بين هذه الكائنات وبين الإنسان على مر العصور، ونتجت عن ذلك

قصص شتى تتناقلها الأجيال، وأكثر هذه القصص متعلقة بالجن، حيث من المعتقد أن الجن تتجنس على هيئة ثعابين، وقد نهى الرسول ﷺ عن قتل الثعابين إلا بعد أن تُحذَّر ثلاثاً؛ ومن القصص في هذا المجال أن رجلاً قتل ثعباناً، وبعد فترة أخذت الجن ترجمه بالحجارة، حتى قتلت ابنه.

ومن أشهر الأساطير المعروفة في هذا المقام، ويتداولها كثير من كبار السن، قصة داب ذريع. وتتلخص في أن رجلاً من قبيلة حرب، من فخذ الحنانية، قتل ثعباناً كان يتلبسه جن، وطلبت ابنة هذا الجن الثأر لأبيها حتى وجدت الرجل فوق ظهر بعيره في إحدى القوافل، فأخذت في التقدم إليه بسرعة حتى ظهر لها غبرة شديدة، وتخطت مؤخرة القافلة حتى وصلت إلى الرجل وهو فوق بعيره، وقفزت إليه ولدغته فمات، وبعد ذلك اتجهت إلى جبل بالقرب من البجادية على بُعد ٤٠٠ كم من الرياض على طريق الحجاز القديم. ويعتقد كثيرٌ من الناس أن هذه الحية ما زالت إلى يومنا هذا في مغارة لا يدخلها إلا شخص يزحف على بطنه، وبها ماء عذب تكون هي بالقرب منه دائماً، وتقتل كل شخص يحاول التعرض لها بسوء. والأهم من ذلك كله أنها تقتل كل شخص من قبيلة الحنانية يأتي إلى هذا الجبل، وهذا كله وهم لا أساس له من الصحة.

وعلى هذا النمط الأسطوري الوهمي نفسه، وهو الأخذ بالثأر، هناك كثير من الحوادث التي يرويها كبار السن، ومنها حية النار، وهي حية ظهرت في منطقة أحد بطون عتيبة، هي منطقة عفيف في هجرة مسرحة على بعد ٥٠٠ كلم من الرياض على طريق الحجاز القديم، وكانت هذه الحية تخرج من فمها كرات من نار أثناء المغيب، وبسبب هذه النار تحترق خيام هذه القبيلة وبيوتها وسياراتها، واستمرت على هذا الحال لمدة يومين كانت كافية لإحداث دمار كبير في الهجرة وأهلها، واتضح أن هناك حية كان يتلبسها جن ذبحت على أيدي أطفال الهجرة.

ويروى كذلك أنه في إحدى القرى التابعة للمدينة المنورة، حدث انتقام الجن من صاحب دار أحرق ثعباناً كان يتلبسه جن عن طريق الخطأ، حيث رمى بسيجارته على سجاد مجلس بيته، فشب حريق في المجلس كان ضحيته هذا الثعبان الذي كان يعيش في البيت، وبعد ذلك بدأت سلسلة من المتاعب لصاحب البيت، إذ أحرق منزله كله على فترات، وأفسد كل طعام يكون بين أيدي أهل

البيت أو من يدخل البيت، تارة بظهور براز في الصحون فجأة، أو ظهور ثعبان وسط الصحون ثم اختفاؤه ليسبب الرعب. واستمر هذا الوضع حتى أحضر صاحب البيت بعض المشايخ وبدأوا بالقراءة على أهل البيت، وبعد ذلك انقطع شرها بإذن الله.

ومن القصص الشعبية الأسطورية التي تناقلها الناس حادثة غريبة، وقعت في منطقة شقراء. فقد لاحظ الناس موت جميع الأشخاص الذين اشتروا أحد البيوت، وكانت الوفاة تحدث لهم ومن معهم أثناء نومهم في هذا المنزل، وبالتحديد في الليلة الأولى من سكنهم فيه، مما تسبب في عزوف الناس عن شراء هذا البيت، وفي إحدى المرات طلبت امرأة فقيرة شراء هذا البيت وأطفالها معها، وأحضرت وعاء الماء (الزير) ثم أدخلت أولادها إحدى الغرف، وأنامتهم وبقيت هي ترقب فناء المنزل من بُعْد. وفي منتصف الليل شاهدت حية كبيرة تخرج من بيت الدرج، واتجهت إلى الماء فولجت فيه، وأخذت تخوض به، ثم قامت بشرب الماء، وبعدها أخرجته من جوفها، وأخيراً خرجت من الزير، وفي اليوم التالي منعت الأم أطفالها من الشرب من الماء الموجود في الزير إلى منتصف الليل، حيث أتت الحية نفسها ومن نفس المكان ودخلت فيه وشربت من الماء فماتت، وهكذا انتهى شرها وكسبت المرأة الفقيرة البيت بثمن زهيد.

ومن المعتقدات الشعبية أن الثعابين لا تدخل بيتاً ولا تضر أهله إذا ذبح صاحبه شاة عند عتبة الباب، وجمع دمها، ودار به حول أسوار البيت، ثم حرقه، ورمى بالشاة بعد تقطيعها في مكان بعيد عن قريته لتأتي الثعابين وتأكلها، فيتقي بهذه الطريقة شرور الثعابين. أما في الوقت الحاضر فقد ظهرت طرق أخرى مثل سكب البنزين أو الديزل حول المكان وبهذا تهجره الثعابين، ويذكر بعض الأهالي أن وضع قطع من البصل والثوم في الفرش تؤدي إلى طرد الثعابين. ويعتقد أهالي البادية أنّ شر الثعابين يمكن أن يُتقى بدهن الجسم بزيت القطران، لأن الثعابين تكره رائحته وتتجنب من يدهن جسده بهذا الزيت.

وفيما يلي أهم عوائل الثعابين الموجودة في المملكة العربية السعودية.

عائلة الأفاعي

تضم هذه العائلة أخطر أنواع الثعابين التي تمتاز برأسها المثلث، وجسمها

الغليظ، وذيلها القصير، وعنقها الدقيق. وتضم عائلة الأفاعي أنواعاً أرضية تعيش في الصحارى، وهي تُعرف بوجود الأنياب المذببة الإبرية الأمامية المتحركة في فكها العلوي، التي يكون اتجاهها إلى الخلف عادة، ولكنها تنتصب إلى الأمام في حالة الهجوم ولدغ فريستها، وتتصل هذه الأنياب بغدة السم. وتهاجم سموم الأفاعي الجهاز الدموي فتحطم خلاياه وتؤدي إلى تجلطه، وقد تصل نسبة الوفيات إلى ٢٠٪ من الملدوغين. تتغذى الأفاعي ببعض الفقاريات الصغيرة مثل القوارض، وهي ليلية المعيشة إلا القليل منها، وقد تشاهد خلال فترات الصباح الباكر أو قبيل غروب الشمس بقليل، ويوجد من الأفاعي أربعة أنواع تستوطن مناطق مختلفة من المملكة، هي الحية المقرنة أو أم جنيب، والأفعى النافثة، وأفعى السجاد الشرقي، وحية الطفي المنشارية.

أم جنيب. وهي الحية المقرنة وتسمى أم قرين. وهي من أخطر الأفاعي في المملكة، وتنتشر في معظم المناطق، ويساعدها في ذلك المناخ الصحراوي، وكبر رقعة المناطق المناسبة لها حيث يعيش هذا النوع من الأفاعي في المناطق الرملية المفتوحة، والكثبان الرملية، وقد تعيش أيضاً في المناطق الصخرية، ويتراوح طول الأفعى البالغة من هذا النوع من ٤٤ إلى ٥٥ سم، وأما الأطوار غير البالغة



أم جنيب من أخطر الأفاعي

فأطوالها تتراوح من ٢١ إلى ٢٧ سم، وسميت هذه الأفعى بالمقرنة لوجود زائدتين قرنيتين فوق رأسها كأنهما قرنان صغيران، لكن بعض أفراد من هذا النوع ليس لها قرون، وتمتاز أم جنيب كجميع أنواع هذه العائلة برأس مثلث ورقبة دقيقة وذيل قصير وجسم غليظ. وتختلف ألوان أفرادها بين الأحمر الفاتح إلى البني، حسب الموطن الذي تعيش فيه، وتمتاز ببقع بنية داكنة على الجهة الظهرية، وهذا النوع من الثعابين سام جداً، لها أنياب مدببة إبرية أمامية متحركة في مقدمة الفم، ولا تستغرق إلا جزءاً من الثانية عند اللدغ، وذلك للسرعة العالية لحركة الناب أثناء إخراجه ولدغ الفريسة، وهنا تكمن خطورتها.

تتغذى هذه الأفعى ببعض أنواع الفقريات، خاصة القوارض التي تلدغها وتتركها حتى تموت ثم تبتلعها كاملة. وهي ليلية المعيشة، لكنها قد تخرج قبيل الغروب بفترات قصيرة، كما قد تشاهد خلال فترات الصباح الباكر، وتخلد إلى النوم عقب فترات النشاط الليلي، وتقطع هذه الأفعى مسافات طويلة خلال الليل، فقد لوحظ عند تتبع آثارها في بعض المناطق أنها تقطع مسافات قد تصل إلى أكثر من كيلومترين، كما أنها تدفن نفسها في التراب بحيث لا يظهر منها إلا رأسها وقرناها، فتحسبها الطيور ديداناً فتقع عليها، وسرعان ما تنقض الأفعى عليها فتقتلها وتلتهمها. وهذه الأفعى، مثل باقي أنواع الثعابين، لا تهاجم الإنسان ما لم يؤذها أو يتعرض لها. وقد تلدغ إنساناً بدون قصد، كأن يطأ عليها فتلدغه. وتشاهد دائماً وهي تخرج لسانها المشقوق الذي تستخدمه للتعرف على ما حولها، فتستطيع به التقاط المتغيرات الكيميائية المختلفة. ولا تخرج هذه الأفعى من فمها أصواتاً، ولكنها عند الاقتراب منها تصدر صوتاً تحذيرياً كفحيح الأشجار ينتج عن احتكاك حراشيف جسمها بعضها ببعض. وتمتاز هذه الأفعى بحركتها الجانبية ومن هنا جاء اسمها، لذلك يسهل التعرف على الأماكن التي توجد بها إذ غالباً ما تُرى آثارها على الرمال خلال فترات الصباح بعد تحركاتها الليلية، وقبل هبوب الرياح التي تسبب زحف الرمال وطمس تلك الآثار.

وتعيش الأفراد المقرنة وغير المقرنة، من الذكور والإناث البالغة والصغار، في البيئة الواحدة، إلا أنه لوحظ أن بعض المناطق تمتاز بانتشار فئة ذات القرون بها أكثر من غيرها، مثل منطقة جازان. أما

في منطقة الرياض فتوجد الفئتان في البيئة نفسها.

وتدخل هذه الأفعى خلال الشتاء في مرحلة من الكمون، أو ما يسمى السبات الشتوي، لأنها لا تستطيع مقاومة البرد الشديد، وتخرج من مرحلة السبات الشتوي في الربيع، وتبدأ فترة التزاوج حيث تتجمع الذكور والإناث معاً. وفي هذا الموسم تزداد خطورتها وتكون لدغاتها مميتة لزيادة تركيز السم في غدة السم في فكها العلوي. ولا تحفر هذه الأفعى أنفاقاً لها بل تلجأ إلى أي جحر تجده أمامها من جحور القوارض في بيئتها.

وأغلب حالات الوفاة من لدغات الثعابين التي تحدث في المملكة سببها الأفعى المقرنة، وقد يرجع ذلك إلى انتشارها الواسع. ويهاجم سمها الجهاز الدموي ويدمر خلايا الدم، وتقدر كمية السم اللازمة لقتل إنسان وزنه ٧٠ كجم بحوالي ٤٠ إلى ٥٠ ملجم. وهي تحقن كمية من السم تقدر بحوالي ١٠٠ إلى ١٨٠ ملجم في العضة الواحدة.

الأفعى النافثة. تسمى الأفعى النوامة في بعض المناطق، لأنها تنام في المسطحات المائية خلال الظلام، مما قد يشكل خطراً على الأشخاص الذين يسعون ليلاً، وتسمى في الطائف أم شكوى أو أم أشكى، أما في جازان فتسمى بالثروان. ويقتصر وجود هذه الأفعى على المنطقة الجنوبية الغربية، مثل أبها والباحة، حيث يكون معدل سقوط المطر عالياً. وقد توجد على ارتفاع يصل إلى أكثر من ٢٠٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر في مرتفعات جبال السروات.

جرم هذه الأفعى كبير جداً، إذ يصل طولها إلى حوالي متر، ولها رأس مثلث كبير، وجسم غليظ، وذيل قصير، ولونها رمادي تعلوه بقع بنية أو سوداء. ومقدمة الرأس سوداء، وعلى الذيل بعض الحلقات السود، ولها زوج من الأنياب الإبرية على جانبي الفك العلوي، وهي ذات سمية عالية. وتحدث اللدغات غالباً عندما يطأ الإنسان عليها في الليل، دون رؤيته لها. يهاجم سمها الجهاز الدموي، وتقدر كمية السم اللازمة لقتل إنسان وزنه ٧٠ كجم بحوالي ١٠٠ ملجم تقريباً. ويمكن لها أن تفرز حوالي ١٠٠ إلى ٣٥٠ ملجم من السم في العضة الواحدة.

وهي تكثر في البيئات الصخرية، ولونها مطابق للون البيئة التي تعيش فيها، وتتغذى بالطيور والضفادع والسحالي والأرانب الصغيرة (الخرانق)



الأفعى النافثة أو النوّامة

والأسماك. ويعتقد بأنها لا تبتعد كثيراً عن جحرها، ولكنها تنتظر الفريسة حتى تقترب منها، فتنقض عليها وتلتهمها. وتعيش الأفعى النوامة وثعبان الكوبرا في البيئة ذاتها. وربما تقوم الكوبرا بافتراس الأفعى النوامة، إلا أن أشد الأعداء خطورة عليها هو الإنسان، الذي يقتلها حين مشاهدته لها نظراً لحجمها الكبير، اللافت للنظر.

أفعى السجاد الشرقي. لا يعرف لها اسم محلي معين إلا أن بعض الأهالي يسمونها الرقطة، أو الرقطاء، ويقولون في دعائهم: «ياما الحية الرقطا». ويصف الناس الإنسان الشرير بأنه حية رقطاء؛ يقول حميدان الشويعر:

من يامن الرقْطا على الساق نادم
ومن يامن الضّد القديم يهان

وتسمى علمياً بأفعى السجاد الشرقي، لأن على ظهرها بقعاً فاتحة اللون، تشبه الأشكال الهندسية للسجاد الصيني. وتعيش في شمال المملكة وغربها ووسطها، وهي صغيرة الحجم إذ يبلغ طولها حوالي ٧٥ سم. وعلى رأسها تاج يشبه الصليب. وقد تقذف السم إذا حوصرت، حيث يتطاير السم من فمها، لكنه لا يصل إلى قوة اندفاع السم الذي يبخه ثعبان الكوبرا البخاخ، الذي يستطيع أن يبخ السم إلى مسافة مترين تقريباً، حتى أنه يصيب العينين. لونها بني محمر يشبه لون البيئة التي



أفعى السجاد الشرقي وبيضها

تعيش بها. وهي صحراوية المعيشة وتفضل المناطق الجبلية. وتعدّ أكبر عدو للإنسان إذ إن سمها قاتل، وضحاياها كثيرون، خاصة في الهند. وسمها من الخطورة بحيث يقتل الحمامة في ٦٠ ثانية، والكلب في أربع ساعات. تتغذى هذه الأفعى بالفئران والسحالي والعقارب. وفي المملكة نوع آخر قريب من نوع هذه الأفعى، هو حية الطفي المنشارية، له من الصفات والطبائع ما يشبه أفعى السجاد تقريباً، لكنه منفصل جغرافياً إذ لا يوجد إلا في المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة. وهذان النوعان من أخطر أفاعي المملكة، وقد يحتلان المرتبة الثانية، بعد الأفعى المقرنة، من حيث معدل الوفيات بسبب لدغاتهما. وتُقَدَّر كمية سم أفعى السجاد الشرقي القاتلة للإنسان بحوالي ٣ إلى ٥ ملجم. وتقدر كمية السم التي تفرزها في العضة الواحدة بحوالي ١٠٠ إلى ١٣٠ ملجم.

حية الطفي المنشارية. وتسمى الرقطة في المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة (عسير وبلاد غامد وزهران وغيرها)، حيث توجد فيها بأعداد ليست بقليلة. تمتاز هذه الأفعى السامة ببوز قصير مستدير ورأس مثلث، وجسمها أسطواني والذيل قصير. يصل طول الأفعى البالغة إلى ٧٢سم، وطول الذيل إلى ٧سم.

لون الظهر ضارب إلى الحمرة أو الغبرة، عليه خطوط مستعرضة بيض مصفرة، مكونة بقعاً سوداً محمرة، ولون البطن يميل إلى البياض وبه نقط مغبرة. وهي من الأفاعي الخطرة السريعة الحركة، وقد تلدغ أكثر من مرة بسرعة متناهية. سمها يهاجم الجهاز الدموي، وتقدر كمية السم القاتلة للإنسان بحوالي ٣ إلى ٥ ملجم.

تكثر في البيئات الرملية المغطاة ببعض الأعشاب والحشائش. وهي ليلية المعيشة، تتغذى بالفئران والطيور والسحالي والضفادع والعقارب والديدان.

عائلة الكوبرا (الصلال)

تضم ثعابين سامة وأخرى غير سامة قد تصل إلى ١٨٠ نوعاً منتشرة في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية القديمة والحديثة. وتنفرد الثعابين السامة لهذه العائلة بخاصية سم قريبة لما في الثعابين المائية السامة، ولها أنياب أمامية مذببة في الفك العلوي، وأهم ما يميز أفراد هذه العائلة حجمها، إذ قد تصل في الطول إلى عدة أمتار. وأهم أنواعها أفعى الكوبرا التي لها القدرة على تحريك ضلوعها باتجاه جانبي العنق، فيما يسمى بالقلنسوة السوداء، التي تخيف بها أعداءها. وينصب تأثير سم هذه العائلة غالباً على الجهاز العصبي، ويكون عادة مصحوباً بقليل من الآلام والورم في مكان العضة، وقد يموت المصاب نتيجة لشلل الجهاز التنفسي خلال ١٢ ساعة إذا لم يعالج بالمصل المناسب، وتتغذى ثعابين الصلال بالضِّبَّاب أو الضِّبَّان، (جمع ضَب) والطَيور الصغيرة، والثدييات الصغيرة، والضفادع. وتبلغ نسبة الوفيات من الأشخاص المصابين بسموم هذه الثعابين، حوالي ١٠٪. وفي المملكة العربية السعودية نوعان من عائلة الصلال هما الصل الأسود، الذي يستوطن منطقة نجد وما جاورها، والكوبرا العربية.

الصل الأسود. ويسمى عادة الصل، وتعني الصل الأسود. وهو الاسم الشائع في معظم مناطق المملكة. ويسمى أحياناً الهام ويقتصر وجوده على المناطق الوسطى والشرقية والشمالية من المملكة. ويعدّ من الثعابين النادرة التي لا يمكن رصدها ومشاهدتها بسهولة. ويمتاز بلونه الأسود القاتم، ورأسه العريض، والجسم طويل أسطواني، والذنب قصير دقيق، وهو ليلي المعيشة، ويفضل البيئات الصحراوية التي تكثر بها السهول حيث جحور الضبان، وهو يقضي معظم أوقاته



الصل الأسود، يتميز بلونه الأسود وهو سام

في هذه الجحور، وتعد صغار الضبان غذاء مناسباً له. ويختلف الصل عن الكوبرا العربية بعجزه عن نفخ عنقه، لتكوين القلنسوة التي تشتهر بها الكوبرا العربية. وهو من الثعابين الشرسة الشديدة السمية، ذو أنياب أمامية دقيقة في الفك العلوي. وسمه يؤثر على الجهاز العصبي ويسبب الشلل للإنسان، وقد تحدث الوفاة إذا لم يعالج المصاب. ويبالغ الكثير من أهالي المملكة في وصف طول الصل وضخامته، إلا أنه في الحقيقة لا يتجاوز المتر والنصف.

الكوبرا العربية. وتسمى الناشر، ويطلق عليها أهالي المنطقة الجنوبية الغربية اسم الحنش أو الداب وأحياناً «أم حوى». وتعيش في المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة، كما تعيش في جنوب المدينة المنورة، وهي ثعبان نهاري المعيشة، يعيش في المناطق الزراعية، ويرى أحياناً بالقرب من السدود والتجمعات المائية، فهو يحسن السباحة. يتغذى بالقوارض، والسحالي، والضفادع، والطيور.

والكوبرا ثعبان كبير الحجم، الرأس في ضخامة العنق والعيون كبيرة، وقد يصل طوله إلى مترين تقريباً، ذو ألوان مختلفة، فقد يكون الظهر أغبر، والبطن ذا لون يميل إلى الصفرة، أو قد يكون الظهر مخضراً، والبطن يميل إلى الاصفرار، وله زوج من الأنياب الكبيرة



الكوبرا العربية

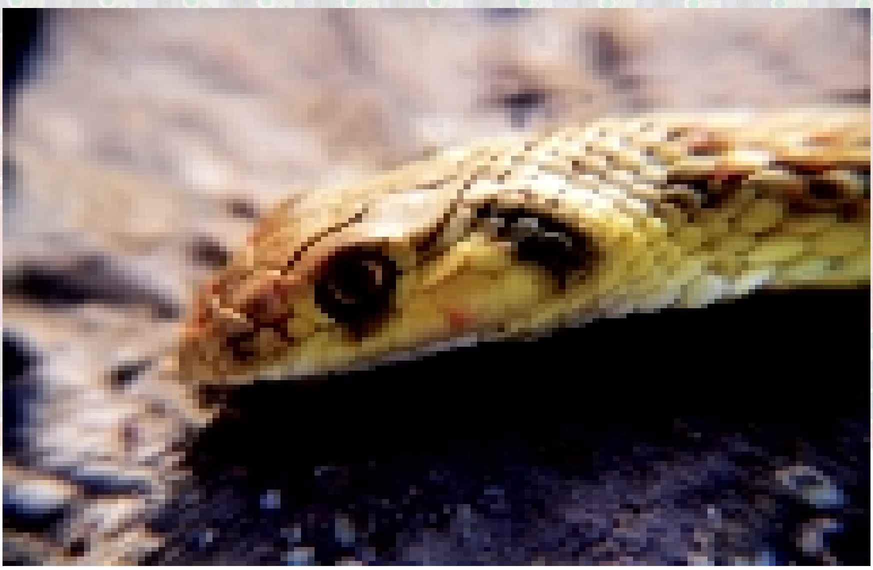
السـامة، علـى كلٍّ من جـانبي الـفك العلوي، تلـيها أسنان صغيرة، يتراوح عددها مـن ١ إلى ٣. ويحتوي الـفك السفلي على أسنان طويلة، ولهذا الثعبان المقدرة علـى نفخ رقبته مكـوناً قلنسوة تضفي علـى شكله هيئة مخيـفةً، وهو من الثعابين الخطرة الشرسة، وقد يهاجم الإنسان، إذا ما استُفِزَّ، بعكس الثعابين الأخرى التي تهرب عند وقـوع الخطر. سمـه قاتل لـلإنسان، يـهاجم الجـهاز العصبي، كمثيله الصل، وتبلغ كمية السم اللازمة لقتل إنسان متوسط الحجم حوالي ١٥ إلى ٢٠ ملجم. وتقدر كمية السم في العضـة الواحدة بحوالي ٢٠٠ إلى ٣٥٠ ملـجم. والكـوبرا من الثـعابين البيوضة، حيث تضع بيضاً بحجم بيض الحمام. وتعتمد صغار الكوبرا على نفسها من غير حاجة إلى رعاية الأم.

عائلة الثعابين الحقيقية

تضم هذه العائلة حوالي ثلثي أنواع الثعابين المعروفة في العالم وتشمل أنواعاً سامة وأخرى غير سامة. والأنواع السامة ذات أنياب خلفية الموقع، أي في مؤخرة الفك العلوي، لذا فإنها لا تشكل خطراً كبيراً على الإنسان، مقارنة بتلك الأنواع الأمامية الأنياب. أما الأنواع غير السامة من هذه العائلة، فليس لها أنيـاب على الأطلاق، بل أسنـان صغيرة، وتعيـش ثعابين هذه العائلة في جميع البيئات في

العالم، وهي تتغذى بالطيور، والقوارض، والضفادع، والأسماك، والسحالي، وأجسامها متطاولة، والرأس مميز عن العنق، والذيل طويل، وهي سريعة الحركة، وهذه الثعابين لا تكاد تضر بالإنسان. ويعتقد أن سموم بعض أنواعها تؤثر على كريات الدم الحمر للإنسان، إلا أن معظمها عديم الضرر. وفي المملكة ٢٠ نوعاً من هذه العائلة، ثلاثة منها فقط ذات أنياب خلفية تحوي سماً فعالاً إذا انتشر في جسم الإنسان؛ منها ثعبان (أبو العيون) والزاروق والثعبان الشبيه بالقط.

ثعبان أبو العيون. ويسمى كذلك الحنش أو الداب في بعض مناطق المملكة. وينتشر في أماكن مختلفة، فهو يعيش في المناطق الرملية، والمناطق الصخرية، والأودية. وهو ثعبان طويل الجسم، قد يصل طوله إلى أكثر من ١٥٠سم. ويمتاز بلون رملي، وعلى الناحية الظهرية بعض النقط البنية الداكنة، أما الناحية البطنية، فذات لون أبيض يميل إلى الصفار. الرأس ضخم، والعنق متناسق مع الجسم الأسطواني، أما الذيل فطويل مستدق. ويتميز هذا الثعبان ببقع سود خلف الأعين، خلف كل عين بقعة سوداء، وكأنها عيون أخرى. ولهذا يطلق عليه أبو العيون، وهو من الثعابين الخلفية الأنياب، وله نابان في مؤخرة الفك العلوي بالفم،



رأس ثعبان (أبو العيون)

لذا فإن هذا النوع ضعيف التأثير لكنه قاتل للحيوانات الصغيرة كالأرانب الحديثة الولادة مثلاً، ويتغذى أبو العيون بالقوارض الصغيرة وبالطيور والسحالي، وله مسلك غريب، عندما يثار أو يداهمه الخطر، فيقف على الجزء الخلفي من جسمه، ويرفع جزءه الأمامي، ثم ينفخ رقبته مكوناً قلنسوة كأنه بذلك الكوبرا.

ويمكن التعرف على هذا النوع من آثاره التي تبدو على شكل حيود من التراب، لأن جسمه الضخم يدفع الرمل فيترك خطوطاً صغيرة. ويعيش غالباً مع الأفعى المقرنة في البيئة نفسها، ولا يحفر لنفسه أنفاقاً، لكنه يلجأ إلى أي جحر يجده في طريقه. وهو ليلي المعيشة، إلا أنه قد يشاهد خلال النهار. ولا يعرف على وجه الدقة تركيب سم هذا الثعبان، ومدى تأثيره على الإنسان.

الزاروق. وهو ثعبان أبو السيور الشجري. أما الزاروق فهو الاسم المنتشر بين عامة الناس، وسمي بذلك للسرعة الفائقة التي يمتاز بها، حيث يستطيع الاختفاء عن الأنظار خلال ثوان معدودة. وينتشر هذا الثعبان في أغلب مناطق المملكة، ويكثر في المناطق الزراعية، أو في المناطق ذات الغطاء الخضري الجيد، ومن هنا جاءت تسميته بأبي السيور الشجري لعلاقته الكبيرة



ثعبان (أبو السيور) الشجري

بالأشجار. يعيش عليها وحولها، ويتغذى بالطيور، وهو يتعلق على الأشجار، حتى يصبح كأنه غصن منها وعند ذلك تقع عليه الطيور دون أن تشعر به، فينقض عليها، وكذلك يتغذى ببعض أنواع السحالي الصغيرة. ويمتاز أبو السيور بخطين على جنبيه، لذلك أطلق عليه هذا الاسم، كما يمتاز بلونه الأخضر، الذي يمنحه الحماية، فلا يمكن تمييزه عن بقية أجزاء الشجرة. وله جسم طويل أسطواني، قد يصل طوله إلى ١٢٥ سم. الرأس غير متميز عن الرقبة، ولا عن بقية الجسم، والذيل طويل جداً. وهو من الثعابين الخلفية الأنياب، لذا فهو ضعيف السمية.

وكثيراً ما يشاهد هذا الثعبان رافعاً رأسه، أو الجزء الأمامي من جسمه. وربما كان ذلك من أجل رؤية أكبر مساحة ممكنة من المنطقة التي بها أعداؤه، والهرب بسرعة في حالة الخطر. ولا يهاجم الزاروق الإنسان، ويمكن مسكه دون أن يعض، إلا في بعض الأحيان النادرة. ولا معلومات عن سمية هذا الثعبان الخلفي الأنياب، إلا أنه عند العض يحدث جرحاً بسيطاً.

الثعبان الشبيه بالقط. هو ثعبان طويل قد يصل طوله إلى متر تقريباً. الجسم أسطواني أو منضغط قليلاً والذيل قصير، والرأس مميز عن العنق، والعيون متوسطة الحجم. لون الجهة



الثعبان الشبيه بالقط

الظهرية بني محمر، وقد توجد عليها بقع بنـية أو بيض، ولون البطـن بني فاتح. إنسان العين بيضاوي طولي يشبه بؤبؤ القـط، ومنه جاء اسم الثعبـان. وفي الفك الـعلوي زوج من الأنياب الخلـفية وعدد مـن الأسنان الطـويلة الدقيقة. درجة سمية هذا الثعبان غير معروفة، ولكن يفترض أنها غير قوية لأن أنيابه خلفية.

ينتشر في المنطقة الشمالية، والمناطق الجبليـة في المنطقة الـغربية والجنوبـية الغربية، وجـبال أجا وسلمى وجبال طويق في المنطقة الوسطى. وهو ليلي المعيشـة ويتغذى بالطيـور والخفافيش والسحالي.

عائلة الأبتر

أفراد هذه العـائلة أرضية المعـيشة، واسعة الانـتشار، وتعـيش في جنـوب أفريقيا، ووسط وجنـوب غرب الجزيرة العربية، وتضم ثعابين سامة، وهي ذات أنياب طويلة مذبية قوية على جانبي الفك العلوي مـن الرأس، ولها المقدرة علـى التحرك في اتجاهـات مختلفة، وتخرج من الفم، وإن كان مغلقاً، ومن هنا تأتي خطورة هذا الثعبان، خاصة أن سمومها من أشد السموم خطورة، حيث تهاجم الجهاز الدموي للإنسان، وتكسِّر خلاياه، ومن ثم تؤدي إلى تحلل وتآكل الأنسجة حول مكان العضة.

يستـوطن المملكة مـن هذه العائلـة نوعان يشبه كل منهما الآخر شبهاً كبيراً، ولا يستطيع التمييز بينهما إلا المتخصصون في هذا المجال. ويعيش النوع الأول في المنطقة الوسطى من المملكة، والثاني في المنطقة الجنوبية الغربية.

الثعبان الأسود. ويطلق عليه سكان جنوب المـملكة اسم الأسود. ويسمى أحيانـاً، في مناطق المـملكة الأخرى، الحنش إذ ليس له اسم محدد. يمتاز بلونه الأسود الداكن، رأسه صغير غير متميز عن العنق. وجسمه أسطواني قد يصل طوله إلى ٨٠ سم، وذيله قصير، وعيناه صغيرتان ضامرتان. وأنيابه أمامية إبرية طويلة، تتحرك فـي اتجاهات مختلفة. يعيش فـي المنطقتين الـغربية والجنوبيـة الغربـية من المملـكة، وكذلك المنطـقة الوسطى. وينتشر في البيئات الزراعية، وهو من الـنوع الدفان، حيـث يقضي معـظم أوقاتـه تحت الأرض، يتـغذى بـالـسـحـالـي، وديـدان الأرض، والقوارض. ويشكل هذا الثعبان مصدر خطر كـبير لسكـان المناطق الزراعـية، ويتسبب في حدوث عديد من الوفيات

في بلاد غامد وزهران، لأنه لمّا يكتشف لسمه مصل بعد.

عائلة الثعابين البحرية

تضم حوالي ٥٠ نوعاً من الثعابين التي تسبح في مياه البحار والمحيطات الدافئة، وتمتاز بأنها قصيرة أو متوسطة الطول، وذنبها متحور على شكل زعنفة تساعدها في السباحة، ورأسها صغير مساو لقطر الجسم فلا عنق لها، والأنف مرتفع مزود بصمامات صغيرة لمنع دخول الماء، وجلدها مليء بالبقع الصغيرة على الظهر والبطن، وتختزن الهواء داخل الرئتين لفترة طويلة مما يساعدها على المكوث طويلاً تحت الماء. وهي تنفخ رئتيها عندما تريد الصعود إلى سطح الماء، وتفرغهما عند الغوص، ولها أنياب سامة قصيرة مجوفة في الفك العلوي، ويليها بعض الأسنان الصغيرة المجوفة، والفك السفلي مزود بأسنان مصمتة، وتتغذى بالأسماك، وهي ثعابين بيوضة ولودة تضع صغارها مباشرة في الماء.

ومن النادر أن تعض الثعابين البحرية الإنسان؛ لأن سلوكها غير عدواني، كما أن فمها ضيق، ولكن المعروف أن سمها خطير جداً، إذ أثبتت الدراسات أن نقطة واحدة من هذا السم تكفي لقتل خمسة أشخاص أقوياء البنية، ويهاجم سمها عضلات الجسم، وكذلك الجهاز العصبي، مما يؤدي إلى توقف عضلة الحجاب الحاجز، فيتوقف التنفس، ويحدث الاختناق.

وفي مياه الخليج العربي تسعة أنواع من الثعابين البحرية، جميعها سامة، ولا ثعابين بحرية في مياه البحر الأحمر.

حنش البحر ذو الحلقات. من أهم أنواع الثعابين البحرية الموجودة في مياه الخليج العربي. ويسمى حنش البحر، وهو عالمي الانتشار، يعيش بأعداد كبيرة في مياه الخليج العربي. رأسه صغير وعنقه أسطواني. جسمه طويل مضغوط. قد يصل طول الذكر إلى ١٥٠ سم، والأنثى إلى ١٩٠ سم. اللون رمادي، محاط بحلقات سود على طول الجسم، وهي أكثر وضوحاً من الناحية الظهرية. الفك العلوي مزود بنابين دقيقين بحجم رأس الدبوس. يتغذى بالأسماك وبعض الحيوانات اللافقرية. وهو شديد السمية حيث تقدر كمية السم القاتلة لشخص وزنه ٧٠ كيلوغراماً بحوالي ٤ إلى ٥ ملجم.

ثعبان البحر الأصفر البطن. وهو واسع الانتشار في مياه الساحل الغربي

لأمريكا الشمالية والمكسيك وأفريقيا. ويعيش في مياه الخليج العربي. من أكثر الثعابين تكيفاً مع الحياة البحرية نظراً لانضغاط جانبيه وسرعته الفائقة، وقد يعيش بعيداً عن الشواطىء في المياه العميقة. رأسه صغير ذو بوز متطاول، ويحتوي الفك العلوي على نابين صغيرين جداً. طول الذكر يصل إلى ٧٢ سم أما الأنثى فيصل طولها إلى حوالي ٨٨ سم. لونه بني، مسود على الجانب الظهري، ومصفر من الناحية البطنية. لا تعرف كمية السم القاتلة من هذا الثعبان.

حنش الخليج العربي. وهو من أكثر الثعابين البحرية انتشاراً في مياه الخليج العربي. وهو ثعبان سام، له نابان صغيران في الفك العلوي، ورأسه أسود متوسط الحجم، وجسمه متطاول يبلغ قطره حوالي ضعفي قطر العنق، ويصل طول الذكر إلى ٩٦ سم بينما يصل طول الأنثى إلى ٩٣ سم. اللون بني أو أسود أو مصفر، تتخلله حلقات سود عريضة من الجهة الظهرية. يتغذى بالأسماك. لا يعرف شيء عن كمية السم القاتلة من هذا الثعبان.

حنش البحر ذو الثنية. وهو في عدة أماكن من مياه الخليج العربي، ويعتقد بأنه يهاجر من الشواطىء إلى مياه الخليج العميقة في مواسم معينة من السنة. له نابان صغيران في الفك العلوي، يليهما أسنان قرنية يتراوح عددها من ١٠ إلى ١٢ سناً، ويصل طول الذكر إلى ٩٥ سم والأنثى إلى ٨٦ سم. الرأس كبير، والجسم قوي، قطره يبلغ ضعف قطر العنق، ولون الجسم من الناحية الظهرية رمادي فاتح أو زيتوني، يتخلله حوالي ٥٠ حلقة سوداء عريضة، ولون البطن أصفر أو أبيض. يتغذى بالأسماك، ولا تعرف الكمية القاتلة من سم هذا الثعبان.

عائلة الثعابين غير السامة

في المملكة عدة أنواع من الثعابين غير السامة لا أنياب لها، لذا فهي عديمة الضرر، وهي تعيش في بيئات متعددة وتنتشر في مناطق المملكة المختلفة، وأكثر هذه الأنواع شيوعاً في المملكة، هي تلك التي يصادفها الإنسان في بيئاته الزراعية، أو خلال رحلاته البرية؛ ومنها الثعبان الصخري والأنيق والدساس والأرقم.

الثعبان الصخري. يكثر في المناطق الجنوبية الغربية من المملكة، ويعيش بأعداد قليلة في المنطقة الوسطى. وهو

ثعبان غير سام، كبير الحجم، قد يصل طوله إلى ١٢٠سم. الجسم أسطواني دقيق متطاول، وعلى السطح الأعلى للرأس علامات مستعرضة، وعلى الصدغ خط معتم، مع نقاط معتمة، واللون برتقالي خلف العينين، ولون سطح الظهر محمر يميل إلى الوردي، أما سطح البطن فأبيض. وهو ليلي المعيشة، يمتاز بسرعة حركته، ويتغذى بالسحالي والبرمائيات وصغار القوارض.

الثعبان الأنيق. من الثعابين غير السامة النادرة جداً في المملكة. يوجد في المنطقتين الغربية والوسطى. يقتله الناس بسهولة بسبب ألوانه الزاهية التي تجعل رؤيته واضحة، خلافاً للأنواع الأخرى التي يماثل لونها لون البيئة التي تعيش فيها. وهو ثعبان صغير الحجم قد يصل طوله إلى ٥٠ سم. لون ظهره أبيض، وبه حلقات سود، ويمتد خط برتقالي دقيق في منتصف الظهر من أعلى الرأس حتى نهاية الذيل، وسطحه البطني أبيض مصفر. ليس له أنياب. وهو ليلي المعيشة، يتغذى بالسحالي وصغار القوارض.

الدساس. يسمى بالدساس أو الدسيسا والنادوس لأنه يغوص في الرمال ويدفن نفسه فيها، كما يسمى أيضاً الدفان. وهو واسع الانتشار في المملكة،



الثعبان الأنيق



الدساس

حيث يعيش في معظم مناطق الكثبان الرملية مثل نفود الثويرات، ونفود السبلة، ونفود الدهناء، ونفود الدحي والربع



الدساس ويسمى أيضاً الدفان

الخالي. وهو ثعبان صغير غير سام، يصل طوله إلى ٥٠ سم تقريباً. يميل لون ظهره إلى الاصفرار، مع بعض الشرائط ذات اللون البني، ولون البطن يميل إلى البياض، والجلد أملس ناعم يساعده على سهولة الغوص في الرمال، والرأس صغير، والعيون صغيرة في قمة الرأس الذي لا يمكن تمييزه عن العنق، وليس له أنياب. وهو ليلي المعيشة، يعيش في بيئة الكثبان الرملية، ويتغذى بصغار الفئران والسحالي.

الأرقم. يسمى في المنطقة الجنوبية من المملكة «ثروان» أما في باقي مناطق المملكة فيسمى حنش وهو واسع الانتشار. في جنوب الحجاز، وأبها،

ومناطق شـمال البحر الأحمر، وفي أماكن عديدة من المنطقة الوسطى. وهو ثعبان ضخم طويل غير سام، قد يصل طوله إلى ١,٥ متـر. لونه رملي مع بقع داكنة بنية على سطح الظهر؛ ولهذا يسـمى فـي بعـض البـلدان الأرقـم الأحمر، أما سطح البطن فلونه باهت. وهو عديم الأنـياب، إلا أن الفكـوك تحتوي على أسـنان، ويحدث ألماً في مكان العضة. يعيش في البيئات الرملية الصلـبة والمفكـكة، ويتغذى بـصغار الثدييات.

مفصليات الأرجل

(العنكبيات)

تموج بيئات المملكة العربية السعودية بأنواع كثيرة من العنكبيات والحشرات. وهي متنوعة الأشكال والأحجام، متباينة الألوان والصفات. منها ما يسكن المناطق الأرضية الرطبة، ومنها ما يطير في الهواء ويتخذ مسكنه على أفنان الأشجار وأوراقها، ومنها ما يتطاير برشاقة حول الأزهار ينتقل من زهرة إلى أخرى يجمع الرحيق وينقل حبوب اللقاح، ومنها ما ينخر في سوق النباتات، ومنها ما يتطفل على الإنسان أو الحيوان أو النبات، منها الضار ومنها النافع، ومنها ما هو جميل المنظر يبعث على الارتياح، ومنها ما هو قبيح يثير الكآبة والاشمئزاز. وقد أحسن في وصف أنواع الهوام من العناكب والحشرات الأديب الشاعر كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الأعمى صاحب المقامة البحرية؛ ونجتزئ ببعض ما قال يذم دار سكناه:

دار سكنت بها أقل صفاتها
أن تكثر الحشرات في حجراتها
الخير عنها نازح متباعد
والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته
كم أعدم الأجفان طيب سناتها
وتبيت تسعدها براغيث متى
غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن قافه
قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عـ
ـين الشمس ما طربي سوى غناتها
أين الصوارم والقنا من فتكها
فينا وأين الأسد من وثباتها
وبها خنافس كالطنافس أفرشت
في أرضها وعلت على جنباتها
لو شم أهل الحرب منتن فسوها
أردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان وأشكال لها
مما يفوت العين كنه ذواتها

متزاحم متراكم متحارب
متراكب في الأرض مثل نباتها
وبها قراد لا اندمال لجرحها
لا يفعل المشراط مثل أداتها
أبداً تمص دماءنا فكأنّها
حجّامة لبدت على كاساتها
وبها من النمل السليماني ما
قد قل ذر الشمس عن ذرّاتها
لا يدخلون مساكناً بل يحطمون
جلودنا فالعفو عن سطواتها
وبها زنابير تظن عقاربا
لا برء للمسموم من لدغاتها
وبها عقارب كالأقارب رتعاً
فينا حمانا الله لدغ حماتها
وكأنّما حيطانها كغرابل
أطلعن أرؤسهن من طاقاتها
كيف السبيل إلى النجاة ولا نجا
ة ولا حياة لمن رأى حيّاتها
السم في نفثاتها والمكر في
لفتاتها والموت في لسعاتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها
والأرض قد نسجت ببراقاتها
فلقد رأينا في الشتاء سماءها
والصيف لا تنفك من صعقاتها
فضجيجها كالرعد في جنباتها
وترابها كالوبل من حسياتها

المفصليات أكبر شعب المملكة الحيوانية إذ يصل عدد أنواعها المعروفة إلى أكثر من مليون نوع. ويعتقد أنه ما يزال هنالك عشرات الآلاف من أنواعها لّما تعرف بعد، ولذلك لم تسجل حتى الآن. يحمل جسم هذه الكائنات زوائد تتركب الواحدة منها من عدد من القطع المتمفصلة أي التي يتصل بعضها ببعض بمفاصل متحركة. لذلك تعرف بالمفصليات، ولا يعرف عدد الأنواع في المملكة على وجه الدقة، إلا أنها تقدر بمئات الآلاف.

المفصليات، أوسع شعب المملكة الحيوانية انتشاراً فهي تنتشر في جميع البيئات الطبيعية التي تتفاوت فيها طرائق معيشتها، فتُشاهد أنواع منها على قمم الجبال الشاهقة، وأخرى في أعماق البحار، ويعيش كثير منها في الهواء أو على اليابسة، وبعضها في الماء المالح أو القليل الملوحة، وبعضها في الماء العذب، كما تتباين المفصليات في عاداتها الغذائية، فمنها ما يتغذى بدم أو سوائل أجسام الفقريات، ومنها ما يتغذى بالمواد الصلبة، وكثير منها يعيش معيشة حرة، وبعضها قد يتطفل على النباتات أو الحيوانات، وبعضها قد يفترس حيوانات أخرى. وللمفصليات أهمية اقتصادية كبيرة للإنسان وحيواناته المستأنسة. فبعضها يؤكل كالقشريات والجراد وبعض

اليرقات، وبعضها مفيد للإنسان كنحل العسل ودود القز والأنواع الكثيرة التي تلقح النباتات، وجزء منها يضر الإنسان اقتصادياً حيث ينقل إليه وإلى مزروعاته وحيواناته المستأنسة كثيراً من الأمراض، مثل البعوض والذباب والقمل والقراد والحلم، كما أن بعضها سام كالعقارب والعناكب.

ولأجسام المفصليات هياكل خارجية لا تسمح بنفاذ الماء، وقد تكيفت أجهزتها التنفسية بطرق مختلفة للحصول على الأكسجين، والمفصليات أكثر أنواع الحيوانات تكيفا للظروف السائدة في بيئاتها المختلفة، فعلى سبيل المثال تكيفت المفصليات الصحراوية في المملكة بوسائل متعددة تساعدها على العيش في البيئة الصحراوية القاسية، والمناخ الحار الجاف. وبصورة عامة يحيط بجسم المفصليات هيكل خارجي صلب يحتوي على مادة الكيتين ويتكون من جُلَيْد سطحي به زوائد جُلَيْدِيَّة تقوم بوظائف حسية وتعمل على تنفير الأعداء، ويغطي الجُلَيْد السطحي طبقة أسمنتية، تليها طبقة شمعية، وأخرى فينولية، وتمنع هذه الطبقات التبخر، وتساعد هذه الكائنات على الاحتفاظ بالماء داخلها، إضافة إلى أنها تحمي جسمها، ويدعم الكيتين السميك الذي يحيط بجسم المفصليات أعضاء الجسم الداخلية الرخوة، لأنها تفتقر إلى وجود الهيكل العظمي. وللمفصليات أجهزة عضلية متطورة، تبطن الهيكل الخارجي وتتحكم في حركة الأطراف، وأعضاء الجسم. وللمفصليات جهاز دوري مفتوح وقناة هضمية بسيطة تبدأ بفتحة الفم وتنتهي بفتحة الشرج. إلا أن الفم ليس طرفياً. كما أن لها جهازاً عصبياً جيد التكوين يتألف من دماغ وحبل شوكي بطني وعقد عصبية وأعضاء حسية وأعضاء سمعية.

وفي شعبة مفصليات الأرجل ست طوائف، منها طائفة العنكبيات وطائفة الحشرات. وتضم كل طائفة عدداً من الرتب التي يتبع كلا منها عدد من العوائل. وسوف نتناول في هذا الفصل طائفة العنكبيات التي تضم حوالي ٦٠ ألف نوع من العناكب والعقارب والحلم والقراد. وللعنكبيات هيكل كيتيني صلب يغطي الجسم يتألف من منطقة (رأس صدرية)، تنتج عن التحام منطقتي الرأس والصدر، ومنطقة بطنية. وقد تكون البطن معقَّلة، أي مكونة من عقل متصلة بعضها ببعض، كما هي الحال في العقارب، أو غير معقلة، كما هي الحال في العناكب. وللعنكبيات ستة أزواج

من الزوائـد المفصليـة المتصلة بالمـنطقة (الرأس صدريـة)، زائدتا الزوج الأول ملقطيتان وهما الكلابتان. والزوج الثاني من أجزاء الفـم وتعرفان بالفـكين، أما الأزواج الأربعة الباقية فهي أرجل المشي، وليـس لها قـرون استشـعار. وأغلـب العنـكبيات حـيوانات مفتـرسة تتغذى بالحشرات والمفصليات الصغيرة وبعضها طفيلية المعيشة عـلى الإنسان أو الحيوان أو النبات.

وللعنكبيات أكثر من زوج من العيون البسيطة ومنها ما له عيون مركبة، وهناك أنواع لها عيون بسيطة وأخرى مركبة في الوقت نفسه، ولبعض من أنواعها التي تعيش معظم وقتها، أو كله، في الظلام ليس لها عيون أبداً، أو لها عيون بدائية التركـيب جداً. والجنسـان منفصلان، ويفـقس البـيض عن صـغار لا تشـبه الأبوين، تنمو وتتحول تدريجياً إلى أن تصل إلى مرحلة البلوغ فتشبه الأبوين.

العناكب

تعـرف بأسماء كـثيرة فـي الجزيرة العربية، منها العنكباة والعكاش والخذرنق والخدرنـق، ومن العنـاكب ما يـسمى الشبث. وكـنية الذكر أبو خـثيمة وأبو قشعم، والأنثى أم خـثيمة وأم قشعم، أما ولد العـنكبوت فهو الدغفـل، وأما نسيجها فهو الـهلهل، ويسمى جحرها السك.

والعناكب واسعة الانتشار في جميع أنحاء العالم إذ يعـرف منها حوالي ٣٢ ألف نوع. ولم يتـحدد بدقة حتى الآن عدد أنواعها الموجودة بالمملكة أو الجزيرة العربـية، وتعيش الـعناكب في بـيئات مخـتلفة فـي المنازل والمـزارع والحقول والغابـات والصحارى والكـهوف وبين الأحجار وفي المستنقعات، وهناك أنواع منها تعيش في المياه العذبة وعلى شواطئ البحار، ويقضي بعضها معظم حياته تحت الماء، وتعـيش أنواع أخرى عـلى قمم



عنكبوت ناسج



عنكبوت الرمال الأصفر (غير ناسج)

الجبال الشاهقة. ومعظم العناكب ذات لون بني مسود، إلا أن بعضها له لون الفراشات الجميلة، وبعض أنواعها بحجم يد الإنسان، وحجم بعض أنواعها بحجم رأس الدبوس.

وأكثر ما تشتهر به العناكب غزلها لخيوط الشراك التي تستخدمها لصيد الحشرات لتتغذى بعصارات أجسامها. وفي ذلك يقول الجاحظ «وَلَدُ العنكبوت أعجب من الفرُّوج الذي يخرج إلى الدنيا كاسباً محتالاً مكتفياً. لأن ولد العنكبوت يقوى على النسيج ساعة يولد وبدون تعلم» (١٩٨٨، ج٥: ٤١٢). وتنسج معظم العناكب شراكها بأشكال مختلفة بدقة متناهية تفي بوظيفتها، على الرغم من ضعف قوتها. وقد نسجت العنكبوت على باب غار حراء بيتا صرف مشركي قريش عن دخول الغار الذي كان فيه النبي ﷺ ومعه صاحبه أبو بكر الصديق #، وعلى النبي داود عندما كان جالوت يطلبه، وعلى غار عبد الله لما بعثه النبي ﷺ لخالد الهمذاني فقتله وحمل رأسه في الغار خوفا من أهله، وعلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي لما صلب عريانا.

وتختلف العناكب في طريقة الغذاء، والافتراس، ونسج البيوت، والشراك، والتنقل. وقد لاحظ العرب ذلك فأطلقوا على بعضها اسم (الليث) لأنه يثب على

الحشرات خاصة الذباب، كما يثب الليث على فريسته. وأطلقوا على أنواع أخرى اسم (الفهد)، لأنه يصيد الذباب على نحوٍ يشبه طريقة صيد الفهد لفريسته. حيث يكمن بزاوية، فإذا طارت ذبابة أو حشرة بقربه وثب إليها، وتعرف مثل هذه الأنواع بالعناكب الصائدة وهي في الغالب لا تنسج شراكا. وأكثر ما تتغذى العناكب بالحشرات، وهي مفيدة للإنسان من هذا الجانب، لأنها تتغذى بالجنادب والجراد، التي تتلف المحاصيل الزراعية، وكذلك على الذباب والبعوض، فتقلل من فرص نقل الأمراض. كما تتغذى الأنواع الكبيرة من العناكب أيضاً بالسحالي، والطيور وصغار القوارض والأسماك، وعلى يرقات بعض أنواع الضفادع.

يتكون جسم العنكبوت من جزءين أساسيين هما الجزء (الرأس صدري)، والبطن، وبينهما خاصرة. ويحمل الجزء الرأس صدري زوجا من الملامس القدمية، وثماني عيون بسيطة، وأربعة أزواج من أرجل المشي المفصلية. ولبعض العناكب غدد غزل تنسج بها البيوت والمصائد، إذ يدفع العنكبوت سائلاً لزجاً من هذه الغدد، يتجمد حال خروجه إلى الهواء، ويتحول إلى خيط ينسج منه العنكبوت بيته ومصيدته، كما يمكن أن يعمل منه خيوطاً يتنقل عليها ويتعلق بها بالأسقف. فمثلا يمكن أن يهبط العنكبوت من السقف إلى الأرض بخيط يثبته بالسقف وينزل عليه ثم يستمر في إفراز الخيط أثناء هبوطه حتى يصل إلى الأرض. وبالطريقة نفسها يمكن للعنكبوت أن يتنقل من قمة شجرة إلى أخرى وتعرف هذه الحركة بالحركة المنطادية. وبهذا ضرب المثل الشعبي «يتعلق بخيط العنكبوت».

وتتنفس العناكب بالقصبات الهوائية والكتب الرئوية. ويوجد من الكتب الرئوية عادة اثنتان، كل منهما كيس يحتوي على ١٥ إلى ٢٠ صفيحة أنفية ورقية الشكل تشبه صفحات الكتاب يسري خلالها الدم، وعند دخول الهواء من الفتحات التنفسية تُتَبادل الغازات مع الدم، وقد تحتوي العنكبيات على أربعة أزواج من الكتب الرئوية.

الجنسان منفصلان في العناكب والذكور عادة أصغر من الإناث حجماً. وموضع الغدد التناسلية في المنطقة البطنية، ولا تحدث عملية جماع بين الجنسين. فالذكر يفرز السائل المنوي على نسيجه، ثم يمتصه في الجزء المتضخم في نهاية اللامستين. وتحفظ الحيوانات المنوية

في هذا الجزء لفترة قصيرة إلى أن يلتقي الذكر بالأنثى، وعندئذ يضع الذكر الطرف المتضخم من لامسته على الثقب التناسلي للأنثى فتمر الحيوانات المنوية إليها، وتخصب البويضات داخلها، ويوضع البيض المخصب في شرانق صفر أو بيض تحملها الأنثى إلى أن يفقس البيض ويخرج من كل بيضة عنكبوت ينمو وينسلخ عدة مرات إلى أن يصل إلى مرحلة البلوغ.

ومن أنواع العناكب ما يُعمَّر سنة أو أقل، ومنها ما يُعمَّر حتى عشرين عاما. وهنالك عناكب سامة، وأخرى غير سامة. ومن أشهر العناكب السامة المنتشرة في المناطق الاستوائية، عنكبوت يعرف باسم الأرملة السوداء إذ تسبب لدغته الوفاة، خاصة للأطفال وكبار السن، بسبب الاختناق الناتج عن شلل الجهاز التنفسي. وحتى الآن لم تؤكد الدراسات وجود هذا النوع من العناكب في المملكة أو في شبه الجزيرة العربية، إلا أن سكان الحضر والبادية يتداولون القصص عن عناكب تلدغ وتسبب احمراراً وورماً، بل ذكر بعضهم أنها تسبب أحيانا الوفاة بين الأطفال، ولكن يبدو أنها أنواع أخرى من العناكب غير الأرملة السوداء، وتعدّ الدبابير ألد أعداء العناكب.

ولم يذكر أن العرب أكلوا العناكب، وقد حرم ديننا الحنيف أكلها، لقذارتها، بل حض على قتلها، فقد روي عن ابن عمر ٪ أن النبي ﷺ قال: «العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه» ولا يستحب العرب وجود نسيج العنكبوت بالبيت، فقد روي عن علي بن أبي طالب #، أنه قال «طهروا بيوتكم من نسيج العنكبوت، فإن تركه في البيت يورث الفقر».

وقد ورد ذكر العناكب وبيوتها الواهية كثيراً في أمثال العرب فقالوا: «أوهن من بيت العنكبوت أو أضعف من بيت العنكبوت» كما ضربوا المثل في النشاط والدأب على أداء العمل بالعنكبوت فقالوا: «أغزل من عنكبوت». كذلك ورد العنكبوت في شعر العرب كثيراً؛ من ذلك ما قاله ابن الرومي في وصف العنكبوت الفهد:

من الفهود فهد ... في الاسم والعيان
فتلك ذات أربع ... وذاك ذو ثمان
كأنما أرجله ... مخالب الشغران
سيفاه سيفا بطل ... والدرع درع جان

وصائد وهو من الـ
مصيد في أمان
ذبابة في كفه الـ
طائر مثل العاني
عناقه أسرع من
تعانق الأغصان
بخفة الوثوب
بجرأة الجنان

وقال أحد الشعراء يشبه تفاهة الدنيا بنسيج العنكبوت الواهي:

إنما الدنيا كبيت
نسجته العنكبوت

وقال شاعر يشكو من صديق له:

فأضعف من نسج العناكب عهده
وأضيع من نار الحباحب وده

وقال الأحنف العكبري يشكو حاله:

العنكبوتُ بَنَتْ بيتاً على وهن
تأوي إليه وما لي مثله وطن

وقال الفرزدق في هجاء جرير:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها
وقضى عليك به الكتاب المنزل

وقال أحد الشعراء:

جمع النسج كل من حاك لكن
ليس داود فيه كالعنكبوت

فرد عليه يعقوب بن صابر المنجنيقي:

نَسْجُ داود لم يفد ليلة الغا
ر وكان الفخار للعنكبوت

وقال ابن الرومي في الهجاء:

ويابسة الأسافل والأعالي
كأنك في المجالس عنكبوت

وقال الحداني حدان بن قريع بن عوف يهجو:

كأن قفا هارون إذْ قام مدبرا
قفا عنكبوت سُلَّ من دبرها غزل

وقال الحمدوني إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه في طيلسان بن حرب:

فحسبنا نسج العناكب لو قيـ
س إلى ضعف طيلسانك سدا

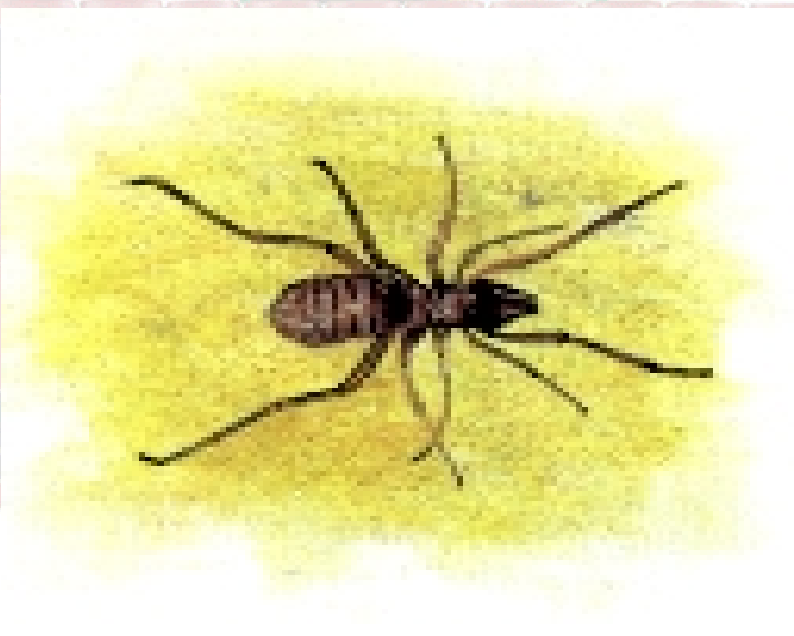
وأبلغ ما قيل في وصف العنكبوت هو ما ورد في القرآن الكريم في سورة العنكبوت ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ (العنكبوت: ٤١). وبذلك يضرب سبحانه وتعالى المثل في الآية لمن اتخذ من دونه آلهة لا تضر ولا تنفع. ووجه الشبه أنّ ما يحصل عليه مثل هؤلاء النفر من الكفر وعبادة الأصنام يشبه ما يحصل عليه العنكبوت من بيته الضعيف الواهي الذي لا يقيه حراً ولا برداً.

الشبث

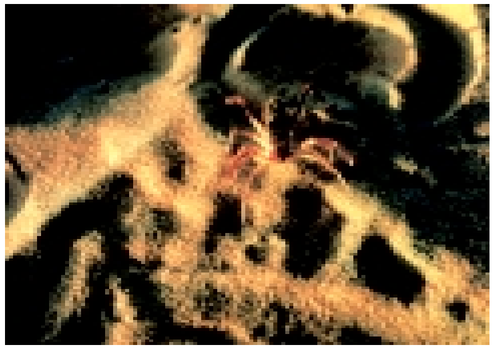
وهو عنكبوت الجمل. ويتبع عائلة (أبو صوفة). ويشتهر باسم الشبث كما

يعرف أيضاً بـ «عقربة الريح، وعنكبوت الشمس» ولأنه يختبئ بعيدا عن الشمس ويعرف في مصر بـأبي صوفة. وينتشر هذا العنكبوت كثيراً في المناطق الصحراوية بالمملكة، خاصة في الوديان الصخرية بالصحراء. ويتداول أهالي المملكة فيما بينهم كثيراً من القصص المرعبة عن الشبث، وعن عضاته ويعتقدون أنها قد تسبب الوفاة؛ لذلك يحرص أهالي البادية على مطاردته وقتله. والحقيقة أن هذا العنكبوت غير سام، ولا يمتلك غدداً سامة أو جهازاً للسم من أي نوع، إلاَّ أنَّ عضَّته قوية تسبب جروحاً عميقةً لا تلتئم في كثير من الأحيان إلاّ بالعلاج، حيث يغرس فكوكه بشكل عمودي في أنسجة الجسم، وهي فكوك مزودة بكثير من الشعيرات التي تحمل أنواعاً مختلفة من البكتيريا تسبب التهاب الجرح، خاصة أن بعض هذه الشعيرات تبقى في الجرح بعد العض.

وعناكب الشبث كائنات ليلية سريعة الجري، تقضي نهارها، خاصة ساعات الحرارة الشديدة، تحت الصخور. وأهم ما يميز هذه العناكب فكوكها الضخمة، والأرجل الملماسية الطويلة التي تظهر كأنها زوج خامس من الأرجل، إلا أنه يرفعها أثناء مشيته حيث تغطيها شعيرات حسية وزغبات. وعند مقدماتها توجد



عنكبوت الجمل (غير سام ولكن عضته مؤلمة)



عنكبوت الجمل

ممصات تساعده على تسلق السطوح الملساء، وكذلك في القبض على الفريسة. يغطي أرجل هذا العنكبوت شعر غزير، ورجلاه الأماميتان طويلتان، ولكنهما ضعيفتان لا تستعملان للمشي. وقرونه الكلابية طويلة جداً. ويتكون مؤخر الجسم من ١٠ عقل. وتقع الفتحة التناسلية على العقلة الأولى منها وتقع فتحة الشرج على العقلة الأخيرة.

وتكتسب أنواع الشبث في الصحراء اللون الأصفر أما في المناطق الزراعية الأخرى فلونها بني داكن، ويستطيع هذا العنكبوت أن يحرك فكوكه الضخمة باتجاهات مختلفة. ويوجد خلف الفكوك مباشرة عيون سبحية. والذكر أصغر من الأنثى حجما، وله سوط رفيع مميز على الفكوك. والأنثى أكثر من الذكر عدوانية، وأحيانا تهاجم العقرب وتقتلها. بل قد تهاجم الذكر بعد الجماع مباشرة، إن لم يلذ بالفرار. وتضع الأنثى حوالي ٢٠٠ بيضة في حفرة، وتبقى معها حتى تفقس، ولا تترك صغارها حتى تعلمها



العقرب السوداء

الافتراس. وتهاجم هذه العناكب القوارض الصغيرة والطيور والسحالي والمفصليات الأخرى.

ويضرب العرب المثل به للتماثل في الأفكار والخلق، فيقولون «كل لخدنه يطرب حتى الشبث والعقرب»، أي أن كل نوع من الكائنات يأنس مع أبناء جنسه.

العنكبوت الذئب

يتبع عائلة العناكب الصائدة، وهو شائع في المملكة وشبه الجزيرة العربية، وهو عنكبوت أرضي لا يغزل شركا أو بيتا له. ويصطاد فرائسه بالانقضاض المباشر عليها، وحقنها بالسم بقرنيه الكلابيين ثم يمتص سوائل جسمها.

وجسم هذا العنكبوت جزءان، هما الرأس صدري والبطن وبينهما خاصرة. يحمل الرأس صدري رجلين ملماسيتين، وقرنين كلاَّبيَّيْن، وأربعة أزواج من أرجل المشي، وثماني عيون بسيطة. البطن غير معقَّل، وتقع الفتحة التناسلية بين أخدود الكتابين الرئويين، وتقع فتحة الشرج عند الطرف الخلفي للرأس صدري.

العقارب

أكبر العنكبيات حجماً، وتنتشر تقريباً في جميع أنحاء العالم، باستثناء المناطق القطبية الباردة، وتكثر في المناطق الحارة والمعتدلة، خاصة في المناطق المهجورة،



عنكبوت الذئب وصغارها على ظهرها

تحت الحجارة، وداخل الشقوق، وتحت أوراق النباتات، وتعيش أكبر أنواع العقارب في المناطق الاستوائية في إفريقيا وأمريكا. وهي كائنات ليلية تنشط أثناء الليل سعيا وراء الفرائس، وأكثر فترات نشاطها هو وقت الغروب.

هناك حوالي ٦٠٠ نوع من العقارب بالعالم، تختلف في حجمها، إلا أنها تتقارب إلى حد كبير في الشكل وبناء الجسم. وقد سجل ١٤ نوعاً منها في المملكة، وهي عشرة أجناس من عائلتين من عوائل العقارب، ومن أشهرها في المملكة ثلاثة أنواع هي عقربة فلسطين الصفراء، والعقربة السوداء، والجزار العربي. والعقارب لا تشرب الماء، وتستطيع أن تتحمل الجوع لمدة طويلة، وهي تتغذى بالحشرات، والعناكب، والحيوانات الصغيرة، وتمسك العقرب فريستها بالملامس القدمية، وإن كانت الفريسة صغيرة الحجم، فإن العقرب تعمل فيها قرونها الكلابية وتقطعها إرباً. وأما إن كانت الفريسة كبيرة الحجم، فإنها تعمد إلى لسعها، وشلّها بالسم ثم تلتهمها بعد ذلك، دون أن يضرها السم الذي تدفعه في فريستها، ولا أساس لما يشاع من أن العقارب تقتل صغارها، وتعمد إلى الانتحار بلسع نفسها.

جسم العقرب عريض يلتحم فيه الرأس مع الصدر مكونا الرأس صدري، ويتصل البطن، المكون من ست قطع هي البطن الأمامية، مع ست عقل أخرى هي البطن الخلفية، آخرها حمأة السم التي تلسع بها. وللعقرب أربعة أزواج من الأرجل المفصلية تستطيع أن تتحرك بها بسرعة عند الضرورة، ولها ملامس قدمية ينتهي كل منها بملقط. وللعقرب زوج من العيون المركبة الوسطية على السطح العلوي للرأس، ومجموعة تتكون من ٢ إلى ٥ من العيون البسيطة الجانبية على جانبي الرأس صدري. وتقع فتحة الفم في أسفل مقدمة الرأس صدري، وتليها الفتحة التناسلية، التي تضع العقرب صغارها منها. ولذلك يختلط الأمر على من يراها، فيظن أنها تخرج صغارها من فمها.

وتشيع في الجزيرة العربية الأسطورة التي تقول بأن صغار العقرب تأكل بطن أمها. والحقيقة أن العقرب تلد صغارها ظاهرياً، بمعنى أنها تضع بيضها الذي يفقس حال وضعه حسب نوع العقرب، ثم ترقى الصغار، التي قد يصل عددها إلى خمسة وأربعين، ظهر أمها عدة أيام حتى ينسلخ جلدها، وتتجمع بقاياه على ظهر الأم. فيعتقد المشاهد أن الصغار قد



رقصة العقارب صراع بين الذكور

خرقت ظهر الأم وأكلته. وبعد أن تنسلخ الصغار من جلدها تترك ظهر الأم سعياً وراء غذائها بنفسها. ولا تأكل العقرب صغارها أبدا. ولكنها قد تلتهم الذكر بعد الجماع، إذا لم يهرب مباشرة، مع أن عملية اللقاء تسبقها رقصة منتظمة لفترة طويلة، حيث يتشابك كل من الذكر والأنثى بالأقدام الملماسية، ويرقصان فوق مكان أملس نظيف للغاية، ثم يقذف الذكر سائله المنوي، ويبقى يحرك الأنثى برقة وانتظام، حتى يُجلسها فوق المني للإخصاب.

وسم العقرب سائل يحتوي على مواد سامة عصبياً مسببة للنزيف محللة للأنسجة. وهو قاتل للحيوانات اللافقرية وقد يسبب الوفاة للإنسان، ويصحب لسع العقرب عادة ورم في موضع اللسع، وهبوط في ضغط الدم مع انخفاض بسيط في درجة الحرارة وتشنجات وتصلبات عضلية، وهناك مصل واق من سم العقرب يزيل كل أعراض التسمم بعد فترة قصيرة من حقن الإنسان به.

وتتشاءم العرب من رؤية العقرب في منامهم. ومن معتقداتهم أنّ من نازع عقرباً في المنام فإنه ينازع رجلا نمَّاماً، ومن قتل عقربا في منامه عاد إليه ماله المفقود، ومن أكل في منامه لحم عقرب مطبوخ، ورث عارا. وقد حرم ديننا الحنيف أكل العقرب، وبيعها، وأحل قتلها في الحل والحرم، والدليل ما روته

عائشة $، حيث قالت: لدغت النبي ﷺ عقرب، وهو في الصلاة فقال: «لعن الله العقرب ما تدع مصليا ولا غير مصلٍ، اقتلوها في الحل والحرم».

ويرى كثير من الناس استناداً إلى تجاربهم أن العقرب غير مأمونة الجانب، فيقال هذا المثل «عند العقرب لا تقرب، عند الحية افرش ونم».

وذكر القزويني أن العقرب إذا لقيت الحية لسعتها. وتسعى الحية في طلبها، فإذا وجدتها وأكلتها تبرأ، وإن لم تجدها تموت الحية وقول القزويني غير صحيح. وأشار إلى ذلك الفقيه عمارة اليمني في قوله:

لا تحقِرَنْ كيد الضعيف فربما
تموت الأفاعي من سموم العقارب

وقد ذكر العرب خبث العقرب وعداءها ومكرها في كثير من أقوالهم. فقالوا في وصفهم للظالم «أعدى من العقرب». كما قالوا «العقرب تلدغ وتعي». وقد وصفوا من ينازع أو يخاصم من هو أكثر منه شراً «تحككت العقرب بالأفعى». وذكر العرب هجومية العقرب وتخويفها لأعدائها في أشعارهم؛ قال الشاعر:

ومن لم يكن عقربا يُتَّقَى
مشت بين أثوابه العقرب

وعلى الرغم من كثرة ما قالته العرب في العقارب من الهجاء والذم، إلا أنهم لم يهملوا جانبها في الغزل والمدح أيضاً؛ قال أبو منصور الثعالبي وقد لسعته عقرب في قدمه:

يا طيب لسعة عقرب ترياقها
دبق الحبيب بقهوة عذراء

وقال شاعر آخر يصف العقرب:

ونضوة تعرف باسم ولقب
ما بين عينها هلال منتصب
موجودة معدومة عند الطلب
تطعن من لاقته من غير سبب
بخنجر تسله عند الغضب
كأنه شعلة نار تلتهب

ربط العرب في أمثالهم وأشعارهم الأذى والنمِّ والشرور والمكائد بالعقارب ودبيبها، فيقال «دبيب العقارب» لوصف النمَّام، ويقال «رقية العقرب» للكلام المبهم، و «ليلة العقرب» لليلة التي يأرق فيها الإنسان، ويقال «أخبث من عقرب» لأنها تتعرض لمن لا يتعرض لها. ويقال: «إنه لتدب عقاربه»، ويضرب هذا المثل لمن يلمز أعراض الناس؛ يقول عروة بن الورد:

فللموت خير للفتى من حياته
فقيرا ومن مولى تدب عقاربه

وقال الأعشى:

أرى الناس هروني وشُهِّرَ مدخلي
وفي كل ممشى أرصد الناس عقربا

ويتداول سكان المملكة عدداً من الأمثال الشعبية في العقارب، فيقول أهل نجد: «عقرب تقرص براسها وذنبها» حيث يضرب هذا المثل لمن يضر في كل تصرفاته. ويقولون لمن يريدون له الشر ويدعون عليه لتتجمع عليه الشدائد «عساه للدود والعقارب السود»، كما يردد كثير من سكان الجزيرة العربية المثل القائل «الداب يداعب ولا يتعرض، أما العقرب يتعرض»، ويقولون أيضاً «عقرب المسمى ولا أرنب المحلال». والمسمى والمحلال موضعان بقرب قرية غسلة. ويضرب هذا المثل للأشخاص المعروفين بعدوانيتهم، على الرغم من انحطاط مقدرتهم. ويتداول الناس أيضاً قولهم «عقرب جراد» وهو مثل يضرب للعدو المتخفي بين الناس، فيظهر مسالما، بينما في حقيقته غير ذلك. ويقولون أيضاً «تموت العقارب من سم الأفاعي» ويقصدون بذلك أن الأقوياء يقضي بعضهم على بعض، وأنّ الشر الكبير يغلب الشر الأقل منه. كما لا يزال المثل القديم «الأقارب عقارب» متداولاً في كثير من مناطق الجزيرة العربية ويضرب لكثرة المتاعب بين الأقارب وأضرارهم، التي لا يحترس منها بسبب صلة الرحم، فلا يتقي المرءُ شرورهم. وقال أحد الشعراء:

إن الأقارب كالعقا
ربِ بل أشد من العقارب

ويضربون المثل بمن يتعجل الشر قبل وقوعه، أو لمن هو في شقاء مستمر، فيتمنى الموت ليريحه من العناء الذي هو فيه بقولهم «باكر يبي يقرصني عقرب»، ويقولون «فلان مثل العقرب» كناية عن خطورته. ويرددون «تلدغ العقرب وتصيح» ويضرب هذا المثل لمن يظلم الناس، ويتظاهر بأنه هو المظلوم، ويقولون للكسول المتباطئ «العقرب في الكم والطبيب في بغداد»، ويضربون المثل لمن يتدخل فيما لا يعنيه «اللي يدخل ايده في الجحر، يلدغه العقرب» وللشخص كثير المشاكل المتحفز دوماً للعداوة «مثل العقرب شوكتها دوم واقفه».

وفي الحجاز ما زال المثل القديم «عقربين في غار ولا أختين في دار» متداولاً وهو كناية عن صعوبة تعايش الأختين معاً. ويقولون «فلان نصحته عقرب لسعته»، ويضرب لمن يعد النصح ضد أهوائه. ويقولون كذلك «من قرصته العقرب خاف من الشوك»، ويضرب

المثل لمن يصبح شديد الحذر، عقب خروجه من أزمة، ويضربون المثل لصاحب الحظ، والأمور الميسرة «شخص تقرأ عقاربه» ويقولون للشخص الذي لا يجرؤ عليه أحد ولا تنفع معه وساطة في أمر من الأمور «فلان ما تقرأ عقاربه»، ويصفون الشخص الذي لا يعرف مصلحة نفسه بقولهم «أجهل من عقرب»، لأن العقرب عندما تغضب تضرب بإبرتها الصخرة، وهي بذلك لا تضر الصخرة، ولكن تضر نفسها، ويضربون المثل بمن يدافع عن نفسه بوسائل غير لائقة، فيقولون «مثل العقرب سمها في ذنبها». ويضرب المثل لمن يحمل نزعة الشر والعداوة في قلبه، ويقال «كل ضب عنده عقرب». أي كل شيء فيه فائدة لا بد أن تحف به المخاطر والمخاوف. ويستخدم المثل نفسه لعنكبوت الشَّبَّثْ، فيقولون عند تجمع الأصدقاء حسب أهوائهم «كل لخدنه يطرب، حتى الشبث والعقرب» والخدن هو الصديق. وهذا يعادل المثل العربي «الطيور على أشكالها تقع». ومن الأمثال أيضاً «العقرب لها رجل»، و«قريبك لا تقاربه تلدغك عقاربه»، و«عقرب كاسره»، و«عقرب ما»، و«الله يكفيك شر العقرب، والرضيع إلى استدرب».

ومن الشعر الشعبي الذي ذكرت به العقارب قول حميدان الشويعر:

إن كان الدين مقاصدها
فيا ويلك يا محاربها
وإن كان الدنيا مقصدها
فكل يقرأ عقاربها

وتردد نفس الأبيات بصيغة أخرى:

إن كان داخلها مثل ظاهرها
يا ويلك ياللي تحاربها
وإن كان داخلها مخالف ظاهرها
فكل يقرأ عقاربها

وما يزال كثير من أهل المملكة يرددون قول بركات الشريف:

إذا نحينا من قريب كلابه
ودبت من البغضا علينا عقاربه
نحينا بأكوار المطايا ويممت
بنا صوب حزم صارخات ثعالبه
بيوم من الجوزاء يستوقد الحصا
تلوذ بأعضاد المطايا جخادبه

وقد استخدم العرب العقارب في علاج كثير من الأمراض، فقد كانوا يطبخونها بالزيت، ويطلى به على مكان لسعتها، لتسكين الألم، وبعضهم كان يشق بطن العقرب، ويلصقه موضع اللسعة، حيث ذكر أنه يسكن الألم في الحال، وذكر البعض أنه إذا دقت العقرب، ونثرت على مكان لسعتها، أبرأتها.

كذلك ذكر ابن السويدي، أنهم كانوا يضعون العقرب في إناء مسدود الرأس، ثم يوضع في تنور مسجر، إلى أن تصير رمادا، ومن ثم يسقى من ذلك الرماد. كذلك استخدم العرب رماد العقربة السوداء، بعد إذابته بالدهن لإنبات الشعر، وتجفف العقربة السوداء، وتعجن بالخل، ويطلى به موضع البرص لإزالته. وقيل إذا لسعت العقرب صاحب الحمى، زالت عنه الحمى. وكذلك المفلوج يزول عنه الفالج وإذا أخذت عقرب، وقد بقي من الشهر ثلاثة أيام، وجعلت في إناء، وصب عليها رطل زيت، وسد رأس الإناء، وترك حتى يأخذ الزيت قوتها، ودهن بهذا الزيت من يشكو وجع الظهر أو الفخذين، فإنه ينفعه ويقويه. ويقولون إنه إذا بخر البيت بعقرب، هربت منه العقارب. ويعتقد بعض الناس أن من لسعته عقربة، وشرب مثقالين من حب الأترج، شفاه الله منها، وأن من علق على موضع لسعة العقرب، ورق زيتون، برأ منها لتوه. ويرى بعض أهالي المنطقة الجنوبية، أن أفضل طريقة للشفاء من لسعات العقارب، هو شرب الماء مباشرة بعد اللسع وجحد الخبر، إذ بإذن الله يكون الشفاء.

يعالج بعض أهالي نجد الأطفال الملسوعين بهرس العقرب، ثم تحميصه على النار، وإعطائه للطفل، حيث يعتقدون أن في ذلك شفاء الطفل الملسوع وإكساب جسمه مناعة من لسعاتٍ قادمة. ولسعات العقارب ما زالت تعالج، في كثير من مناطق المملكة، بالذهاب إلى شيخ قارئ، بل يذهب أحيانا أحد أقارب الملسوع نيابة عنه إلى الشيخ للقراءة على موضع اللسعة في جسمه، ويعتقدون أن في ذلك شفاءً للملسوع على الرغم من عدم حضوره، ويستخدم الملح في بعض مناطق المملكة في علاج لسعات العقارب، ويعتقد بعض العامة أن العقارب تكره نبات الخس، وأنها تموت إذا لمسته، لذلك يصفون عصير الخس لعلاج لسعة العقرب، ومن هذه المعتقدات ما هو باطل لا أساس له من الصحة، ومنها ما هو مجرب وفيه نفع وفائدة بإذن الله.

ويعتقد بعض سكان المملكة أن البنزين أو زيت فرامل السيارات يمنع انتشار السم من موضع اللسعة؛ لذلك يقومون بسكب البنزين أو زيت الفرامل على مكان اللسعة ويربطون عليه بشدة قبل نقل الملسوع إلى المستشفى. وبسبب

هذا الاعتقاد يسكب بعض الناس الديزل حول مكان السمر أو النوم، عندما يذهبون إلى البر اعتقادا منهم بأن رائحة الديزل تنفر العقارب وتبقيها بعيدة عنهم، وبعض سكان المنطقة الشمالية من المملكة يستخدمون الثوم المطحون لتنفير العقارب بدلا من الديزل، ويعتقد كثيرون أنّ البيت إذا بُخِّر بزرنيخ أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب.

ويذكر بعض أهالي نجد أن العقرب تموت إذا لسعت إنساناً سكران، ويعتقد كثير من سكان المنطقتين الوسطى والجنوبية بأن العقرب تفرغ سمها يوم الجمعة؛ لذا يعتقدون أن من يلسع ليلة السبت لا يلحق به أذى كبير، أما من يلسع ليلة الخميس فيلحقه أشدّ الأذى، ويعتقدون بأنه إذا سقطت عقربة في الماء وشربه إنسان ظهرت بعض القروح والطفح على جلده، وأنّ تفل أو لعاب الصائم يقتل العقرب إذا وقع عليها، ويعتقد بعض سكان منطقة القصيم أن العقرب يعُطي سمه ليلة الجمعة للبُرْص. ويتناقل بعض سكان المنطقة الوسطى من المملكة بأن العقرب تُجَنِّحُ أي يصبح لها أجنحة بعد أن تُعَمَّر وأن الأجنحة تخرج من منطقة البطن، وكل هذه مزاعم باطلة من أساسها.

ويعتقد كثير من سكان المملكة بأن العقرب تُنَجِّسُ الماء إذا سقطت به. ويستخدمون ذلك لوصف من يفسد الأمر عند تدخله فيه. كذلك يتناقل كثيرون أن العقارب أخبث من الثعابين، لأن المصلي يقطع صلاته إذا رأى عقربا، ولا يقطعها إذا رأى ثعبانا، ويذكرون أن العقرب أغدر من الثعبان، لأنها تلجأ إلى النعال والفراش، لتلسع أصحابه، ويذكر الكثيرون أن أبسط الطرق لإخراج العقرب من جحرها هو أن توضع جرادة في رأس عود، ثم يدخل العود إلى جُحر العقرب، فمتى رأت العقرب الجرادة أدخلتها في فمها، ومعها العود، فيسحب العود خارج الجحر ومعه العقرب.

عقرب فلسطين الصفراء

تعرف هذه العقرب بالعقرب الصفراء في مختلف مناطق المملكة والجزيرة العربية. وتكنى بأم عريض وأم ساهرة. وهي تنتشر في مختلف مناطق المملكة، وفي أقطار الشرق الأوسط واليمن وشمال أفريقيا. وتعدّ من أخطر العقارب في العالم، إذ تسبب لدغاتها في كثير من الأحيان الوفاة، خاصة بين الأطفال وكبار السن. ولدغاتها أكثر ما يرد إلى مستشفيات



عقرب صفراء

المملكة من لـدغات العقارب. وقديما أطلق العرب علـى الخليفة عبد الملك بن مروان (الـعقرب الصفـراء) لقوته وهيبته؛ قال خلف الأحمر يدعو على رجل بعقرب صفراء:

ابـعـث لـه تحت الـظـلام عـقـربـا
مـصـفـرة تـنـمـي إلـيـه خـبـبـا



العقرب الصفراء ذات عقلة واحدة سوداء

والعقرب الصفراء متوسطة الحجم. لها خمسة أغطية ظهرية، والذيل رفيع، تتميز عقله بأنها جميـعها صفر باستثناء العقلة الخامسة السابقة لكيس السم فهي سوداء أو بنية داكنة.

العقرب السوداء

تعرف بـهذا الاسم في مـختلف مناطـق المملكة. وتنـتشر في مناطـق مختلفة منها. وهي معروفة منذ القدم في جنوب الـيمن، وسلطنـة عُمان، والإمارات، والبـحرين، والكويـت، ومصر، والسودان، وإيران، ولبنـان. وهذه الـعقـرب أيضاً مـن الـعـقارب الخطرة. وتحتل لدغـاتها المرتبة الثانية



عقرب سوداء

بعد لدغات العـقرب الصفراء حسب حالات اللدغ المسجلة في مستشفيات المملـكة. وتشاهـد هذه العقرب فـي المناطـق الزراعية، والصخـرية، وفي المنازل الـقديمة، ومعروف عـنها أنها تعيش فـي جحر الضب، ولون هذه العقرب بني غامق مسود، وهي كبيرة الحجم، وتمتاز بأن العـقلة الرابعة من



العقرب السوداء من العقارب الخطيرة

الذيل أقـصر وأعلى قـليلا عن بـقية العقل، كما تمتاز بسماكة ذيلها، ويغطي جسمها ثمانية أغطية.

تسبت العـقرب السوداء في الشتاء مثل غيرها من العقـارب، وتكاد تنعدم لدغتها؛ وفي ذلك يقول الصاحب ابن عباس:

وعـهدي بـالـعقـارب حين تـشـتو
تـخـفـف لـدغـهـا وتـقـل ضـرا

وتضرب العقـربة السوداء الصخور والحجـارة بحمتـها؛ وقد وصف أحـد الشعراء ذلك فقال:

رأيـت عـلـى صـخـرة عـقـربـا
وقـد جـعـلـت ضـربـهـا ديـدنـا
فـقـلـت لـهـا إنـهـا صـخـرة
وطـبـعـك مـن طـبـعـهـا أَلْـيَـنَـا

وقال البحتري في قصيدة غزل، يصور فيها حاله بعد فراق الحبيب، وأن الدنيا أصبحت بنظره سوداء مثل سواد العقارب:

كأن جميع الأرض حتى أراكم
تصور في عيني بسود العقارب

القراديات

وهي مجموعة خاصة من العنكبيات تشمل، لدى علماء تصنيف الحيوان، القراد والحَلَم. أما عند أهل البادية فإن القراد إذا علق بالحيوان وامتص الدم وتغير شكله سمي الحلم. أما الحلم في عرف علماء علم الحيوان فهو الحمنان لدى أهل البادية؛ وقد ورد في قول حميدان الشويعر:

تلقاها من طِيب المِعْلَفْ
مثل الحمنانه مزكوره

ومعظم القراديات حيوانات صغيرة لا تُظْهر أجسامها أيَّ تعقيل واضح حيث يندمج الرأس والصدر والبطن في منطقة واحدة مكونة جسماً غير مقسم إلى مناطق، منضغطاً من أعلى إلى أسفل. تؤدي القرون الكلابية والأرجل الملماسية فيها وظيفة أجزاء الفم حيث تكيفت للثقب والمص أو للقرض، أما الأزواج الأربعة الأخرى من الزوائد فهي أرجل للمشي، وقد يختزل عدد الأرجل إلى اثنتين فقط كما في الحَلَم الدقيق. والجنسان منفصلان، وتتميز دورة الحياة بأربعة أطوار: البيضة واليرقة والحورية والحيوان اليافع.

والقراديات طفيليات خارجية تتغذى بدم الفقريات من البرمائيات والزواحف والطيور والثدييات بما فيها الإنسان. وتنقل في كثير من الأحيان الأمراض، ولذلك فهي سبب إصابة الإبل بالجرب. وهي أكبر حجماً من الحَلَم وهيكلها الخارجي أشد صلابة. ولبعض أنواع القراد زوج من العيون البسيطة على السطح الظهري أو على جانبي الجسم. ويصنف القراد إلى عائلتين هما عائلة القراد اللين وعائلة القراد الجامد. ويتميز القراد اللين بغطاء جلدي مزود بأقراص كايتينية صغيرة وحلمات، وبأعضاء الفم على السطح السفلي من الجسم، والفتحات التنفسية صغيرة. وعند التغذي يتعلق القراد بعائله، ويمتص دمه خلال فترات قصيرة، ويضع البيض بعد كل وجبة، والذكور والإناث متساوية في الحجم، وتتميز دورة الحياة بأطوار متعددة من الحوريات، ومن أمثلة القراد اللين قراد الطيور والقراد الذي ينقل للإنسان الحمى الراجعة المتوطنة.

أما القراد الجامد فيغطي السطح الظهري فيه صفيحة هيكلية صلبة تدعى الدرع، وأجزاء الفم واضحة بارزة في الجزء الأمامي من الجسم، والفتحات التنفسية كبيرة، ويغتذي القراد الجامد ببطء لمرة واحدة فقط ويبقى متعلقاً بالعائل لعدة أيام، وبعد الاغتذاء تضع الأنثى البيض في كتلة كبيرة ثم تموت، وحجم الذكور أصغر كثيراً من حجم الإناث، وتتميز دورة الحياة بطور واحد من الحوريات. ومن أمثلة هذا القراد قراد المواشي الذي يصيب الماشية والخيل والإبل، وقراد الدجاج. وهناك منه أنواع أخرى تنقل الأمراض والحميات للإنسان. وهو شديد الإيذاء لهذه المواشي حتى ضرب به المثل الشعبي «القراد يثور الجمل» يضرب لعدم احتقار الضعيف.

والحَلَمُ قراديات صغيرة الحجم تعيش معيشة حرة في التربة والماء، كما تتطفل خارجياً على بعض الحيوانات والنباتات والإنسان أو تتطفل داخلياً في القصبات الهوائية والرئات وثقوب الجلد في بعض الحيوانات والإنسان، ويتغذى الحَلَم، الذي يتطفل خارجياً من الحيوانات، بإفرازات الجلد وريش الطيور، وقد



القراد

يهاجم سطح الأنسجة ويكوّن حفراً في الجلد يعيش ويضع فيها بيضه مثل حَلَمَ الجَرَب. وبعض الحَلَم يمتص الدم، وبذا ينقل بعض الأمراض. وبه ضرب المثل الشعبي «حلمه يِدْخِل ولا يطلع»، إذ ما تزال تمص الدم حتى تنفجر لأنها لا تخرج شيئاً ويضرب هذا المثل للبخيل يجمع المال ولا ينفق منه شيئا. ودمها أسود كريه يضرب به المثل الشعبي «دم حلمه». ويؤثر حَلَم النباتات تأثيراً ضاراً بالمحاصيل الزراعية الاقتصادية مثل «العنكبوت الأحمر» الذي يصيب القطن وحَلَم التين والزيتون والعنب وحلم الموالح وغيرها.

مفصليات الأرجل
(الحشرات)

تضم طائفة الحشرات أكثر من ٨٠٠ ألف نوع من الحشرات. وهي أكثر أنواع الحيوانات انتشاراً في العالم وأكثرها تنوعاً وعدداً. والحشرات حيوانات أرضية المعيشة غالباً، ولكن بعضها يعيش في المياه العذبة، وبعضها يقطن الشواطيء، والقليل منها بحري المعيشة.

ينقسم جسم الحشرة إلى ثلاثة أجزاء هي: الرأس والصدر والبطن. ويتكون الرأس من ٦ عُقَلٍ مندمجة تحمل زوجاً من قرون الاستشعار، وزوجاً من العيون المركبة، وأجزاء فم متحورة تناسب طريقة تغذية الحيوان، فمنها قارضة أو ماصة أو لاعقة. والصدر ثلاث عقل يتصل بكل منها زوج من أرجل المشي المفصلية. وينشأ عادة من العقلتين الثانية والثالثة زوجان من الأجنحة في الحشرات المجنحة، وقد يتحور الزوج الثاني أو يختزل، وهناك حشرات ليس لها أجنحة وتعرف بعديمة الأجنحة. أما البطن فتتكون من عدد من العُقَل، يختلف من حشرة إلى أخرى، ولا تحمل عادة زوائد حركية. وتمر الحشرات بأطوار أو مراحل نمو متتالية أثناء نموها حتى تصل إلى الطور اليافع ثم البالغ. والتحول في الحشرات إما أن يكون ناقصاً أو كاملاً.

ويعيش كثير من أنواع الحشرات حياة جماعية مثل النمل والنحل والنمل الأبيض (الأرضة) وليس للأنواع الأخرى مثل هذه الحياة، ولبعضها أهمية اقتصادية مثل نحل العسل ودود القز والحشرات الملقحة للنباتات والنمل الأبيض، ولبعضها مضار صحية حيث تنقل كثيراً من الأمراض الضارة إلى الإنسان مثل البراغيث والقمل والبعوض.

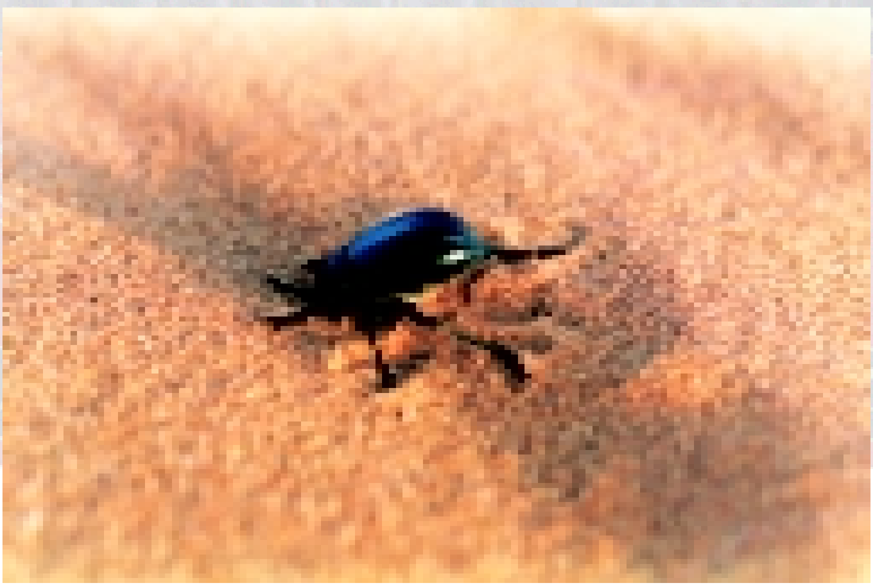
طائفة الحشرات حوالي ٣٠ رتبة فيها حوالي ٧٦٠ عائلة من أهمها الرتب التالية:

رتبة غمدية الأجنحة (الخنافس)

في العالم حوالي ٣٥٠ ألف نوع من الخنافس تقع ضمن ١٣٥ عائلة، ويقدر عدد أنواعها بالمملكة بحوالي ٩٠ ألف نوع، والخنفساء تطلق على الذكر والأنثى ويقال للأنثى أيضاً خنفسة أو خنفساءة. وقد عرفت العرب أنواعاً كثيرة منها، وأعطت كل نوع اسماً خاصاً فمنها أبو سليمان وأبو عويف والخنفس والخنفسان والجعل والجلعلع والحنظب والقرنبى والقسوريّ والكبرتل والسفن وفالية الأفاعي ومن أنواعها في نجد: مشاطة القامة، والقبّون. وتكنى أيضاً بأم الأسود وأم الفسو وأم اللجاج وأم مخرج وأم النتن، لأنها منتنة الريح.

وكانت تعرف في منطقة المدينة المنورة باسم حمار قبان، وبنات وردان والحنطب وهي لغة في الحنظب وهو ذكر الخنافس. وتختلف أنواع الخنافس في أشكالها وأحجامها وطبائعها وبيئاتها اختلافا كبيرا. وأغلب أنواعها ضار اقتصادياً بالإنسان؛ تسبب تلف المحاصيل الزراعية، ومنتجات الغذاء. كما يذكر كثير من سكان المنطقة الوسطى من المملكة، بأن القبون (نوع من الخنافس) يحاول عض شفاه النائمين بالبر.

تندرج الخنافس في مجاميع وعوائل متعددة منها الخنافس الأرضية، وخنافس الرمم، وخنافس الحبوب، وخنافس الدقيق وخنافس البقول. وهنالك مجاميع



الخنفساء



الخنفساء معروفة برائحتها الكريهة

للخنافس التي تصيب الفواكه المجففة، والتوابل، مثل خنفساء الثمار الجافة ذات البقعتين، وخنفساء السجاير، والخنافس العنكبوتية وغيرها.

والخنافس حشرات غمدية الأجنحة. لها ثلاثة أزواج من الأرجل المفصلية وزوج من قرون الاستشعار. وتمتاز بكبر صدرها الأمامي، مقارنة مع الأوسط والخلفي منه. ويتراوح طول الجسم فيها من أقل من مليمترين إلى أكثر من ٦٠ مليمتراً.

ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان وجود صداقة بين الخنافس والعقارب (١٩٨٨، ج٣:٤٩٦). لهذا أطلق أهل المدينة المنورة على الخنفساء «جارية العقرب»؛ وفي ذلك يقال:

وأُنْسُ القرين إلى شكله
كأُنْسِ الخنافس بالعقرب

وقد عدّ العرب الخنافس من المحقرات من حشرات الأرض. فقد كانوا يصفون من يعادونه بلجاج الخنفساء؛ يقول خلف الأحمر:

لنا صاحب مولع بالخلاف
كثير اللجاج، قليل الصواب
ألجُّ لجاجا من الخنفساء
وأزهى إذا ما مشى من غراب

وقال الأحنف العكبري:

والخنفساء لها من جنسها سكن
وليس لي مثلها إِلْفٌ ولا سكن

كما قالت العرب الكثير في نتانة الخنفساء ورائحتها الكريهة، وقد

استخدموا ذلك لهجاء أعدائهم ومن يكرهون، فقد قالوا «أفسى من الخنفساء»، وقالوا أيضاً «الخنفساء إذا مست نتنت»، ويضرب هذا المثل لمن ينطوي على خبث، ومعناه لا تفتش على ما عنده، فإنه يؤذيك بنتن معايبه، بل إن الرسولﷺ شبّه بعض صفات أهل الجاهلية بنتانة الخنفساء فقد روي عن أبي هريرة #، أن النبي ﷺ، قال «ليدعن الناس فخرهم في الجاهلية أو ليكونن أبغض إلى الله تعالى من الخنافس».

استخدم العرب الخنافس ورمادها في التطبب، وعلاج كثير من الأمراض. ذكر الدميري أنهم استخدموها في علاج قرحة الجروح، إذ تحرق الخنفساء، ثم يذر رمادها على القرحة. كما كانوا يكتحلون بما في جوفها من الرطوبة، لحد البصر وجلو غشاوة العين، وإزالة البياض والرمد منها. كما كانت تطبخ الخنافس بالأدهان، خاصة عصير السمسم، وتقطر بالأذن لإزالة الطرش، وجميع أوجاع الأذن. كذلك كانت تغلى بالزيت، ويطلى منه على مكان البواسير فتذهبه. كما اعتقد العرب بأن شدخ الخنفساء وربطها على لسعة العقرب، يبرئها.

ومع أن العرب استخدموا الخنافس كثيراً في التطبب، إلا أنهم كانوا يعتقدون بأن من أكل الخنفساء ولم يشعر بها حتى دخلت إلى جوفه، وهي ميتة قتلته من وقته. وأن البعير إذا أكل خنفساء حية في علفه، فإنها تجول فيه، ولا تموت حتى تقتله. لذلك كان أصحاب الإبل يتحاشون العلوفات والحشائش، التي تكثر بها الجعلان. ولم يعرف عن العرب أنهم كانوا يأكلون الخنافس لتقززهم منها. ثم جاء الإسلام وحرم أكلها لاستخباثها.

ويسرد سكان المملكة كثيراً من الأمثال التي تذكر فيها الخنافس، ويقصد في غالبيتها التحقير تشبيها بها؛ فهم يقولون «فلان زي أبو جعران إذا أروح المسك يموت»، يضرب هذا المثل في جنوب الجزيرة العربية لمن لا تسره الأفراح. ويقال المثل في نجد «فلان مثل الجعل الى شم الطيب مات». ويضرب هذا المثل للخبيث الذي لا يألف إلا الخبث، ولا يعيش إلا فيه وله ومعه. وبالمعنى نفسه يضربون المثل لِمَن يوجد دائما حيث تكون القذارة، فيقولون «طَيْرةْ جَعَلْ، خِنْ بِطْ». وعادة لا يطير الجعل بعيدا، لأنه ليس لديه قوة التحمل للطيران البعيد. وخن هو حكاية صوت طيرانه وبط حكاية صوت سقوطه وهبوطه.

ويصف أهالي المنطقة الغربية الشخص الذي لا يستقر في مكان ما، ويتعذر أن تجده في مكان معين، فيقولون «مثل فرقع لوز» لأنه معروف عن هذا الخنفس أنه لا يستقر في مكان، ويقفز من غصن إلى آخر، ومن شجرة إلى أخرى. وكذلك يردد سكان المملكة المثل القائل «اللي ما له لسان يأكله الخنفسان». وذلك لإظهار جدوى الدفاع عن الحق، وإلاّ تطاول على الإنسان أحقر الناس وأرذلهم. وكذلك يقصدون بالمثل أنّ للحياء مواطن وحدوداً معينة.

ومن الأمثلة الأخرى «أعند من الخنفسة»، لأن من طبيعة الخنفساء العناد، حتى لو كان ثمن ذلك حتفها وهلاكها. فإذا غَيَّرْتَ اتجاهها، فإنها تعود إلى الاتجاه نفسه، حتى ربما يقضي عليها الإنسان. وكذلك يقولون «من كان طباخه أبو جعران، ما عسى أن تكون الألوان» والمقصود أن هذا ملازم لذاك. ويضرب المثل لمن يغضب لأتفه الأسباب فيقال «مثل الخنفسة لو تنفخها زعلت».

الجعل. كنيته أبو جعران، و أم جعران، وأم جعرانة لأنه يجمع الجعر (البعر) الأخضر وغير الأخضر من مخلفات الحيوان والإنسان ويكوره ويدحرجه إلى بيته. ويعرف بالمنطقة الجنوبية من المملكة باسم الجعل، والجعال، وبعواني، وفي بعض مناطق شمال المملكة يسمونه «قع كل»، و(القع) هو براز الإنسان أو الحيوان. ويشاهد نشاط الجعل في الأشهر ذوات الأجواء المعتدلة والباردة. تضع الأنثى بيضها في حفر صغيرة، تغطيها ببعرة، حتى تتغذى بها اليرقات، عندما تخرج من البيوض.

والجعل أسود اللون أسطواني الشكل، له هيكل خارجي سميك من مادة الكيتين. وله ثلاثة أزواج من الأرجل المفصلية وزوج من قرون الاستشعار ورقية الشكل. وعضلات الفكين ضعيفة لا تسبب عضة مؤلمة، وأرجله بها شعر، والأمامية منها معدة للحفر، وعليها أسنان قوية. ومهماز طرفي صلب، وليس بالرجل الأمامية رسغ، بل رسغ في كل من الرجلين الوسطية والخلفية، حيث تغطيها شعيرات ناعمة كثيرة، ويطير الجعل لمسافات قصيرة، وإن اصطدم بعين إنسان أثناء طيرانه، يسبب له متاعب كثيرة.

وقد عرف قدماء المصريين الجعل، وأطلقوا عليه لقب الجعران المقدس، حيث كانوا يقدسونه، ويستخدمونه تعويذة، يعتقدون أنها سوف تجلب لهم

السعادة والحظ في الدنيا والآخرة. وقد وجدت صورته في النقوش على معابدهم، تظهر بين رجليه بعرة الخيل التي يقتات بها، ويكور بعضها، ويدحرجها إلى مخبئه ليضع بيضه عليها.

وتتداول العرب أنه خنفسة سوداء. تتوالد في الأرواث ذات الرائحة النتنة، وقد عرف عنه طلبه للروث. ومن عجيب أمره أنه يسكن إذا وضع بماء الورد، وكأنه ميت. ويعود للنشاط إذا أعيد للروث؛ قال المتنبي:

بذي الغباوة من إنشادها ضرر
كما تضر رياح الورد بالجعل

وقد ذكر العرب الجعل في كثير من أشعارهم وأقوالهم، بقصد الهجاء والتحقير. وكانوا يصفون أعداءهم بالجعلان تحقيراً لهم. فقد قال طوس بن المتعقل في حسان بن بجدل:

جعل تمطى في عمايته
زمر المروءة ناقص الشبر

وكانت العرب تضرب المثل بشدة سواد لون الجعل. وينسب إلى سيبويه النحوي قوله في هجائه عدوا له كان شديد السواد:

عاديتنا يا خنفسا أمَّ جعل
عداوة الأوعال حيات الجبل

كذلك قالت العرب «ألصق من جعل» ويضرب المثل لمن يتقرب إلى من يكره منه ذلك، ولا يزال يهرب منه؛ وفي ذلك قال يحيى الأغر:

إذا أتيت سليمى شب لي جعل
إن الشقي الذي يغري به الجعل

وقد ذكر الجاحظ أن الجعل يحرس النيام في الصحراء، فإذا قام أحدهم لقضاء حاجته، تبعه طمعا في الغائط (١٩٨٨، ج٣: ٥٠٣)؛ وقد قال الشاعر في ذلك:

يبيت في منزل الأقوامِ يربؤُهم
كأنه شرطي بات في حَرَسِ

كذلك يعرف عن الجعل الفسولة، وكثرة الأكل. وقد وصف العرب أعداءهم بذلك. فقد قال أبو الغصن الراجز:

إذا أتوه بطعام وأكل
بات يعشي وحده ألفي جعل

وقال جرير في هجاء الفرزدق:

تشين الزعفران عروس تيم
وتمشي مشية الجعل الزحول

وقد عرف عن الجعل دحرجة البعر اليابس؛ وفي ذلك يقول الشاعر حاثّا الأمين على محاسبة الخونة:

وأشدُد يديك بزيد إن ظفرت به
واشفِ الأراملَ من دُحروجة الجُعلِ



جعل الروث



جعل الروث يدحرج كرة من الروث

وقد وصف الرسول ﷺ من يأتون ببعض الأفعال التي يدعو الإسلام للإقلاع عنها، بالجعلان. فقد روى البزار في مسنده، عن حذيفة #، أن الرسول ﷺ، قال «كلكم بنو آدم، وآدم من تراب. لينتهين قوم يفخرون بآبائهم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان».

ويعرف عن الجعل عند العامة أنه سريع الزعل لذا يشبه به من يزعل بسرعة، وإذا عبث الصِّبْيَةُ بالجعل وصرفوه عن طريقه رفع يديه ورأسه فيتوهمون أنه يدعو عليهم.

القبون. خنفس يطلق عليه العوام بالمملكة أسماء متعددة تختلف من منطقة إلى أخرى، منها الخنفس الأسود والخنفسان وبعواني والحمية والقبون. وينتشر هذا الخنفس في جميع مناطق المملكة. وهو من الخنافس الأرضية التي لا تطير. وتعيش على بقايا النباتات والحيوانات، وهو قاتم اللون أرجله رفيعة طويلة، معدة للجري، والحفر، تساعده على إبقاء جسمه مرتفعاً عن الأرض الساخنة، أثناء فصل الصيف. وقرون الاستشعار فيه صولجانية الشكل. ولا يكرهه الناس كراهيتهم الخنفساء ولا يقتلونه كما يقتلونها. ويضرب به المثل الشعبي فيقال «قبابين صحصح» ويقال في حق من لا تستطيع أن توجهه



القبون

وجهة واحدة، ومن شأن القبابين في الأرض المستوية أن تتفرق فلا تتجه وجهة واحدة.

الخنفساء الطقطقة. تعرف أيضاً باسم صفار الليل، وفرقع لوز. وفي شمال المملكة يسمونها طقطقان، والبنت الفسَّاء. ويسمونها في المنطقة الجنوبية أبو ريحة. ويوجد هذا الخنفس في جميع مناطق المملكة، خاصة في المنطقتين الجنوبية والشمالية. وبعض الأماكن الزراعية من المنطقة الوسطى. وأهم ما يميزه أنه يقفز في الهواء. وأنه قلق لا يستقر في مكان واحد ويوجد بشكل أساسي على سيقان النباتات، خاصة التين واللوز، ويصدر تكتكة عند قفزه بسبب اصطدام الصدر الأمامي بالغمدين. اللون العام بني، وجسمه طويل منضغط من أعلى إلى أسفل.



الخنفساء الطقطقة

وصدره الأمامي كبير عريض. وللجزء الخلفي من الصدر زاويتان حادتان متجهتان للخلف. وقرون الاستشعار فيه منشارية. وأرجله الصدرية قصيرة. والعقلة البطنية الأخيرة كبيرة.

رتبة مستقيمة الأجنحة

تضم هذه الرتبة أنواع الجراد المختلفة ونطاطات الحقول وغيرها، وهي حشرات خارجية الأجنحة، متوسطة الحجم إلى كبيرة، جسمها شبه أسطواني متطاول، وأرجلها الخلفية متضخمة ومتكيفة للقفز، ورأسها ذو فكوك سفلية وعينين مركبتين، أما العيون البسيطة فقد تكون موجودة أو غائبة، وقرون الاستشعار عديدة التمفصل، وأجزاء الفم فكية، والصدر الأمامي كبير ذو صفيحة ظهرية درعية الشكل مقوسة إلى أسفل، والصدر الأوسط صغير يحمل أجنحة ضيقة جلدية، والصدر الخلفي كبير يحمل أجنحة عريضة ذات عروق طويلة مستقيمة، والبطن تتألف من ٨ أو ٩ حلقات حلقية يتبعها حلقتان أو ثلاث حلقات مختزلة، والحوريات تشبه اليوافع عدا الأجنحة وأعضاء التناسل الخارجية.

والمعروف من هذه الرتبة حوالي ٢٠,٠٠٠ نوعٍ موزعة على جميع أنحاء العالم، ومعظم أنواعها آكلة نباتات أرضية، ولكن العديد منها قد تحور للتطفل أو للحياة شبه المائية أو تحت الأرضية. وتضم رتبة مستقيمة الأجنحة ١٣ عائلة. منها عائلة الجراد.

وتشمل أنواع الجراد والنطاطات وهي من السوائد الأرضية، وهي حشرات ذات أجنحة، نهارية المعيشة ذات رؤية حادة وسمع جيد، تقفز للهروب من مفترساتها، لها زوج من العيون المركبة الكبيرة وثلاث عيون بسيطة مرتبة على شكل مثلث، وقرون الاستشعار والأرجل قصيرة نسبياً مما يسمح للحشرة بالحركات السريعة غير المتعثرة. وتضم هذه العائلة حوالي ١٠,٠٠٠ نوع، المعروف منها في الجزيرة العربية أكثر من ١٣ نوعاً.

والجراد من الحشرات العاشبة الشرهة قالوا في المثل الشعبي «جرادة تاكل ولا تشبع». وهي حشرات مؤذية مخربة تسبب الكوارث الاقتصادية للإنسان حيث تتلف زروعه ومحاصيله. وقد سمي بالجراد لأنه يجرد وجه الأرض من النبات، وعرف الجراد منذ القدم وكتب الكثير عن أسرابه التي كانت تحجب السماء، وتبيد مساحات شاسعة من المزروعات. ويتغذى سرب الجراد بما



سرب جراد هابط

يصادفه في طريقه من نباتات خضر فلا يبقي منها شيئاً عدا بعض الأشجار التي تنتج صمغا إذ يظهر أنها سامة له؛ قال نافع بن خليفة المطيري يتوجد على محبوبته:

وجدي عليها وجد راعي جهامِ
نوخ عليها شيخ قوم لتحّا
أو وجد راعي زرع جاه التهامي
جاه الجراد عصير واصبح وضحّا

وجسم الجرادة مكسوٌّ بهيكل كيتيني خارجي صلب يدعمه. ويتركب من ثلاثة أقسام رئيسية هي الرأس والصدر والبطن. يحمل الرأس على جانبيه زوجاً من العيون المركبة نصف الكروية، وفي أعلاه زوج من قرون الاستشعار الخيطية تقوم بوظيفتي اللمس والشم، ويتدلى من أسفله شفة عليا وشفة سفلى وزوجان من الفكوك، وهي أدوات تناول الغذاء.

ويتكون صدر الجرادة من ثلاث عقل يحمل كل منها زوجاً من الأرجل المفصلية، والزوج الأخير منها متضخم



جرادة

معد للقفز، وتسمى القصاميل واحدها قصمول، وعلى جانبي الصدر زوجان من الأجنحة، يتصل الزوج الأمامي منها، وهو جلدي سميك بالعقلة الصدرية الثانية، والجناحان الخلفيان تحملهما العقلة الصدرية الثالثة، وهما غشائيان، وأقل من الجناحين الأماميين صلابة وسمكا. ينقسم بطن الجرادة إلى عشر عُقَل، وهناك عدة أزواج من الثغور التنفسية على جانبي الجسم، وللأنثى آلة وضع بيض في نهاية جسمها، تغرسها في التراب لتضع البيض فيه، وحجم الأنثى أكبر من حجم الذكر، وتأكل الحوريات بعد خروجها من البيض بشراهة، وتنمو غددها التناسلية أثناء طيرانها، وقد يتم التلقيح بين الذكور والإناث أثناء الطيران.

تنشأ أسراب الجراد في مناطق التكاثر، التي تكون في الغالب باردة، عندما يفوق معدل المطر المتوسط المعتاد، وليس هنالك زمن جيل ثابت في حياة الجرادة، فقد تتكون عدة أجيال في السنة الواحدة، أو يتكون أكثر من جيل واحد، حسب ملاءمة الظروف البيئية المحيطة لتكاثره.

ويعرف العرب الكثير عن دورة تكاثر الجراد، وعن أسمائه في كل مرحلة، فأول ما يفقس البيض المدفون عادة في التراب يسمى «سروة»، فإذا خرج من البيض إلى سطح الأرض وتعرض للشمس يسمى الحبشان، وإذا صارت فيه خطوط صفر وسود وبيض سمى البرقان أو المسيح، فإذا تحرك وأصبح شبيها بالذباب فهو دبا ذبابي، فإذا صار بحجم العوف واسوَدّ لونه فهو دبا عيفاني، فإذا كبر وأصبح يدبي وينقز ويتكاثف قبل مرحلة الطيران فهو دبا كتفاني حيث يسلخ وتخرج أجنحته ويستطيع تحريكها ولا يسلخ شيء من الجراد غير الدبا. وفي هذه المرحلة يصطاده الناس، ويقولون في نجد عند صيده:

صيد الجراد مناقزه
وإن نقز ننقز معه

ومن الأساطير الخرافية أن الدبا يأتي ليأخذ الثأر من الذين أكلوا أمهاته أثناء تراكبها أي (ترادفها)، فيقول الدبا أثناء سيره:

أنا الدبا جيتكم واضرب بزاناتي
وآخذ قضا عمتي وأمي وخالاتي

وبعد أن تكبر أجنحة الدبا يسمى الغوغاء، ثم يصبح لونه شاحباً شفافاً فيسمى الخيفان، وهو أسرع الجراد طيرانا وأخفها، ولهذا قيل للفرس خيفانة تشبيها

لها بالجرادة السريعة الطيران، وفي ذلك قال امرؤ القيس:

وأركب في الروع خيفانةً
كسا وجهها سعف منتشر

وبعد أن يطير الخيفان، ويتحول لونه إلى الأحمر الخفيف يسمى بحاري، وبعد هذه المرحلة ينقسم إلى لونين وجنسين مختلفين ذكر وأنثى، الذكر لونه أصفر ويسمى زعيري والأنثى لونها بني مائل إلى السواد وتسمى دمونة، وبعد أن تحتشي الدمونة بالبيض تسمى منصصْ وتسمى في نجد مكنة والجمع مكن، وتسقط عن الخيفان جميع أسمائه السابقة ويسمى جرادا. وبعد مرحلة التزاوج ويسمى تراكب الجراد تغرس الجرادة الأنثى ذيلها في التراب لوضع البيض، لتبدأ دورة الجراد من جديد.

والأنثى أسمن من الذكر، وذكر العرب أن الأنثى لا تضع بيضها إلا وذكرها راكب فوقها، فإذا باضت قيل سرأت، ويسمى الجراد ما دام بيضها في جوفها مكن، وما تدفنه من البيض يسمى الرز. ويسمى ركوب الجراد بعضه بعضا العظل، وموضع البيض يسمى المرز أو المغرز أو المسرأ. والجراد قبل أن يطير سماه بعض العرب الدبا؛ وفي ذلك قال الراجز يعيب امرأة:

كأن خَوْقَ قُرْطها المعقوبِ
على دباةٍ أو على يعسوب

والخوق هو الحلقة، والمعقوب الذي شد بالعقب. ويقال للجرادة: العيساء، وأم عوف، وفي ذلك قال الكميت:

تُنقِّضُ بُرديْ أم عوفٍ ولم تَطِرْ
لنا بارقٌ بَخْ للوعيدِ وللرُّهبِ

وقال أيضاً:

فما صفراءُ تُكْنى أم عَوَفِ
كأن رُجَيْلَتيْها مِنْجلانِ

وقد أطلق العرب على الذكر من الجراد العنظب والحنظب والعنظاب والعنظوب ويقال الحنطب أيضاً. وفي ذلك قال الشاعر:

فطارِدِ الأنثي وخَلِّ الراكِبا
اجْدَرُ أن لا تأخُذَ العَناظِبا

كما أطلق العرب على ذنب الجراد السرم، وفي ذلك قال الشاعر:

وما كنت أدري ما العراجين قَبْلَهَا
ولا أن أسرامَ الجرادِ طعامُ

وأطلقوا على أسراب الجراد الحرشف، والحرجلة. وفي ذلك قال امرؤ القيس يصف جيشا:

كأنهم حرشفٌ مبثوثٌ
بالجَوّ إذ تَبْرق النِّعالُ

وقال آخر:

يا أيـها الحَـرْشَفُ ذو الأكـل الكُـدَم
أدلـج فـواقعْ لـي عـقـالاً والأَصـمْ

كمـا أطلق العـرب على الجـماعة الكثيـرة من الجراد الثوالة. وعـلى غير الكثيرة الشيتان. وفي ذلك قال الشاعر:

وَخـيْلٍ كـشـيْـتانِ الجـراد وَزَعْـتُهـا
بـطَعْـنٍ عـلى الـلّبـاتِ ذي نَـفيَـانِ

كذلك أسمى العرب الجراد الحاسة، لأنه لا يدع في الأرض شيئا إلا حسه. وقالـوا إن الجراد يأكـل الفرع، ويتـرك الأصل. وإذا وقع على عود سمه، فلم ينبت أصله.

وقد تنـاقل سكان الجزيـرة العربيـة القريبون من البحر، أنه إذا أبرق جانب البحر الغربي، المقابل لليمن وطال برقه، ودام ليلتين أو ثلاثا، كثر الجراد في ذلك العـام. وإن خف بـرقه، قـل الجراد. وذكروا أن الجراد يظهر بعد ليالي البرق بإحدى عشرة ليلة.

وقد عرف أهل الجزيرة العربية الجراد منـذ القدم، وعـرفوا أحوالـه وأطواره وغزواته، ومـا يحمله لـلزرع من فنـاء ودمار، وقالوا في ذلك الكثيرمن الأمثال. فقالوا «أجرد من جراد»، أو «أحطم من جراد»، ويضرب هذا المثل للرجل المشؤوم الذي يقتلع الأصول بشؤمه، لأن الجراد إذا وصل زرعاً جرده حتى لا يُبْقي منـه شيئـا، وكانوا إذا اشتد الخـلاف بينهـم بحيث يكاد يؤدي إلى استئصالهم يرددون «كالجراد لا يبقي ولا يذر» لأن الجراد إذا هاجم مزرعـة لا يتركها إلا وأخضرهـا يابس. كذلك كانـوا يقولون لمن يسافر بالليل «أسرى من الجراد» لأن الجراد يطير عادة قبل ساعات الفـجر. كما يقولون لمن يفسـد الأمور «أفسد من الجراد» أو «لا تكن كالجراد يأكل ما وجده». وقد قال الشاعر في ذلك:

أيـرجـى بـالجـراد صـلاح أمـر
وقـد جُـبِل الجـراد عـلـى الفـسـاد

كما كانوا يضـربون المثل للشخص الذي يختفي عن الأنظار بقولهم «أصرد من جرادة». أي أشد بـرداً من جرادة، لأن الجراد لا يُـرى في الطـقس البـارد القاسي لقلة صبره على البرد. ولا يطير سرب الجراد بشكل منتظم، لذلك قالت العرب، عندما كانت تتفرق كلمة القوم «جاء القوم كالجراد المنتشر» أي مختلفين متفرقين.

وقد وصف الـعرب الجراد في كثيـر من أشعارهم وزعموا أن في الجرادة شبه عشرة جبارة؛ فشبهوا رأسها برأس الحصان وعيونها بعيون الفيل ورقبـتها برقبة الثور وأن لها قرون الغزال وصدر الأسد وبطن العقـرب وأجنحة النسـر وأفخاد الجمال

وأرجل النعام وذنب الثعبان. وقد قال القاضي محي الدين الشهرزوري في ذلك:

لها فَخِذا بكرٍ وساقا نعامة
وقادمتا نسر وجؤجؤ ضيغم
حبتها أفاعي الأرض بطنا وأنعمت
عليها جياد الخيل بالرأس والفم

وقال أبو هلال العسكري في وصف الجراد:

أجنحة كأنها
أرضية من قصب
لكنها منقوطة
مثل صدور الكتب
وأرجل كأنها
مناشر من ذهب

وقال آخر:

فإذا رفعت عنانها فجرادة
وإذا وضعت عنانها لا تفشل

ويغزو الجراد في أسراب عظيمة. لذلك شبه الشعراء الجيش الجرار بأسراب الجراد. وفي ذلك قال الأفوه الأودي:

دبوا كمنتشر الجراد هوت
بالبطن في درع وفي تُرْسِ

وقال أعرابي أكل الجراد زرعه:

مر الجراد على زرعي فقلت له
لا تأكلن ولا تشغل بإفساد
فقال منهم خطيب فوق سنبلة
إنَّا على سفرٍ لا بد من زاد

وقال لقيط الأيادي:

ألا تخافون قوما لا أبا لكم
أمسوا إليكم كأمثال الدبا سرعا

ويسمى الجراد أيضاً العراد؛ وفي ذلك يقول أبو العلاء المعري:

خلتها والنبال تهوي
كرجل العراد

كما أطلق العرب على الجراد بعد طبخه، وبقائه في القدر بمائه النَّقوعة. كذلك قالت العرب إذا أخصب الزمان جاء الغاوي والهاوي، والغاوي هو الجراد والهاوي هو الذباب. وقد تناقلت العرب أنه مكتوب على أجنحة الجراد نحن جند الله الأكبر. ولذلك يردد المزارعون في نجد أثناء مكافحة الجراد الأهزوجة التالية:

ياجند الله، يرفعك الله
عن خلق الله، هيهاه

وكان بعض الناس يغلون الجراد في ماء وملح، ثم يجففونه، ويخزنونه، وعندما يريدون أكله يقلونه بالسمن ويأكلونه، وقد قارنوه بالتمر، أكلتهم الرئيسية المفضلة، حيث قالوا «تمرة أطيب من جرادة»، وكان الجراد المأكول على أنواع مختلفة، فمنه الأهوازي، ومنه المذنب. وأطيبه عند العرب كان الجراد الأعرابي الصحراوي.

ذكر الدميري استخدام العرب الجراد وزيته في الاستطباب من كثير من الأمراض مثل البواسير والناسور، وعسر البول، وحمى الربع، والكلف، والثآليل. فقد عالجوا عسر البول والبواسير والناسور بالتبخر برماد الجراد البري، وقد ذكر ابن سينا، العلامة العربي المشهور أنه إذا أُخذ اثنتا عشرة جرادة، ونزعت رؤوسها وأطرافها، وجُعل فيها قليل من الآس اليابس، وشربه صاحب الاستسقاء نفعه. وكان يعلق الجراد الطويل العنق على رقبة من به حمى الربع فتزول حماه. وإذا طلي ببيضه وجوفه الكلف أبرأه. كذلك ذكر ابن سينا أن أرجل الجراد تقلع الثآليل. وما زال كبار السن في المملكة يعتقدون بأن من تبخر بالجراد نفعه من عسر البول. كما يستخدمونه في علاج مرض السكري.

وما يزال الجراد يؤكل في مناطق متعددة من الجزيرة العربية حتى وقتنا الحاضر؛ قال رشيد العلي من أهل الزلفي:

نجد يكفي عن غثاها غداها

لو هي مقر ابليس في ماضي الادهار

نركض ومن صاد الجراده شواها

وللنار يا مِرّث من المال دينار

ويطحن بعض الناس أرجل الجراد، بعد طبخه وتجفيفه ثم خلطه مع التمر لإكسابه نكهةً. وكذلك يحمَّر الجراد، بعد استئصال أجنحته وأرجله على الجمر، ويستخدم بعد طبخه وتجفيفه، بُهارات لبعض المأكولات. ويعتقد كثير من سكان الجزيرة العربية أن الجراد ينفع في العلاج، لأنه يأكل من كل النباتات ويجمع منها في جسمه، وهناك مثل يقول «إذا جا الجراد أنثر الدواء» ومعناه: إذا جاء الجراد فارم بما لديك من علاج، لأنك لست في حاجة إليه. وما زال كثير من سكان المملكة، خاصة في المنطقتين الوسطى والجنوبية، يقبلون على أكله ويتهادون منه.

وفي ربيع عام ١٤١٣هـ (١٩٩٣م)، وصلت أسراب كثيرة من الجراد إلى بعض مناطق المملكة، بعد أن داهمت جزءاً من القارة الأفريقية، وأقبل المواطنون على جمعه وأكله، وقام بعض الناس بشرائه في تلك الفترة من الأسواق المحلية بأسعار غالية حتى وصل ثمن كيس الخيش الصغير، المملوء بالجراد إلى ١٥٠٠ ريال في بعض أسواق الرياض.

وحتى وقت قريب كان لجمع الجراد في المنطقة الوسطى من المملكة طقوس خاصة، فعندما تصل أسراب الجراد إلى

إحدى القرى فإن مندوباً منها يذهب إلى القرى المجاورة، لإشعارهم بوصول أسراب الجراد، ليهيئوا أنفسهم لجمعه، وبعد ذلك يعلن عن وصول أسراب الجراد في سوق القرية، حيث يقف مناد يصيح «يا جرادوه»، ينادي من يرغب في جمع الجراد كي يستعد لذلك، وكان أهل القرية يخرجون على الدواب، أو على أقدامهم، إلى البراري المجاورة، لجمعه في أكياس خيش، يعود بعد ذلك الرجل منهم حاملا أكياس الخيش مليئة بالجراد، ليجد أهل بيته قد أعدوا الماء المالح يغلي في القدور، فيقوم بسكب محتويات الأكياس في الماء المالح، الذي يغلي، مباشرة. بعد ذلك يجفف الجراد، ويخزن. ويتناولون منه على مدار السنة.

ويعتقد أهل المنطقة الوسطى أن الجراد غنيمة مشتركة، يجب الإعلان عنها للجميع، ويذكرون في ذلك أن رجلا في إحدى القرى، علم بمكان الجراد، فلم يخبر أهلها، وذهب وصاد منه وحده، فلمّا علم الناس بما فعله ضربوه، لأن الجراد غنيمة مشتركة يفرح بها جميع أهل القرية.

وقد اتفق الأئمة الأربعة على حِلِّ أكل الجراد سواء أمات حتف أنفه، أم بذكاة، أم باصطياد مجوسي أو مسلم، قطع شيء منه أم لم يقطع. والدليل عليه قول الرسول ﷺ، «أحلت لنا ميتتان ودمان. السمك والجراد والكبد والطحال»، وروى ابن ماجه عن أنس قال «كن أزواج النبي ﷺ، يتهادين الجراد في الأطباق» كذلك روى عبد الله بن أبي أوفى قال: «غزونا مع الرسول ﷺ، سبع سنوات نأكل الجراد».

ويتفاءل سكان شمال المملكة وجنوبها بقدوم الجراد، ويعتقدون أن موسم أمطار غزيرة وعشب كثير سيعقبه. وهذا الاعتقاد يعكسه المثل الشعبي «فلان مثل الجرادة مضمون لها الحيا». وبعضهم يعتقد أن الجراد من أمة محمد ﷺ، ولا يأتي إلا ورزقه معه، ويتشاءمون إذا مضى وقت طويل دون مشاهدة أسراب الجراد، بل يعتقدون أن نمو بعض النباتات، مرهون بقدوم أسراب الجراد.

ولحماية مزروعات القرية كان الفلاحون يواجهون أسراب الدبا الزاحفة بعمل خندق طويل من الجهة التي يتوقعون قدومه منها ويضعون على جانبيه ألواحا كبيرة من الصفيح، وبعد أن يتساقط الدبا بالخندق ويتجمع فيه ينقضون عليه بسعف النخل أو يسكبون عليه البترول، ويوقدون به النار فيحترق ويموت. وما زال بعض المزارعين يستعيد

عند بذر الزرع فيقولون «اللهم أكفه شر البْرد والـبَرَد، واكفه الجراد وما ولـد». وكان الفلاحون سابقا يختبئون إذا رأوا أسراب الجـراد مقبلة نحـو قريـتهم، فيتوارون عنها بحيث لا يظهر أحد منهم، فإذا لم تر النـاس جاوزت القرية. ولم تلحق بها الأذى. وكان أهالي نجد، حتى وقت طويل، يدخنون علـى الجراد، أو يقرعون الـتنك لتنفيـره، ويصطادونه، ويرددون بعض الأهازيج، مثل «يا الجراد يا المرادف صادني قبل أصيده». ويطلقون على الشخص الذي يذهب ليستـكشف وجود الجراد في مكان ما «رائد الجراد». ومن أنواع الجراد ما هو كبير الحجم لونه بني فاتح وهو قليل العدد ويسمى جراد النـخل. وهنـاك ما يسـمى الجخـادب والواحدة جخدبّة ولونه أخضـر، أقصر من السابق لكنه أعرض منه، وهناك أنواع كثيرة مختلفة الأحجام تعيش في الحقول ولكنها لا تسمى جراداً بل تسمى قبصا والواحدة قبصة.

ومن القصص التي يـتداولها الناس للاستـدلال بها على عاقـبة من يدفعـه الغرور للاستهانة بشر الجـراد الزاحف، قصة أحد أمراء قرية العيينة في نجد قبل الدولة السعودية حيث قـدم عليه بعض المسافـرين، فسألهـم عما شاهدوه مـن الأخبار خلفهم، فقالوا: لم نشاهد سوى تهاميـة تبعد عنكم قلـيلا، كفاكم الله شرها. فقـال لهم الأمير: «لا تهمـكم هاذي نُظْـهِر عليـها دجنة من دجـاجنا تأكلها»، وهذا مرده الغرور. فسلط الله عليهم الجراد فأكل الأخضر واليابس حتى قيـل إنه أكل الأبواب حـتى تساقـطت مساميرها. كما سقط الجراد في الآبار، مما جعل الماء منتنا غير صالح للشرب.

ويطلـق أهل نجد على أنثـى الجراد الحمراء الـبالغة مكنـة وجمعها مَكْـن، ويأكلونها، ويطلقون على الذكر، ولونه أصفر، زعـير، ولا يستسـيغون أكله، والبعض يسـمي ذكر الجراد العصفور، وعلى صغار الجراد التـي لا أجنحة لها جخاخ أو دبا. ويصفون الشخص الذي يأكل كثيرا، ولا يشبع بأنه جرادة. ويقول أهل نجد «إذا ظهر الفقع فصرّ الدوا وإذا جاء الجراد فانثر الدوا». ويضرب سكان الجزيرة الـعربية المـثل للشـخص الذي تتحسن صحته ونفسيته، على الرغم من ظروفه القاسية، بقولهم «فلان مثل الجرادة يسمن على البرد».

ويتداول سـكان المملكـة كثيرا من الأمثال، التي تربط بين الصفات السيئة أو المذمومـة لشخص ما، مـثل الخبث والتخريب، وبين الجراد فيقولون «عقرب

جراد». ويشير هذا المثل إلى العدو المتخفي بين الناس، حيث ظاهره جراد وحقيقته عقرب. ويقولون أيضاً «داب جراد». ويضرب هذا المثل للشخص الخطير، الذي يجب أن يحسب حسابٌ لإساءته. ويقولون أيضاً «ما يشبع نفسه من سرب جراد»، أو «ما يشبع من عمود الجراد». ويضرب هذا المثل لمن لا يستطيع اكتساب معيشته.

ويصفون الرجل الشره في الأكل، نحيل الجسم، بأنه «مثل الخيفان، يأكل ولا تسمن أذنابه». وذلك لأن الخيفان، بعكس المكن، تظل نحيفة مهما أكلت، والبعض يقول: «كنّه خيفانه تأكل ولا تسمن»، وكنّه تعني كأنه، ويضرب هذا المثل أيضاً لمن لا يستفيد من طعامه لعلّة في جسمه، ويقولون فيمن ضرره كبير «مثل الجراد تأكل زرع الفلاح وزاده»، ويقولون في ذلك أيضاً «مثل الجراد لا يبقي ولا يذر»، ويضربون المثل في الشخص الذي لا يضيع وقته بالأشياء العديمة الفائدة بقولهم «مثل الجراد ما يوقع إلا على خضرة». ويقولون في الشرير الذي يريد أن يضر عددا كبيرا من الناس لكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك بسبب كثرة أعدائه: «مثل حية الجراد ما تدري ويش تقرص» أو «مثل داب الجراد ما تدري ويش تقرص»، لأن الحية بين الجراد تلدغ هذه ثم تلك، حتى ينفد سمها ثم تقف حائرة، لا تدري كيف تلدغ. ويصفون الشيء الذي يأتيك مهاجماً بكل قوته، ويفاجئك فلا تستطيع أن تصنع معه شيئا بقولهم «هيضة جراد» أي كهجوم جراد. وهناك من الأمثال التي يذكر فيها الجراد للتقليل من قيمة الشيء مثل قولهم «كم الجرادة وكم مرقتها»؟ ويقصد به التقليل من قيمة الشيء. ويضربون المثل لمن يتعجب من أمر طبيعي فيقولون «يا حسين طلطله أبوك جاب جراد ما ذبح»، و«طلطله» تعني ارفع صوتك للفرح، لأن والدك جاء بجراد حي لم يذبح ويضربون المثل لمن يتعرض لكثير من المتاعب، في سبيل تحصيل قليل من الفائدة بقولهم «مثل صياد الجراد من الكتاد»، ويقال في هذا المعنى أيضاً «جراد في عوشز»، والعوشزة شجرة صحراوية لها شوك متشابك، إذا وقع عليها جراد أصبح من الصعب صيده، ويقولون «جراده منطويه في كتاده»، ويضرب هذا المثل لمن يتوارى عن الأنظار، أو لمن يحتمي بما يمنع وصول الطامع إليه، والمعروف أن شجر القتاد له شوك كالإبر لا يستطيع أحد أن يمد يده داخل الشجرة، ولذلك

قيل في المثل عند استحالة فعل الشيء «دون ذلك خرط القتاد». كما يضربون المثل للشيء التافه، الذي يتطلب جهدا كبيرا للحصول عليه، بقولهم «يطرد جراد في سَلَم». والسلم شجر صحراوي، كثير الشوك، متشابك الأغصان. وكذلك يقولون «جراد في عِدِل». والعدل كيس من الشعر أو الوَبر، ويضرب هذا المثل في وصف الأمر التافه الذي لا يعيق المسيرة في الطريق الصعب، ويقولون «جراد ومعَلْيَه»، لوصف الشيء البسيط صعب المنال. ويقولون كناية عن السرعة وسهولة الأمر «شوّاي جراده». لأن من يشوي الجراد لا يحتاج إلى وقت طويل، ويقولون أيضاً في الشخص الضعيف، الذي يكون إنتاجه على قدر مجهوده «صيدة أم الحبين جرادة». وأم الحبين سحلية صحراوية ضعيفة، وكذلك يقولون للإنسان الحقير الذي لا يستحق بذل أي مجهود في سبيله «فلان جرادة ما ينحطب لها»، ويرددون «حظ الجراد ديارها»، للدلالة على أن الدنيا نصيب، ويقولون في الشخص نحيف الجسم ضعيف البنية «معصقل مثل الجراد»، كما يقولون في أمثالهم «من مسك الجرادة قطع جنحانها» أي من بدأ عملاً لا بد أن يتمه، ويرددون «جرادة ذكاتها النار»، ويضرب هذا المثل للشيء الذي لا ضرر عليك منه لو وضعته في النار. كما يقولون في الشخص النهم في الأكل «جراد يأكل جريد». والجريد هو سعف النخل. ويضربون المثل لصاحب النخوة بقولهم «أحمى من مجير الجراد»، وهذا المثل قديم، وأصله أن رجلا كان في خيمته، فدخل عليه الجراد، فجاء قوم يتبعونه بسلالهم لجمعه، فقام شاهرا سيفه وقال: لا تقربوه إنه الآن في حماي، فضرب به المثل في حماية المستجير، كما يقولون في الشيء التافه الذي لا يسبب توافره الحط من قيمة شيء آخر أكثر منه قيمة «الجراد ما يرخص اللحم»، كذلك يقولون «جرادة في يدي، ولا عشر نوافر»، وهذا يعادل المثل القائل «عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة»، ويقولون «الجرادة من الجراد والمطية من الركاب»، ويعادل هذا المثل القول: «المكتوب يقرأ من عنوانه»، ويقصدون به أن الجزء يدل على الكل، أي أن وجود جرادة في المكان يدل على أن هناك جراداً آخر بالمكان نفسه، ومثله المثل «البعرة من البعير» أي لا وجود لبعرة دون أن يكون هناك بعير.

وقد ذُكر الجراد في كثير من الأمثال الشعبية للدلالة على الكثرة، فيقال «أكثر من عيال الجراد» و«أكثر من الدبا»، و«أكثر من القيق»، والقيق هو الدبا، وهي صغار الجراد. ويقال «صولة دبا»، والصولة بمعنى الهجوم، ويضرب هذا المثل للهجوم العنيف، الذي يصعب رده، مثل هجوم الدبا على المزروعات. ويقولون للشخص المعروف بحبه للطعام، ثم يمتنع عن ذلك خلافا لعادته «الضب شبعان دبا» أو «بطن الضب مليان دبا»، ويضربون المثل بالشيء الذي لا يمكن تحديده بسبب كثرته واتساعه فيقولون «ضو جرّادة». والجرَّادة (بتشديد الراء) هم الذين يخرجون إلى الصحراء ليلا لصيد الجراد، وتكون نيرانهم عادة منتشرة، ويقولون لمن يريد كسباً فذهب ضحية هذا الكسب «راح يجرد وجرد»، ويقولون لِمن يستخدم الدعاية الخادعة للوصول إلى مبتغاه «صيد البندق يا جرّاد»، أي كمن يصطاد الجراد باستخدام البندق. ويصفون الإنسان الحذر الذي يتفحص الأمور بتروٍّ بأنه «مثل الجرادة عينها في جنبها»، لأن عيون الجراد على جانبي الرأس، كما يقال «أكثر من الجراد التهامي»، والجراد التهامي هو الخيفان، وهي أولاد الجراد عندما تكبر وتبدأ بالطيران، كذلك يقال «أكثر من زقان الجراد»، ويضرب هذا المثل للكثرة المتناهية، لأن براز الجراد كثير بسبب شراهته في الأكل، كما يضرب المثل في بعض العناصر الشريرة ذات الضرر الكبير، فيقال «الله لا يكثر عيال الجراد» وعيال الجراد هي الدبا المعروفة، التي تأكل ما تدب عليه، وتتركه قاعا صفصفا، وهناك بعض الأمثال الشعبية التي يذكر بها الجراد، ويقصد بها الحط من القيمة. فيقال مثلا «حتى أنت يا أبو حليمة»، وهذا مثل قاله رجل مزارع كان يعرف أن جراد أبي حليمة لا يأتي إلى الزرع، ولا يحدث به ضررا، وهو جراد محلي ولا يأتي مهاجراً إلى الجزيرة العربية كالأنواع الأخرى من الجراد، وذات يوم جاء الدبا إلى مزرعته وأكل ما بها من نباتات، وعندما جاء الفلاح إلى مزرعته، رأى جراد أبو حليمة، يقفز مع الدبا، فأطلق هذا المثل الذي أصبح يضرب للضعيف الحقير، الذي يصبح عونا مع الشدائد ضدك. أما في حالات السلم فهو ضعيف، لا يمثل أي خطر ولا يحسب له أي حساب، ويضربون المثل بمن اختلط بمجتمع غير مجتمعه، وأصبح في وضع يرثى له، «مثل أبو حليمة مع الدبا»، كما يقال في تقلبات

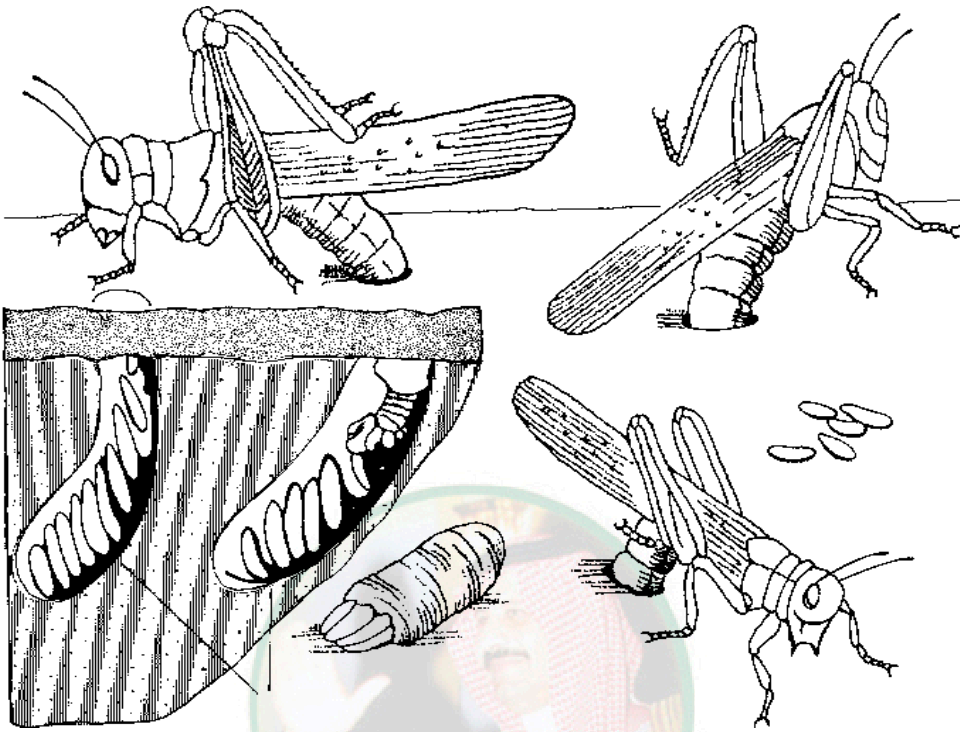
الأمور، وتغير الأحوال: «تحسب الجراد في مصيده الأول» أو «تحسب الجراد بمصيده امس». كذلك يضرب المثل في الرقة واللين «ألين من ذنب الجرادة»، لأن ذنب الجراد لا يتحمل أي ضغط وإلا تمزق، وخرج ما فيه من أمعاء، كذلك يضرب المثل للضعيف الذي يتظاهر بالقوة، وبالصغير الذي يتشبه بالكبار، فيقال «جرادة تطير بجناح صقر». كما يقال للشخص الغريب في دار الغربة، «جرادة والاّ من جراد»، والمقصود به معرفة هل هو وحيد أم معه قوم أو عشيرة أو عائلة أو أولاد.

وأنواع الجراد كثيرة، منها الصغير ومنها الكبير ومنها المقيم ومنها المهاجر، ومن أهمها الجراد الصحراوي والجراد المصري والجخدب.

الجراد الصحراوي. ويعرف أيضاً باسم الجراد الرحال، والجراد الأعرابي. وجسمه كبير نسبيا حيث يبلغ طوله حوالي ٥ سم. ويمكن التمييز بين الذكر والأنثى من نهاية البطن. حيث ترتفع حافة البطن السفلية إلى أعلى في الذكر، أما في الأنثى فتظهر آلة البيض. وعند لمسها تجدها صلبة. والذكر أصفر وهو الزعيري، وهو أصغر من الأنثى ذات اللون البني المحمر الفاتح، وهي المكن.

يحمل الرأس زوجا من قرون الاستشعار القصيرة الخيطية، وزوجاً من العيون المركبة الكبيرة، وثلاث عيون بسيطة على شكل مثلث، إحداها في الجبهة، أما الأخريان فتقعان خلف قرني الاستشعار في قمة الرأس. وأجزاء الفم قارضة. تتكون من فكين علويين، وفكين سفليين، وشفة عليا وشفة سفلى. يقطع الحلقة الصدرية الأولى، وهي عريضة كبيرة، ثلاثة ميازيب عرضية. وتحمل الحلقة الصدرية الثانية الجناحين الأماميين من الناحية الظهرية، ويخرج الجناحان الخلفيان من الحلقة الصدرية الثالثة، الجناح الأمامي جلدي صغير، يحمل مربعات بنية غامقة اللون، والجناح الخلفي غشائي شفاف كبير، وتفوق الأجنحة البطن في الطول، وتحمل كل حلقة صدرية زوجاً من الأرجل المفصلية، والزوج الثالث منها أطول بعض الشيء، وهو معد للقفز.

تضع الأنثى البيض في عدة كتل داخل حفر يبلغ عمقها ما بين ٣ إلى ٥سم. ويفقس البيض خلال ثلاثة أسابيع إلا إذا صادفه جفاف فقد يبقى الجنين في طور السكون داخل البيضة حتى ٩٠ يوماً، وتنسلخ الحوريات الخارجة من البيض خمس مرات، وتبدأ



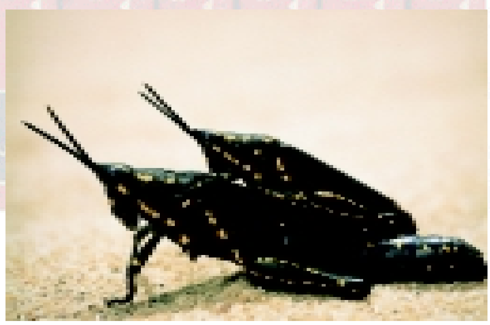
أنثى جرادة تضع بيضها في الرمال داخل حفرة

أسرابها بالحركة بمعدل كيلو متر واحد في اليوم. ولكن تزداد سرعتها وشراهتها بعد الانسلاخ الخامس. ويختلف لون حوريات الجراد الصحراوي باختلاف نوع الغذاء الذي تتناوله، لذلك يكون لونها أخضر به بقع سودٌ، إذا تناولت حشائش خُضْراً، بينما تختفي الصبغة الخضراء إذا تغذت بحشائش جافة، وتنضج الأنثى بعد أربعة أسابيع، وينضج الذكر قبل ذلك بعشرة أيام، وتؤثر الذكور الناضجة في الإناث غير الناضجة برائحة تفرزها الذكور، فتسرع هذه الرائحة في إنضاج الإناث، وقد تضع الأنثى بيضا غير ملقح (تكاثر بكري) أو بيضا ملقحا (تكاثر جنسي).

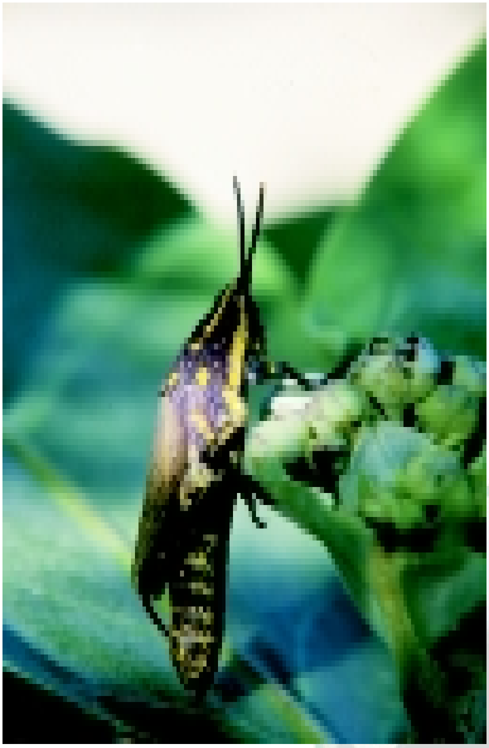
الجراد المصري. يطلق عليه أيضاً الجراد الصحراوي أو المحلي، وهو نوع مهاجر. لونه بني فاتح. والأنثى أكبر من الذكر إذ يبلغ معدل طولها ٦,٥سم وطول الذكر ٥,٥سم. ولا يحمل الجناحان الأماميان مربعات بنية، كما هو الحال في الجراد الصحراوي، ولكن على كل من الجناحين الخلفيين مساحة هلالية

الشكل لونها بني غامق، كما أن الجناح الأمامـي غير مبـرقش. ويذكر سـكان المنطقة الشرقية أنهم يشاهدون هذا الجراد في مزارع الذرة الصيفية، ومزارع الذرة الشامية.

الجخدب. وهو جـراد أبو حليمة. يعرف أيضاً باسم تيس العشار كما يطلق عليه نطاط أبو حليمة. وهو نوع محلي غير مهاجر. ولا يستسيغ سكان الجزيرة العربية أكـله، خلافاً لحالهم مع الجراد الصحراوي والجراد المصري. والسبب أنه يفرز مادة صـفراء من أعلى الجناح في منطقة الصدر، لها رائحة كريهة، إضافة إلى سوء منظره. وهذا النوع من الجراد ثقيل الجسم لا يقوى على الطيران. وهو من الجراد المسـتوطن الذي لا يأتي فـي موسم معين ثم يرحل أو يمـوت بل هو موجود كل أيام السنة. ولونه أخضر كلون النباتات.



جخدب (جراد أبو حليمة)



الجخدب أو أبو حليمة من الجراد المستوطن

وهناك نوع من الجراد المحلي يسمى الجخاخ أشهب اللون مع خطوط سود. وهو أقل طولاً من الجراد الصحراوي، لا يـرى في أسـراب، ولا يطـير إلـى مسافات بعيـدة، ويسمع لأجنحته عند الطيران صوت واضح.

رتبة غشائية الأجنحة

تشـمل هـذه الرتبـة أنواع النـحل والزنابير والنمل وما شابه. وبعض أنواع هذه الحشرات، مثل نحل العسل والنمل وبعض الزنابير من أكثر الحشرات شيوعاً.

وعلى عكس غالبية رتب الحشرات الأخرى، فإن كثيراً من أفراد هذه الرتبة تعد من الحشرات ذات النفع لبيئة الإنسان، خاصة الزراعية من حيث أهميتها في مجال المقاومة الحيوية، خصوصاً للآفات المستوردة، ونحل العسل من أهم الحشرات المستأنسة النافعة في تلقيح المحاصيل، كما أن منتجاته من العسل والشمع مهمة من الناحية التجارية على الرغم من وجود بعض المواد البديلة لها. وتضم رتبة غشائية الأجنحة أكثر من ١٠٨,٠٠٠ نوع منتشرة في أنحاء العالم.

وأهم الصفات التي تميز الحشرات الغشائية الأجنحة تشمل أجزاء الفم والصدر وتركيب الأجنحة والبطن، كما تشمل آلة وضع البيض. وهذه التراكيب كافة لها علاقة بعملية الافتراس، فجميع هذه الحشرات لها فكان علويان جيدا النمو، يستعملهما كثير من أنواعها في أعمال أخرى غير الاغتذاء، وقد يتحوران ليؤديا وظائف معينة، مثل: قطع الأوراق أو في الهجوم أو الدفاع أو الحفر، وقد يتحوران كما في بعض أنواع النحل والزنابير لتناول الطعام السائل، خاصة الرحيق، بخرطوم يتكون من بعض أجزاء الفم. ويتحور الصدر في بعض الحشرات الهوائية الأخرى بشكل واضح ليناسب الكفاءة العالية للطيران، والصدر مزود بزوجين من الأجنحة الغشائية، وترتبط الأجنحة الخلفية دائماً بأجنحة أمامية أكبر منها حجماً بسلسلة من الشعرات الخطافية التي تمتد من الحافة الطليقة للجناح الخلفي إلى الأمام وتشتبك بأسفل الثنية البطنية للحافة الخلفية للجناح الأمامي.

وتتخذ آلة وضع البيض أشكالاً مختلفة. فتكون شبيهة بالشفرة أو بالمنشار في بعض الأنواع، ومهيئة لتمزيق أنسجة النباتات. وقد تتحور، في أنواع أخرى، إلى عضو للثقب يمكنها من أن تنغرس بعمق في أنسجة العائل، وبها ينقل البيض والسوائل المسببة للشلل، في الأنواع المتطفلة، إلى جسم العائل. وفي النحل والزنابير تتحور إلى عضو لاسع لنقل السم فقط.

تتزاوج بعض الأنواع في الهواء، كنحل العسل والنمل، أو فوق بعض المستقرات. وينتج الذكور البيض غير المخصب، وتنتج الإناث البيض المخصب. وتخزن الحيوانات المنوية في الحوصلة المنوية في جسم الأنثى، حيث تظل حية لفترة طويلة، وتتحكم الإناث في إطلاقها، ويتسبب تحكم الإناث في الإخصاب في وجود نسبة غير عادية

بين أعداد الذكور والإناث. ويكون هذا واضحاً جداً في الأنواع الاجتماعية، حيث ينتج الذكور بأعداد قليلة مرة واحدة أو مرات قليلة خلال السنة، وتضم رتبة غشائية الأجنحة ٧٣ عائلة منها عائلة نحل العسل وعائلة النمل وعائلة الزنابير.

وتضم عائلة نحل العسل أنواعاً مختلفة الأحجام، بعضها صغير وبعضها كبير، وهي ذات شعر ريشي متفرع على جزء من جسمها على الأقل، والصدر الأمامي ذو فصوص خلفية مستديرة، والأجنحة الأمامية بها سبع خلايا على الأقل مغلقة والأجنحة الخلفية بها خليتان على الأقل مغلقتان، وآلة وضع البيض متحورة كآلة لسع. وقاعدة الرسغ الخلفية متخصصة لجمع حبوب اللقاح، ويخزن أغلب أنواع النحل الرحيق وحبوب اللقاح في الخلايا اليرقية. والفكان السفليان والشفة السفلى متحورة إلى خرطوم لامتصاص الرحيق.

أما عائلة النمل، فتضم حشرات دقيقة إلى متوسطة الحجم، ذات حلقة قاعدية واحدة أو اثنتين بعد الخصر متحورة كخصر شبيه بالنتوء، والصدر الأمامي كبير متحرك، وقرن الاستشعار يكاد يكون دائماً مرفقياً شديد الوضوح.

يعيش النمل بأعداد كبيرة في جميع المناطق، عدا المناطق الشديدة البرودة، وهناك أنواع عديدة من النمل أصبحت وثيقة الارتباط بالإنسان، تحتل مساكنه وغيرها من المنشآت في جميع أنحاء العالم، وجميع أنواع النمل حشرات اجتماعية، تتركب المستعمرة من أنثى، أو عدة إناث مكتملة النضج أو الملكات، وهي متخصصة بالتكاثر، وعدد من الإناث غير المجنحة العقيمة تعمل شغالات أو جنوداً، وعدد من الذكور ينتج مرة أو مرات قليلة في العام، وتعيش لفترة قصيرة كافية لقيامها بتلقيح الملكة، والذكور عادة مجنحة. والجنود التي تقوم بوظيفة الدفاع عن الخلية أكبر من الشغالات جسماً، وغالباً تكون رؤوسها متضخمة بدرجة متناسبة مع الجسم.

وتضم عائلة النمل أنواع آكلات أعشاب وكانسات ومفترسات، ويقطع نوع من النمل أوراق النباتات التي يزرع عليها الفطرات التي يستخدمها غذاء له، ومعظم النمل يتحول أحياناً إلى مفترسات مؤقتة، ولكن جيوش النمل عادة مفترسة، وقد تتغذى بأنواع كثيرة من اللافقريات الصغيرة. والقليل من أنواع النمل يتخصص في افتراس بيض العناكب والحلم أو غيرها من مفصليات

الأرجل. ونظراً لوجود النمل في الطبيعة بأعداد كبيرة، فقد تخصصت بافتراسه بعض الطيور والثدييات والزواحف. وتشمل عائلة النمل حوالي ٣٥٠٠ نوع، يختلف بعضها عن بعض أكثر ما يختلف بشكل الرأس، والفكوك، وعُقل اللوامس وقرون الاستشعار.

ويميز أهل نجد بين ثلاثة أنواع من النمل كبير ويقال له القعر ومنه الأسود والبني، والنمل وهو أصغر منه وهو أسود اللون، وأما أصغرها فيقال له الذرّ وهو بني اللون، ومن الأمثال الشعبية قولهم «أكثر من النمل»، و«أنشى من الذرة»، و«تجمع النمله وياكل الجمل»، و«حلال نمله»، و«ذبحه على بيت نمله»، و«ذره تتبع الدسم»، و«يحلب الذر»، و«الذر يقطع الذر»، و«ما تشبع ذرة لها عيال»، و«نفس قعره»، و«يبرك على النمال».

النحل. المقصود بالنحل في الجزيرة العربية نحل العسل، وليس بها من أنواع النحل غيره. وهو من أهم الحشرات المستأنسة لإنتاجها العسل والشمع، فضلاً عن أهميتها في تلقيح المحاصيل. وتمتاز النحلة بأن لها رأساً كامل التكوين، وأجزاء فمٍ من النوع القارض اللاعق الماص، وفكّين علويين جيديْ النمو،



النحلة

تستخدمهما في قرض النباتات. ولها قدرة كبيرة على ابتلاع السوائل، خاصة الرحيق، بخرطوم فمها الطويل.

وتركيب الصدر في النحلة يناسب الطيران العالي لمسافات طويلة، إذ تكون العقلة الأمامية جيدة النمو، والعقلة الوسطى أكثر طولاً وصلابة. وهي ملتحمة بالعقلة الخلفية. أجنحتها الخلفية غشائية، وهي أصغر من الأجنحة الأمامية، وترتبط بشعيرات خطافية على الحافات الأمامية للأجنحة، وتندمج قاعدة البطن مع العقلة الصدرية الثالثة (الخلفية). وقد تركبت آلة وضع البيض بحيث تستخدم أيضاً للوخز والثقب

واللسع. وتمــر دورة حياة نحل العــسل بأطوار التحول الكامل، التي تشتمل على البيضة ثم اليرقة فالعذراء أو الخادرة التي تنمو إلى حشرة كاملة.

ونحل الـعسل من الـحشرات التي تمتص رحيق الأزهار، فتحوله في جوفها إلى عسل، تخرجـه من أفواهها. ولها أهمية كبيـرة في تلقيح النباتات، بنـقل حبوب اللقاح مـن نبتة لأخرى. حيث يمسك النحل اللقاح بالشعر القصير الذي يغطي جسمه. ويخزّن النحل العسل في خلاياه لتفي بـحاجات أفراده في فصل الشتاء، يخزنه في أقراص شمـعية ذات عيون سـداسية التركيـب دقيقة البنـاء، ويتابع النحل نشاطه في بداية فصل الربيع فيخرج لامتصاص رحيق زهـور نباتات الحقول وتعويض ما استهلكه من عسل في فصل الشتاء.

والنحل، مثل النمل من أرقى رتب الحشرات، فهو يـعيش معيشة جماعيـة اكتسب فـيها أفراده سلوك المـعيشة في مجـتمـع مـنظم عـن طريـق تكـوين الطوائـف، وقد تخصـصت أفراد هذا المجتمع وتميزت إلـى ثلاث مجموعات هي: الملكة وهــي أكبر أفراد المستعمـرة حجماً وأطـولها، ومجموعة الـذكور، ومجموعة الشغالات.

والملكة، وهي الأنثى الخصبة، تضع بعد تلقيحها البيض. أما الشغالات وهن إناث عقيـمات، فيبنين العـش ويغذين اليرقات ويعتنين بها، وبالملكة والذكور، ويدافعن عن الخليـة. والجهاز التناسلي ضامر في الشغالات، ولكنه على درجة كبيرة من التطور في الملكات، والشغالة صغيرة الحجـم، لها غدد شمعية عـلى سطح بطـنها السفلي، ولهـا آلة لسع، وأرجلها الخلفية معدة لجمع حبوب اللقاح والأمامـية بها أمـشاط لتـنظيف قـرني الاستشعار، وتعيش الشغالة في المتوسط حوالي ستة أسابيع أو أكثر.

والـذكـور أضخـم جـسـمـاً من الشغالات، وهي لا تلسع، ولكنها تلقح الملكة، والذكر الذي يلقحها لا يلبث أن يموت، ولا تعمل الذكور أي عمل داخل الخلية بل تحوم خارجها، منتظرة تلقيح الملكة، بعـد ما تغادر الخلية لبنـاء عش جديد. ويحدث التلقيح عادة في اليوم السابع من خروج الملكة الصغيرة، حيث تتزاوج مع أحد الذكور، غالبا في الجو ويحدث خلال ذلك أن تنفصل أعضـاء التناسل للذكر وتبقى في الكيس المنسلي للملكة، إلى أن تعود إلى الخلية، ولذلك يموت الذكر، وبعد يومين تبدأ الملكة في وضع البيض.

وفي فصل الربيع الذي يكثر به الرحيق، تضع الملكة عدداً يصل إلى ألف بيضة يوميا. وتتحكم الملكة في عملية الإخصاب إذ تضع نوعين من البيض نوعاً غير مخصب ونوعاً مخصباً. وينتج البيض غير المخصب ذكورا وينتج البيض المخصب إناثا.

تطعم الشغالات جميع اليرقات الغذاء الملكي الذي تفرزه من غددها البلعومية لمدة يومين بعد خروجها من البيض. وبعد ذلك تغذي يرقات الذكور والشغالات بعسل ممزوج بحبوب اللقاح وتستمر في تغذية يرقات الملكات على الغذاء الملكي فقط، وتعمد الشغالات إلى تجويع الذكور، بعد تلقيح الملكة، وتطردها إلى خارج الخلية لتموت لأنها أصبحت عبئاً على الخلية، ولا وظيفة لها. كما تقتل الشغالات يرقات الذكور خلال فصل الشتاء، بسبب ندرة العسل، إلا أنها تعاود العناية بيرقات ذكور أخرى عند توفر الرحيق.

وعندما يزداد عدد الأفراد في الخلية وتضيق بهم تخرج الملكة القديمة مهاجرة من الخلية تصحبها آلاف الشغالات في سرب كثيف حيث تطير إلى موقع جديد، رصدته وحددته مسبقاً إحدى الشغالات التي أرسلت خصيصى لاكتشافه. وتتجمع كل أفراد المجموعة في عنقود واحد حول الملكة لتعمل على تدفئتها. وينقل العسل من شغالة إلى أخرى حتى يصل إلى الملكة.

والنحل مجتمع متعاون محب للنظافة، يخرج الفضلات ويلقى بها خارج الخلية. ويطرد الشغالة الكسول من بين صفوفه ويبعدها عن الخلية. ويقول العرب إن لخلية النحل أمير كبير العمر، بمنزلة القاضي الآمر بالعدل، كما أنه يقتل على باب الخلية كل نحلة تقع على نجاسة. ومن طبع النحل أيضاً أنه يمزج العسل بالماء إذا قل، خوفا من نفاده، ولم يثبت ذلك علمياً. ومن أعداء النحل: الغيوم والرياح والماء والدخان. وإذا دُخِّن على الخلية لأخذ العسل عمدت الشغالات إلى أكل العسل بشراهة.

ويبني النحل أقراصاً من الشمع يبيض ويفرخ بها. وهذه الأقراص تضم عيوناً سداسية الشكل مضلعة منتظمة لا يزيد ولا ينقص فيها ضلع عن ضلع. يجمع النحل العسل خلال فصلي الربيع والخريف ويخزنه لوقت الشتاء. وينام أيام الصيف والشتاء، وأيام المطر والريح والبرد. ويقتات أثناء ذلك العسل المخزون دون إسراف ولا تقتير، حتى يأتي فصل



جانب من خلية النحل

الربيع ويبدأ نشاطه في جمع العسل من جديد.

وقد ذكر الله -عز وجل- في كتابه العزيز، النحل وإيحاءه له وإلهامه وتعليمه اتخاذ الجبال بيوتا تتعسل فيها حيث قال ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس...﴾ (النحل: ٦٨ ، ٦٩).

ويربى النحل في مناطق متعددة بالمملكة، خاصة في المنطقة الجنوبية، حيث تكثر أشجار المر والعشر والطلح والسلم والعرفج والطباق. ويسمي أهل منطقة تهامة العسل تبعا لنوع الأشجار التي يتغذى بها النحل. فهناك عسل السدر، وعسل الطلح. كما يطلقون اسم العسل المخلوط الصيفي، على العسل الذي ينتج في مناطق فيها أشجار مختلفة. ويُطلق على أنواع العسل جميعها العسل الحضرمي. وعسل السدر لونه أحمر بني. أما عسل الطلح فهو مائل إلى اللون الرمادي.

وهناك بعض الأسر متخصصة في تربية النحل توارثت ذلك أباً عن جد. وينقل بعضهم في الوقت الحاضر خلايا النحل إلى مناطق الأشجار المختلفة، في

الفصول المختلفة، على مركبات متحركة. كما يقومون بفصل خلية النحل الواحدة، بعد ازدياد عدد أفرادها إلى خليتين. ويطلقون على هذه العملية اسم (فرق).

ويتم ذلك بطرق متعددة منها طريقة تسمى عملية الشنق، وذلك أن يؤخذ أحد قرصان العسل من خلية قديمة، وتوضع داخل صندوق منحلة جديد، ثم يتم تثبيت هذا القرص بأربعة أعواد خشبية متقاطعة تشبه المشنقة، ثم يدخلون جزءاً من نحل الخلية القديمة في المنحلة الجديدة من الجهة الخلفية، وذلك لسهولة إدخال النحل من الجهة الخلفية، حيث تكون الفتحة أوسع من فتحات الجهة الأمامية لصندوق المنحلة، وتكون فتحات الباب الأمامي مغلقة بالأسفنج أو القماش.

بعد ذلك تنقل المنحلة الجديدة إلى منطقة أخرى تبعد على الأقل مسافة أربعة إلى خمسة كيلو مترات حتى لا يعود النحل لمكانه الأول. ويتوج النحل عادة في المنحلة الجديدة، بعد ١١ يوما، ملكة عليها، وتعلن نفسها منحلة مستقلة. وإذا كانت المسافة بين المنحلة القديمة والمنحلة الجديدة أقل من أربعة كيلو مترات فقد تعود الشغالات إلى المنحلة الأم. ويعرف كثير من سكان المنطقة الجنوبية كيف يصطادون أسراب النحل الفارِّ وذلك برشه بالماء أو بنشر الدخان في طريقه.

وقد يمسكون بملكة النحل، ويضعونها في علبة كبريت فارغة بها ثقوب، ثم توضع داخل صندوق منحلة جديدة لتتجمع عليها بقية النحل وتتعرف عليها برائحتها، وبعد ذلك توضع في صندوق خلية مصنوع من جذوع الأشجار مثل السدر أو الطلح لتستقر فيها وتكوّن منحلة جديدة. وأفضل الصناديق وأغلاها المصنوع من جذع شجر الغرب.

ومن الطرق الأخرى لاصطياد أسراب النحل الفارَّة، أنهم يضعون في طريقها صندوق منحلة مطلي من الداخل بزيت أقراص العسل، فيدخله ويتجمع فيه ويبدأ في تكوين منحلة جديدة. ويطلق أهل الجنوب على النحلات الكبيرة الحجم اسم الجخامير. ومهمة هذه الجخامير الهف على العسل بأجنحتها في أيام الحر الشديد، فلا يسيح العسل من الأقراص.

ويذكر أصحاب المناحل في منطقة تهامة أن أعداء النحل في هذه المنطقة السوس والدبابير، والظربان آكل العسل، وبعض الطيور آكلة النحل خاصة طائر الوروار. وأكبر خطر على النحل هو رش المبيدات الحشرية على المزروعات.

ويطعم أصحاب المناحل النحل محلولاً سكرياً أو مهروس التمر حين تشح الأزهار.

ويستخدم أهل الجزيرة العربية العسل في علاج كثير من الأمراض، خاصة أمراض الصدر، والحساسية، وآلام البطن، وقرحة المعدة، وتقرحات الفم. ويستخدم العسل عادة مخلوطاً مع الحبة السوداء المطحونة أو مع الحليب. كما يسخن العسل على النار، ثم يقطر بالأذن لعلاج أمراضها. وحتى وقت قريب، كان أهل الجزيرة العربية يخلطون العسل الذي لم يصبه ماء ولا دخان بشيء من المسك ويستخدمونه في تلطيخ الشعر لقتل القمل والصئبان. ويستخدمونه في علاج عضة الكلب، وحالات التسمم بأن يلعق العسل الصافي، لمن يعضه كلب، ويعالجون التسمم بالعسل المطبوخ. كما يكتحل بعض الناس بعسل مخلوط بمسك خالص، فهو ينفع في علاج ماء العين.

ويتداول أهالي المملكة كثيرا من الأمثال التي يذكر فيها النحل. فهم يقولون مثلا «أنحل من نحلة» مأخوذ من النحول وهو الهزال، و«أصفى من جنى النحل» للتدليل على الصفاء والنقاء. ويقولون «أحلى من العسل» حيث يضرب هذا المثل بالشيء اللذيذ الذي لا يختلف في لذته وحلاوته اثنان. وقالوا لمن يتقن عمله ويبالغ في إجادته «أصْنَعُ من النحل»، لأن النحل يصنع خلاياه بطريقة فريدة في دقتها. وقالوا أيضاً «أرق من ريق النحل و أصفى من جنى النحل». ووصفوا من لا يخطئ طريقه بأنه «أهدى من نحلة»، لأن النحلة لا تخطئ خليتها أبداً مهما بعد بها المكان من المرعى. كذلك يرددون المثل «كلام كالعسل وفعل كالأسل» والأسل هي الرماح. ويضرب هذا المثل لاختلاف قول الشخص عن فعله. كذلك يقولون في الشخص دائم السرور الذي لا يبالي بمتاعب الحياة «نحلته سارحة مع النور». ويضربون المثل لمن يستغل طيبة الآخرين وتسامحهم بقولهم «إذا كان رفيقك عسل فلا تلحسه كله». ويقولون أيضاً «النحل يفرقه العجاج ولا يفرقه الرجال» حيث يضرب هذا المثل عندما ينجح إنسان بسيط في القيام بعمل يعجز عنه صاحب قوة ومركز. ويتداول سكان مناطق مختلفة من المملكة المثل «يا نحلة لا تقرصي، والله يعوضنا عن العسل». أو «لا تقرصيني يا نحلة، ولا أبي لك عسل» أي كفّي عني خيرك وشرك. ويضرب هذا المثل للشيء الذي ضرره أكثر من نفعه، وشره أكثر من خيره. كما يضرب

المثل في العسل بالأمور التي تحتاج إلى جهد ومشقة للوصول إليها، فيقال «من بغى العسل يصبر على لسع النحل». وهو مأخوذ من مأثور القول، بل هو عجز بيت للمتنبي «ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل».

وقد جاء ذكر النحل وعسله في كثير من الأحاديث الشريفة، منها قوله ﷺ، «مثل بلال كمثل النحلة، غدت تأكل من الحلو والمر، ثم هو حلو كله». وقول رسول الله ﷺ، «المؤمن كالنحلة تأكل طيّباً، وتضع طيّباً». كما روي عن عمر بن الخطاب #، أنه سمع النبي ﷺ، يقول «إن مثل المؤمن كمثل النحل، إن صاحبته نفعك، وإن شاورته نفعك، وإن جالسته نفعك، وكل شأنه نافع». وقد روي أن الرسول ﷺ، قال في تفسيره لسورة النساء «الذباب كله في النار، إلا النحل». كما قال علي بن أبي طالب #، «كونوا في الناس كالنحلة في الطير» يعني فيما يطير، أي تسلك سلوك الضعفاء وهي مليئة بالخير والبركة.

وقد عرف النحل عند العرب بأسماء كثيرة منها الخشرم، وذباب العسل، والأوب، والنوب، ودبر العسل، وأطلق على جماعة النحل الثول، وعلى ذكر النحل اليعسوب، وعلى العظيم من يعاسيب النحل الحجل. وعرفت خلايا النحل عند العرب بأسماء عديدة مثل: الجج، والجبخ، والمباءة، وعرف بيتها في الجبال بالوقبة، وبيتها في جذع شجرة بالخميتة. كذلك أطلق العرب على العسل أسماء عديدة منها الأَري والضحك والمزج والضرب وجني النحل والقلس والشوب والسلوى والطرم ولعاب النحل وريق النحل ومجاج النحل والشهد. ووردت بعض هذه الأسماء في الشعر العربي؛ من ذلك قول أبي ذؤيب:

فجاء بمزجٍ لم يَرَ الناسُ مثله
هو الضحك إلاأنه عَمَلَ النحلِ

ومنها قول الشاعر:

تناولَ شوباً من مُجاجاتِ شُمَّذٍ
بأذبابها قُبٍّ لِطافٍ خُصورها

وقول الجعدي:

على مجةٍ من صَفْوِ أريٍ أتى بها
حريصٌ يرى في الحقّ أن يتكسّبا

وقول أبي ذؤيب:

وقاسَمَها بالله جهداً لأنتُمُ
أَلَذُّ من السلوى إذا ما نشورها

وقول الجعدي:

شركاً بماء الذوب تجمعه
في طَوْدِ أيْمَنَ من قُرى قَسْرِ

ويعني بالطود جبل السراة، وبأيمن اليمن.

وقد سمى العرب العسل بأسماء الأشجار التي يرعى عليها النحل. فهناك عسل الندغ والسحاء وهو أبيض ناصع. والندغ والسحاء شجرتان زهرهما أبيض. ويطلق العرب على شجرة الندغ صعتر البر، وذكروا أن أزهاره لا يجرسها إلا النحل، وأنها تكثر في تهامة. وروى الأصمعي أن سليمان بن عبد الملك حج فأتى الطائف وشم ريح الندغ فكتب إلى والي الطائف: «انظر لعسل من عسل الندغ والسحاء، أخضر في السقاء، أبيض في الإناء من حداب بني شبابة»، وحداب بني شبابة من جبال السراة حيث كانت تقيم قبيلة بني شبابة. وهناك عسل الشيعة، وهو أصفاها. والشيعة شجيرة لها زهرٌ مشرب، وكذلك العسل اللوزي، وفيه رائحة اللوز، وكان أكثر ما يؤتى به من قلوذية. وأطلقوا على العسل الشديد الجلس وعلى العسل الرقيق الوديس، وقد أطلق بعض العرب على النحل الدبر إلا أن بعضهم أطلق ذلك على الدبابير؛ وقد قال لبيد في ذلك:

بأشهب من أبكار مزن سحابة
وأري دبور شاره النحل عاسل

وأطلق على النحل الأوب، لأنها تسرح ذاهبة راجعة حتى إذا جنح الليل آبت كلها لا يتخلف منها أحد. وسموها النوب لأنها تنوب في أعمالها. وقد ذكر بعض العرب أن أكثر ما يكون النوب من النحل هي التي فيها سواد، يكون بالتهائم؛ وفي ذلك قال أبو ذؤيب في النوب، واصفاً مشتار عسل:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها
وحالفها في بيت نوب عوامل

وكذلك أطلق العرب على ملكات النحل اليعاسيب، حيث تأتلف النحل وتستقيم بأمرها، وتنتقل وتقيم معها، وأمرها مطاع؛ وفي ذلك قال الهذلي:

تنمَّى بها اليعسوب حتى أقرها
إلى مألف رحب المباءة عاسل

وقد ذكر ذوو الخبرة بالنحل من العرب أن اليعاسيب لا تخرج وحدها، إلا مع جميع النحل، وأنها لا تذهب للرعي، وأنه متى عجز الواحد منها عن الطيران حملته النحل حملا. وإذا هلك يعسوب الخلية تعطل أمر النحل، لا تعمل ولا تعسل. وقد ذكر أن صاحب المنحلة يعرف ذلك من ملاحظته أن يعسوب النحل إذا أصبح يطير على وجه الأرض يسارع النحل ويأتي بيعسوب آخر للخلية. كذلك ذكر العرب أن اليعاسيب

نوعان الأحمر والأسود، وأفضلها الأحمر. وذكروا أن في كل خلية يعسوب واحد إلا إذا كانت كبيرة، عندها تنقسم إلى طوائف لكل طائفة يعسوب خاص بها.

وذكر العرب أن النحل تقسم الأعمال بينها فمنها ما يبني الشمع، ومنها ما يأتي بالعسل فيمجه في أبيات الشهد، ومنها ما يأتي بالماء. وأن أغبر النحل أصغرها، والسود أوسطها، والصفر أضخمها. وأن ذكور النحل لا تعمل، وأن العمل للإناث، وأن قوت النحل هو العسل، وإذا كان الموسم جدبا وشح العسل، قتلت النحل ذكورها، وكثيرا ما تهرب الذكور إذا أحست ذلك. وعرف العرب أن النحل يطرد الكسالى من بين صفوفه، وأنه يختم بيوت العسل بشمع رقيق حتى ينضج، وأنها إن لم تفعل ذلك فسد العسل، وانتشر به دود العنكبوت. كذلك ذكر العرب أن النحل يخزن العسل في الربيع والخريف، وأن العسل الربيعي أفضله، وأن النحل تلقي فضلاتها أثناء الطيران أو في مكان منعزل في الخلية حتى لا يختلط مع العسل.

وعرف العرب خصب خلية النحل بكثرة دويِّ النحل فيها، ودخوله وخروجه منها، وذكروا أنها تودع فراخها في نخاريب العسل، وأن الفراخ أي الشغالات لا تخرج إلا مع يعسوب يكون فيها. فإذا سقطت على شجر أو غيره احتال أصحاب المنحلة على اليعسوب وأخذوه وألقوه في وعاء منحلة فارغ فتتبعه الفراخ، وتبقى معه حتى تبلغ. كذلك تداول العرب، أنه إذا أخذ اليعسوب من خليته، وذهب به تبعه جميع النحل، وأنها تجده بمعرفة رائحته. وذكروا أن فراخ النحل تبدأ بالعمل بعد ثلاثة أيام من خروجها، وأنهم إذا أرادوا إدخال فراخ النحل إلى منحلة، دلكوا باطنها بورق الضرم أو الثوم، وهما طيبا الرائحة، وذكروا أن عسل الفراخ أملس السطح إذا كانت هذه الفراخ كريمة، وإلا كان سطحه غير أملس.

وذكر العرب بأن أعذب العسل وأنقاه، هو الذي إذا مددته امتد، أي لا ينقطع، وشابه لونه لون الذهب، والذي إذا قطر على الأرض استدار، واستجمع إلى نفسه. وإذا وضع في الجرار علا أرقه، وسفل أمتنه. وأجود العسل الذهبي الأصفر، وأرداه العسل الأسود. وكانت السراة أكثر أرض العرب عسلا. واليمن كلها أرض عسل. وقال أحد الشعراء في وصف امرأة:

كأن فاها بعد نوم الهادي
ما تجمع النحل من الشِّهاد
من ثمر الضهياء والقتاد
والضرم النَّضْر ونَدْغ شاد

وقال الشماخ يصف امرأة:

كأن عيون الناظرين يشوقها
بها عسل طابت يدا من يشورها

وذكر الشعراء العسل والنحل وأسرابه، وشبهوا النحل بالنساء اللواتي أسر رجالهن وتركن وحيدات لا يرين إلا التطير، ولا يسمعن إلا الرياح المصرصرة. وكذلك صوروا زجل أصواتها، وشبهوه بحفيف النبل حين ينطلق من القوس. كما شبه تأبط شرا أعداءه الذين طاردوه بالنحل، حيث يقول:

ولم أنتظر أن يدهموني كأنهم
ورائي نحل في الخلية واكنا

وكان الشعراء يشبهون أحبتهم بالنحل وعذوبة ريق ثغورهن بالعسل، كما يعمدون للتشبيه بالعسل في المدح، فقد قال ابن الرومي:

كم فيهم من نحلة مجاجة
عسل الشفاء وأفعوان ماهش

وقال ابن الرومي أيضاً في باب التلاعب بالألفاظ في مدح الشيء وذمه من خلال المقارنة بين النحل والزنابير:

تقول هذا مجاج النحل تمدحه
وإن تَعِبْ قلت ذا قيء الزنابير

وقال أيضاً:

مع الواصل الواشي وهل تجتني يد
جنى النحل إلا حيث نحل يذودها

وقال أيضاً:

له حلم يذب الجهل عنه
كذبِّ النحل عن عسل اللِّصاب

وقال ابن خفاجه الأندلسي:

لله ريقة نحل
رعى الربى والشعابا

وقال المتنبي في مدح أبي الفوارس:

تريدين لُقيانَ المعالي رخيصة
ولا بد دون الشهد من إبر النحل

وكان العسل يحمل من بلاد هذيل إلى مكة المكرمة. وقد اشتهرت به في السابق منطقة حداب بني شبابه، التي تعد من أكثر أرض العرب عسلا. وقد كثر وصف النحل وعسله لدى شعراء هذه المنطقة، وكان صعاليك الجزيرة العربية يجدون في اشتيار العسل وسيلة من وسائل الرزق، ويعرضون في ذلك أنفسهم لأشد المخاطر. وقد نظم تأبط شرا قصيدة جميلة حول مغامرة له خرج فيها قاصدا بلاد هذيل ليشتار العسل. كما كان العرب يقايضون بالعسل. فقد قال في ذلك أوس بن حجر حول من

ساومه على قوسه بالعسل وأبراده الجياد:

ثلاثة أبراد جياد وجرحة
وأدكن من أري الدبور معسل

كذلك وصف الشعراء المحدثون النحل ومملكته حيث يقول أحمد شوقي:

مملكة مدبَّره
بامرأة مؤمَّره
تحمل في العمال وال
صناع عبء السيطره
فاعجب لعمال يولو
ن عليهم قيصره
تحكمهم راهبة
ذكارة مغبره
عاقدة زنارها
عن ساقها مشمِّرَه

ثم يقول:

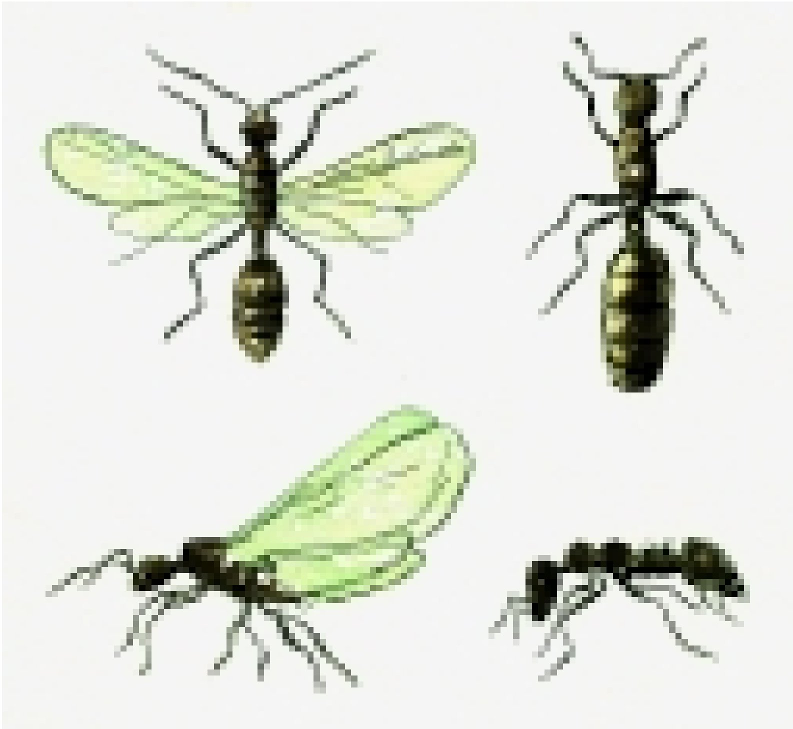
أليس في مملكة الـ
نحل لقوم تَبْصِره
تحكم فيه قيصره
في قومها موقره
من الرجال وقيود
حكمهم محرره

وقد ذكر العرب أنهم يعلمون أن برداً قد اقترب قدومه، أو جراداً دنا مجيئه، لما يرون من حال النحل حيث تبدو، فاترة في العمل، كأن كسلا قد اعتراها ثم يعقب ذلك بردٌ أو جرادٌ.

النمل. كنية النملة الذكر عند العرب أبو مشغول والأنثى أم توبة وأم مازن. وللنمل الأسود عدة أسماء، منها الدعبوب والجفل والجثل، ويدعى النمل الأحمر الخو، ونمل سليمان الحزناء والفازر، أما صغار النمل فيدعى الذر.

وللنمل تحور كامل في دورة حياته، حيث يمر في أطوار البيضة فاليرقة فالعذراء أو الخادرة ثم الحشرة الكاملة، ويتكون التركيب الاجتماعي لمستعمرة النمل من ثلاثة أشكال مختلفة هي الملكات والذكور والشغالات، والملكة ليس لها وظيفة أخرى سوى أنها آلة تناسلية تنتج البيض، والعاملات من جميع الدرجات لمختلف الوظائف. وتتميز الملكة بكبر حجمها، وكبر أعضائها التناسلية، وضخامة فكوكها العلوية، والجزء الخلفي من بطنها، إلا أن قرون الاستشعار والأرجل فيها أقصر وأغلظ من مثيلاتها عند الذكور.

والذكور لها مهمة وحيدة هي إخصاب الملكات مرة واحدة في حياتها. وهي هامشية تعيش في زوايا العش، فما أن ينتهي الذكر من مهمته، حتى يقصى من مجتمع المستعمرة، وفي



بعض أنواع النمل المجنح وغير المجنح

الذكـور تكون أعـضاء الحس وأعضـاء التنـاسل كاملة النـمو، إلا أن فكوكها العلوية ضعيفة، رأس الذكر أصغر مـن رأس الأنثى. ولها قرون استشعار طويلة. وللشغالة صدر ضـامر، وعيون صغيرة جداً، ومؤخـرة البطن صـغيرة أيضـاً. وهناك نوع مـن الشغالات ذات أجسام كبيـرة تسمى الجـند، وهي التـي تقوم بالحراسة، وطحن الحبوب، والدفاع عن المستعمرة.

يتراوح عدد أفـراد مستعمرة النمـل بين بضع مئات إلى عدة آلاف. وتؤسس المستعمرة الملكة وهي أنثى مجنحة، تهجر مستعمرتها الأصلية وتطير حيث تتزاوج أثنـاء الطيـران، ثم تسـتقر فـي مكان المستعمرة الجديدة، فتتقصف أجنحتها. وتبدأ في إنشاء مملكـتها، ولهذا الحدث مراسيم دقيقة، تبـدأ بعد طيران الأميرة الطموح لتكوين مملكة جديدة، إذ تطير من مستعمرتها الأصلية بنشوة في النور لتجد سربين من الـذكور في انتظارها، وبعد أن تختار ذكرها من بينهم تستسلم له، ويرافق ذلك سلسلة من المعانقات، مع الـذكور الأخرى، بشـكل متـوالٍ،

وتفرط الأنثى في الشبق حيث تحرص على أن تستمتع بهذا اليوم الوحيد الذي لا يتكرر في حياتها، وتخزن النطف التي حصلت عليها في جيب خاص بأحشائها حيث تستخدمها في إخصاب البيض عند الطلب، لمدة عشر سنوات قادمة. بعد ذلك تذهب الملكة الجديدة إلى الطبقة السفلى من العش الجديد وتبقى هناك، ولا تخرج منها أبدا، حيث تتخلص من أجنحتها أولا. وتستقر لمهمتها الجديدة كآلة لوضع البيض.

تحرص الملكة على أن تنتج الفوج الأول من سلالتها عاملات إناث عقيمات غير ذوات أجنحة وهي الشغالات، وهي تفعل ذلك لكي تضمن القيام بالخدمات اللازمة للمستعمرة الجديدة. وبعد أن يفقس البيض تتغذى اليرقات بلعاب الإناث. ويكون غالبية نسل الملكة عند التأسيس من الشغالات فقط. ثم تنتج مع الوقت ذرية من الذكور، والإناث المخصبة لها أجنحة، ويقع عليها مسؤولية تأسيس مستعمرات جديدة.

وتستمر الملكة عشر سنوات في ممارسة وظيفتها في وضع البيض والتحكم في نوع السلالات الناتجة منه، ويتم ذلك بعوامل متعددة منها رائحة خاصة تصدرها الملكة، وبعد ذلك النظام الغذائي الذي يُعْطى لليرقات فيحدد نوعها، إذ تقدم المربيات الغذاء الفائض من حويصلاتها إلى يرقات الشغالات، ويقدم غذاء ذو نوعية أفضل، يفرز عبر غدة خاصة، إلى يرقات الذكور والملكات.

ولكل مستعمرة من النمل ظروفها ونظامها الخاص بها، ولكنها تتشكل عادة من طبقات بعضها فوق بعض، وفيها ما يشبه الغرف المنفصلة لتربية الصغار وخزن الغذاء، وقد تسكن مجموعة من النمل تحت حجر أو في حفرة خشب أو في عش نمل آخر. وقد يغزو بعض أنواع النمل مستعمرة نملٍ أخرى لاسترقاق أفرادها، فتقتحم جند المستعمرة الغازية المستعمرة الأخرى وتأسر يرقاتها وتعود بها إلى مستعمرتها، لتتحول إلى عبيد بعد أن تصبح حشرات كاملة، ولا تقتل الجند الغازية شغالات المستعمرة المهاجَمة إلا إذا قاومتها.

والنمل من الحشرات المشهورة بالجد في طلب الرزق وتخزينه، فهي تخزن قوت الصيف لزمن الشتاء، ويعرف عن النمل الدأب والنشاط والتعاون بينها لنقل الغذاء، وحاجات العش. وتستطيع النملة أن تحمل ضعف وزن جسمها عدة مرات، ولا تعيش النملة أكثر من سنة.

يحفر النمل قريته بشكل متعرج، لئلا يجري إليها ماء المطر، خوفا على

الغذاء الذي يدخره من البلل. وفي قرية النمل دهاليز وغرف وطبقات معلقة يملؤها حبوبا، وإذا خزنت النمل بذورا تخشى أن تنبت، فلقت البذرة إلى قسمين لتمنعها من الإنبات والتلف، وإذا خاف النمل على الحبوب الرطبة من العفن أخرجها إلى ظهر الأرض ونشرها لتجف، وهي لا تكسر حبوب العدس بل تقشره، فذلك يكفي لمنع إنباته. وللنمل حاسة شم قوية. ويعاون بعضه بعضا على حمل الحبوب.

ومن عجائب النمل أنه لا يتعرض لصرصور أو عقرب أو جرادة أو جعل ما لم يكن به جرح. فإذا أصابه شيء منها وثب عليه وهو حي لا يفارقه حتى يقتله. ويفعل النمل الشيء نفسه مع الحيات والثعابين، إذا أصابها خدش أو جروح.

والذر نمل صغير يتكاثر بسرعة، وتسبب لسعته للإنسان ظهور حبوب على الجسم يصاحبها حكة، فإن كانت اللسعة في منطقة العين فقد تنتفخ. والذر من النمل بمنزلة الزنابير من النحل. ويسمى الذر أيضاً نمل الأسد، لأن مقدمته تشبه وجه الأسد ومؤخرته تشبه النمل.

ويميز سكان المملكة بين ثلاثة أصناف من النمل، هي طيار وفرسي وذر. كما أنهم يطلقون عليه النمل الأحمر. ويطلقون على النمل الأبيض لقب الأرضة. كما يطلق على صنف من كبار النمل اسم العفار والقعيسي وقد يسمى أيضاً شيخ النمل وهو موضوع اللغز الذي يقول: «يأكل الشعير ولا هو بعير، يأكل التبن ولا هو حمار، يخرق الدار ولا هو فار، أسود الليل ولا هو ليل».

ويضرب أهل نجد المثل للشخص الذي لا يسير إلا إلى مكان فيه مصلحة له، ولا يصاحب إلا من فيه فائدة له ومنفعة، فيقولون فيه «الذر ما يدبي إلا على دسم». بينما يقولون للرجل الذي لا تفوته وليمة: «فلان ذرة يشم من بعيد». كذلك يضربون المثل بالشخص الذي له حاسة شم حادة بحيث يشم الروائح الطيبة والخبيثة من مكان بعيد، بقولهم «فلان أروح من الذرة». وكذلك يقولون «أشم من ذرة»، لأن الذرة تشم ما ليس به ريح ظاهرة كرجل الجراد مثلا، حيث تطرحها في مكان ليس فيه ذر، فلا تلبث أن ترى الذر إليها متواليا كالخيط الممدود. كذلك يذكر سكان المملكة النمل في كثير من أمثالهم للتدليل على القوة أو الضعف أو الصبر أو النشاط، فهم يقولون مثلا «الضعيف

يتسلط عليه الذر»، حيث لا يتسلط الذر إلا على الجريح من الحيوانات، أو الميت منها. ويضرب هذا المثل كناية عن الإيذاء الذي يلقاه الضعفاء من تسلط الأقوياء، ولكنهم يقولون في الشيء الذي يخيف لفظه، ولا يضر فعله، أو الشخص الذي لا يقدم ولا يؤخر «ضراط نمل». ويقولون في الشخص المعروف بالصبر «يبرك على النمال»، وهنا يشبهونه بالجمل. وكان بعض الأعراب إذا أراد اختبار قوة تحمل الجمل بركوه على بيت نمل فإن صبر فهو جمل أصيل قادر على مواجهة الصعاب والعكس صحيح. ويقولون في الشخص الذي يحب جمع المال «أجمع من نملة»، أو «أجمع من ذرة». ويقولون بمن يثور لأتفه الأسباب «صدره ما تفترك فيه الذرة». تفترك بمعنى لا تستطيع الحركة، أي أن صدره شديد الضيق.

كذلك يضربون المثل في الحاجة التي تجعل صاحبها، بل تجبره في بعض الظروف على طلب المساعدة المادية أو المعنوية، ممن لا يتحملون ذلك فيقولون: «يشد على النمل من قل الزمل» والزمل هي الإبل. والبعض يقول «من قلة الزمل نشد على النمل»، ويضرب هذا المثل للظروف القاهرة التي تجبر الإنسان على اللجوء إلى ما لا يعتمد عليه. كما يضرب المثل بمن يجد ويجمع من ناحية، لكنه يسرف من ناحية أخرى، فيقال «يجمع جمع النملة ويفرق بالزنبيل». ويقولون أيضاً «تجمع النملة من حظ البعير»، ويضرب هذا المثل لمن يجمع مالاً فيأتيه ظالم فيأخذه منه بغير حق. ويقولون لمن يخاصم من هو أقوى منه: «نملة تناطح حسيد» والحسيد هو الحجر. ويرادف هذا المثل القول «عنز تناطح جبل». ويقولون أيضاً «اجرح الحنش للذر، واقتل الحية واحذر» ويضرب هذا المثل على ضرورة أن يحسب الإنسان حساب العدو القوي، حتى بعد أن تنهار قواه أو بعد وفاته. وما يزال أهالي الجزيرة العربية يعتقدون بأن ظهور أجنحة النمل علامة على قرب هلاكها، وهو اعتقاد صحيح. ويضربون بذلك المثل لمن يعلو نجمه فجأة من دون جدارة، وأن ذلك ربما يكون سبباً في سرعة سقوطه. ويرددون المثل القائل «إذا ريَّشت النملة فهو عند زوالها»، ويقولون أيضاً «إذا أراد الله هلاك نملة، أنبت لها جناحين». ويحمل المعنى نفسه قول ابن لعبون «ترى ذهاب النمل سعيه بتربيش»، وقد جاء ذكر ذلك في الشعر العربي؛ قال أبو العتاهية في الوعظ:

وإن استوت للنمل أجنحة
حتى يطير فقد دنا عطبه

وقال عبيد الله بن أحمد المكيالي في ذلك:

فهلاك النمل أن يكـ
سى جناحا فيطير

كما يضرب سكان الجزيرة العربية المثل في الأشياء التي يلحق بها الدمار والخراب الشديدين، فيقولون: «خلاَّه مثل بيت النملة». حيث يضرب هذا المثل بالشيء كثير الثقوب والخراب. كما يرددون «خلاهم حمام نملة»، يقال هذا المثل للضربة القاضية، التي يوجهها الإنسان إلى خصمه، لأن الحمام الذي يجتمع عند بيت النمل، لأكل بعض الحبوب يصيب الصائد معظمه إذا رماه، وهو على هذه الحالة، وقل أن ينجو منه شيء، لأنه يكون متقاربا بعضه بجوار بعض، فتصيب الشظايا كل حمامة في هذا الجمع. ويردد سكان المملكة مثلا في ضيق أمكنة الجلوس، أو في طبائع النفوس، فيقولون «أضيق من جحر نملة».

وقد قال العرب كثيراً من الأمثال في النمل والذر. وهي في معظمها تثني على نشاط النمل، ومثابرته في تحصيل عيشه، وحركته المستمرة. فقد قالوا «أجمع من نملة». ويضرب هذا المثل لمن هو حريص على جمع قوته. كما قالوا «أكسب من نملة». وقالوا أيضاً «أحرص من نملة». و«أروى من نملة»؛ لأن النمل لا يشرب في الفلوات. وتضرب هذه الأمثال للشخص الحريص أشد الحرص على تجنب الإسراف. و«أقوى من نملة»، لأنها تحمل ما يساوي ضعف وزنها. ويقولون أيضاً «أضعف من نملة»، لأنها لا تمتلك وسيلة تدافع بها عن نفسها. كذلك ضربت العرب المثل بمن يستهان به ولا يبالى بوعيده، فقالت: «ما عسى أن يبلغ عض النملة وقرص القملة». وكذلك وصفت العرب المرأة التي لا تستقر في مكان، ولا تبقى على حال، فقالوا عنها «امرأة منملة».

وفي بعض مناطق الجزيرة العربية، حتى وقت قريب، كان يجمع النمل في قارورة مملوءة بدهن الزنبق، ويسد رأسها وتترك ليوم وليلة، ثم يخرج منها ويصفى الدهن، ويمسح به الإحليل لتهييج الباءة، وكان يستخدم، حتى وقت قريب، مسحوق بيض النمل لإنبات الشعر.

روي أن نملة خاطبت النبي سليمان عليه السلام فوضعها في كفه فقبلها وقال «بارك الله فيكم». وروي أن رجلا

استوقف المأمون ليسمع منه فلم يقف فقال: يا أمير المؤمنين إن الله استوقف سليمان بن داود عليه السلام لنملة ليستمع إليها، وما أنا عند الله أحقر من نملة، وما أنت عند الله بأكبر من سليمان. فقال له المأمون: «صدقت» وسمع له، وقضى حاجته.

وقد ورد ذكر النمل في كثير من الأحاديث الشريفة، فقد روي عن أبي هريرة #، أن النبي ﷺ، قال: «لا تقتلوا النملة، فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقي، فإذا هو بنملة مستلقية على قفاها، رافعة قوائمها، تقول اللهم إنا خلق من خلقك، لا غنى لنا عن فضلك، اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين، وأسقطنا مطراً، تنبت لنا به شجراً، وتطعمنا به ثمراً، فقال سليمان لقومه ارجعوا فقد كُفِيتم، وسُقيتم بغيركم». كما قال الرسول ﷺ، «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل».

وقد نهى النبي ﷺ، عن قتل أربع من الدواب: النملة والنحلة والهدهد والصرد. والمراد بالنمل هو الكبير السليماني أما النمل الصغير فقتله جائز.

كما ذكر العرب النمل كثيرا في أشعارهم، قال أبو هلال العسكري في وصف حياة النمل:

وفي كل بيت من بيوتي قرية
تضم صنوفا منهمُ وفنونا

وقال الإمام تاج الدين اليمني في منزل نمل:

ما لي أرى منزل المولى الأديب به
نمل تجمع في أرجائه زمرا
فقال لا تعجَبَنْ من نمل منزلنا
فالنمل من شأنها أن تتبع الشعُرا

وكذلك ذكر الشعراء العرب الذر كثيرا في شعرهم. فقد قال أوس بن حجر في قصيدة يصف سيفه:

كأن مدبَّ النمل يَتَّبع الزبى
ومدرج ذر خاف بردا فأسهلا

وقال حميد بن ثور الهلالي:

منعمة لو يصبح الذر ساريا
على جلدها نضت مدارجه دما

وقال الشيخ عبد الحميد السماوي:

فما النسر مهما اشتد ظفرا ومنسرا
إذا قيس فيما يضعم النمل بالنسر
فيارب حتى النمل أجدى محجة
وأطعن منا في الصميم من الأمر

وقال امرؤ القيس:

متوسدا عضبا مضاربه
في متنه كمدبة النمل

وقال آخر في الوعظ:

اقنع بما تلقى بلا بلغة
فليس ينسى ربنا النملة

وقال السهيلي: «إن الله تعالى أهلك جُرْهم بالذر والرعاف».

ويتفاءل العرب برؤية النمل في منامهم يتحدث إليهم ويعتقدون أن في ذلك الخصب والخير. وأنّ من رأى النمل يدخل منزله تفاءل بقدوم الخير، وتتشاءم العرب من رؤية النمل يخرج من البيت في المنام إذ فسّروا ذلك بنقص عدد أهل البيت. وكان العرب يسدون قرية النمل بأخثاء البقر أو روث القطط، فيهرب من مكانه. كما كانوا يضعون الكمون أو الكراوية بعد دقها في جحر النمل في المنازل، لمنعه من الخروج.

وتنتشر في المملكة أنواع من النمل الحقيقي منها حرامي الحلة والنملة المنزلية ونملة الأشجار. وحرامي الحلة أكبر حجما من النملة المنزلية الحمراء. رأسه كبير ذو لون بني، ولون الجسم أسود. يحفر مستعمراته بجوار الطرق، ومحاصيل الحبوب، حيث تشاهد أكوام من التراب على فوهة المستعمرات، التي تحفرها الشغالات. ومن المعروف أنه يفسد الأطعمة. وهو يبحث عن المواد السكرية خاصة، لذا أطلق عليه حرامي الحلة.

رتبة متساوية الأجنحة

تضم حشرات صغيرة إلى متوسطة الحجم تعيش حياة اجتماعية داخل مستعمرات صغيرة إلى كبيرة، وجسمها أسطواني رقيق، ورأسها ذو فكوك سفلية أو أمامية، وقرون الاستشعار قلادية مكونة من ١٠ إلى ٣٢ عقلة، ولها عينان مركبتان، وأحياناً عينتان في رؤوس الجنود والشغالات، والصدر ذو حلقات غير متساوية، والأفراد الخصبة لها زوجان من الأجنحة المتماثلة ذات تعريق بسيط طولي أو شبكة كثيفة من العروق العابرة، والجنود والشغالات والحوريات بلا أجنحة، والأرجل قصيرة مهيأة للمشي، والبطن بها ١٠ حلقات متماثلة والحلقة الحادية عشرة مختزلة، تحمل الحلقة الطرفية من ١ إلى ٨ من القرون الشرجية المعقلة.

تضم هذه الرتبة حوالي ٢٠٠٠ نوعٍ منتشرة في كل مكان عدا المناطق الشديدة البرودة. وتتميز الأرضة من بينها –مثلاً– بنظامها الاجتماعي الطبقي المتميز شكلياً، فالإناث الخصبة (المتناسلات) تمتاز بكبر حجمها وبعينين كبيرتين، وأجزاء فم فكية غير متحورة، وجسم متصفح، والمتناسلات الأولية تحمل أجنحة حقيقية تتقصف فيما بعد. ولا ينال الذكور تغير في مظهرها الخارجي بعد تخلصها من أجنحتها، ولكن بطن الإناث تنتفخ تدريجياً بسبب تضخم المبايض، ويمتاز

الجنود بالرأس الكبير المهيأ للدفاع عن المستعمرة، والفكان العلويان متضخمان طويلان، لهما شكل أُسطواني يشبهان نصلي المقص وأحياناً يكونان مسنني الحواف منحنيين.

وفي المستعمرة ملكة وذكر، وكلاهما له أجنحة كاملة ولكن لفترة قصيرة من حياتهما يفقدان بعدها الأجنحة، وقد يكون بالمستعمرة الواحدة أكثر من ملكة وأكثر من ذكر. ويعيش الذكر مع الملكة في خلية خاصة منعزلة في المستعمرة، وتتلقح الملكة على فترات، ويزداد حجمها قبل وضع البيض، وقد يصل ما تضعه الملكة في الظروف المناسبة إلى مليون بيضة في السنة، وتعيش من ٦ إلى ٩ سنوات، ويشمل نتاج الملكة أفراداً مجنحة تطير في أسراب بعيداً عن المستعمرة القديمة، ثم تستقر على الأرض وتتزاوج وتنشئ مستعمرات جديدة.

يختلف عدد أفراد المستعمرة من بضعة آلاف إلى بضعة ملايين، وهي تبني أنفاقاً تحت التربة ومنها تسعى الشغالات من أجل الغذاء، الذي يكون بدرجة رئيسية من المواد النشوية أو السليلوزية، وتقسم هذه الرتبة إلى ست عوائل، أهمها عائلة الأرضة. التي تضم حوالي ١٤٠٠ نوعٍ، معظمها استوائية التوزيع.

الأرضة. تنتشر الأرضة أي النمل الأبيض في جميع أنحاء المملكة وهي لا تتبع عائلة النمل الحقيقي. ومنه عدة أنواع معروفة. وله أجزاء فم قارضة، وقرون استشعار قلادية. والأجنحة متساوية متشابهة. وللجندي من هذا النوع رأس مستطيل، ولحيان كبيران يدافع بهما عن المستعمرة.

وهو حشرة اجتماعية تعيش داخل أعشاش تحت الأرض، وتضم المستعمرة الزوج الملكي (الملك والملكة)، ومعهما الشغالات والجنود، وهي أفراد عقيمة غير مجنحة، وكذلك تشتمل على أفراد مخصبة مجنحة، تقوم مقام الزوج الملكي بعد وفاة أحد أفراده، أو عندما تغادر المستعمرة لتكوّن عشا جديدا. تضع الملكة البيض، وتغذي الحوريات في بداية حياتها من لعابها، بينما توسع الشغالات العش وتغذي الزوج الملكي والجنود وتجلب الغذاء، وتعمل الأنفاق، وترعى اليرقات. ويحرس الجنود المستعمرة ويدافعون عنها. يعيش الزوج الملكي في حجرة خاصة، حيث يقوم الملك بتلقيح الملكة، كلما كانت هناك ضرورة لوضع بيض جديد. وتحدد الملكة أنواع أفراد الحوريات، بإفراز هرمون خاص تلعقه الحوريات مع غذائها، حيث يكون النصيب الأكبر منه

لحوريات أفراد الشغالات، والجنود وأقله يعطى لحوريات الأفراد الخصبة ذات الأعضاء التناسلية المكتملة.

وكثيراً ما يهاجم النمل الأبيض بعض المحاصيل الزراعية والأشجار المثمرة، خاصة في المنطقتين الغربية والجنوبية من المملكة. وهنالك من يذكر بأن هذا النمل سبق أن دمر جميع محاصيل قرية باحة المحارث (منطقة آل سريع والمحارث)، ومن ثم هاجم المنازل، مما حدا بسكان القرية إلى تركها. كما يهاجم هذا النمل الأخشاب وكل ما هو مصنوع من سليولوز النبات، مثل الأقمشة والورق، وكثيراً ما نجده يقضي على الأخشاب التي تدخل في بناء المنازل وكذلك الأبواب والشبابيك وورق الجدران والستائر وغيرها مسبباً بذلك أضراراً عظيمة.

ومن أعداء هذا النمل الذباب السارق والسحالي والخفافيش وبعض أنواع الطيور المهاجرة التي تعيش بأعداد كبيرة من المنطقة الساحلية جنوبي تهامة.

وقد ورد ذكر الأرضة في القرآن الكريم الذي أطلق عليها اسم دابة الأرض في قوله تعالى: ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته﴾ (سبأ: ١٤).

كما ورد ذكر الأرضة في حادثة نقض الصحيفة التي اتفقت بموجبها قريش على مقاطعة بني هاشم حيث علقوها في جوف الكعبة وعندما اتفق بعض عقلاء قريش على تمزيقها وقام أحدهم ليشقها وجد الأرضة قد أكلتها إلا فاتحتها «باسمك اللهم».

رتبة حرشفية الأجنحة

في هذه الرتبة ١٠٢ عائلة تضم حشرات مختلفة الأحجام، من صغيرة إلى كبيرة وكثير منها ذو ألوان زاهية، والمعروف منها حوالي ١٢٠٠٠٠ نوعٍ منتشرة في أنحاء العالم، الجسم والأجنحة والزوائد مكسوة بحراشيف، والفكان العلويان أثريان أو معدومان، وأجزاء الفم الرئيسية غالباً متحورة إلى خرطوم حلزوني ماص، والرأس سفلي الفم، ذو أعين جانبية كبيرة، وغالباً ما توجد عيون بسيطة أو أعضاء حسية، وقرون الاستشعار ذوات عقل عديدة، ويرتبط الجناح الخلفي مع الأمامي بمشابك، والأرجل مهيأة للمشي، وأرجل الصدر الأمامي عادة مختزلة جداً، والبطن مكونة من عشر حلقات، الأولى مختزلة والتاسعة والعاشرة محورتان لعلاقتهما بأجزاء التناسل

الخارجية، ودورة الحياة فيها كاملة، واليرقات أسطوانية، لها فتحات تنفسية على الصدر الأمامي والبطن ولها غالباً ثمانية أزواج من الأرجل، ٣ صدرية و٥ بطنية كاذبة، والعذراء مكبَّلة تقريباً وتحاط عادة بشرنقة من الطين أو الحرير أو غيرها.

تعيش الحشرات الكاملة على رحيق الأزهار والمواد السائلة الأخرى، ولا تسبب ضرراً مباشراً، أما طور اليرقات فمن أشد الآفات خطراً على الزراعة إذ تأكل في هذا الطور أوراق النباتات والبراعم وبعضها يحفر في السيقان والثمار، وبعضها يتلف الأخشاب والملابس والسجاجيد والفراء، وبعضها يتغذى بالحبوب المخزونة والفاكهة المجففة والدقيق، وقليل منها ذو نفع كدودة القز، وتشمل هذه الحشرات أنواع الفراشات وأبي دقيق (العث)، وقد سجلت حوالي ١٦٠ نوعاً من الفراشات من الجزيرة العربية تنتمي إلى سبع عوائل و٦٤١ نوعاً من أبي دقيق تنتمي إلى ١٩ عائلة. وتمتاز الفراشات عن أبي دقيق بألوانها الزاهية، وأن أجنحتها منطبقة إلى أعلى



الفراشة

في وضع رأسي عند وقوفها على الأزهار أو النباتات، وأن غالبيتها العظمى نهارية المعيشة. أما أنواع أبي دقيق، فإن ألوانها غير زاهية وأجنحتها مفتوحة عند وقوفها، كما أن غالبيتها العظمى ليلية المعيشة.

ومن أهم عوائل رتبة حرشفية الأجنحة عائلة الفراشات الخطافية، وهي أكبر عوائل الفراشات من حيث العدد، وتضم أجمل الفراشات العربية مظهراً، ويعود اسم العائلة إلى وجود بروز يشبه الذنب في الجهة الخلفية من الجناح الخلفي، وفي الجزيرة العربية أربعة أنواع من هذه العائلة، وتنتشر أفراد هذه العائلة في أمريكا الشمالية وأوروبا والمناطق المعتدلة في آسيا. وهناك عائلة نمفاليدي، وهي واسعة الانتشار في العالم، وتمتاز أفراد هذه العائلة بألوانها الجميلة وطيرانها القوي، والزوج الأول من الأطراف صغير ولا يستخدم للمشي، ولذلك فهي تعتمد في المشي على الزوجين الثاني والثالث، والمعروف من هذه العائلة في الجزيرة العربية ٣٠ نوعاً. أما عائلة أبي دقيق الصقر أو عث الصقر، فتمتاز بأنها تضم أكبر أنواع أبي دقيق المعروفة في الجزيرة العربية، وقرون الاستشعار فيها خيطية، وتمر اليرقات بطور الشرنقة قبل تحولها إلى الشكل البالغ، ومعظم الأنواع مهاجرة ليلية المعيشة، والمعروف منها ١٨ نوعاً في الجزيرة العربية.

الفراشة الخطافية. من الفراشات الكبيرة، تمتاز ببقع صفر على الجناحين، وشريط أسود على الطرف الخارجي للجناح الأمامي، وشريط بنفسجي على الطرف الخارجي للجناح الخلفي يعقبه بقعة برتقالية اللون. واليرقة مبقعة بالأسود والبرتقالي على أرضية خضراء فاتحة.

تعيش هذه الفراشة بأعداد كثيرة في المنطقة الشرقية خاصة واحة الإحساء وكذلك في شمال سلطنة عمان. وهي تتغذى برحيق عدة أنواع من الأزهار، أما اليرقات فتتغذى بالأوراق النباتية الخضر.

فراشة السيدة الجميلة. من الفراشات المهاجرة وتمتاز بانتشارها الواسع في العالم وتوجد في أغلب أجزاء الجزيرة العربية. ذات تلون جميل يتميز ببقع بيض وسود على خلفية بنية فاتحة. تتكاثر فقط في المواقع التي يكثر فيها الغذاء المفضل لليرقات. تختفي اليرقات عادة تحت مظلة من الأوراق مربوطة بخيوط حريرية. وفي الحالات التي تكثر فيها أعداد كثيرة

من اليرقات يلاحظ أنها تسعى على الأرض في طلب الغذاء. وقد شوهدت هذه الحالة في بيئات الحماد في المنطقة الشرقية. وتكثر هذه الفراشات على أزهار نباتات العوسج خلال أشهر آذار (مارس) ونيسان (إبريل) قبل بدء الهجرة باتجاه الشمال.

فراشة النمر. من الفراشات المهاجرة القوية الطيران. واسعة الانتشار في أفريقيا والمنطقة العربية وجنوب آسيا حتى أستراليا. وهي واسعة الانتشار في الجزيرة العربية في الأودية والواحات، خاصة في مواقع انتشار عائلة نبات العشار وما شابهه من ذوات العصارات السامة.

تتغذى اليرقات بهذه النباتات وبهذا تنقل المواد السامة المتجمعة في أجسامها إلى الحشرات البالغة. ولهذا السبب لا تستسيغ الطيور والثدييات هذه اليرقات والفراشات، إضافة إلى تلونها التحذيري المتميز ذي الألوان البرتقالي والأسود والأبيض الذي يذكّر المفترسات بسميتها فتتركها، وبذلك تنجو من أعدائها.



عث الصقر

أبو دقيق الصقر أو عث الصقر. من أكبر الحشرات المعروفة في الجزيرة العربية حجماً حيث تصل المسافة بين جناحيها إلى ١٥ سم. وهي من الأنواع المهاجرة القوية التي تتجمع بأعداد كبيرة وقت الغروب. تمتص الرحيق بخرطومها الحلزوني الذي يصل طوله في هذا النوع إلى حوالي ١٠ سم. لا تقف ساكنة عند الاغتذاء ولكنها ترفرف فوق الأزهار أثناء هذه العملية.

يغلب على الحشرات البالغة اللون البني المغبر مع أشرطة وردية على الجسم. اليرقات كبيرة الحجم ذات بقع صغيرة حمر على جانبي الجسم، على خلفية خضراء فاتحة. والناحية الخلفية من الجسم ذات استطالة لحمية مذببة وردية.

المصادر

ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي

١٣٩٠/ ١٩٧٠ أخبار الأذكياء. مطابع الأهرام التجارية، القاهرة.

أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله المهراني الأصبهاني حافظ

١٣٨٧/ ١٩٦٧ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. دار الكتاب العربي، بيروت.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد

١٣٩٥/ ١٩٧٥ تهذيب اللغة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

الألمعي، يحيى إبراهيم

١٤٠١/ ١٩٨١ الأمثال الشعبية في المنطقة الجنوبية. نادي أبها الأدبي، أبها (المملكة العربية السعودية).

بدوي، علي وآخرون

١٤٠٦/ ١٩٨٦ دراسات عن مشكلة النحل الأبيض بالمملكة العربية السعودية. مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، الرياض.

البغدادي، عبدالقادر بن عمر

١٤٠١/ ١٩٨١ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. مكتبة الخانجي. دار الرفاعي، الرياض.

بيترسون، روجر توري وآخرون

١٣٩٢/ ١٩٧٢ الطيور. مطابع الأهرام التجارية، القاهرة.

توفيق، محمد فؤاد

١٣٩٦/ ١٩٧٦ علم الحشرات العام. دار المعارف، مصر.

الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد النيسابوري

١٣٨٥/ ١٩٦٥ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. دار النهضة، القاهرة.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محجوب

١٤٠٨/ ١٩٨٨ الحيوان، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون. دار الجيل، بيروت.

الجهيمان، عبدالكريم عبدالعزيز

١٣٩٩/ ١٩٧٩ الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية. دار أشبال العرب، الرياض.

حنا، حلمي مليكه

١٣٨٦/ ١٩٦٦ أساسيات علم الحشرات. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مصر.

دبور، علي إبراهيم؛ حماد، شاكر محمد

١٤٠٢/ ١٩٨٢ الآفات الحشرية والحيوانية، وطرق مكافحتها في المملكة العربية السعودية. عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض.

الدميري، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى

١٣٧٤/ ١٩٥٥ حياة الحيوان الكبرى. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود

١٣٩٣/ ١٩٧٣ (كتاب) النبات. المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة. دار القلم، لبنان.

السويداء، عبدالرحمن بن زيد

١٤١٠/ ١٩٩٠ القهوة العربية وما قيل فيها من الشعر. دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض.

شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب

١٤٠٨/ ١٩٨٨ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر. دار إحياء التراث العربي، بيروت

العيسى، عبدالله بن عبدالرحمن

١٤١٢/ ١٩٩٢ كتاب المختار من الأمثال الشعبية. العبيكان للطباعة والنشر، الرياض.

العبودي، محمد بن ناصر

١٣٩٩/ ١٩٧٩ الأمثال العامية في نجد. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

القزويني، أبو عبدالله زكريا محمد بن محمود الكوفي
١٤١٥/ ١٩٩٥ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

القيسي، توفيق يوسف
١٤١٠/ ١٩٩٠ دليل الطيور في قطر. وزارة الإعلام والثقافة، الدوحة.

القيسي، نوري حمودي
١٤٠٤/ ١٩٨٤ الطبيعة في الشعر الجاهلي. عالم الكتب. مكتبة النهضة العربية، الطبعة الثانية، بيروت.
١٤٠٥/ ١٩٨٥ نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها. المجمع العلمي العراقي، بغداد.
١٣٨٤/ ١٩٦٤ الفروسية في الشعر الجاهلي. مكتبة النهضة، بغداد.

مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن الحسين
١٤١٣/ ١٩٩٣ تاج العروس من جواهر القاموس. وزارة الإعلام، الكويت.

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد
١٤٠١/ ١٩٨١ لسان العرب. دار صادر، بيروت.

الوليعي، عبدالله بن ناصر
١٤١٦/ ١٩٩٥ الجغرافية الحيوية للمملكة العربية السعودية. المؤلف، الرياض.
١٤١٦/ ١٩٩٥ جيولوجية وجيومورفولوجية المملكة العربية السعودية. المؤلف، الرياض.